

الدراية المحررة

في

شرح رسالة الرازي في الأدوية

وهي الرسالة الجديدة التي بعث بها إلى ابن جهور،
من ملوك الطوائف بالاندلس



العبد المتفلسف إلى ربه الكريم

أبو بكر محمد بن علي

الموظف بوزارة الحرية المصرية عفا الله عنه
طبع على نفقة حضرته وشريكه

مجموعته المفضية

صالح المكتبة المصرية

بأمر درمان سودان ويطلب منهما وثنه ٢٥ قرشاً صاغاً

وقام بتصحيحه للطبعي نخبة من علماء الأزهر الشريف

(الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



روحى بهذا البناء استودعت زمتنا
والدهر يجهل حيننا ثم لا يذر
تغادر الروح مشواها فتهديمه
يد الفناء ويبقى الرسم والخبر
للمؤلف

لساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربية ونعم القرين والسخيل والوزير والنزيل
كتاب مليء علماً وظرفٌ حسيٌّ ظرفاً وإناءً شحنٌ مزاحاً وجداً إن شئت
كان أبين من سبحان وائل وإن شئت كان أعياناً من باقل وإن شئت ضحكت
من نوادره وإن شئت عجبت من غرائب فرائده

لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج باردٌ حارٌ
ولستُ مبالغا إذا قلتُ إنني قطعتُ أيامَ محنتي وآلامَ مرضتي في المطالعة
صباحَ مساءً ولولا تسليّة نفسي بها لما عُدّدتُ اليوم في الأحياء
وما النفس إلا حيث يجملها القتي فن أهملتُ نأقت والا تسلتُ
أستغفر الله إذ العمر محدود وحبل الأمل ممدود فقد أتاح الله عودتي إلى
الخرطوم محمولا على عربة يجرها ثوران ضحخان بمخضاني مخض الزبدة ويضيفان
إلى شدتي شدة إلى أن وصلت إلى التونجة ومنها ركبت النيل إلى الخرطوم والله
يخلق من التعب راحة ومن الراحة تعباً فتذكري الحديث الشريف سافر وامرضي
يشفيكم الله فأخذت في الأبلال بعد أن كنت على شفا ومن الله على بتمام الشفاء
وضاقت خطاة فخلصت منها خلوص الماء من نسج الفدام
وقد حصات على عطلة (اجازة) اقطعت فيها عن الأشغال ثلاثة أشهر متوالية
لترويح النفس من عناء الأمل شاكرًا لله على ما أولاني من نعمة العافية وخلصي
من الضيق إلى السعة

وكنت قد قرأت في المجلد السادس للسنة الحادية عشرة بعد التسعمائة والالف
الميلادية من مجلة المقتبس الغراء منشئها الكاتب الأديب محمد كرد علي الذي
كان يصدرها بدمشق الشام رسالة لأبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون إلي
أبي الوليد محمد بن جمهور من ملوك الطوائف بالأندلس أيام اعتقاله وتنكر حاله
وفيها ضروب من البلاغة تسحر العقول وتخلب الألباب شم في استعطاف

وتواضع في استنكاف وحرارة فؤاد تذيب الصفات الصماء وشكوى حال
ترق لها البهيمة العجاء فجعلت أكرر تلاوتها . وأستطعم حلاوتها وكما فرغت منها
عدتُ إليها (والمكرر أحلى وأغلى) وتمنيت لشدة اعجابي بنمطها العجيب
وأسلوبها الغريب أن يشاظرني كل قارئ . وسامع الامام بمعانيها واستيطان مغانيها
لصوغها في قوالب الاستعارات المجازية والامثال الرائجة العربية بما يعنى إلى
البحث عن شرح لها يُشبع الغرثان ويروي الظمان كي يسهل على المبتدئ فهمها
كما سهل علي العالم عليها

وقد علمت من تعليق صاحب المجلة عليها حين أورها أن الاديب المؤرخ
والعالم المحقق الشيخ صلاح الدين الصفدي قد شرحها شرحاً سهياً في نحو مائتي
ورقة وسعى شرحه تمام المتنون في شرح رسالة ابن زيدون وأنه رأى ذلك الشرح
نسخةً مخطوطةً محفوظةً في خزانة مكتبة صديقه الاديب السيد عبد الباقي الحسني
الجزائري كتبت عام ألف وثمانين وست وخمسين هجرية فاجتهدت أن أحصل
على نسخة منه مطبوعة وبشت في طلبها من مكاتب القاهرة الشهيرة فلم أجدها
وقيل لي انه لم يطبع في مطابعها وربما كان قد طبع في البلاد الاوربية ونفدت
نسخه إلا ما كان في مكاتب الخاصة

وحينئذ حدثني النفس بأن أشرح الرسالة المذكورة وأجعل ذلك الشرح
تاريخاً لشفائي من المرض وعودتي من بلاد الشؤم والنكد مستمداً من الله المعونة
والتوفيق في انتهاجي أقوم طريق

وكنت قد اشبت ببعض الشيء من معرفة مقاصد منشئها وناسج بردها
ولكنني استعظمت الاقدام عليه لأنني لم أكن من رجال هذا الميدان ولا ممن
سبق له الأستنان في حذابة البيان ولا سيما أن المتصدي لمثل هذا العمل قلما ينجو
من أسنة النقد وسهام القذع ولطالما كان الإنسان في فيسحة من أمره ما لم يقل قولاً

أَوْ يَنْظِمُ شِعْرًا فَلَنْ أَصَابَ اسْتَهْدَفَ وَإِنْ أخطأ استخف فإحرا نى أن أنزوى
 خلف الستار وتأمين نفسى زلة العثار . لذلك ترددت بين الاقدام والاحجام لما فى
 ذلك من هول المقام إلا أن إرادتى فى الاقدام غلبت مشيئتى فى الاحجام ولجئت فى
 العناد وشمست فى القياد وهى تناجينى بأن فى سماحة أهل الادب وتساهلهم ما يحملها
 على حسن الظن بهم فيتجاوزون عن هفواتى ويفتفرون زلاتى فأخفت استجمع الادلة
 وأستحضر الشواهد التى كانت تفيض فى صدرى وتوارد على مخيلتى

إلا أنى رأيت عقبة كؤودا أصعب من الأولى هى ما أعانته من جمع ما
 تفرق فى هذه الرسالة البديعة من الحكم والامثال الكثيرة والغزوات والقصص
 التى أشار اليها صاحب الرسالة وأن لا بد من الايمان على بسط كل مسألة وذكر
 السبب فيها أو الباعث إليها وترجمة ذوبها وذلك ما يُخرجنى إلى مراجعة كتب
 كثيرة ومادة فى النوق وفيرة فلم يثنى ذلك عن التمشى فى الوعر لأسلك منه إلى
 الجدى . فدأبت على البحث والاستقصاء أراجع وأدقق فيما خنى ما استطعت
 وأخذت فى تسويد الشرح حتى أتيت على الكثير منها والله يعلم ما عانيت فيها
 وما بذات من الوقت فى ترتيبها وتهذيبها فما استلفتنى إلا نظر أديب اجتمعت
 به صدقة وجرنا الحديث الى ذكر هذه الرسالة (والحديث شجون) فأخبرنى بأن
 لإمام اللغة والأدب الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف
 المصرية قد شرحها فى كتابه المسى المواهب المتحفة فى علوم اللغة العربية فاشتقت
 لمراءه ورجوته أن يعيرنى إياه فأعارنيه فلما استوعبته واستقرته أفتيته شرحاً وجيزاً
 لا يرمى الى غرضى وقد ترك كثيراً من حل معانى الرسالة الى مدارك القارئ
 الرجوع به الى التفصيلات فى مظاهرها لشهرتها وأشار ضمناً إلى شرح العلامة
 الصفدى الذى لم تقع إلى نسخته وقال انه عدته فيما كتب

ولما كان غرضى التوسع فى الشرح بما لا يدعو القارئ إلى بحث آخر عقدت

الذية على مضاء عزيمةي مها نالي من التعب والمشقة لييرز كتابي غنية للطلاب
 ومنتجماً للراغب فسهل الله لي ما أردت وسدد خطاي فيما أقدمت وعددت ذلك
 جرأة مني شأن من لم تعمقه همته عن ارتقاء العقبة علي ما فيها من المزالق وما توفيق
 إلا بالله

وهاً نذا أقدمه لأبناء عهري ولن أعدم منهم نصيراً على الاعتقاد بحسن
 قصدي وخلوص نيتي وليعلموا أن ليس لي فيه إلا فضل الاختيار فإن أصبت
 فذاك ما أردت وإن أخطأت فما من قلة احتفال بالأصابة

ولا يخفى علي القارئ أن الخطأ كثير عام والصواب قليل خاص فليكن
 حجة من الصواب أن يقول كيف أصاب ولا يقول كيف أخطأ

وأنا أعينه ونفسي بالله من خطئ القول وسوء العمل وأسأله تعالى أن يوفقي
 وإياه الي عمل الخير وخير العمل والسلام ما

كتبه
 أبو بكر محمد عليم

ترجمة صاحب الرسالة

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي
الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور والناثر البليغ . بلغ من صناعتي النظم والنثر
المبلىغ الطائل وله ديوان شعر ورسائل نثر أفرغ فيها جهد ما تصل إليه قرائح
البغايا من أمثال العرب وأشعار المتقدمين إلى أن قيل إن رسائله أشبه بالمنظوم
منها بالمشور وكان يسمى بـ **بُحْرِي** **أَغْرِب** لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه
وذكره ابن بسام في الذخيرة . وقال عنه . كان أبو الوليد غاية منشور ومنظوم
وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من حرّ الأيام حرّاً . وفق الأنام طراً ، وصرف
السلطان نفعا وضرا ووسّع البيان نظما ونثرا . إلى أدب ليس للبحر تدفقه . ولا
للبدر تألقه وشعرٍ ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه . وحظ من النثر
غريب المباني ، شعري الألفاظ والمعاني . وكان من أبناء وجوه الفقهاء قرطبة
وبرع أدبه ، وجاد شعره ودلائل شأته وانطلق لسانه ، ودون ابن حيّان بسدّامن
أخباره وفضائله . وذكر ابن بشكوال أباه في كتابه الصلوة وأثنى عليه وقال كان يكنى
أبا بكر وكان أبو الوليد رحمه الله منقطعا إلى أبي الوليد ابن جهور^(١) من ملوك

(١) واسمه أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن
الغدر بن يحيى بن أبي المافر بن أبي عبيدة الكابي . وأبو جهور كان رئيس الجماعة
بقرطبة أيلم فتنة بني أمية ويكنى أبا الحزم ولما خلع الجند المعتربالله آخر خلفاء بني أمية
بالأندلس استبد جهور بالأمر واستولى على المملكة بقرطبة سنة ٤٢٢ هـ وكان على

الطوائف بالأندلس فاشتهر عنده واعتمد في السفارة عليه بين ملوك الأندلس إلى أن نَقِمَ عليه أشياء بلغت منه فحبسه زمناً فأنشأ هذه الرسالة يستعطفه بها للمفو عنه فلم تنجح عنده فهرب من سجنه واتصل بالمعتضد عبّاد بن محمد صاحب اشبيلية^(١) في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة فنلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته وجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويُرَكَّنُ إلى إشاراته وذكر له شيء كثير من الرسائل والنظم فمن ذلك قوله

بيني وبينك ما لو شئت لم يُضَع	سر اذا ذاعت الأسرار لم يُدَع
يا بائعاً حظّه مني ولو بدلت	لى الحياة بمحظى منه لم أبيع
يكفيك أنك إن حملت قلبي ما	لا تستطيع قلوب الناس يستطع
تِه أحمَلُ واستطل أصير وعزّاهُن	وول أقبل وقل أسمع ومُر أطمع

من أهل الفضل ثم مات في المحرم سنة ٤٣٥ هـ فاستولى على المملكة ابنه أبو الوليد صاحب الترجمة فخلع في سنة ٤٦١ هـ وأما ملوك الطوائف لأنه لما اضمحل أمر الخلافة من بني أمية وبني حمود بالأندلس وثب الأمراء من الموالي والوزراء وكبار العرب والبربر على الجهات وقام كل منهم بأمر ناحية وتفرق ملك الأندلس في طوائف منهم وتغلّب بعضهم على بعض وضعف أمرهم حتى أعطوا الاتاوة لملوك الفرنجة من بني اذقوش إلى أن جاء يوسف بن تاشفين ملك الملتمين من مراكش فلك الأندلس وانزعها منهم

(١) هو عباد بن القاضي أبي القاسم بن محمد بن ذي الوزارتين إبي الوليد بن اسماعيل من ملوك الطوائف المار ذكرهم وابنه الذي اعتبه في الملك ويقال له أبو القاسم محمد الملقب بالمعتضد هو الذي نزع بني جهور عن قرطبة واستولى عليها بعدهم إلى أن انزعها منه أخيراً يوسف بن تاشفين ونفاه إلى انجات قرية من قرى مراكش سنة ٤٨٤ هـ فمات بها فقيراً مدمماً

ومن شعره أيضاً

ودع الصبر محب ودعك ذائع من مره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن زاد في تلك الخطا اذ شيعك
يا أنا البدر سناء وسني حفظ الله زمانا اطلعك
أن يطل بعدك ليلي فلکم يت أشكو قهر الليل معك

ومما قاله في ابن جهور بعد هروبه من سجنه قوله

قل للوزير وقد قطعت بسجحه عمرى فكان السجن منه ثوابي
لا تخش لائمتي بما فرطته من ذاك في ولا توق عتابي
لم تخط في أمرى الصواب موقفاً هذا جزاء الشاعر الكذاب

وكتب إلي بعض أصحابه عقب فراره من السجن كتاباً يعتذر فيه من الهرب يقول فيه : وفي علمك أني سجنتم مغالبة بالهوى وهو أخو العسى وقد نهى عنه تعالى فقال : ولا تتبع الهوى الآية . وشهد علي فلان الناشر لأذنيه طمعا ، لياً كل بيديه جشعا ، وقال : فكان القول ما قالت حذام ، وليتني مع قبول ما لا تحل شهادته علي يُعذر فيه الي ولم يقرن الحشف وسوء الكيله وكنت أول حبسي بموضع جرت العادة بوضع مستورى الناس وذوى الهيئات منهم فيه . وفي الشر خيار^(١) وبهذه أهون من بعض ، ثم قلت بعد حيث الجناة المفسدون ، واللصوص المقيدون ومنع مني عوادى فشكوت إلى الحاكم الحابس لي فصم عني ولو ذات سوار لطمتني .

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يقبلك مثل مغلب
ولم أستطع صبرا ، وعلمت أن العاجز من لا يستبد . فالرء يعجز لا محاله ولم

(١) يريد اختيار أخف الضررين وأهون الشرين والحقيقة ليس في الشر خيار

لأنه شر حينما كان

أستخر أن أكون ثالث الأذلين العير والوتد وذكرت أن الفرار من الظلم والظلم
 ممن لا يطلق من تشريع المرسلين وقد قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام
 « ففرت منكم لما خفتكم » الخ وله الرسالة الهزلية وهي من أبداع رسائله فقد
 جمعت كثيرا من كلام المتقدمين وأخبارهم وأمثالهم كتبها على لسان ولادة بنت
 المستكفي بالله (١) أحد خلفاء الغرب الأمويين إلى الوزير أبي عامر بن عيوس
 وكان معاصرا له وكانت ولادة هذه قد ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وزوال ملك
 الاندلس عنه فكانت تجالس الشعراء والكتاب ومحاضرتهم وتطرحهم ولها جمال
 وأدب وميلها إلى ابن زيدون أكثر من ابن عيوس وأكثر تشيبيه في شعره
 فيها فكتب عن لسانها تلك الرسالة وضمنها كثيرا من أنواع التهمك والهجاء فبلغت
 من ابن عيوس كل مبلغ فما جاء فيها قوله : ما كنت لا تخطي المسك إلى الرماد
 ولا أمتطي الثور بعد الجواد وإنما يتيمم من لا يجيد ماء ويرعى الهشيم من عديم
 الجسيم ويركب الصعب من لا ذلول له . ولعلك إنما غرك من علمت صبوتى إليه
 وشهوت مساعفتى له من أقمار العمر ورياحين الميصر الذين هم الكواكب علو

(١) المستكفي بالله لقبه واسمه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن

الناصر وجده عبد الرحمن هذا أبوه معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
 ابن الحكم المعروف بالداخل أول من ملك الاندلس من الأمويين واتخذ قرطبة
 دارا له وكان السبب في ذلك أن بني العباس لما تتبعوا بني أمية بالقتل هرب عبد الرحمن
 المذكور ودخل الاندلس في جماعة من أنصاره واستولى عليها في سنة ١٣٩ هجرية
 وقصده بنو أمية من المشرق والتجأوا إليه وصاروا ولادة وأهل بيته من بعده يتوارثون
 ملك الاندلس باسم الخلافة إلى أن كان المستكفي بالله ثم المعتز بالله هشام بن محمد
 الخلع وهو آخرهم وقد مات في سنة ٤٢٨ فاقطع أمر خلافتهم ودولتهم من
 الاندلس وتملكها الموالي والوزراء فعرفوا بملوك الطوائف كما تقدم

هم والرياض طيب شيم . ومنها فان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة
كنت كمن اشتريت العافية لك بالعافية منك . وان قلت جمجة ولا طحن ورُبَّ
صلف تحت الراعدة وأنشئت

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا

فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما امتنعيت منه . بعثت من يزعجك إلى الخضراء
دفا ، ويستحلك نحوها وكزا وصفعا . فاذا صرت إليها عبث أكاروها بك
وتسلطت نواطيرها عليك فمن قرعة تقوم في قفاك ومن فجلة مُنتنة ترمى بها تحت
خصاك الخ وكلها على هذا النمط وقد شرحها الامام الاوحد جمال الدين بن قُبانة
السعدي وسمى شرحه « شرح العيون » ومن شعر المترجم أيضا قوله

شحطنا وما بالدار تأتي ولا شحط	وشط بمن تهوى المزار وماشطوا
أحبابنا الوت بمحادث عهدنا	حوادث لا عهد عليها ولا شرط
لعمركو إن الزمان الذي مضى	بشت جميع الشمل منا لمشتط
فأما السكري مذ لم أزر كم فهاجر	زيارته غب والمامه فرط
كأن فؤادي يوم أهوى مودعا	هوى خاقمانه بمحيث هوى القرط
اذا ما كتاب الوجه أشكل سطره	فمن زفرني شكل ومن عبرني نقط

وله القصيدة النونية التي اشتهرت بين أهل الادب وهي التي كتبها الى
ولادة بنت المستكفي ومطامها

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا نجافينا
يقول منها

تسكادحين تنا بيكم ضماثنا	يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدمكم أيامنا فعدت	سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
بالامس كنا وما يخشى تفرقنا	واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وكانت ولادته بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ ووفاته باشبيلية سنة ٤٦٣ وعمره نحو

سبعين سنةٍ ونشأ له ابن يقال له أبو بكر وتولى وزارة المعتمد بن عباد وقتل يوم
أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد المذكور لما استولى على مملكته
في صفر سنة ٤٨٤ وابن عباد هذا هو الذي انتزع ابن جهور عن قرطبة
وأخذها عاصمة ملكه

متن الرسالة

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ وَعَتِمَادِي عَلَيْهِ وَعَتِدَادِي بِهِ
 وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِي حَتَّى الْعَزِيمِ وَارِي زَنْدِ الْأَمَلِ ثَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ إِذَا
 سَلَبْتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ لِيَأْسَ إِنْعَامِكَ وَعَطَّلْتَنِي مِنْ حُلِي إِيْنَابِكَ وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى
 بِرُودِ إِسْمَاعِيلِكَ وَنَفَضْتَنِي بِكَفِّ حَيَاطَتِكَ وَغَضَضْتَنِي عَنِ طَرْفِ حَيَاتِكَ
 بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ وَسَمِعَ الْأَعْمَى ثَنَائِي عَلَيْكَ وَأَحْسَ
 الْجَمَادُ بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ فَلَا غَرَوْ قَدَّ يَنْقُصُ الْمَاءُ شَارِبَهُ وَيَقْتُلُ الدَّوَاءُ
 الْمُسْتَشْفِي بِهِ وَيُوتِي الْحَدِيرُ مِنْ مَأْمَنِهِ وَتَكُونُ مِنيَّةُ الْمُتَمَنِّي فِي أَمْنِيَّتِهِ

وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الْحَرِيصِ

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهْوُونَ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ

وَإِنِّي لَا تَجَلَّدُ وَأُرِي الشَّامِتِينَ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمَّعُ فَأَقُولُ

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدٌ أَدَمَاهَا سِوَارُهَا وَجَبِينُ عَضَّ بِهِ إِكْسَلِيلُهُ

وَمَشَرَفِي الصِّقَّةُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ وَسَمَّهْرِي عَرَضُهُ عَلَى النَّارِ مُنْقَفُهُ وَعَبْدُهُ

ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ

فَقَسًا لِيَزْدَجْرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

هَذَا الْعَتَبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي وَهَذِهِ النَّكِيَّةُ

سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ

وَلَنْ يُرِيْبِنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَحَابُهُ أَوْ تَأَخَّرَ غَيْرَ ضَرِيْبِينَ غَنَاوَهُ

فَأَبْطَأَ . الدَّلَاءُ فَيَضًا أَمْلُوْهَا وَأَثْقَلُ السَّحَابُ مَشِيًا أَحْفَلَهَا وَأَنْفَعُ الْحَيَا

مَا صَادَفَ جَدْبًا وَاللَّهُ الشَّرَابِ مَا صَابَ غَلِيْلًا وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ وَلِكُلِّ

أَجَلِ كِتَابٍ لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ
 وَإِنْ يَكُنُ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا • فَأَفْعَالُهُ اللَّاتِي مَرْرُنَ الْوَفُ
 وَأَعُودُ فَأَقُولُ مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسَعَهُ عَفْوُكَ وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ
 يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ وَالتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَفْرِقْهُ تَطَاوُلُكَ وَالتَّحَامُلُ الَّذِي
 لَمْ يَفِ بِهِ احْتِمَالُكَ لِأَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَابْنَ عَدْلِكَ أَوْ مُسِيئًا
 فَابْنَ فَضْلِكَ

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ • أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ
 (١) حَنَانِيكَ قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الرَّثْبِي • وَنَالَنِي مَا حَسَبِي بِهِ وَكَفَى
 وَمَا أَرَانِي إِلَّا لَوْ أَمَرْتُ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ فَأَيُّتُ وَاسْتَكْبَرْتُ وَقَالَ لِي
 نُوحٌ ارْكَبْ مَعَنَا فَقُلْتُ مَا أَوْى إِلَيَّ جِبَلٍ يَمُصُّنِي مِنَ الْمَاءِ وَأَمَرْتُ بِبِنَاءِ
 صَرْحٍ لَعَلِّي أُطْلَعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَعَصَمْتُ عَلَى الْعِجْلِ وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ
 تَعَاطَيْتُ وَفَعَمَرْتُ وَفَمَرَبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي ابْتَلَى بِهِ جِيُوشُ طَالُرْتُ وَقَدْتُ
 الْفَيْلَ لِأَبْرَهَةَ وَعَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصُّحُفَةِ وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ
 وَتَفَرْتُ إِلَى الْعَبْرِ بِنَدْرِ وَأَتَّخَذْتُ بِشَلِّ النَّاسِ يَوْمَ أَحُدٍ وَتَخَافْتُ عَنْ صَلَاةِ
 الْعَصْرِ فِي بَيْ قُرَيْظَةَ وَجَنْتُ بِالْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَأَفْتُتُ مِنْ إِمَارَةِ
 أَسَاءَةَ وَزَعَمْتُ أَنْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَرَوَيْتُ رُحْمِي مِنْ كَتِيبَةِ
 خَالِدٍ وَمَزَّقْتُ الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكَتْ يَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَضَحَّيْتُ بِالْأَشْمَطِ الَّذِي
 عِنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ وَبَدَلْتُ لِقَطَامٍ

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً • وَضْرَبَ عَلِيٍّ بِالْمُسَامِ الْمُسَمِّ

(١) فِي نَسْخَةِ بَيْتِ ثَانٍ وَهُوَ

فَهَبْنِي مُسِيئًا كَالَّذِي قَلْتُ طَالِبًا قِصَاصًا فَابْنَ الْإِخْتِ يَا عَزَّ بِالْفَضْلِ

وَكَتَبْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ مَعْدِي أَنِ جَمِّعِ بِالْحُسَيْنِ وَتَمَّتْ عِنْدَهُ مَا بَلَغَنِي مِنْ
وَقَعَةِ الْحَرَّةِ

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا • جَزَعِ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ
وَرَجَعْتُ الْكُتُبَةَ وَصَلَبْتُ الْعَائِدَةَ عَلَى النَّبِيَّةِ لَكَانَ فِيهَا جَرَى عَلَى
مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذِكَالاً وَيُدْعَى وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ عِقَابًا
وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي • تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِيْنَا
فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ الْأَتَمِيَّةِ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ وَنَبَأُ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ وَهُمْ
الْهُمَازُونَ الْمَشَاوُونَ بِنَمِيمٍ وَالْوَأَشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْعُدُوا الْعَصَا
وَالغَوَاتُ الَّذِينَ لَا يَبْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا وَالسَّعَاةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْإِحْتِفُ
ابْنُ قَيْسٍ فَقَالَ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ الصِّدِّيقِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً • وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
وَاللَّهِ مَا عَشَّسْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ وَلَا انْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّانِعِيَّةِ وَلَا
نَصَبْتُ لَكَ بَعْدَ التَّشْيِيعِ فِيكَ وَلَا أَزْنَعْتُ يَا مَسَا مِنْكَ مَعَ ضَمَانِ تَكَلَّمْتُ بِهِ
الْثِقَةَ عَنْكَ وَعَهْدِي أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ فَفِيمَ عَبَثَ الْجَفَاءُ بَارِئِي وَعَاثَ
الْعُقُوقُ فِي مَوَاتِي وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ مِنْ وَمَسَائِلِي وَلِمَ ضَاقَتْ مَذَاهِبِي وَأَكَدَتْ
مَطَالِبِي وَعَلَامَ رَضِيْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالْعَلِيقِ بَلْ مِنَ الْعَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ وَأَنِّي
غَلَبَنِي الْمُغْلَبُ وَفَخَرَ عَلَى الْمَاجِرِ الضَّعِيفُ وَطَطَمَنِي غَيْرُ ذَاتِ سَوَارٍ وَمَا لَكَ
لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَفْتَرَسَ وَتُدْرِكُنِي وَلَمَّا أَمْرُقُ أَمْ كَيْفَ لَا تَنْضَرُمُ (١)
جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ حَسَدًا إِلَى عَلَى الْخُصُوصِ بِكَ وَتَنْقَطُ (٢) أَفْنَاسُ النُّظْرَاءِ
مُنَافَسَةً فِي الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ وَقَدْ زَانِي أُمَّمُ خِدْمَتِكَ وَزَهَانِي وَمَمُ نِعْمَتِكَ

(١) فِي رِوَايَةِ تَضَطْرَمِ (٢) فِي رِوَايَةِ تَنْقَطُ

أَلَسْتُ الْمُوَالِيَّ فَيْكَ غُرُ قَصَائِدٍ • هِيَ الْاَلْتَبْجِيمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا
 تَنَاءَ يُظَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا • ضَحَى وَبُخَالُ الْوَشْيِ فِيهِ مُنَمَّنَا
 وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ الْأَبْرَدَا طَرَزَتْهُ بِفَضَائِكَ وَتَقَلَّدَتْ الْجَوَزَاءُ إِلَّا
 عِقْدًا فَصَلَّتْهُ بِمَا تَرِكَ وَاسْتَمَلَى الرَّيِّعُ الْأَتْنَاءُ أَمْلَأَتْهُ مِنْ مَحَاسِنِكَ وَبَثَّ
 الْمِسْكَ الْأَحْدِيثَا أَدْعَتْهُ فِي مَحَامِدِكَ (مَا يَوْمُ حَلِيصَةِ بَسِيرٍ) وَإِنْ كُنْتُ لَمْ
 أَكُكْ مَسْلِيًّا وَلَا حَلِيئِكَ عَطْلًا وَلَا وَسَمْتُكَ غَفْلًا بَلْ وَجَدْتِ أَجْرًا (٣)
 وَحَصَى قَبْنِيَّتُ وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَمَةٍ قَعَلْتُ وَحَاشَا لَكَ أَنْ أَدُمَّ مِنَ الْعَامِلَةِ
 النَّاصِبَةِ وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ (تَضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَهْتَرِقُ) فَلَاكَ
 الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ بِي وَبِكَ أَوْلَى

وَلَعَمْرُكَ مَا جِهَلْتُ أَنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ
 وَتَبَاجَى لِلزَّلِّ وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقَطِّعُ أَغْنَاقَ الرِّجَالِ فَلَا أَسْتَوْطِي
 الْعَجَزَ وَلَا أَطْمِئِنُّ إِلَى الْغُرُورِ وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ (خَاوِرِي أُمَّ عَامِرٍ)
 وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ بَانَ الْجَلَاءُ سِبَاهًا وَالنُّقْلَةَ مَثَلَةً

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى • مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْحَبًا
 وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِيءُ • يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا
 عَارِفٌ أَنَّ الْأَدَبَ الْوَطْنَ لَا يَبْخَشِي فِرَاقَهُ وَأَخْلِيطُ لَا يَتَوَقَّعُ زِيَالَهُ وَالنَّسِيبَ
 لَا يُجْفَى وَالْجَمَالَ لَا يَبْخَشِي نَمٌّ مَا فَرَّانُ السَّعْدِ لِلْكَوَاكِبِ أَبْهَى أَثْرًا وَلَا أَسْتَى
 خَطْرًا مِنْ اقْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِهِ وَإِنْ تَنَظَّمَهَا نَسَمًا مَهْمَةً فَانِ الْحَائِزُ لَهَا الضَّارِبُ
 بِسَهْمٍ فِيهَا .

(١) فِي رَوَايَةِ جِصَا

(وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) أَيَّمَا تَوَجُّهٍ وَرَدَّ مِنْهَلٍ بَرٍّ وَحَطَّ فِي جَنَابٍ قَبُولٍ
 وَضُوحِكَ قَبْلَ إِتْزَالِ رَحْلِهِ وَأَعْطَى حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ
 وَقِيلَ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَبِيتُ صَالِحٍ وَمَقِيلُ
 غَيْرِ أَنَّ الْوَطْنَ مَحْبُوبٌ وَالْمَنْشَأُ أَلُوفٌ وَاللَّيْبُ يَمُنُّ إِلَى وَطْنِهِ حَبِيبِ
 الشَّجِيبِ إِلَى عَطْنِهِ

وَالكَرِيمُ لَا يَجْمُؤُا رِضًا فِيهَا قَوَابِلُهُ * وَلَا يَنْسَى بِلَادًا فِيهَا مَرَاضِيُهُ
 أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعَجٍ * إِلَى وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَمَحَاتُهَا
 بِلَادُ بِهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَائِي * وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسْ جِلْدِي تُرَابُهَا
 هَذَا إِلَى مَخَالَاتِي بِعَقْدِ جِوَارِكٍ وَمُنَاقَسَتِي بِأَحْضَاةٍ مِنْ قُرْبِكَ وَاعْتِقَادِي
 أَنَّ الطَّمَعُ فِي غَيْرِكَ طَبَعٌ وَالغَنَا مِنْ سِوَاكَ عَنَا وَالْبَدَلُ مِنْكَ أَعْوَرُ
 وَالْعَوَاضَ لَنَا

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي * ضَنَا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ
 كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا وَفِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَقَارُ
 فَمَا هَدِيهِ الْبِرَاءَةُ مِمَّنْ يَتَوَلَّاكَ وَالْمِيلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ وَهَلَّا كَانَ هَوَاكَ
 فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ وَرِضَاكَ فِيمَنْ رِضَاهُ لَكَ

يَا مَنْ يَعْزُ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ * وَجِدَانَنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ كُمْ عَدَمُ
 أُعِيدُكَ وَتَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ خُلْبًا وَاسْتَمَطَّرَ جِهَامًا وَأَكْرِمَ عِبْرَةَ كُرْمٍ (١)
 وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعِقْبَانِ وَالرَّخِمِ فَمَا أَبْسَسْتُ لَكَ إِلَّا لِتَدْرُ
 وَحَرَكْتُ الْحَوَارِ إِلَّا لِتَحِنُّ وَتَبْهَتُكَ إِلَّا لِأَنَامَ وَسَرَيْتُ إِلَيْكَ إِلَّا لِأَحْمَدَ

(١) وفي رواية واكدم في غير مكدم

السرى لَدَيْكَ وَأَنْتَ إِنْ سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرَ وَمَتَى أَعْدَرْتَ فِي فَكِّ
أَمْرِي لَمْ يَتَعَدَّرَ وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ نَمْرَةٌ النِّعْمَةُ وَالشَّفَاعَةُ
زَكَاةُ الْمَرْوَةِ وَفَضْلُ الْجَاهِ تَعُودُ بِهِ صَدَقَةٌ

وَإِذَا أَمْرٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً * مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ
لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا بِدِرَاكٍ وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ وَأَسْتَأْنِفُ التَّأْدُبَ
بِأَدَبِكَ . وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ بَجَالَ لِحْظَةٍ وَلَا أَدْعُ
لِلْقَادِحِ مَسَاغَ لَفْظَةٍ وَاللَّهُ مُبَيِّرُكَ مِنْ طَلَابِي بِهِدِيهِ الطَّلِبَةَ وَإِشْكَائِي مِنْ
هَذِهِ الشُّكُورَى بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ وَتَسْتَوِدُّعُهَا أَحْفَظُ . سَتُودِعُ
حَسَبًا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ

وَلَمَّا تَوَالَتْ غُرُرُ هَذَا النَّوْرِ وَاتَّسَقَتْ دُرَرُهُ فَهَزَّ عِطْفَ غُلُوبِهِمْ وَجَرَّرَ رَيْلَ
خِيَالِهِ عَارِضَهُ النَّظْمُ مُبَاهِيًا بَلْ كَأَيْدِهِ مُدَاهِيًا حِينَ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَعْطِفَكَ
أَسْتِعْطَافُهُ وَيَمِيلَ بِنَفْسِكَ الْطَافَهُ فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ مِنْهُ وَاعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ
وَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذِّهْنَ الْعَلِيلَ وَالخَاطِرَ الْكَلِيلَ حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ مِنْهُ
عَرُوسًا مَجْلُوءَةً فِي أَثْوَابِهَا مَنْصُوصَةً بِمَجْلِيهَا وَمَلَابِهَا

الهُوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ * وَالْمَتَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ
مَرَّنا عَيْشُنَا الرِّقِيقُ الْحَوَائِثِي * لَوْ يَدُومُ الشُّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ
وَطَرٌ مَا أَنْقَضَى إِلَيَّ أَنْ تَقْضَى * زَمَنْ مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِيمِ
إِذْ خِتَامُ الرِّضَا الْمُسَوِّغُ مِسْكَ * وَمَزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ
وَعَرِيضُ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبِّ * وَنَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ النِّعَمِ
طَالَمَا نَافَرَ الْهُوَى مِنْهُ غَرٌّ * لَمْ يَطْلُ عَهْدُ جِيْدِهِ بِالْتَمِيمِ
رَارٌ مُسْتَخْفِيًا وَهَيْهَاتَ أَنْ يَنْخُ * فَمَتَى الْبَدْرِ فِي الظَّلَامِ الْبَهِيمِ

قَوْسِي الْحَلِي إِذْ مَشَى وَهَذَا الطَّيِّ • بُ إِلَى حِسِّ كَاشِحٍ بِالنَّسِيمِ
 أَيَّهَا الْمُؤَذِّنِي بظلم اللبالي • لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ
 قَمَرِ الْأُفُقِ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسُ • سُهُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ الشُّجُومِ
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو • بِالْمُصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوِ الْعَظِيمِ
 يَوْمَ اللَّهِ جَهْرًا أَشْرَفَ السُّو • دَدٍ فِي السَّرْوِ وَالْأَبَابِ الصَّمِيمِ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأُمُّ • رَفَكَانِ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْعُمُومِ
 قَلَّدَ الْغَمْرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ • وَكَتَفِي جَاهِلٌ يَعْلَمُ الْعَلِيمِ
 خَطْرُ يَقْتَضِي الْكَمَالَ بِنَوْعِي • خَلْقِي بَارِعٌ وَخَلْقِي وَسِيمِ
 إِسْوَةُ الرُّوضِ مِنْ بَطِيئِكَ يَحْطَى • نَظْرِي مَا اعْتَمَدْتُهُ وَشَمِيمِي
 أَيُّهَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو • وَالْعَصَا بَدَأَ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ
 مَا عَنَّا نَا أَنْ يَأْتِفَ السَّابِقُ الْمَرْ • يَطَّ مِنْهُ فِي الْعِتْقِ وَالنَّطِيمِ
 وَتَوَاءَ الْحُسَامِ فِي الْجَفْنِ يَثْنِي • مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالنَّصِيمِ
 أَفْصَبُ مَتِينٌ تَحْسِي مِنَ الْأَيَّا • مِ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ
 وَمَعْنَى مِنَ الضَّنَا يَهْنَاتِ • نَكَاتٍ بِالْكُلُومِ قَرَحِ الْكُلُومِ
 سَقَمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ وَفِي الْعَا • يَدِ أَنْسُ يَفِي بِرَدِّ السَّقِيمِ
 نَارُ بَنِي سَعَى إِلَى جَنَّةِ الْإِنْسِ لَطَاهَا فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ
 يَا بِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْ تَكُ بَرْدًا • وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
 لِلشَّفِيعِ الشَّنَاءِ وَالْحَمْدُ فِي صَوْ • بِ الْحَيَا لِلرِّيَّاحِ لَا لِلْغَيُومِ
 وَرَعِيمٌ بَانَ يُدِلُّ لِي الصَّعَّةُ • بِ مَنَائِي إِلَى الْهَمَامِ الزَّعِيمِ
 وَتَنَالَا أَرْسَلَتْهُ سَلْوَةَ الظَّا • عِنِ عَنْ شَوْقِهِ وَهَوِّ الْمُقِيمِ
 وَوَدَادُ يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ • وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ

فَهَوَّ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ وَلَا فَيْدُ • رَ وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّبِيمِ
 لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًّا عَلَى هَقْوَةِ الْجَاءِ • نِي مُصِيحًا إِلَى اِشْتِدَارِ الْمَلِيمِ
 وَمَتَى تَبَدُّأُ الصَّنِيعَةُ يُؤَلِّهُ • لَكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالتَّسْمِيمِ
 هَكَهَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَنْسُطُهَا الْأَمَلُ وَيَقْبِضُهَا الْخَجَلُ لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ وَحُرْمَةُ
 الْإِخْلَاصِ فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةٍ وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ لِيَتَأْتِيَ لَكَ الْإِحْسَانُ مِنْ
 جِهَاتِهِ وَيَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ
 انتهت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منطوق الفصحاء بأبلغ الكلام ومفضل لغة العرب على سائر لغات العجم والصلاة على سيدنا ومولانا محمد شمس الآداب الطالعة وبدر الفضائل الساطعة الذي نزل الكتاب الكريم على لسانه بلما أثر والحكم فتحدي (١) به جميع الأمم وأرهص (٢) بمجزات نبوته محاسن الاخلاق والشيم وعلى آله وأصحابه الناهجين منهجه والسالكين طريقه وسنته

وبعد فان حبي للادب وأهله وتطفت على مواعيد كرمه وفضله حدا بي الى شرح هذه الرسالة البديعة لما حوته من الحكم والامثال الرشيدة التي يشتاق كل أديب الى استطلاع طلوعها واجتلاء محاسنها كالحديقة الزاهرة بأنواع الزهر والخميلة (٣) الدائية القطوف بيانع الثمر فاستخرت الله تعالى في ذلك وسألته التوفيق لما هنالك فسهل بتوفيقه ويسر

ولاني موقن بضعف مادني وقلة بضاعتي وما كنت لاسلك هذا المسلك على ما فيه من المتاعب إلا لخدمة أقدامها بين يدي لاخواني الافاضل الذين يميلون إلى المفاكة بأحاديث السلف الصالح ويمقتون الاستهتار (٤) بأقاصيص الغرام المملق (٥) وقد سميت الدر الخزون في شرح رسالة ابن زيدون والله أسأل أن ينفع به المريدين ويتقبله مني كما يتقبل من عباده المخلصين بمنه وكرمه

(١) التحدي المنازعة والمباراة (٢) الارهاص من معانيه الإثبات يقال أرهص الشيء اذا أثبته وأسس منه إرهاص النبوة (٣) الخميلة الشجر المجتمع الكثيف (٤) الاستهتار التولع بالشيء (٥) الروايات الخيالية المؤلفة أو المعربة

قال العلامة ابن زيدون

المن (يامولايَ وسَيِّدِي الأبي ودَادِي لهُ واعْتِمَادِي هَلِيهِ واعْتِدَادِي بِهِ)
 (الشرح) يَا حرف لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب كما هنا وهي
 أكثر حروف النداء استعمالاً ولا يقدر عند الحذف سواها نحو يَوْمُفُ أَعْرَضُ
 عن هذا كما لا ينادى اسم إن أو الاسم المستغاث إلا بها ولذلك حسن استهلال
 المصنف بها مخاطباً ابن جهور بلسان الاستغاثة والخضوع والمولى والسيد كلمتان
 يكتب بهما من صغير إلى كبير لدلالتهما على معنى التعظيم ولكل منهما تعريف
 خاص فالأولى تقع في اللغة على المالك ويعبر عنه بالمولى من أعلى وتقع على المملوك
 والمعنى ويعبر عنه بالمولى من أسفل والثانية من السيادة والإجلال تقول ساد فلان
 قومه يسودهم سيادة وسيدودة وسودداً وسؤدداً بالهمز وهو أسود من فلان أي
 أجل قوماً منه ويجمع السيد على سيائدة بالهمز كما في الصحاح مثل أفيل وأفائلة
 وتبع وتتابعة على غير قياس . ولفظة المولى أعم من السيد لأنها قال للملك الكبير
 أو السلطان وإن كان من نعت السيد الأجلّ وأما السيد فمن نعت ذوى المراتب
 الدينية . وقد كان ابن جهور من ملوك الطوائف ويطلق عليه أفضة الوزير وقد
 خاطبه بها ابن زيدون في قصيدته التي ذيل بها هذه الرسالة بقوله

أيهذا الوزير هاأنا أشكو * والعصا بدء قرعها للحليم

وإنما رفعه إلى مراتب كبار الملوك بقوله يامولايَ وسَيِّدِي توسعاً أو تزلفاً
 لأنه في مقام يدعو إلى ذلك . والذي اسم موصول والصلة قوله ودَادِي له واعْتِمَادِي
 عليه واعْتِدَادِي بِهِ . والودّ مثلثة الحب ويكون بمعنى التّنى قال الشاعر
 وددت ودادة لو أن حظي * من الخلان أن لا يصرموني

أي تمنيت والمراد الأول والاعتقاد القصد والالتكاء مصدر اعتمد كاستند

قول فلان عمدتنا ونعمتنا . والاعتداد افتعال من العد وهو الحساب . قول
اعتدت بالشئ أدخلته في الحساب فهو معتد غير ماقط . والضمير في له وعلية
وبه راجع الى المولى والسيد (والمعنى) ياملئى الذى بذات حبي له وقصدي اليه
وكنت معدودا ومحترما به

(المتن) (ومن أبقاه الله ماضى حد العزم وارى زندي الأمل ثابت
عهد النعمة)

(الشرح) . من موصول أيضا عطفنا على الأول . وأبقاه الله من البقاء
ضد الفناء . وقد نص علماء الكتابة في مراتب الداء على أن اطالة البقاء أرفع من
إطالة العمر والأولى خصصت للخلفاء وما سواها لمن دونهم وذلك لأن البقاء لا يدل
على مدة تنقضى والعمر يدل على مدة تنقضى . فلذلك يوصف الله بالبقاء ولا
يوصف بالعمر . وقوله ماضى حد العزم من المضاء أى النفوذ . قول ماضى فى الأمر
إذا نفذ فيه ويتعدى بالألف أمضيته كافتدته والحد من كل شئ منتهاه وحد
السف ظبته والعزم الجدة ومنه أولو العزم من الرسل لأنهم عزموا على أمر الله بما
عهد اليهم وورى الزند خروج ناره والزند زناد القدح معلوم والأمل الرجاء
والتأمل مثله يقال أمل خيرا وأمل شرا أى رجاه والثابت من الثبات . وهو الدوام
والاستقرار ثبت الشئ يثبت ثبوتا وثباتا ويتعدى بالهزة والتضعيف . قول
أيمته وثبته والعهد من معانيه المعقد بالفتح من باب ضرب كأن النعمة عاقده
وعاقدها على استقرارها فيه وقوله ماضى حد العزم الى آخر الجملة جملة حالية أى
حال كونه قوي العزم فى فناء الأمور كفضاء حد السيف فى الضربة سعى الكف
فى بذل المعروف لمن أمه ورجاه كالزند فى خروج ناره عند الحاجة عقيد النعمة
كالتابت فيها

(والمعنى) ويامن أبقاه الله ناقد الكلمة منيلا أمل الأمل مستديم النعمة محفوظا لحرمة

(المن) اذا سلبتني اعزك الله لياس انعامك وعطمتني من حلي ايناسك
واظماتني الى برود اسمائك ونقضت بي كف حياطتك وقضت عني
طرف حيايتك بعد ان نظرت الاعى الى تأميلي لك وسمع الاعم تنائي
عليك واحس الجماد باستنادي اليك فلا غرو فقد نقص الماء شاربهُ
ويقتل الدواء المستشفي به ويؤتى الخدير من آمنه وتكون منية المتمني
في أمنيته والحين قد يسبق جهد الحريص

(الشرح) اذا ظرف لما يستقبل من الزمان والسلب الأخذ والاختلاس
سلب فلان مال فلان اذا أخذه أو اختلسه واعزك الله جملة معترضة وهي دعائية
اذا حذفت بقى الكلام على افادته كقول الله تعالى ويجعلون لله البنات (سبحانه)
ولم ما يشتهون قوله سبحانه اعتراض والمراد به تزويه الخالق عن النسل ومثلها
في الشعر قول امرئ القيس

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاني (ولم اطلب) قليل من المال
قوله لم اطلب اعتراض وهو كثير في كلام الفصحاء وليست قائده
اصلية وانما تكون للتحسين والتكلمة واللباس ماستر الجسم والنعمة الخفض والدعة
ضد البؤس والعطل محرقة خلوجيد المرأة من القلائد قول عطلت المرأة فهي
عاطل وتستعمل مجازا في الخلو من الشيء وان كان أصله في الحلي قول عطل
الرجل من المال والأدب فهو عطل وعطل والحلي ما تزين به المرأة من المصوغ
جمع حلي والايناس ضد الايماش قال ابوالملاء المرى

قد آنسوني بايماشي اذا بمسوا وأوحشوني من قرب ايناس
فجمع بينهما والظما محركا العطش والبرود يفتح الباء الماء البارد وتضعف
في المبالغة كبرده والاسعاف والانجاد والاغائة والنقض محرقة اصله ما يسقط
من ورق الأشجار ثم استعمل لغيرها قول نقضت الثوب من الغبار اذا حركته

ونفخت كفي عن موالاة زيد اذا هجرته والكف من اليدين معلوم والحياطة الحفظ والصون والغض انخفاض الطرف ويطلق الطرفُ بسكون الراء على العين خاصة ويقال للطرف الفار غضيض والمراد الأول والحماية المنع ضد الاباحة تقول احميت المكان اذا جعلته حياً لا يُقرب وفي الحديث لاجي الا لله ولرسوله وقوله بعد أن نظر الأعمى الى قوله (واحسن الجماد باستنادي اليك) غلوه فمرط^(١) في التمسك بولاء مولاه واعتماده عليه وانما اراد المبالغة للتأثير عليه والا فالاعمى لا يبصر والاصم لا يسمع والجماد لا يحس وفي هذه الجملة المطابقة^(٢) بين السلب

(١) الغلو الاقراط في وصف الشيء بالمستحيل عقلا وعادة كقول أبي نواس وانخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق) لان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهي النطف التي لم تخلق مستحيل عقلا وعادة ولكن أهل العلم بالمعاني تقضوه ووجههم في ذلك أن من خاف شيئاً خاف بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه ودمه والنطف داخلة في هذه الجملة فهو اذا اخاف اهل الشرك اخاف النطف التي في اصلاهم وبذلك يخرج معنى البيت من الاستحالة الى الممكن البعيد ويقال له في اصطلاح البديعين الأغرراق وهو وصف الشيء بما يمكن عقلا ولكنه بعيد الوقوع اما البيت المستحسن في الغلو فكتول بعضهم (وكان لي فيما مضى خاتم : فالان لو شئت تمنطقت به) فهذا مستحيل عقلا وعادة

(٢) المطابقة أو الظياق معناه في اللغة ان يضع البعير رجله مكان يده فاذا فعل ذلك قالوا طابق البعير وفي اصطلاح البديعين الجمع بين الشيء وضده في جزء من اجزاء الرسالة أو البيت من القصيدة كالجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحمر والبرد وبعضهم يقول هو ايراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى واحسن ما قيل من الشعر فيه قول أبي تمام

اصم بك الناعي وان كان أسما واصبح معنى الجود بصدك بلقما

واللباس والعطل والحلى والظمأ والشراب وفيها استعارات مجازيه بديعة قد جعل
انعام مولاه عليه لباسا وابتاسه به حليا واغائته وانجاده برودا وحفظ حرمة كفا
صائلا واحتماه به عينا باصرة فلما حرمه منها صرفها الى الضد كأنه يقول اذا
ابدلتنى من لباسك سلباً ومن ايناسك وحشة ومن شرابك ظمأ ومن كلاءك
ضماعا ومن حمايتك اباحة الخ فلا غرو جواب اذا الظرفية أى لاعجب وهى
كلمة يسبقها حرف النفي غالبا وقد جاء الفعل بين الحرف وبينها فى قول البحترى
ولو كان ماخبرته أو ظننته لما كان غروا ان الوم وتكرما

يقول لاعجب فيما بدا منك قد يأتى الشر من طريق الخير فلقاء الذى
جعل منه كل شىء حتى قد ينص بالخلق فيشرق به والدواء الذى يُنال به الشفاء
قد يميت المتداوى به والحذر الكثير التيقظ قد يأتية الخوف من جهة مأمنه
والمتمنى منى قد يكون هلا كه فيما تمنى كما أن جهد الحريص على الحياة قد لا يُنجيه
حرصه من الموت قلت وكل هذا على ما اعتقد ناشىء من الافراط والتفريط
والاعتدال فى الأمور كلها يدرأ الخطر ويجلب الرفق وقوله بعد أن نظر الاعمى
الى تأميلي لك الى قوله باستنادى اليك أخذه من قول المتنبي

انا الذى نظر الاعمى الى أدبى واسمعت كلماتى من به صمم
من قصيدة يمدح بها سيف الدولة على بن حمدان ويمائنه فيها ومطلعها
واحر قلباد ممن قلبه شيم ومن يجسحى وحالى عنده سقم
يقول فى اثنائها

انا الذى نظر الاعمى الى أدبى واسمعت كلماتى من به صمم
انام ملء جفونى عن شواردها ويسر الخلق جراها ومختصم
وجاهل مده فى جهله ضحكي حتى أتمه يد فراسة وقم
اذا نظرت ثيوب اليبث بلوزة فلا تظنن ان الليث مبتسم

ومهجة مهجتي من هم صاحبها
 رجلا في الركض رجل واليدان يد
 ومرهف سرت بين الجحفلين به
 فانخيل والليل والبيداء تعرفني
 وادركتها بجواد ظهره حرم
 وفعله ما تريد الكف والقدم
 حتى ضربت وموج الموت يلتطم
 والضرب والطن والقرطاس والقلم
 ذكر المتنبي وبعض اخباره

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي
 الشاعر المشهور وقيل احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار وهو من أهل الكوفة
 وقدم الشام في صباه واشتغل بعلوم الأدب ومهر فيها واكثر من قتل اللغة
 غريبها وحوشها حتى كان لا يسأل عن شيء الا استشهد فيه بكلام العرب من
 النظم والنثر وله ديوان من الشعر كبير حوى من جيد المديح والحكم والمرثي
 والمعجزة ما جعله في مقدمة دواوين الشعراء واعتنى العلماء بشرحه فيقال إنه أربعين
 او خمسين شرحا بين مطول ومختصر ولم يفعل هذا بديوان شعر غيره ورزق
 بالشعر سعادة تامة وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة موضع بين
 الكوفة والشام وتبعه خلق كثير فمخرق عليهم باشياء هي بالسحر أشبه منها بالمعجزات
 كصدحة المطر التي كان قد تعلمها من بعض الاعراب وهي ايقافه المطر في
 البقعة التي يريدونها ومسيره من حلة الى حلة وبينهما مسيرة أربعة أيام في ليلة
 واحدة وكان مشاء وله خبرة بالطريق فيختصرها ويأتي فيغسل يديه ورجليه
 ويخبرهم أن الارض تطوى له وقال في دعاويه أن رسول الله قال لا نبي بعدي
 فانا اسي في السماء لاجل الحرف اسما) وقال

أى محل أرتقى أى عظيم أتقى
 وكل ما خلق الله وما لم يخلق
 محنقر في همتي كشجرة في مفرقي

وقيل لأنه قال في شعره

ما مقامى بأرض نخلة الا ك مقام المسيح بين اليهود
وتقوله أيضاً

أنا من أمة تداركها الله غريب كصالح في نمود
فشبه نفسه ببيسى بن مريم وصالح عليهما السلام وقد افتخر في هذه القصيدة
بآيات منها قوله

مفرشى صهوة الحصان ولكنذ ن قميصى مسرودة من حديد
أين فضلى اذا قنعت من الله ر بعيش معجل التنكيد
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
لا يقومى شرفت بل شرفوا بي وبنفسى فخرت لا بمجدوى
ان أكن معجيباً فعجب عجيب لم يجذ فوق نفسه من مزيد
أنا ترّب الندى ورب القوافى وسمام العدا وغيظ الحسود
قالوا ولما ظهر أمره خرج اليه لؤلؤ أمير جحس من قبل الاخشيدى بمصر
فأمره وتفارق عنه أصحابه وحبسه زهنا ثم استتابه وأطلقه بعد ان استعطفه المتنبى
مرارا وبعث له وهو فى السجن بقصيدته التى أولها

أيا خدد الله ورذ الخدود وقد قدود الحسان القدود

يقول فى اثناها يمدحه ويتنصل مما اتهم به

لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياها دون الوعود
فأنجم أمواله فى النحوس وأنجم سؤاله فى السعود
دهوتك لما برأتى البلى وأوهن رجلى ثقل الحديد
وقد كان مشيها فى النعال فقد صار مشيها فى القيود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبان بمحك اليهود

وكن فارقا بين دعوى أردتُ ودعوى فعلتُ بشأو بيد
وبعد انطلاقه التحق بسيف الدولة بن حمدان (١) وأفرغ جعبة مدحه فيه
ورثى أمه وأخته وبنض أقربيه حتى مملوكه ونال من حظوة تامة وأكثر قصائده
المختارة كانت فيه ولم يقل في غيره مثله سوى كافر الاخشيدى ذلك لان سيف
الدولة كان عربيا صيبا عالما بالشعر فطنا بجيده ورديته حتى قل المتنبي ما رد على
أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة أنشدته

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جيف القتلى عليها تمام
قال لي مة قل ومن جث القتلى قبلت وقلت كما قل لي وهذه القصيدة من
جيد مدحه فيه ومنها

إذا كان ما تنويه فلا مضارعا مضى قبل ان تُلقي عليه الجوازم
وكيف ترجى الروم والروس هدمها وذا الطعن أساس لها ودعائم
يريد القلعة التي بناها سيف الدولة بئر الحدث وغار عليها الدُّمستق في
خمسين ألف فارس ورجال من جموع الروم والأرمن والباغار والصقالب فصدتم
عنها بمقتلة عظيمة

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون
ويقتهى نسبه الى عمرو بن تغلب التغلبي وكان سيدا من سادات تغلب ولقبه الخليفة
المستكفي بالله العباسي بسيف الدولة وولاه حلب وذلك في سنة ٣٣٠ هجرية
وأخوه ناصر الدولة أبو محمد الحسن كان والياً على الموصل فلما قتل خلفه ولده
ناصر الدولة وكان سيف الدولة واسطة عقدهم مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة
الآمال ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلية الشعراء ويقال انه لم يجتمع بأحد من
الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع يبابه وكان أديبا شاعرا محبا لجيد المدح وأحب المتنبي
وعلمه الفروسية وبه اشتهر اسمه ولد في ١٧ ذى الحجة سنة ٣٠٣ وموت في بحلب في

وقد حاكموها والمنيا لحواكم
 فامات مظلوم ولا عاش ظالم
 أتوك يجرون للجديد كأنهم
 سرّوا ببياد ما لمن قوائم
 اذا برقوا لم تُعرف البيض منهم
 نياهم من مثلها والعائم
 خمسين بشرق الارض والغرب زحفه
 وفي أذن الجوزاء منه تائم
 تجميع فيه كل لسن وأمة
 فما تُفهم الحداث الا التراجيم
 الى أن قال

وقفت وما للموت شك لواقف
 كأنك في جنن الردى وهو نائم
 تمر بك الابطال كلمي هزيمة
 ووجهك وضاح وثرنك باسم
 فيقال ان سيف الدولة أنكر عليه تطبيق عَجْزِيّ اليتين على صدرَيْهما
 وقال ينبغي أن تطبق عَجْزَ الأول على الثاني وعجز الثاني على الأول هكذا
 وقفت وما في الموت شك لواقف
 ووجهك وضاح وثرنك باسم
 تمر بك الابطال كلمي هزيمة
 كأنك في جنن الردى وهو نائم
 ثم قال له وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله

كأنى لم أركب جوادا للذة
 ولم أتبعن كاهبا ذات خلخال
 ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
 نخلبي كرى كوة بعد اجفال

والوجه أن يكون عَجْزُ الأول على الثاني والثاني على الأول كما قال أهل العلم بالشعر يستقيم
 الكلام فقال أبو الطيب أدام الله عز مولانا ان صح ان الذي استمدرك على امرئ
 القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعرف ان البراز
 (بايع الثياب) لا يعرف الثوب معرفة الحائك لان البراز يعرف جلته والحائك
 يعرف جلته وتفصيله وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن
 السباحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء وانما لما ذكرت
 لموت في أول البيت اتبعته بذكر الردى ليجانسه ولما كان المهزم لا يخلو من أن

يكون وجهه عبوسا وعينه من ان تكون يا كيسة قلت ووجهك وضاح وتترك
باسم لا جمع بين الاضداد في المعنى فاعجب سيف الدولة كلامه ووصله بخمسة دینار
قلت ورأيت في شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبي بكر عادم بن أيوب قوله
وقد اعترض امرئ القيس في هذين البيتين وقيل خالف وافسد ولو جمع الشيء
وشكله فذكر الجواد والسكر في بيت واحد فقال

كأنني لم أركب جوادا ولم أقل تخلي كرى كرة بعد اجفال

وكذلك لو ذكر النساء والخمر في بيت فقال

ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

لأصاب والذي قال امرؤ القيس أصوب لان اللة التي ذكرها إنما هي
الصيد ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء فجمع البيت المعنيين ولو نظمه كما قال
المعترض لتقص فائدة تدل على الملك والسلطان وكذلك البيت الثاني لو كان على
ما قال لكان ذكره اللة زائدا في المعنى لان الزق لا يُسبأ الا للذة فوصف
نفسه بالفتوة والشجاعة بعد ان وصفها بالملك والرفاهية ومن مختارات شعره قوله من
قصيدة يهني فيها سيف الدولة بميد الاضحى

هيا لك العيد التي أنت عيده وعيد لمن سمي اوضحي وعيدا

ولا زالت الاعياد تُبسك بعه تسلّم مخروقا وتُعلى مجسدا

فذا اليوم في الايام مثلك في الوري كما كنت فيهم أو حدا كان أو حدا

ومنها وقد تخلص الى مسه بللم والكرم

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بلحر الذي يحفظ اليدا

اذا أنت أكرمت الكرم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندي في موضع السيف بالعلی مضر كوضع السيف في موضع الندي

في البيت الاخير ان من استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ومن استحق

ضرب السيف لم يكرم بالعطاء وهذا عبارة عن وضع الشيء في محله فمن لم يفعل ذلك أضر بعلاه

ومنها ينتخر بقول الشعر

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغنى مفردا
أجزني اذا أُلشِدت شعرا قائما بشعري أهلك المادحون مُرددا
ودع كل صوت غير صوتي قاني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى
ومن مختاراته أيضا قوله من قصيدة أخرى في مدحه أيضا

إذا البولة استكفت به في ملمة كفاها فكان السيف والكف والقلبا
تُهاب سيوفُ الهندوهي حدائد فكيف اذا كانت زيارية عُرُبا
ويُرهبُ ناب الليث والليثُ وحده فكيف اذا كان الليوث له صحبا
ويُخشى عُباب البحر وهو مكانه فكيف بمن يغشى البلاد اذا عابا

وهي طويلة الى ان قال وهو من الحكم

ارى كلنا بيني الحياة بسعيه حريصا عليها مستهما بما صبا
فحب الجبان النفس اورده التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد الى أن يرى احسانُ هذا لدا ذنبا

هذا البيت الاخير معناه أن الرجلين ليعملان فعلا واحدا فيرزق احدهما ويحرم الاخر حتى كأن احسان المرزوق ذنب للمحروم مثاله أن يحضر الحرب رجلان يغم احدهما ويحرم الاخر فلاخذ من المغنم ذنب للمحروم وكلاهما فل فعلا واحدا وكذلك مسافران سافرا في تجارة فربح احدهما وخسر الثاني فسفر الراجح احسان محمد عليه وسفر الخاسر ذنب يلام عليه قال شارح الديوان وهذا من أحسن المعاني التي تميل النفس اليها ولو لم يكن له غير هذين البيتين والذي

قبلهما لكفاه وعمارى به أم سيف الدولة قوله من أبيات فيها
 نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
 جعل العمر كالنم والموت كالاتباه يريد أن نصيب الانسان من وصال
 حبيبه في حياته كضيبه من وصال خياله في منامه باتفاق الامرين في سرعة انقطاعهما
 واشتباهما في عجلة زوالهما

رمانى الدهر بالارزاء حتى فؤادى في غشاء من نبال
 نصرت اذا أصابتنى سهام تكسرت الاتصال على النصال
 وهان فما أبلى بلرزايا لآنى ما انتفعت بان أبلى
 ومنها وقد تخلص الى ذكر الفقيده

اسائل عنك بعدك كل مجد وما عهدى بمجد عنك خالى
 يمر بقبرك العافى فيبكي ويشغله البكاء عن السؤال
 بعيشك هل ملوت فان قلبي وان جانبت أرضك غير سالى
 نزلت على الكراهة في مكان بعثت عن النعamy والشال

النعamy بضم النون الجنوب وهى الريح القبليه والشال الريح البحريه أى صرت
 فى مكان لا يريح به

بداوكل ما كنها غريب طويل الهجر منبت الجبال
 مشى الامراء حولها حفاة كان المرو من زف الرئال
 وأبرزت الخدور مخبات يضمن النفس امكنة الغوالى

المرو حجارة بيض براقه فيها النار والزف صغار ريش والرئال جمع رال وهو
 ولد النعام والنفس المداد وهو السواد والغوالى جمع غالية نوع من الطيب يقول
 لشرف ولدها مشى الامراء حول جنازتها حفاة يطنون الحجارة لا يحسون بالموطئها
 فكانهم يحشون على الريش لشدة حزنهم وخرج الجوارى من الخدور وقد كن

مخبات وجعلن السواد على وجوههن مكان الطيب

اتهن المصيبة غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال
 هذا البيت من بدائمه التي لا يدانيه فيها أحد فانظر كيف يكون خلطهن
 بكاء الدلال بكاء الحزن وقد كن غافلات حين أتت المصيبة عليهن
 ولو كان النساء كمن قدنا ففضلت النساء على الرجال
 وما التأنيث لامم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهلل
 الى أن قال

يَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
 يريد الأوائل قلب وهو كثير في أشعارهم

وكم عين مقبلة النواحي كحيل بلجنادل والرمال
 ومغض كان لا يغضى لخطب وبال كان يفكر في الهزال
 وقال وقد تخلص الى العزاء

أسيف الدولة استنجد بصبر وكيف يمثل صبرك للرجال
 فأنت تعلم الناس التعزّي وخوض الموت في الحرب السجال
 وحالات الزمان عليك شتى وحالك واحد في كل حال
 فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال
 ومما رثي به أخته قوله من قصيدة طويلة

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
 حتى اذا لم يدع لي صدقه أملا شريقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
 ومنها وقد تخلص الى وصف سجاياها

فان تكن خلقت أتى لقد خلقت كريمة غير أتى العقل والحسب
 وان تكن تغلب الغلباء عنصرها فان في الحمر معنى ليس في العنب

ومنها وقد التفت الى العزاء

جزاك ربك بالاحزان مغمرة فحزن كل أخى جزن أخو الغضب

أى ان الحزن أخو الغضب على القدر ولا غضب على المقدور

فلا تلك الليالى ان أيديها اذا ضربن كسرن النبع بالغرب

وما قضى أحد منها لباته ولا انتهى أرب إلا الى أرب

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف في الشجب

الشجب الهلاك

قبيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

ومن تفكر في الدنيا ومهجته ألقه الفكر بين المعجز والتعب

القول بتخلص النفس سالمة من الهلاك وهي الروح قول الأديان المقررة

بالبعث الأخرى وأما القول بفنائها كما يقنى الجسم فاعلمه الدهريون ومن

يستعد بقدم العالم وهذا بحث لا محل له هنا

ومارنى به ابن عمه تغلب أبا وائل قوله من قصيدة مطلعها

ما سدكت علة بمولود أكرم من تغلب بن داؤد

سدكت بمعنى لزمت يقول فيها

فما ترجى النفوس من زمن أحمدهُ حاله غير محمود

ان فيوب الزمان تعرقى أنا الذى طال عجمها عودى

وفى ما قارع الخطوب وما آنسى فى المصائب السود

ومنها وقد تخلص الى عزاء سيف الدولة

يا أكرم الأكرمين يامالك الـ أملاك طرا يا أصيد الصيد

قدمت من قبلها فأنشده وقع قنا الخط فى اللغاديد

اللغادود لحة عند اللهاة فى باطن الحلق وقنا الخط الرماح وكان هذا المرثي

قد أسر في الحرب فاستنقذه سيف الدولة من الأمر فكأنه كان ميتا فنشره
الى أن قال

مهما يَئِزُّ القتي الأميرُ به فلا بأقدامه ولا الجود
ومن منانًا بقاؤه أبدا حتى يعزى بكل مولود

وعندي ان معنى البيت الأخير يشق على النفس اليوم سماعه فان من يبقى
بعد موت أولاده كلهم يعيش تصاسخا حزن والأليق الدعاء للمعزى بطول
العمر غير تعرض الى بقاءه حتى تتقدم أولاده الى الموت ومن التعازي التي فشا
استعمالها اليوم قول بعضهم لا أعاد الله اليك مصيبة أبدا وهذا الدعاء وان كان
يخف سماعه على النفس فليس بصحيح البتة وغير الصحيح يحسن تركه واستعمال
كلمة أحسن الله عزاءك ورزقك الصبر والسلو

ومن أحسن ما رنى به مملوك سيف الدولة يمالك التركي قوله
وقد فارق الناس الأجابة قبلنا وأعيانا دواء الموت كل طيب
سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها منعتها بها من جيئة وذهوب
في البيت الثاني معنى دقيق وقليل من الناس من يتفكر فيه يقول أن من
سبقونا الى هذه الدنيا ماتوا ولو عاشوا لضاقت بنا وبهم الارض حتى لا نطبق
لذهاب والمجيء من كثرتهم فالخيرة فيما اختاره الله لنا وقدّره في سابق أزله
علينا فإما يستقيم أمر الدنيا بموت قوم وحياة آخرين وهذا من أحسن ما يعزى
به انسان

تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضي فراق صليب
ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر القتي لولا لقاء شعوب
واوفى حياة الغابرين لصاحب حياة امرىء خاتته بعد مشيب
وهذا البيت من أغرب المعاني يريد أن المرء اذا عاش الى أن بلغ المشيب

وخاتته الحياة يعنى في الهرم قد امهلته الدنيا ووقت له الى اُبعد غاية من العمر
ما بعدها سوى الموت الذى لا مفر منه على كل حال

ومن مختارات للتنزي القصيدة الو مدح بها ابن العميد ومنها
صفت السوار لأى كف بشرت بابن العميد وأى عبد كبيراً
ان لم تغشني خيلهُ وسلاحه فمتى اقود الى الأعدى عسكراً
بأبي وأمي ناطق في لفظه فمن تباع له القلوب وتُشترى
يتكسب القصب الضعيف بكفه شرفاً على صم الرماح ومفخراً
يا من اذا ورد البلاد كتابهُ قبل الجيوش نبي الجيوش تحيراً
ويبين فيما حس منه بنانه فيه المدل فلو مشى لتبخترا
الى أن قل

من مبلِّغ الأعراب أبى بعدها شاهدت وسطا ليس والاسكندرا
ومللت نحو عشارها فأضاقى من ينحر البدر النضار لمن قرى
ولقيت كل الفاضلين كأنما ردّ الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدا وأتى فذلك ان أتيت مؤخرا
وترى الفضيله لا ترد فضيلة الشمس تشرق والسحاب كنهوراً
انا من جميع الناس أطيب منزلا وأسر راحلة واربح متجرا
زحل على ان الكواكب قومه لو كان منك لكان اكرم معشرا
وله فيه ايضاً من قصيدة اخرى قوله

هل لعنرى الى الهام ابى الفضل قبول سواد عيني مداده
انا من شدة الحياء عليل مكرمات المعلة هواده
انى أصيد البزاة ولكن أجل النجوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذى يضر الفؤاد اعتقاده

ما نعوّدت ان أرى كأبي الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده
 يريد بالبيت الاخير أنه لم يمدح مثله فلذلك قصر عن وصفه له والذي اتاه
 من الكرم عادة له قال شارح الديوان وهذا يدل على نحرز ابي الطيب منه وتواضعه
 له ولم يتواضع لأحد في شعره ما تواضع له وقد مدح المتنبي غير سيف الدولة
 وخواصه واشياعه وغير ابن العميد جماعة من الأكاير والرؤساء ورثي وهجا
 كثيرا ممن يحبهم ويقلبهم اما بالمراسلة واما بالرحيل اليهم أو في طريقه مجتازا
 بلادهم ولما اتصل بكافور الاخشيدى مدحه بأجود القصائد فن ذلك قصيدته
 البائية التي مطلعها

من الجآزر في زى الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

يقول في ابيات منها في الغزل

كم زورة لك في الأعراب خافية أدهى وقد رقسوا من زورة الذيب

أزورهم ومواد الليل يشفع لي وأثنى وبياض الصبح يفرى بي

قال الثعالبي البيت الثانى امر شعره وفيه تطبيق بديع ولفظ حسن جمع

بين الزيارة والانتناء والانصراف وبين السواد والبياض والليل والصبح والشفاعة

والاغراء وبين لي وبي من المطابقة وقد اجمع الخدائق والنقاد أن لابي الطيب

نوايد لم تأت في شعر غيره وهى مما تخرق العقول منها هذا البيت وفي هذه

القصيدة تعريض بسيف الدولة كقوله

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم الى غيوث يديه والشايب

الى الذى تهب الدولات راحته ولا بمن دلى آثار موهوب

جمل في البيت الأول سيف الدولة غيونا وكافور غيوثنا وجعله في الثانى

موهوبا وكافورا وهابا .

وكقوله من قصيدة أخرى في كافور أيضاً

قواصد كافورٍ توارِكُ غيرَه ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا
فجاءت بنا إنسانَ عَيْنِ زمانه وخطت يابضاً خلفها وما قيا
في البيت الاول تعريض بسيف الدولة أيضاً قيل انه لما سمعه قال له الويل
جعلني ساقية وجعل الاسود بحرا وفي الثاني معنى لم يمدح أسود بمثله اذ جعل
كافور عين الزمان وان من سواه فضول لا حاجة بأحد اليها كالتي حول العين
من جنون وما في

ولما قال في كافور من قصيدة أخرى في الغزل والمدح
إذا سارت الاحداج فوق نباته تفاح مسك الغايات ورنده
أخذ شعراء مصر لفظه تفاح فتداولوها بينهم وأنكروها حتى حققوها وهي
لفظة فصيحة مستعملة تقول تفاح المسك تفاعل من فاح يفوح اذا عبق ريحه
قال شارح الديوان عن بعض مشايخه كان شعر المتنبي في كافور وسيف الدولة
أجود منه في عضد الدولة وأبي الفضل بن العميد وانما كان يعمل الشعر للناس
لا للمدوح فان عضد الدولة وابن العميد كانا في بلاد خالية من الفضلاء والشعراء
وكان بمصر جماعة منهم وكذلك كان يجلب عند سيف الدولة مثلهم فكان يعمل
الشعر الجيد لمن يكون بل كان من الفضلاء ولا يبالي بالمدوح وقال أبو الفتح
ابن جني لما قرأت الديوان على المتنبي ووصلت الى قوله من قصيدة في كافور

ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً ولا أشتكى فيها ولا أتعب
وبى ما يندود الشعر عنى أقله ولكن قلبي بأبنة القوم قلب
سألته كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة فقال لي حذرناه
وأنترناه فما نفع ألسنة القائل فيه

أخا الجود أعط الناس ما أمانالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل
فهو الذي أعطاني لكافور لسوء تديره وقلة تمييزه علي أنه أقام بمصر نحو

من خمس سنوات من سنة ٣٤٦ الى سنة ٣٥٠ وكانت نفسه تحمده بأمانى كبيرة
ينالها من كافور فلم يتحقق له شيء من ذلك وبدأ يتدمر من كافور ويتعرض لايقاظه
وحثه على العطاء كقوله

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله فاقى أعنى من زمان وتشرب
وهبت على مقدار كفى زماننا ونضى على مقدار كفىك تطلب
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب
ذلك لانه لم يعطه عطاء بسد نهمته ولا ولاه ولاية من ولايات الدولة الى أن
قال يعرض به

وما طربى لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فاطرب
وتعدلى فىك القوافى وهنى كأنى بمدح قبل مدحك مذنب
وهذان البيتان وان يكن ظاهرهما المديح يجوز قلبهما هجاء لأنه يقول طربت
لرؤيتك كما يطرب الانسان على رؤية القرد الذى يضحك منه قال شارحه قلت
للمتنبى لما قرأت الديوان عليه قد جعلت الرجل أبازنة (كنية القرد) فضحك
من قولى والمصراع الأول من البيت الثانى ظاهر الهجاء لولا الثانى فتأمله ولما لم
يفر منه بطائل فوق ما رأى كافور فيه من التعالى فى شعره (وسموه بنفسه)
حتى قال فيه يا قوم من ادعى النبوة أما يدعى المملكة مع كافور وكان قد هجره
وضيق عليه وكثرت وشاية الناس فيه تهباً للهروب حتى تمكن منه فهرب فى
ليلة عيد الزحر سنة ٣٥٠ وقصد الكوفة ولما خلاص منه هجاء اشد هجو بقوله
من قصيدة

صار الخصى إمام الآبقين بها فالخر مستعبد والعبيد معبود
العبد ليس لخر صالح بأخ لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشترب العبد الا والمصامع إن العبيد لانجاس مناكيد

ما كنت احسبني ابقى الى زمن
ولا توهمت ان الناس قد قدوا
يريد بأبي البيضاء سواده تهكما
وأن ذا الاسود المثقوب مشفوه
تطيعه ذى المضاريط الرعايد
المضاريط الاتباع وقيل المضريط الأجيرالذى يخدم بطعام بطنه والرعايد
الجبناء

من علم الأسود المخصى مكرومة
وخطب أهل مصر فيه بقوله
أغاية الدين أن تحفوا شواربكم
آلاتى يُوردُ الهندي هامة
اقومه البيض أم ابؤه الصيد
ياأمة ضحكت من جهلها الأمم
كيا نزول شكوك الناس والتهم
وقصد بلاد فارس فيم عضد الدولة بن بويه (١) الديلى وبعث من هناك

(١) عضد الدولة لقبه وكنيته ابو شجاع فناخسرو ويلقب أيضا تاج الدولة
وتاج الملة ابن ركن الدولة ابي على الحسن بن بويه الديلى ملك فارس فى الاسلام
وهو ثالث اخوته معز الدولة ابو الحسين احمد صاحب العراق والاهواز وابوعلى
الحسن صاحب اصبهان والرى وهمدان وجميع عراق العجم وهو اصغرهم وللمات
عمه عماد الدولة بن فارس تسلسها هو من بعده ومع عظم شأن عمه واخوته وجلالة
اقدارهم لم يبلغ احد منهم ما بلغه هو من سعة المملكة والاستيلاء على الملوك
وممالكهم فانه جمع بين مملكة المذكورين كلهم وضم الى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة
وغير ذلك ودانت له البلاد ودخل فى طاعته كل صعب القياذوهو أول من خوطب
بالمك فى الاسلام وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة وكان فاضلا
محبا للفضلاء وقصده فحول الشعراء وملهه باحسن المدائح وكان مع ذلك كاتباً
بليغاً وشاعراً لطيفاً ومن بلاغته ما كتب به الى أحد عماله بدمشق يحذره ويمنذره

قصيدة الى سيف الدولة وكان قد علم به حين فرق مضر فارسل اليه هدية فلذلك
مدحه بقوله منها

نقص البعد عنك قرب العطايا مرتعى مُخْصِبٍ وجسبي هزبل
ان تبوات غير دنيای دارا واتاني نيل قانت المنيل
من عبيدي ان عشت لي الف كافر رولى من نداك ريف ونيل
ثم مدح عضد الدولة بقصيدته الكافية وهي آخر ما قال فيه يقول في ابيات
منها يشكره ويودعه

أروح وقد ختمت على فؤادى بحبك أن يحل به نسواك
لحاذر أن يشق على المطايا ولا يمشى بنا الا سواك
السواك مشى ضعيف من مشى الابل المهازيل الى ان قال
اذا التوديع اعرض قل لبي عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا ان أكثر ما تمنى معاودة لقلت ولا مناكا
فزلى يا بعد عن ايدي ركاب لها وقع الاسنة فى حشاكا
وأيا شئت ياطرقي فكونى اذاة أو نجاة أو هلاكا
وألبس من رضاه فى طريقي سلاحا يدعُرُ الابطال شاكا

وقد جرى فى هذه القصيدة كلام كأنه ينمى نفسه فيه وان لم يقصد ولما فارق
مجلسه اتبعه بعض جلسائه وقال له سله كيف شاهد مجلسنا وأين الامراء الذين
لقيمهم منا فلما جرى المتنبي فى هذا الميدان وأطال معه القول كان جواب المتنبي

قوله غوك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاحش فاحش فملك فملك بهذا تهندا وقد
ابدى فى الجانسة المصحفة كل الابداع وترجمته كبيرة ومات رحمه الله فى شوال
سنة ٣٧٢ ببغداد ودفن بها ثم نقلت رفاته الى الكوفة وكان عمره حين وفاته سبعا
وأربعين سنة انتهى

عن جميع ماسمه ان قال ما خدمت عيناى قلبى كالليوم وقد اختصر اللفظ وأطال
المعنى قلت يريد والله أعلم أن عينيه حقتنا ماخامر قلبه من كرم عضد الدولة
وفضائله فذلك معنى خدمة العين للقلب وقد أجزل عضد الدولة صلته فاعطاه ثلاثة
آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة فانصرف منه باحسن حال وقيل ان
عضد الدولة دس اليه من يسأله أين هذا من عطاء سيف الدولة فقال ان سيف
الدولة يعطى طبعا وهذا يعطى تطبعا فنضب عضد الدولة فلما انصرف جهازه اليه
قوما من بنى ضبة قتلوه بعد ان قاتل قتالا شديدا ثم أراد الانهزام فقال له علامه
ابن قولك

فانليل والليل والبيداء ترقى والطن والضرب والقرطاس والقلم

قال قتلتنى قنلك الله فرجع وقاتل حتى قتل قلت أما قوله ما خدمت عيناى
قلبي كالليوم فمحتمل تصديقه وأما ما قيل من دس عضد الدولة اليه من يسأله عن
الفرق بينه وبين سيف الدولة الى آخر ما قيل بعده فعندى شك فى صحته فأولا
لم يأت المتنبي بما يستحق عليه القتل من عضد الدولة بعد ذلك المديح البليغ الذى
ضمنه وداعا حارا يشهد له بعاطفة الحب لمدوحه حتى تمنى الموت فى طريقه الذى قضى
عليه بمفازته اياه وما أثابه عليه من جزيل العطاء ولو قال فيه يعطى تطبعا فليس فيه هجو
ولا ما يشتم منه رائحة العداوة المفضى الى قتله فان كان فيه ما أغضب عضد الدولة فأكثر
ما يقال انه تخلى عن البحث عن قاتليه بعد أن علم بهم وقد كان عضد الدولة ملكا
كبيرا وأديبا فاضلا وما كانت شيمة الملوك العظام تنزل الى مثل هذه السفالة فى
الانتقام من شاعر يطلب المعروف ولم تبلغ اسماءه (ذنبه) حد القتل وثانيا ان ما قيل
فى سبب قتله ان خادمه نبهه بعار الفرار حينما قال له كيف نفر وأنت القاتل فانليل
والليل فخ فلعمري لا ينتقل هذا الخبر الا من شاهد الواقعة بمن كان مرافقا للمتنبى
ثم نجا من القتل وقد صح عندنا انه لم ينج أحد منهم وما كان معه غير نفسه وولده

وغلامه وقد قتلوا جميعاً هذا من وجه ومن آخر غير معقول أن ينقل أعداؤه عنه ذلك لأن المجال أضيّق من التسبّع لما قيل ويقال في مأزق تُحَمَّدُ فيه الأرواح حصداً وعلى فرض الأمر البعيد فليس فيما قاله المتنبي خزي يحسن بأعدائه نشره عنه وإنما فيه منقبة له فكيف يذيعونها عنه وهم أعداؤه ولا يجاب على هذا بأنهم إنما أرادوا إلصاق عار الفرار به قبل أن ينهبه غلامه فإنّ من همّ بأمر ولم يفعله لا يُعدّ فاعلاً وقد قاتل وقتل فعلاً ولم ينكص فأين الفرار . لذلك أرى أن هذه الأخبار قلت عنه بغير تمحيص وتدقيق بقصد المبالغة والله أعلم ونعود إلى ما كنا فيه ثم سافر المتنبي قاصداً الكوفة مجتازاً بجبل دير العاقول من طريق واسط فعرض له فاتك بن أبي جهل الأَسديّ قتلته واتهب أمواله وقد ذكر صاحب كتاب الصبح المتنبي عن حيثية المتنبي خبر قتله مطولاً عن أبي نصر محمد الجبلي فاختصرنا فيه بقدر الامكان قال كان مسيراً أبي الطيب من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ وقتله بضیعةً قُرب من دير العاقول في يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من الشهر المذكور والذي تولى قتله وقتل ابنه محمداً وغلامه مفلحاً رجل من بني أسد يقال له فاتك بن أبي جهل بن فراس الأَسديّ وتحرير الخبر ان فاتكا هذا كان خالّ ضبة بن يزيد العتبي الذي هجاه أبو الطيب بقوله

ما أنصف الناس ضبه وأمه الطرطُبة
 وإنما قلت ما قلت رحمة لا محبة
 وما عليك من العار أن أمك قجه
 وما يشق على الكلب أن يكون ابن كلبه

والقصيدة حوت سخافة وقبحاً أضربنا عن الزيادة منها فيقال ان فاتكا داخلته الحمية لما سمع ذكر أخته بالقبح في هذا الشعر فأضمر له السوء وعول على

قتله قال أبو نصر وكان فائق صديقاً لي وكان سفاً كما للسماء فلام ابن أخته وقال
 له كان يجب عليك ان لا تجمل لشاعر عليك سيلاً واتصل به انصراف المتنبي
 من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبيل دير العاقول قلم
 يكن ينزل عن فرسه باحثاً عنه وفيه جماعة من بني عمه رأبهم في المتنبي مثل
 رأيه من طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد وكان كثيراً ما ينزل عندي
 وقد جاءني فسألته عن سبب اهتمامه بهذا الرجل وأي شيء يريد منه فقال ما أريد
 إلا الجليل وعدله عن هجاء ضبة فعلت منه الغدر وقلت له لا يليق ذلك بأخلاقك
 فتضاحك ثم قال يا أبا نصر والله لئن اكتحلّت عيني به أو جمعتني وإياه بقعة
 لأسفكن دمه قلت له عافك الله أزل هذا الرأي من قلبك فان الرجل شهير
 الاسم بعيد الصيت ولا يحسن بمثلك قتله على شعره قاله وقد هجت الشعراء الملوك
 في الجاهلية والخلفاء في الاسلام فما سمعنا بشاعر قتل بهجائه فقال يفعل الله يشاء
 وانصرف ولم يمض على هذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافاني المتنبي ومعه بغال
 موقرة من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات
 لأنه اذا سافر لم يترك في منزله درهما ولا ما يساويه من الاشياء وأكثر اشغافه
 على دقائه (كُتِبَ) التي كان قد انتخبها وأحكم قراءتها وتصحيحها قال قزل
 عندي في داري فلما أمسينا قلت له يا أبا الطيب علي أي شيء أجمعت قال علي
 أن آخذ الليل مركبا فان السبر فيه يخف علي قلت هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه
 الليل ولا يصبح الا وقد قطع بلدا بعيدا وقلت له الرأي أن يكون معك من
 رجالة هذا البلد الذين يعرفون مواقعها الخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد
 قطب وجهه وقال أما والجرأز في عنقي فما بي حاجة الى مؤنس فأعدت عليه قبول
 رأي الذي أشرت به فقال لي تلويحك ينبغي عن تعريض وتعريضك ينبغي عن
 تصريح فعرفني الأمر وبيت لي الخطب فأخبرته حينئذ عن فائق وما أضمر عليه

من الفتك به ومعه نحو العشرين من بني عمه وقال له غلامه وكان عاقلاً الرأى ما قال أبو نصر خذ معك عشرين رجلاً يسرون بين يديك فاعتناظ أبو الطيب من غلامه وشمته شتماً قبيحاً وقال والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأبي مرت في خفارة أحد غير سيفي قتلت له أنا أوجه معك قوماً من قبلي يسرون بمسيرك ويكونون في خفارتك فحلف علي لا فعلت شيئاً من ذلك وقال لي يا أبا نصر أمن تجر الطير تخيفتي ومن عبيد العصا تخاف علي والله لو أن بحضرتي (عصاي) هذه ملقاة علي شاطي الفرات وبنو أسد معطشون بخمسة وقد نظروا إلى الماء كيطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف ان يردده معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين قتلت له قل ان شاء الله فقال هي كلمة لا تدفع مقضيا ولا تستجلب آتيا مريب فكان آخر العهد به وقال ابن خلكان قتل المنتبي وولده وغلامه لست بعين وقيل لثلاث وقيل لاثنتين ببيتا من شهر رمضان ٣٥٤ بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد وقتل صاحب كتاب الصبح المنتبي عن علي بن حمزة قال بلوت من المنتبي ثلاث خلال محودة وثلاث خلال منسومة فالحمودة أنه ما كذب ولا زنا ولا لاط والممنومة أنها ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن قلت كذب في ادعائه النبوة فقد قل عنه أنه قال أنزل علي قرآن فيه والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لي أخطار امض علي سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قانع بك تزيع من ألد في الدين وضل عن السبيل (سأحه الله) وإنما جر الناس إلى عدائه ما عرف عنه من خنزوانة وعنجهية^(١) وترفعه عن مدح بعض الوزراء والأفاضل كالوزير المهلبى بدار السلام وكوزير كافور بمصر الذي كلن من الواشين به عند كافور وكان قد أكثر من وصف كافور بالسواد في غالب شعره تارة بلمسك وأخرى بسواد العين مما لا يمتد نفرا وكالصاحب بن

(١) الخنزوانة الكبر والعنجهية الحق والعظمة اه قلموس

عَبَادَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَوَزَرَ وَكَانَ قَدْ تَلَطَّفَ فِي اسْتِدْعَائِهِ وَضَمَّنَ لَهُ مَشَاطِرَهُ جَمِيعَ
 مَالِهِ فَلَمْ يَقَمْ لَهُ وَزَنًا وَلَمْ يُجِبْهُ عَنْ كِتَابِهِ وَقَالَ ابْنُ غُلَيْمًا (بِالتصغير) مَعْطَاءُ بِلَرَى
 يَرِيدُ أَنْ نَزُورَهُ وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ وَكَأَنَّ وَقَعَ لَهُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ الْحَاتِمِيِّ مِنَ الْمَجَاوِرَةِ الْمَشْهُورَةِ
 فَضْلًا عَنْ هِجَاؤِهِ مِنْ لَا يَأْتِي غَائِلَتَهُ وَقَدْ كَانَ صَافِيًا مَتَعَاطِلًا حَتَّى تَصَدَّى لَهُ كَثِيرُونَ
 فَانْتَقَدُوا شَعْرَهُ وَتَلَبَّوْا عِرْضَهُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَعَ ذَلِكَ شَجَاعًا حَافِظًا لِلْآدَابِ عَاطِفًا
 بِأَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَقَدْ انْتَشَرَ شَعْرُهُ وَسَارَ سَبْرُ الْمَثَلِ فِي النَّاسِ قِيلَ وَمَا بَلَغَ عَضْدُ
 السُّوَلَةِ قَتْلَهُ قَالَتْ لَمَّا تَطَيَّرَتْ عَلَيْهِ حِينَ قَالَتْ

وَأَيًّا شَتَّ يَاطْرُقُ فِكُونِي أَدَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكًا

لَوْضَعَهُ النِّجَاةَ بَيْنَ الْأَدَاةِ وَالْهَلَاكِ وَقَدْ أَطْبَقْنَا فِي تَرْجُمَتِهِ وَإِنْ تَكُنْ أَطْوَلَ
 كَثِيرًا مِمَّا قَتَلْتَهُ وَكَانَ مَوْلَاهُ فِي مَحَلَّةٍ تَسْمَى كَنْدَةَ سَنَةَ ٣٠٣ هـ فَتَسَبَّ بِهَا وَيَلِيسُ
 هُوَ مِنْ كَنْدَةَ الْقَبِيلَةِ وَمَا قَتَلَ رِثَاءَ أَبِي الْقَاسِمِ الْمُظْفَرِّ بْنِ عَلِيٍّ الطَّبَّيِّ بِقَوْلِهِ
 لَا رَعَى اللَّهُ سَرَبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ
 مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَّ الْمَتَّبِيِّ أَيُّ نَانَ يُرَى لِبَكْرِ الزَّمَانِ
 كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَبِيٍّ شِ فِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
 هُوَ فِي شَعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مَعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

وَقَوْلِ ابْنِ زَيْدُونَ قَدْ يَغْصُ الْمَاءُ شَارِبَهُ مِثْلَ يَضْرِبُ لِمَنْ يُوَثِقُ بِهِ ثُمَّ يُوْتِي
 الْوَاتِقُ مِنْ قَبْلِهِ ذَكَرَهُ الْمِيدَانِيُّ فِي امْتَالِهِ وَغَصَّةُ الْمَاءِ أَشَدُّ مِنْ غَصَّةِ الْإِكْلِ
 قَالَ الشَّاعِرُ

لَمَلِكٍ أَنْ تَغْصُ بِرَأْسِ عَظْمٍ وَعَلَيْكَ فِي شِرَابِكَ أَنْ تَمِينَا

وَقَوْلِهِ يُوْتِي الْحَنْدَرُ مِنْ مَأْمَنِهِ مِثْلَ آخَرٍ وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ الْأَوَّلِ قَالَهُ كَثِيرٌ
 ابْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِ وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ لَا يَنْفَعُ حَنْزُ مَنْ قَدَرَ
 وَقِيلَ لَا يَنْفَعُكَ مِنْ رَدِيءٍ حَنْزٌ وَكَانَ تَقَشَّ خَاتَمُ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ (يُوْتِي
 الْحَنْدَرُ مِنْ مَأْمَنِهِ

ذكر أكرم بن صيني التيمي وبعض أخباره

هو أكرم بن صيني بن رباح وقيل رباح التيمي حكيم العرب المشهور وانخطب خطبائهم ادرك الاسلام آخر عمره ولم يطعمه قومه بنو تميم على الاسلام قال اللدائني ومحمد بن سلام الجمحي كان من حديث أكرم بن صيني انه لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعا الناس الى الاسلام بعث أكرم ابنه حبيشاً اليه فاتاه بغيره وبكتاب منه فقال لقومه يابني تميم لا تحضروني سفياً فان من يسمع يخجل ان السفية يوهن من فوقه ويُنَبَّبُ من دونه لا خير فيمن لا عقل له كبرت سني ودخلتني زلة فان رأيتم مني حسناً فاقبلوه وان رأيتم غير ذلك فهو مني أستقم ان ابني شافه هذا الرجل (يعني محمداً) واتاني بغيره وبكتاب منه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ بمحاسن الأخلاق ويدعو الى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان وترك الحلف بالنيران وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو اليه وأن الرأي ترك ما ينهى عنه إن أحق الناس بموثة محمد ومساعدته على امره أتم فان يكن الذي يدعو اليه حقا فهو لكم دون الناس وان يكن باطلا كنتم احق الناس بالكف عنه والسر عليه وقد كان أسقف نجران يحدث بصفته وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبله وسمى ابنه محمداً فكونوا في أمره أولاً ولا تكونوا آخراً ائتوا طائعين قبل تؤتوا كارهين ان الذي يدعو اليه محمد لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً أطيعوني واتبعوا أمرى اسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدأوا أصبحتم أعز حى في العرب وأكثرهم عدداً وأوسعهم داراً فاني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز الا ذل ولا يلزمه ذليل الا عز ان الأول لم يدع إلا خريشيتاً وهذا أمر له ما بعده من سبق اليه غمر المعالي واقتدى به التالى والعزيمة حزم والاختلاف عجز قال مالك بن نويرة قد خرف شيخكم قال أكرم ويل للشجى من انطلي والهنى على أمر لم أشهده ولم يسعنى ثم رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن

تبعه من قومه فبات في الطريق وذكّر ابن عباس ان الآية (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يسره الموت فقد وقع أجره على الله) نزلت فيه وكان من حكايا العرب ونقل الميداني كثيراً من أمثاله في كتابه مجمع الامثال فمن ذلك قوله انك لا تنجي من الشوك العنب وأول الحزم المشورة . والحزم سوء الظن بالناس ورضا الناس غاية لا تدرك ورُب ملوم لا ذنب له والدنيا دُول فما كان منها لك أهلك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك والشامة لؤم وحب المدح رأس الضياع والحلم دِعامَةُ العقل والاتقياضُ عن الناس مكسبة للعداوة وافراط الانس مكسبة لقرناء السوء وسئل عن البلاغة فقال دُنُوُّ المأخذ وقرع الحجّة ويقال انه أول من حكم في الجاهلية بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم جاء الاسلام بتقريره وله غير ذلك من الحكم كثير ومن ذرئته يحيى بن أكرم بن محمد بن سمعان بن مشنج بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد النون المفتوحة التميمي الاسيدي قاضي قضاة المأمون الخليفة العباسي وكان أحد أعلام الدنيا فضلاً وعلماً وأدباً حتى لم يتقدمه عنده أحد وقد ذكر ابن خلكان ترجمته في حرف الياء وقال توفي سنة ٢٤٢ بالربذة وهي قرية من قرى المدينة على طريق الحاج انتهت أخباره

وقول ابن زيون والحين قد يسبق جهد الحريص عجز بيت أخذه من شعر عدي بن زيد العبادي من أبيات يقول فيها

أبلغ خليلي عند هند فلا	زلت قريباً من سواد الخُصوص (١)
موازي القرّة أو دونها	غير بعيد من عمير اللصوص (٢)
انك ذو عهد وذو مصدق	مخالف عهد الكذوب اللصوص (٣)

(١) جمع خص وهو حانوت الخمار (٢) القرّة ويقال دير القره وعمير اللصوص

قريتان من خيريه قريتان من القادسية (٣) الخداع والهمز

تأكل ما شئت وتمتلتها خمرا من الخُصّ كلون الفصوص (١)
 ينفخ من أردانك المسكُ والا هندی والغار وأبستى قفوص (٢)
 قد يُدرك المبطى من حظه والحينُ قد يسبق جهد الحريص (٣)

ذكر عدى بن زيد العبادى وبعض أخباره

هو عدى بن زيد بن حماد وقيل حماد بن زيد بن ايوب بن محروف بن عامر
 ابن عصبية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم شاعر فصيح من شعراء الجاهلية
 ومولده بلخيرة في نحو سنة ٤٨٠ ميلاديه وكان نصرانياً نادياً وصاحب كتب ومن دهاة
 أهل ذلك العصر قال صاحب الاغانى ويقال أنه لا يُعدّ من فحول الشعراء ووصفه
 بأنه منهم كسهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها وهلمحه صاحب يتيمة
 الدهر وقال ان شعره وهو جاهلى أسلس من شعر الفرزدق وجريروهما اسلاميان
 لملازمة عدى الحضارة وبعده عن سكنى البادية وقد جاء في اخباره كما ذكر صاحب
 الأغانى وغيره انه رُبى مع شاهان مرد بن فرّوخ ماهان احد مرآزة كسرى
 أنوشروان من ملوك الفرس الذى كان صديقاً لآبيه زيد بن حماد فتعلم الكتابة
 والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية والفارسية وقال
 الشعر وتعلم الرمي بالنشاب فخرج من الاساورة الرثامة وتعلم لعب العجم على الخيل
 بالصوالجة ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنة شاهان مردفينما هما واقفان

(١) جمع فص وهو حدة العين تشبيهاً بها في الصفاء (٢) الغار ضرب من الشجر

يخرج منه دهن طيب الرائحة يتبخّر به وقد ذكره عدى في شعر آخر قال

رباً ناربت أرمقها تقضم الهندي والغارا

وقفوص بالفتح وتضم بلد واليه ينسب اللبني وهو عسل ينضج من شجرة يكون

طيباً يتبخّر به وهو المشهور عند العامة بحصى لبنان (٣) معنى البيت ظاهر وفي

رواية والحين بدل الحين وليس بشيء :

بين يديه اذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والانثى فجعل كل واحد منقاره في منقار الآخر فقال كسرى للمرزبان وابنه ليرم كل واحد منكما هذين الطائرين فان قتلتماهما ادخلتكما بيت المال فلأت افواهما جوهرا ومن اخطأ عاقبته فاعتمد كل واحد منهما طائرا ورميا فقتلاهما فسر كسرى منهما ووفى لها بشرطه وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان في حاشيته فقال المرزبان عند ذلك للملك ان عندي غلاما من العرب مات أبوه وخلفه في حجرى فرينته فهو أفصح الناس بالعربية والفارسية والمك محتاج الى مثله فان رأى ان يُبْتَه في ولى فعل فقال الملك ادعه فارسل الى عدى فحضر وكان جميلا وسبا فكلمه فوجده ذكيا فرغب فيه وأثبتته مع ولد المرزبان فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة^(١) اليه ورهبوه فلم يرزل بالمداين^(٢) في ديوان كسرى يؤذن له عليه في الخاصة وهو معجب به قريب منه ويقال ان أباه زيد بن حماد كان وقت ذاك حيا الا ان ذكر عدى قد ارتفع ونخل ذكر أبيه فكان اذا دخل على المنذر ملك العرب قام جميع من عنده حتى يقعد عدى فعلا له بذلك صيت عظيم فكان اذا اراد المقام بالحيرة استأذن كسرى فأقام بها الشهر والشهرين واقل واكثر ثم يرجع الى المداين ثم هلك كسرى او شروان وتولى بعده ابنه هرمز فأرسل عديا الى ملك الروم واسمه طيباريوس الثاني بهدية من طرف ما عنده فلما وصل الى ملك الروم بالهدية اكرمه وحمله على البريد ليريه سعة ارضه وعظيم ملكه وكذلك كانوا يصنعون فمن ثم وقع عدى

(١) اسم مديته قديمة على ثلاثه اميال من الكوفة وكافت منازل آل النعمان

ابن المنذر وهي في موضع يقال له النجف وبها الخورتق المشهور وفيها تنصر المنذر ابن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة ويقال ان بانيها تبع الحميري^(٢) المداين مدينة كسرى عظيم الفرس قرب بغداد وسميت المداين لكبرها

بدر مشق وفيها قل الشعر ثم عاد الى المدائن حاملا هدية قيصر ملك الروم الى
هرمز فصادف أباه والمرزبان قد ماتا فاستأذن كسرى في الالم بالحيرة فلما بلغ المنذر
ابن ماء السماء خبر قدمه تلقاه في الناس واكرمه فأصبح انبل اهل الحيرة في
انفسهم وكانوا يبغضون المنذر ولو أرادوا ان يملكوا عديا لملكوه ولكن عديا
كان يؤثر الصيد واللهو فمكث سنين يتردد بين الحيرة والمدائن ويخدم كسرى
وتزداد مكاته عند المنذر ملك العرب حتى زوجه ابنته هنداء وهي يومئذ قد
بلغت أو كادت وكان عدى لا يؤثر على بنى يربوع مبدى من مبادي العرب ولا
ينزل في حى من احياء بنى تميم غير حبيهم وكان اخلاؤه من العرب كلهم بنى جعفر
وكانت ابله في بنى ضبة وبلاد بنى سعد ولما احتضر المنذر أوصى بينه كلهم
ألى ايس بن قبيصة الطائي وملكه الحيرة الى ان يري كسرى رأيه فيمن يوليه
على العرب بعده فمكث أشهرا مملكا عليهم وكسرى في طلب رجل يملكه عليهم
فقال يوما لعدى يا عدى هل بقي من آل المنذر أحد في خير فقال نعم أيها الملك
ان في ولده بقية وفيهم خير فقال ابعث اليهم فبعث اليهم وانزلهم عدى عندد وكان
له هوى في تملك النعمان لأنه كان ريبيا في حجره وكان أولاد المنذر عشرة
أو أكثر ويقال لهم الاشاهب لجهلهم وفيهم يقول الأعدى

وبنو المنذر الاشاهب بالحيرة ^{أبمشون} غدوة كالسيوف

إلا أن النعمان كان من بينهم احرا برش قصيرا فاحتال له عدى على الملك حتى ملكه
كسرى في خير اضربنا عنه لطوله وخالع عليه والبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم
فيه الذهب واللؤلؤ واستمر عدى يتنقل كعادته بين الحيرة والمدائن مَبَجَلًا عند
النعمان لا يقطع أمرا دون مشورته حتى سعى عليه عدى بن مَرِينَا اللَّحْمِي عند
النعمان فقتلوه ونوا امرينا قوم من نخم قبيلة المنذر وهم الذين ربوا الاسود بن المنذر أخا
النعمان لايه وكان هواهم في تملكه بدلا من النعمان فلما تطلب عدى على تملك

النعمان حتى ملك حقدوا عليه وسعوا في هلاكه فيقال أن عدي بن مرينا المذكور
اتفق مع آخرين وَزَوَّرُوا كِتَابًا عَلَى لِسَانِ عَدِيِّ إِلَى قَهْرْمَانَ لِلنَّعْمَانِ ثُمَّ أَوْصَلُوا
الكتاب إلى النعمان فقرأه فنضب على عدي واحتال عليه حتى احضره عنده
من المدائن ثم حبسه فجعل يقول الشعر في السجن يستعطف به النعمان وهو كثير
فمن ذلك قوله

أبلى النعمان عني مألكا	أني قد طال حبسي وانتظاري
لو بنير الماء حلقي شرق	كنت كالفصان بالماء اعتصاري
ليت شعري عن دخيل يفتري	حيثما أدرك ليلي أو نهاري
قاعدا يكرُبُ نفسي بها	وحراما كان سجنى واحتصاري

وقوله أيضا

ألا من مبلغ النعمان عني	وقد تهوى النصيحة بالمغيب
أحظي كان سلسلته وقيدا	وغلا والبيان لدى الطيب
أتاك بأنتي قد طال حبسي	ولم تسأم بمسجون حريب
ويبقى مفتر إلا نساء	أراهم قد هلكن من النحيب
يُحَاذِرُنَ الوشاة على عدي	وما اقرفوا عليه من الذنوب
فإن أظلم فقد عاقبتوني	وان أظلم فذلك من نصيبي
فهل لك أن تدارك ما لدينا	ولا تغلب على الرأي المصيب
فاني قد وكلت اليوم أمري	إلى رب قريب مستجيب

وقوله

أبلغ النعمان عني مألكا	قول من قد خاف ظنا فاعتذر
إني والله فاقبل حلقي	لأبيل كلما صلي جار
مرعد أحشاؤه في هيكلي	حسن لمتي وافي الشعر

ما حملت القل من أعدائكم ولدي الله من العلم المير
لا تكونن كما مي عظمه بأسي حتى اذا العظم جبر
عاد بعد الجبر ينعي وهنه يتحون المشى منه فانكسر
واذ كر النعمى التي لم أنسها لك في السعى اذا العبد كفر

وقوله

ألا من مبلغ النعمان عوى فينا المرء أغرب اذ أراحا
أطعت بنى قبيلة في وثاقي وكنا من حلوقهم ذباحا
منحتهم الفرات وجانيه وتسقينا الأواجن والملاحا

ولما أعينته الحيلة قال يعرض أهله على انجاده

وقول الوشاة أودي عدي وبنوه قد أيقنوا بلاق
ياأبا مسهر فابلق رسولا إخوتي إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامرا وأبلغ أخاه أنى موثق شديد وثاقي
في حديد القسطاس يرقبني الحما رس والمرء كل شيء يلاقى
في حديد مضاعف وغلول وثياب منضحات خلاق
فاركبو في الحرام فكوا أخاكم ان عيرا قد جهزت لانطلاق

فلم يجد ذلك نفعا حتى قتله أخيرا في سجن الحيرة وأخفى أمره على كسرى
ويقال أن هنداً زوجته ترهبت بعدئذ في دير عرف بدير هند وظهر أخيراً للنعمان
بخطؤه فندم على قتله وكان قد رأى ابنه يقال له زيد قربه واعطاه وأسف على
قتل أبيه فكتب الى كسرى بن هرمز يطلب اليه أن يجعل زيدا مكان أبيه
فلما بعث اليه اعجب به كسرى وقربه فصار يكثر اللخول عليه والخدمة وكان
هو الذي يلي الكتابة عن الملك الى ملوك العرب في أمورهما فلما تمكن منه تحرك
في نفسه طلب النار لأبيه عدي من النعمان فأخذ يدبر المكائد والحيل الى أن

اغضب عليه كسرى في مسألة النسوة اللاتي طلبن منه وكتب اليه بصفتهم باغراء
 زيد فلم يجبه النعمان الى طلبه فسكت عنه كسرى ثم طلبه اليه فهرب منه وتنقل
 في قبائل العرب فلم يقبله أحد فإشار عليه هاني بن قبيصة أن يرجع الى كسرى
 ويستسلم اليه فان عفا عنه والا فال موت نازل بكل احد ولئن مات كريما خير له
 من نجرع الذل وعيشة السوقة بعد الملك فرجع الى كسرى بهدايا جليلة من طرف
 ما عنده بعد أن كتب يعتذر اليه فقبل كسرى الهدايا فلما وصل الى المدائن لقيه
 زيد بن عدى على قنطرة ساباط فقال له انج نعيم ان استطعت النجاء فقال له النعمان
 أقفلتها يا زيد أما والله لان عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربي قط فقال له زيد امض
 لشأنك نعيم قد والله آخيت لك أخية (١) لم يقطعها المهر الأرن وما وصل الى
 باب كسرى لم يأذن له بالدخول عليه وأمر به الى السجن فسجن وقيد ولم يزل فيه
 الى أن مات بالطاعون وقيل سجنه في سباط ثم أمر بالقائه تحت أرجل الفيلة حتى مات
 وفي ذلك يقول الشاعر

ان ذا التاج لا أباك أضحي وذرى بينه بجوز الفيول

ان كسرى عدا على الملك الله مان حتى سقاه أم البليل

وكان النعمان قبل ذهابه الى كسرى أودع ماله ونعمه وحلقته وهي سلاح
 ألف فارس شاكة (تامه) الى بني شيبان فلما هلك كما مرّ بمث كسرى إياس بن
 قبيصة الذي ولاء على العرب مكان النعمان الى هاني بن مسعود رئيس شيبان
 يطالبه بحلقة النعمان وكانت اربعمائة درع وقيل ثمانمائة فمنعها هاني فغضب كسرى
 وأراد استئصال بكر بن وائل فامهلهم الى فصل القيظ دند ورودهم مياه ذى قار

(١) الأخية عود في جبل يدفن طرفه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تُشدُّ

فيها الدابة وهي المسماة عند العامة في السودان بلشاية والمعنى أحكت لك أخية
 لانستطيع قطعها

فلما وردوها وقع الحرب فاتصرت العربُ على جيوش كسرى انتصارا عظيما
وعرفت الوقعة بيوم ذي قار وخبرها طويل وكان قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبر أصحابه بها وقال اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من المعجم وبني نصر
وأخبار عدى كثيرة ورواياتها مختلفة فلخترنا منها ما قلناه هنا وقد عثرنا له على
قصيدة نادرة يقال أنها من مجمرات العرب ضمنها اجود الحكم فآثرنا نقل أبيات
منها لفائدتها وهي

وأبعده منه اذا لم يُسَدِّ	أعذِلَ ما أدنى الرشاد من القى
وطابقت في الحجلين مشى المقيد	اعذل قد لا قيت ما يزع القى
الى ساعة في اليوم أوفى ضحى غد	اعذل ما يدريك أن منيق
كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد	أعذل من يكتب له الموت يلقه
وان المنايا للرجال بمرصد	اعذل ان الجهل من لثة القى
عن اللب لا يرشد لقول المفند	أعذل من لا يصلح النفس خاليا
تروح له بلواعظات وتفتدى	كفى زاجرا للمرء أيام دهره
رجالا فبادوا بعد بؤس وأسعد	فلست بمن يخشي حوادث تعري
مق أغورها يغو الذي بك بهتدى	فنفك فأحفظها عن الغي والردي
فمثل بها واجز المطالب وآرؤد	وان كانت النعماء عندك لا مرى
فلا ترجها منه ولا دفع مشهد	اذا ما مرؤ لم يرج منك مودة
فَعِفَّ ولا تطلب بجهد فتتكد	إذا أنت نازعت الرجال نواهم
من اليوم سؤلا أن يسرك في غد	عسى سائل ذو حاجة ان منعه
بجلك في رفق ولم تتشدد	ستدرك من ذي الفحشى حقل كله
اصاب بمجد طارف غير متلد	ووارث مجدي لم ينله وماجد
وما استطعت من خير لنفسك فازدد	فلا تهمدن عن سعى ما قد ورتته

وإذا ما وأيت الشريعت أهله
وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تجر
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
وفي الخلق ازلال لمن كان بلخلا
اتمته اخبار عدى

(المن)

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَقِي فَتَهُونَ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ

الشرح الكل ضد البعض وهو اسم جامع للأجزاء واطافة المصائب اليه دليل التناهي في كثرتها كما قول زيد العالم كل العلم اذا بالغت في كثرة علمه والمصائب جمع مصيبة وهي النازلة القبيحة تستعمل في الشر خاصة وقد بالتسكين حرفية لا تدخل الا على الأفعال ومن معانيها التقليل وهو المراد هنا كقولك قد يصدق الكاذب أى ربما يصدق وتمر تجوز من المرور والفتى الشاب وخصه بالذكر لأنه أقوى حملا لها من غيره وتهون تسهل وغير اداة استثناء بمعنى إلا والشامة الفرح ببلية الغير والحساد جمع حاسد وهو المتمنى زوال نعمة غيره وحاصل المعنى جميع المصائب على كثرتها ربما مرت بالفتى وهانت عليه إلا شامة الحساد فاتها لانتهون بل يبقى أثرها في نفسه فهي اذا اشد المصائب هولاً عليه والبيت بتمامه مأخوذ من قصيدة لعبد الله بن محمد بن عيينة يقول فيها

من مبلغ عنى الامير رسالة
كل المصائب قد تمر على الفتى
وأظن لى منها لديك خبيثة
مالى أرى امرى لديك كأنه
وأراك ترجيه وتمضى غيره
الله يعلم ما آتيتك زائرا
محصورة عندى عن الانشاد
تهون غير شامة الحساد
ستكون عند الزاد آخر زاد
من قله طود من الاطواد
فى ساعة الاصدار والايراد
من ضيق ذات يدو ضيق بلاد

لكن أبتك زائر الك أرتجى بك رتبة الآباء والاجداد
 في الارض منفسح ورزق واسع لي عنك في غوري وفي انجادي
 وهي طويلة اختصرناها ونأى على ترجمته وان لم نوفق الى ما يشفي منها

﴿ ذكر عبد الله بن أبي عيينة ﴾

هو عبد الله بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي
 العسكي شاعر لطيف مطبوع ذكره الجاحظ في البيان والتبيين وقرنه بالسيد الحميري
 وأبي العتاهية وبشار بن برد
 إلا أنه قال بشارُ أطبعهم ولم يذ كر صاحب الأغانى من ترجمته شيئا كثيرا وإنما
 رأينا في كتاب الكامل للمبرد بعضا من أخباره والسبب الذي قال من أجله
 الأبيات التي تقدمت يعاتب بها ذا اليمينين طاهر بن الحسين قائد جيوش الخليفة
 المأمون بن هارون الرشيد العباسي في حرب أخيه محمد الأمين المخلوع في سنة ١٩٥
 هجرية وهو الذي قتل علي بن عيسى بن ماهان قائد جيوش محمد الأمين وهزم
 جيشه بالرى وإنما لقب ذا اليمينين لأنه أخذ السيف يديه أولاً أنه ضرب شخصا
 في الرقعة قطعه نصفين وكانت الضربة يساره أما سبب عتابه لطاهر بن الحسين
 في شعره المتقدم وفي شعر آخر منذ كر بعضه بمدقن ابن عيينة هذا كان معاضدا
 لطاهر ومن رؤساء الجند الذين أخذوا البصرة للمأمون في أيام أخيه المخلوع
 فاتصل بطاهر فولاه اليمامة والبحرين وغوص البحر وكان له صديق يسمى اسماعيل
 ابن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رجلا جليل القدر مطاعا في
 مواليه وأهله فوصله بندي اليمينين فولاه البصرة ولم يكن غير قليل حتى تمكر
 اسماعيل لابن أبي عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثل ما كان بينهما من المقاربة
 ثم عزل ابن أبي عيينة ولم يُعزل اسماعيل فهجاه ابن أبي عيينة وسأل ذا اليمينين
 عزله فدافعه وضمن بالرجل فكان يهجو من أهله المهالبة من يواصل اسماعيل بن

جعفر وكان أكبر أهله في ذلك الوقت يزيد بن المنجاب وكان أعور قائم العين
لم يُطَّلَع على عِلَّتِهِ إِلَّا بِشَرِّ ابْنِ أَبِي عَيْنَةَ وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ الْبَدْرَةِ أَجْمَعِينَ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَكَانَ أَحْوَلَ الْعَيْنِينَ وَمِنْهُمْ سَمِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
ابْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ حَرْبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ وَكَانَ قَصِيرًا فَذَلِكَ حَيْثُ
يَقُولُ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ فِيهِمْ

تستقدم النعجتان والبرقُ في زمن سرو أهله الملقى
عُورٌ وحُولٌ وثالث لهم كأنه بين أسطرٍ لَحَقَّ

ولهم يقول ولاثنين ظن انهما معهم وقد مرُّوا به يريدون اسماعيل بن جعفر
أَلَا قَلَّ لِرَهْطِ خَمْسَةٍ أَوْ ثَلَاثَةٍ يُعَدُّونَ مِنْ أَبْنَاءِ آلِ الْمُهَلَّبِ
عَلَى بَابِ إِسْمَاعِيلِ رُوحًا وَبِكْرًا وَدَجَاجَ الْقُرَيْمِيِّ مَبْثُوتَةً حَوْلَ ثَعْلَبِ
وَأَثَنُوا عَلَيْهِ بِالْجَمِيلِ فَانَّهُ يَصْرُثُ لَكُمْ حُبَّهَا وَالْحُبُّ وَأَقْلَبِ
يَلِينُ لَكُمْ عِنْدَ الْإِقَاءِ مَوَارِيَا وَيَخَافُكُمْ مِنْهُ بِنَابٍ وَمِخْلَبِ
أَبْعَدُ بِلَائِي عِنْدَهُ إِذْ وَجَدْتَهُ طَرِيحًا كَنْصَلِ الْقَدْحِ لَمَّا يُرْكَبِ
بِهِ صَدَأٌ قَدْ عَابَهُ فَجَلَوْتَهُ بِكَفِّي حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكَبِ
وَرَكْبَتُهُ فِي خُوطِ نَبْعِ وَرَشْتُهُ بِقَادِمَتِي نَمْرٍ وَمَتْنٍ مُعَقَّبِ
فَإِنْ أَتَانِي مِنْهُ إِلَّا مَبُوءًا إِلَى بِنَصْلِ كَالْحَرِيقِ مَذْرَبِ
فَقَلَّلْتُ مِنْهُ حِدَّةً وَتَرَكْتُهُ كَهْدَابَةَ نَوْبِ الْعُزْرِ لَمَّا يُهْدَبِ
رَضِيْتُمْ بِأَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَعَقْمِ خَلَائِقِ مَاضِيكُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالْأَبِ

ثم جعل يعاتب طاهر بن الحسين بعد ذلك ومنه تلك الايات التي
مرت وقوله أيضا

مَالِي رَأَيْتُكَ تُدْنِي كُلَّ مَنْتَكِ إِذَا تَغَيَّبَ مُلْتَاثُ إِذَا حَضَرَ
إِذَا تَنَسَّمَ رِيحُ الْعَدْرِ قَابِلَهَا حَتَّى إِذَا نَفَخَتْ فِي أُنْفِهِ غَدْرًا

ومن يجيئ على التقريب منك له
أحلك الله من قحطان منزلة
فلا تُصعِّح حق قحطان فتُغضبها
أعط الرجال على مقدار أنفسهم
وقل له في أخرى

هو الصبر والتسليم لله والرضا
إذا نحن أبناء سالمين بأنفس
فأنفسنا خيرُ الغنيمة أنها
هي الأ نفس الكُبرى التي إن تقدمت
إذا نزلت بي خُطة لا أشاؤها
كرام رجت أمرا فخاب رجالؤها
تؤوب وفيها ماؤها وحياتها
أواستأخرت فالقتل بالسيف داؤها

وهذا الذي من أحسن الكلام وله أن يقول مفتخرا فان آل المهلب كانوا
ذوي بأس ونجدة وكرم ورئاسة وجده المهلب بن أبي صفرة يمين حامي البصرة من
الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالاهواز حتى سمو البصرة بصرة المهلب لذلك
وكان بنوه نجوم الدهر وغرة العصر ومنهم يزيد بن المهلب المعروف بالشجاعة
والسخاء ومحمد ابنه ومنهم المغيرة بن المهلب وكان شجاعا وسيدا معروفا والمفضل
وحبيب وغيرهم ومن أحفاده يزيد بن حاتم وأخوه روح والوزير المهلب وغيرهم
قال ابن قتيبة في كتاب المعارف ويقال انه وقع الى الارض من صلب المهلب
ثلثماية ولد وفي يزيد بن حاتم يقول الشاعر صفوان بن صفوان في دولة العباسيين
قلتها لجودتها

لم ادر ما الجود الا ما سمعت به
لهيت اجود من يمشى على قدم
لو نيل بلجود مجد كنت صاحبه
وقال ابن خلكان اجمع علماء التاريخ على انه لم يكن في دولة بني أمية اكرم
حتى لهيت يزيدا عصمة الناس
مفضلا برداء الجود والباس
وكنت أولى به من آل عباس

من بني المهلب كما انه لم يكن في دولة بني العباس اكرم من البرامكة فذلك حين
يُنخر ابن أبي عيينة بقوله

انا ابن الذي شادلى منصبا وكان السك اذا حلقا
قرّيع العراق ويطربهم وعزهم المرثجي المتقى
فمن يستطيع اذا ما ذهبست أنطق في المجد أن ينطقا
انا ابن المهلب ما فوق ذا لعال الى شرف مرتقى
فدعنى أغلى ثياب الصبا يجدها قبل أن تخلقا
أدنياى من عمر بجرالهوى خذى ييدى قبل أن أغرقا
انا لك عبد فكوي كمن اذا سره عبده أعتقا

وله غير ذلك شعر رقيق وأكثر ما عرفناه منه في عتاب ذى اليمينين اكتفينا
منه بما قلناه هنا ولم تقف على تاريخ وقته الا أن ما عرف من أخباره يدل على
أن حياته كانت الى أواخر القرن الثاني فاذا لم يتوف فيه توفى في أوائل القرن
الثالث انتهى

(المن) وانى لأتجلد وأرى الشامتين أنى لريب الدهر لا أتضعع
(الشرح) الجلد الصلابة والقوة واران بالتجلد تكلف الجلد وريب الدهر
جدثانه ونوائبه والتضعع التخاذل والضعف وفي الحديث ما تضعع امرؤ لا آخر
يريد به عرض الدنيا الا ذهب ثلثا دينه ولما ذكر في البيت السابق شدة وقع شماتة
الحساد في النفس عطف عليه بقوله وانى لأتجلد بقوة عزيمتى على صدمات الدهر
ونوائبه دفعا لتلك الشماتة فاذا رآنى من يفرح بيليتى لا يجرد محلا للشماتة بي والجملة
بتمامها حل بيت من الشعر لأبى ذؤيب الهذلى وهو

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعع
وابن زيدون أتى فيه بتقديم وتأخير على ضيغة النثر كما دتة في رسائله

ذكر أبي ذؤيب الهزلي الشاعر

أبو ذؤيب كنيته واسمه خويلد بن خالد بن محرز بن زيد من هذيل شاعر
فحل بل اشعر شعراء هذيل متمكن من اللغة وغريبها وهو من المخضرمين الذين
ادركوا الجاهلية والاسلام وأسلم وحسن اسلامه وقد جمع شعره في ديوان خاص
وشرحه الامام البرزوقي رحمه الله وهذا البيت الذي ذكرناه من قصيدة طويلة
من مختارات شعره اوردها الضبي في مختاراه واقتناها

أمن المنون وورديه تتوجع والدهر ليس يعتب من يعتب

قالها في رثاء اولاده وكانوا خمسة وقيل سبعة ماتوا كلهم بالطاعون وهي طويلة ومنها

أودى نبيّ واعقبوني حصرة بعد الرقاد وعبرة لا تقلعُ

سبقوا هويّ واعنقوا لهوام فتخرّموا ولكل جنب مصرع

فغبرتُ بعدهم بعيش ناصب واخال أنى لاحق مُستتبعُ

ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم فاذا المنية أقبلت لا تدفع

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميم لا تنفع

قالينُ بعدهم كأن حدّاقها سملتُ بشوك فهي عور تسمع

حتى كأتى للحوادث مروة بصفاء المشرق كل يوم تهرع

قوله بصفاء المشرق أي بحجارة المرّو المُصلاة بالنار وروى بعضا المشرق

وعصا المشقة

وتجلدى المشامتين أريهم انى لريّب الدهر لا أتضعض

ومنها وهو أبداع بيت قالته العرب

والنفس راغبةٌ اذا رغبتُها واذا تُردُّ الى قليل تنع

ومنها في وصف حمر الوحش واردة لتشرب فرصد لها صياد

فشرعنَ في حُجراتٍ عذبٍ بارد حصب البطح تقيب فيه الأكوعُ

فشرين ثم سمين حساً دونه شرف الحجاب ورَيْبَ قرع يُقرع
 وتميةً من قانص متلبب في كفه جشء أجش وأقطع
 فنكرته فنفرن وامرست به سطماء هادية وهادٍ جرشع
 فرمى فأقصد من نجبود عائط سهما فخرٌ وریشه متصمع

معنى هذه الايات أن الحمر شرعن أى وردن بطحاء ذات حصب أى
 حصا تغور فيه الأرجل الى الأكارع . فيها ماء بارد فشرين ثم تسمعن من مكان
 مشرف عند منقطع الحرّة وهي الحجارة حركة الصائد وفي كفه جشء أى قوس
 يشبه صوتها صوت جشة الماء في حلق الانسان وأقطع أى أسهم فلربن منه
 فأنكره ونفرن ناجيات فدنت منه متقدمتهن أمان نجبود أى عبلة مملثة لما
 يتقدمها الفحل فرماها بسهمه فأصابها والعرب كثيرا ما تذكر في شعرها الصيد
 والصائد والغرض منه اظهار مقدرة الشاعر في دقة الوصف . وقال أيضا من
 أيات في النزل

وان حديثا منك لو تبدلينه جنى النحل في ألبان عودٍ مطافل

مطافل أبكار حديث تناجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

المطافل أو المطافيل جمع مطفل أى ذات طفل يستوى فيه الانس والوحش
 و اراد بها النياق ذوات الألبان وتشاب تخلط وماء المفاصل قيل ماء بين السهل
 والجبل ومنه أصفى من ماء المفاصل وقيل أراد التشبيه بماء مفاصل الجبل لأن
 لكل مفصل حقا يستنقع فيه ماء لا تجدا صفى منه وذكر الجوهري البيت
 وأبدل المفاصل بالمعاقل وفسره بأن المراد بهذا الماء ماء يجرى في مواضع صلبة
 بين الجبال وله من قصيدة أخرى في امرأة من قومه كان يرواها نخاه فيها خالد
 ابن زهير وكان رسوله اليها

تريدين كيا تجميني وخالدا وهل يُجمع السيفان بحك في غمد

وفي رواية تردين كما تُضدني وخالدا والضميد أن تتخذ المرأة خليلين
أخالد مارحيت مني قرابة فتحفظني في الغيب أو بعض ما أبدى
ونخالد هذا يقول

فما حمل البختي عام غيابه	عليه الوسوق برها وشعبها
بأكثر مما كنتُ حملتُ خالدا	وشرُّ أمانات الرجال غرورها
ولو أنني حملته البزل لم تقم	به البذل حتى تتلبس صدرها
فشانكها إني أدين وأنتي	إذا ما نحي لي مثلها لا أطورها
فان حراما ان أخون أمانة	وآمن نفسا ليس عندي ضميرها
وما يحفظ المكتوم من مر أهله	إذا عقد الأمر أوضاع كبيرها
من الناس إلا ذو وفاء يعينه	على ذلك منه صدق نفس وخيرها
رعي خالد ميري ليالي نفسه	توالى علي قصد السبيل أمورها
ولما تحاماه الشباب وغيه	وفي النفس منه غدره وفجورها
لوي رأسه مني ومال بودّه	أغانيج خود كأن قدما يزورها

وله في وصف حفرة

مطأطأة لم يُنبطوها وانها	ليرضى بها فراطها أم واحد
قَضَوْا مَا أَتَوْا مِنْ رِقَبَاتِهِمْ أَقْبَلُوا	إلى بطاء المشى غير السواعد
فكنتُ ذنوبَ البئر لما توشلت	وأدرجت أكتافني ووُمدت ساعدي
ويروي لما تلحبت أي توطأت	

أعاذل لا إهلاك مالي ضررتي ولا وارتي ان ثمر المال حامدي

وله أشعار بليغة يستعمل فيها كثيراً من غريب اللغة يستشهد بها العلماء في
المعاجم اللغوية ومات في سنة ست وعشرين هجرية في غزاة بأرض الروم وقيل

انه خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات بها وفي ذلك يقول

أبا عبيد رفع الكتاب واقرب الموعد والحساب

وعند رحلى جل نجاب أحر في حاركة الصباب

انتهت أخباره (المن)

وأعود فأقول هل أنا الأيد أدمها سوارها وجبين غض به إكليله

ومشرفي الصقة بالأرض صاقله وسهري عرصة على النار مثقفه

(الشرح) فأقول يجوز أن تكون الجملة بتمامها مستأنفة للكلام ويجوز أن

تكون الفاء عاطفة وهل حرف استفهام وهو هنا بمعنى لا النافية أي ما أنا الأيد

أدمها سوارها والسوار ما يلبس في المعصم للزينة والجبين فوق الصدغ عن يمينه

وساره والعض المسك بالأسنان والا كليل الناج أو شبهه عصابة تزين بالجواهر

والمشرفي السيف نسب الى مشارف الشام وهي قري تدنو من الريف وقيل

ينسب الى موضع باليمن واللصق كاللرق والصاقل الصانع ويقال له الصيقل أيضاً

لأنه يشخذ السيوف ويجليها والسهري الرمح نسب الى سهمر وزوجه ردينة

يقال رمح سهري ورمح رديني أو الى قرية بالحبشة ومثقفه صانعه من التشفيف وهو

تقوم المعوج ووضع السيف على الأرض وقناة الرمح على النار كلاهما لمنفعة تعود

عليها لأن المراد بالأول صقله والثاني اعتداله وابن زيدون يريد بهذا الكلام

تحسين التبيح كاعتقاله في سجن ابن جهور والتضييق عليه وهذا من المجاز البديع

ضرب به مثلاً لنفسه وهو بهذه الحال باليد التي أدمها سوارها والا كليل الذي

عض بجبهة لابسه وكلاهما للزينة والسيف الذي ألصق بالتراب وهو يحمل بالحائل

والرمح الذي وضع على النار وهو يرفع على العاتق مغالطة منه والمعنى ما كانت

أساءة مولاي إلا لفائدتي وصلاحى فما ذلك عار على ولا زراية في حقى وهذا

المعنى الى قوله سوارها أخذه من قول المتنبي

بنو كعب وما أثرت فيهم يدٌ لم يدمها إلا السوار

من قصيدة مطلعها

طَوَّالٌ قَنَّا تُطَاعِنَهَا قِصَارٌ وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارِ

يمدح بها سيف الدولة لما وقع بيني عقيل وقشير وبنو العجلان وبنو كلاب حين عاثو في عمله وخالفوا عليه وأراد تأديبهم وقد كانوا شركاءه في النسب وجيرانه في الدار والمتنبي ضرب لهم مثلا بهذا البيت وبالبيت التالي بها من قطعة ألم وقص وفيها من جلالته افتخار

يريد أنه وإن أوقع بهم الأذى فهم كاليدا التي أدماها السوار وهو جمال لها

وإن ما فعله بهم لم يكن إلا من قبيل إصلاح حالهم انتهى

(المن) وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مِنْهُبَ النَّبِيِّ يَقُولُ

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَيَّ مَنْ يَرْحَمُ

(الشرح) هذه الجملة من تمام الجملة قبلها وضمير الاستفهام الانكاري

والاستثناء مضر فيها أي وهل أنا إلا عبد ذهب به سيده وقوله منهب النبي

يقول بالنصب على المصدر ويبت الشعر بعده مقول القائل وقسا من القساوة

والازدجار افتعال من الزجر وهو المنع مما لا يراد والحزم ضبط الأمر وأحيانا جمع

حين أي الوقت طال أوقصر ومعنى البيت أن الحازم في أموره قد يكون قاسيا في

بعض الأحيان على عبده الذي اعتاد منه الشفقة والمرحمة زجرا له عن المفسدة

وحمل له على الإصلاح وهذا شبيه بمعنى الجملة السابقة يريد أن عقاب مولاه له

بالاعراض عنه والسجن إنما هو من قبيل التأديب له لا النكابة به والبيت لأبي

تمام من قصيدة مطلعها

أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وَأُخْرَى تُنَجَّمُ تِلْكَ الَّتِي رَزَقْتَ وَأُخْرَى تُحْرَمُ

يمدح بها مالك بن طوق حينما عزل من الجزيرة وهي من جياذه المختارة ومنها

تلك الجزيرة مذ تحمل مالك
وعلت قراها غيرةً ولقد تری
كانت زمانا جنةً فكاننا
الجرؤ أكلف والجناب لفقده
ومنها

إن القباب المستقلة بينها
لا تألف الفحشاء بُردیه ولا
متبدل في القوم وهو مُبجل
يسلو فيعلم أن ذلك حقه
ومنها يعاتب التغليين رهط الممدوح

مالي رأيت تراكم يباساً له
ما هذه القربي التي لا تنقي
حسد المشيرة للمشيرة قرحة
إن تذهبوا عن مالك أو تجهلوا
كانت لكم اخلاقه معسولة
حتى اذا أجنحت لكم دلوكم
قسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحياناً على من برحم

وهي كبيرة نقلنا منها ما دعت الحاجة اليه

ذكر أبي تمام وبعض أخباره

أبو تمام كنيته واسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن
مروان بن قيس بن الأشج بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن العوث بن
ظية الطائي الشاعر المشهور ومولده في نحو سنة اثنتين وسبعين ومائة أو ثمان

وثمانين ومائة أو تسعين ومائة بقرية يقال لها جاسم من أعمال مَتَبِجَ بين دِمَشق وطبرية أو شرقى حلب على نحو مرحلتين منها ونشأ بمصر وقيل أنه كان فيها يسقى الناس الماء بالجرّة في جامع مصر وقيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده بدمشق واشتغل بالأدب وتنقل الى أن صار الى ماصار اليه من الشهرة بقول الشعر فقد كان لطيف الفطنة مطبوعاً دقيق الماني . غوّاص على ما يستصعب منها ويسر متناوله على غيره وله مذهب في المطابقة فاق به الكثيرين من الشعراء الذين قالوه قبله والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد من الناس وقد فضله بعضهم على البحترى وأبي الطيب المتنبى وبعضهم يفضلها عليه ولهم في ذلك أقوال لا محل لشرحها هنا وديوان شعره أشهر من أن يذكر والادباء تعنى به وتستشهد ببلاغته وحكمه حتى جرى مجرى الامثال وكان أوحد عصره في ديباجة لفظه وحسن اسلوبه وقد نال شهرة خاصة في الرثاء . على أن جميع الاغراض التي نظم فيها قد أجاد في أكثرها وله كتاب الحماسة الذي دل على غزارة فضله واثقان معرفته بحسن الاختيار فقد جمع فيه عيون الشعر ووجوهه وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين وله أيضاً كتاب الاختيارات من شعر الشعراء . وكان له من المحفوظات ما لا يلحظه فيه غيره قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم وجاب البلاد ولما قصد البصرة وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه سمع به عبد الصمد بن المعتدل الشاعر فخافه وخشى أن يميل الناس اليه . و يعرضوا عنه فكتب اليه رقعة فيها

أنت بين اثنتين تبرز لنا من وكتاهما بوجه مذل
لست تنفك راجياً لوصول من حبيب أو طالباً لنوال
أى ماء يبقى لوجهك هذا بين ذل الهوى وذل السؤال

ثم دفعها الى وراق كان هو وأبو تمام يجلسان اليه ولا يعرف احدهما الآخر
 وأمره أن يدفعها الى أبي تمام فلما وافى أبو تمام ودفعها اليه قرأها ثم قلبها وكتب عليها
 أفي تنظم قول الزور والفند وأنت أقص من لاشيء في العدد
 اشرجت قلبك من غيظ على حنق كأنها حركات الروح في الجسد
 اقدمت وبلك من هنجوي على خطر كالعير يقدم من خوف على الاسد
 وحضر عبد الصمد فلما قرأ البيت الأول قال ما أحسن علمه بالجدل أوجب
 زيادة وقصانا على معدوم ولما نظر الى البيت الثاني قل الاشراج من عمل الفراشين
 ولا مدخل له هنا فلما قرأ البيت الثالث عض على شفته . هذه رواية ابن خلد كان
 والذي رأيت في ديوان أبي تمام خمسة أبيات تختلف فيها بعض الالفاظ عن هذه
 وانه كتبها الى محمد بن يزيد وهي

أفي تنظم قول الزور والفند وأنت أقص من لاشيء في العدد
 امرجت قلبك من بغض على حرق أضرم من حركات المهجر للجسد
 انصفت جسمك حتى لو هممت بأن ألهو بصفتك يوما لم تجدك يدي
 لا تنتسب قد حويت الفخر مجتمعا والذكر أن صرت منسوباً الى جسدي
 اطمت روعك حتى صرت لي غرضاً قد يقدم العير من خوف على الاسد

قال بن خلكان وقد قيل اغفل الجاحظ في كتابه الحيوان عند ذكر انقياد
 بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكر الحمار الذي يرمى بنفسه على الاسد
 إذا شم ربحه قلت لم يغفل الجاحظ بل لم يروجها صحيحاً يذكروه قلن الحمار قد يخاف
 من الأسد خوفاً شديداً إذا رآه وتخور قواه عن الفرار منه فأما انه يرمى بنفسه
 اليه فلا اللهم الا اذا اريد انه لا يستطيع الفرار ولا الدفاع امام الاسد بل يقف
 مستسلماً اليه دهشاً منه فكانه رمى بنفسه اليه والله اعلم رجعنا الى الحديث وقال
 صاحب الأغاني قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس اليه وكتبوا شعر فوشعر

أبيه فقال له البعض ههنا شاعر يزعم انه اشعر الناس طرا فقال أنشدوني قوله

فأنشدوه أبياتا من قصيدته في مدح ابي سعيد محمد بن يوسف الطائي وهي

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد

واقننها من غمرة الموت انه صمود فراق لاصدود تعمد

فأجدي لها الاشفاق دمعا موردا من الدم يجري فوق خد مورد

هي البدر يغنيها تورد وجهها الى كل من لاقت وان لم تودد

ثم قطع المنشد فقال عمارة زدنا من هذا فوصل نشيده وقال

ولكنني لم أحو وفرأجمعا فزت به إلا يشمل مبدد

ولم تعطى الايلم نوما مسكنا ألد به الا بنوم مشرد

وطول مقام المرء في الحى مخلوق لديا جتية فاغترب تتجدد

فقال عمارة لله دره لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه حتى لقد حبيب الى

الاغتراب هيه فأنشده

فأرى رأيت الشمس زبدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بمرمد

فقال عمارة لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد

واتساق الكلام فان صاحبكم هذا اشعر الناس قلت وهذه القصيدة طويلة وجيدة

يقول في ختامها

اليك هتكنا جنح ليل كانه قد اكنطت من البلاد بائمة

نخب بنا آدم المهارى وشيمها على كل نثر متليب وفد فد

قلب في الآفاق صلا كأنما يقرب في فكيه شقة مبرد

تلافي جذاك المجتهد بن فأصبحوا ولم يبق متبخور ولم يبق مجتد

اذا مارحى دارت أدرت سباحة رحي كل إنجاز على كل موعد

أيتك لم أفرع الى غير مفرع ولم أنشد الحاجات في غير منشد

ومن برج معروف البعيد فانما يدي عولت في النائبات على يدي
وحضر جابر الكرخي ابا دلف القاسم بن عيسى وعنده ابو تلم وقد أنشد
قصيده التي اولها

على مثلها من أربع وملاعب
أذيلت مصونات السموع السواكب
فلما بلغ الى قوله

اذا اقتخرت يوما تميم بقوسها
وزادت على ما وطدت من مناقب
فاتم بندي قار أمالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب (١)
محاسن من مجدتي تهرنوها
محاسن أقوام تكن كالمائب
معال تبادت في العلو كأنما
تحاول ناراً عند بعض الكواكب

قال ابو دلف ياه مشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط وانا به عليها قلت
وقد ختمها بالآيات الآتية

اليك أرحنا عازب الشعر بعدما
تمهل في روض المعاني المجائب

(١) يشير الى حاجب ابن زراره بن عدس التميمي وله حكاية لطيفة وذلك
أنه وفد على كسرى ملك الفرس في سنة مجدية فسأله حاجب الملك من أنت قال
رجل من العرب فلما أذن له بالدخول على كسرى ودخل عليه قال له من أنت قال
سيد العرب قال ألم تقل بالبواب أنك رجل من العرب قال كنت بالبواب رجلاً منهم
فلما حضرت بين يدي الملك سدتهم فأعجب منه كسرى ثم سأله حاجبه فشكى
اليه محل الحجاز وطلب اليه ألف بغير بُرٍّ ا على أن يعيد قيمتها اليه فقال وماترهنني
عليها قال قومي هذه فاستعظم كسرى همته وأمر له بما سأل ثم مات حاجب فاحضر
بنوه المال بعد موته وطلبوا منه ان يرد اليهم قوس ابيهم ففعل فافتخر بنو تميم بذلك وأبو
تمام يقول للمدوح وقومه أنكم في يوم ذي قار أهلكتم جيوش الذي استرهن قوس
حاجب ففخركم أعظم

غرائب لاقت في فنائك أنسها
ولو كان يمني الشعراء ماقرت
ولكنه صوب العقول اذا انجالت
أقول لاصحابي هو القاسم الذي
واني لارجو عاجلا أن ترُدِّي
ثم قال ابودلف انشدني قولك في رثاء محمد بن حميد الطوسي واخويه
قحطبة وابي نصر

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر
وهي التي يقول فيها وقد يتعذر على
وما مات حتى مات مضرَبُ سيفه
وقد كان فوت الموت سهلا فردّه
ونفس تعاف العمار حتى كأنما
فأثبت في مستنقع الموت رجلاه
غدا غدوة والحمد نسج رداه
تردّي ثياب الموت حرا فما دجا
كان نبي نيهان يوم وفاته
يعزّون عن ناول تعزّي به العلي
وأني لهم صبر عليه وقد مضى
ففي كان عذب الرشح لا من غضاضة
ففي سلبته الخليل وهو حي لها
وقد كانت البيض الماثير في الوغي
أمن بعد طي الحادثات محمدا

فليس لعين لم يفيض ماؤها عن
الشعراء ان يأتوا يمثّلها لجودة معانيها
من الضرب واعتلت عليه القنائل السمر
اليه الحفاظ المرث والخلق الوعر
هو الكفر يوم الروح أودونه الكفر
وقال لها من تحت أخصيك الحشر
فلم ينصرف إلا وأكفانه الاجر
لها الليل الا وهي من سندس خضر
نجوم سماء خر من بينها البدر
ويبكي عليه البأس والجود والشعر
الى الموت حتى استشهدا هو والصبر
ولكن كبرا أن يقال به كبر
وبزته نار الحرب وهو لها جمر
بواتر فهي الآن من بعده بر
يكون لاثواب الندي أبدا نشر

اذا اشجرات العرف جذت أصولها
 لئن أبيض الدهر الخثون لفقده
 لئن غدوت في الروع أيلمه به
 لئن ألبست فيه المصيبة طي
 كذلك ما تنفك فقدت هالكاً
 حتى الغيث غيثا وارت الأرض شخصه
 وكيف احتمالي للغيوث صنعة
 مضى ظاهر الأثواب لم تبقر روضة
 ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى
 هليك سلام الله وقفاً فاني
 فأنشد إياها كلها فقال وددت والله انها لي قال بل أفنى الأثير بنفسى وأهلي
 وأكون المقدم عليه فقال انه لم يمت مزرتي بهذا الشعر وابن حميد هذا كلن من قواد
 الخليفة المأمون العباسي وقتل في موضع يقال له البذ كورة بين أران وأذريجان في
 قتال بابك المشهور من ولد مطهر بن قاطمة بنت أبي مسلم التي ينسب اليها الفاطمية
 من الحرمية لا الى قاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقال يمدح المعتصم بالله الخليفة العباسي من قصيدة مطلعها
 الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذلو
 يقول في أبيات منها عقب قتله للاقشين
 والمهاشميون استقلت غيرهم من كربلاء بأوثق الاوتار
 فشفاهم المختار منه ولم يكن في دينه المختار بالمختار
 وقد عرض فيه بالمختار بن أبي عبيد الثقفي الذي تآمر للحسين بن علي رضي الله عنه
 قتل قاتليه وادعى أنه يدعو لآل البيت كذبا فسموه الكذاب وبعده يقول

حتى اذا انكشفت سرائره اغتدوا منه برآء السمع والأبصار
 ما كان لولا فخش غيرة خينتر ليكون في الاسلام عام فجار
 فجار يوم من أيام العرب في الجاهلية وهي أربعة أفجرة وانما سميت فجار لأنها
 كانت في الأشهر الحرم قتالت قريش لما قاتلوا فيها قد فجرنا . ومنها يصف رجال
 جيش الافسين ويمدح المعتصم

سود اللباس كأنما نسجت لهم
 بكروا وأسرّوا في متون ضوامر
 لا يبرحون ومن رآهم خالهم
 كادوا النبوة والمهدي فتقطعت
 جهلوا فلم يستكثروا من طاعة
 فاشدد بهارون الخلافة إنه
 بقى نبي العباس والقمر الذي
 كرم الخوولة والعمومة مجه
 هو نوء بمن فيهم وسعادة
 فاقيع شياطين النفاق بهتد
 ليسير في الآفاق سيرة رافة
 فالصين منظوم بأندلس الى
 ولقد علمت بأن ذلك معصم
 فلا أرض دار أقفرت ما لم يكن
 سور القرآن الغر فكم أنزلت

أيدي السموم مدارعا من نار
 قيدت لهم من مربط النجار
 ابدا على سفر من الانقار
 أعناقهم في ذلك المضار
 معروفة بعمارة الأعمار
 سكن لوحشتها ودار قرار
 حفته أنجم يعرب ويزار
 سلفنا قريش فيه والانصار
 وسراج ليل فيهم ونهار
 ترضى البرية هديه والباري
 ويسوسها بسكينة ووقار
 حيطان رمية فملك ذمار
 ما كنت تتركه بغير سوار
 من هاشم رب لتلك الدار
 ولكم تصاغ محاسن الأشعار

وله أيضا القصيدة البديعة التشبيه ومطلعها

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثري في حليه يتكسر

يقول في أبيات منها

كم ليلة آسى البلاد بنفسه
مطريذوب الصحو منه وبعده
وندى إذا أدّنت بهلم الثري
ما كانت الأيام تسلب بهجة
يا صاحبي قصيا نظريكما
تريا نهارا مشما قد شابه
أضحت تصوغ بطونها لظهورها
من كل زاهرة ترقق بالندی
تبدو ويحجبها الجيم كأنها
حتى غدت وهدأها ونجادها
مصفرة محمرة فكانها
من فاقع غضّ النبات كأنه
أوساطع في حرّة فكانما
الى ان تخض الى المدح فقال

في الأرض من عدل الامام وجوده
ان العليقة حين يظلم حادث
بالتام المستخلف اتسق الهدى
ومن النبات الغض سرج ترهر
عين الهدى وله الخلافة محجر
حتى تخير رُشده المتخير

كان المعتصم ممن اتفق له العدد الثامن في جميع ادواره فانه ولد في الثامن من
شهور سنة ١٨٠ وورق من الاولاد ثمانية بنين وثمانى بنات وملك ثمانى سنين
وثمانية أشهر وعاش ثمانى وأربعين سنة تقريبا ومات لثمانى عشرة ليلة من شهر
ربيع الاول سنة ٢٢٧

سكن الزمان فلا يد مذمومة
نظّم البلاد فأصبحت وكأنها
لم يبق مبدئي موحش الأرتوى
ملك يضلّ الفكر في أيامه
وله القصيدة السينية في مدح احمد بن المعتصم وهي من جياده أيضاً ومطلعها
ما في وقوفك ساعة من بس
يقول فيها وقد تخلص الى المدح
ان الذي خلق الخلائق قاتها
فالأرض معروف السماء قرى لها
القوم ظلّ الله أسكن دينه
في كل جوهرة فرند مشرق
هدأت على تأميل أحمد همتي
فرع نما من هاشم في تربة
لا تهجر الأتواء منبتها ولا
نور العرارة نوره ونسيمه
أبليت هذا المجد أبداً غاية
إقدام عمرو في سماحة حاتم
لا تُكبر وأضربى له من دونه
فالله قد ضرب الأقل لنوره
ان تحو خصل المجد في أنف الصبا
فلرب نار منكم قد أنتجت
تركنا باقيها خوف الاطالة قيل انه لما بلغ الى قوله اقدام عمرو في سماحة حاتم

للحادثات ولا سوام تُذعر
عقد كان العدل فيه جوهر
من ذكره فكأنما هو مخضر
ويقل في فحاته ما يكثر

تقضى ذمام الأربع الأدراس

أقواتها لتصرف الاحراس
وبنو الرجاء لهم نبي العباس
فيهم وهم جبل الملوك الراسي
وهم الفرند لهؤلاء الناس
وأطاف تقليدي به وقياسي
كان الكفي لها من الأعراس
قلب الثرى القاسي عليها قاسي
نشر الجزامي في اخضرار الآس
فيه واكرم شيمة ونحاس
في حلم أحنف في ذكاء إياس
مثلا شروداً في الندى والباس
مثلا من المشكاة والنيبراس
يا ابن الخلائف يا أبا العباس
بالليل من قبس من الأقباس

البيت وكان حاضرا في المجلس يعقوب بن الصبّاح الكندي الفيلسوف قال له
 الأمير فوق من وصفت فأطرق قليلا ثم زاد البيتين بعده ولما أخذت القصيدة
 من يده لم يجدها فيها فصجبوا من سرعته وفطنته ولما خرج قل أبو يوسف يعقوب
 هذا القتي يموت قريبا لشدة ذكائه وكذا كان فانه مات دون الاربعين وله أيضا
 القصيدة البائية يهني بها المعتصم بفتح عمورية ويمسحه وأولها

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد والعب

يقول في أبيات منها وهي طويلة

نظم من الشعر أو نثر من الخطب	فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
وتبرز الأرض في أثوابها القشب	فتح تفتح أبواب السماء له
عنك التي حقا مسولة الخلب	يا يوم وقمة عمورية انصرفت
فنه مرتب في الله مرتب	تبرير معتصم بالله منتقم
إلا قدمة جيش من الرعب	لم يغز قوما ولم يهض إلى بلد
من نفسه وحدها في جحفل الجب	لوم يقده جحفاً يوم الوغى لندا
يوم الكربة في المسلوب لا السلب	إن الأسود أسود الغاب همتها

ولما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها

ديعة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب

لو سعت بقعة لاعظام أخرى لسعى نحوها المكان الجديد

قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتحلى شغرك من جواهر لفظك وبديع معانيك

ما يزيد حسنا على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك شيء من
 جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شغرك في الموازاة فشكره قالوا وما كان أحد من
 الشعراء في حياته يقدر أن يأخذ درهما بالشعر فلما مات اقتسم الشعراء ما كان
 يأخذه وكان أسمر طويلا حلوا الكلام فيه متممة بسيرة ويقال ان أباه كان نصرانيا

من أهل جسم يقال له تنوس المطار هذا قول ابن خلكان وقال القلقشندي في
صبح الأعشى تنوس المطار فغير اسم أيه وانديس في بني طيء والله أعلم وتوفى
بالموصل عام ٢٣١ هـ وقال الطبري عام ٢٢٨ هـ ورواه الحسن بن وهب وقيل ديك
الجن باليتين الآتين

فجع القريض بمخام الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا معاً فتجاورا في حفرة وكذلك كانا قبل في الأحياء

وقد اكتفينا بما أوردناه من ترجمته خوف الاطالة انتهى

(المتن) هَذَا الْعُتْبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ

(الشرح) العتب الموجدة أي الغضب ومحمود من الحمد ضد التهم وعواقبه

أواخره يشير الى غضب مولاه عليه بما أدى الى تأديبه وأنه سيعقبه الرضا عليه

وهذا المعنى أخذه من قول أبي الطيب المتنبي

لعل عتبك محمود عواقبه فريما صحت الأجسام بالطلل

قال شارحه أي رب عله اتقادت بعد شدة وكانت سبب السلامة والصحة

وهذا من كلام الحكيم قد يفسد المصو لصلاح الأعضاء كالسكى والفصد اللذين

يفسدان الأعضاء لصلاح غيرها وقد نقله من قول الآخر

لعل سباً يفيد حباً فالشر للخير قد يجز

وهذه القصيدة يمدح بها سيف الدولة ويعتذر له فيها ومنها

ناديت مجدك في شعري وقد صدرا ياخير منتحل في غير منتحل

بالشرق والغرب أقوام نجبهم فطالعام وكونا أبلغ الرسل

وعرفهم باني في مكارمه أقلب الطرف بين الخليل والخول

يا أيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لا قبلي

ما كان نومي إلا فوق معرقتي بأن رأيك لا يؤتى من الزلل

أقل أنزل أقطع حمل على سل أعد زدهش بش تفضل إذن سر صل
ولمناسبة البيت الأخير يقال ان سيف الدولة وقع تحت أقل أقلناك وتحت أنل
تحمّل اليك من الدراهم ما تحب وتحت أقطع أقطعناك ضيعة كذا يباب حلب وتحت حمل
تحمّل اليك الفرس الفلانية وتحت على قد فعلنا وتحت سل قد فعلنا فسل وتحت أعد
أعدناك الى حالك من حسن رأينا وتحت زد يزداد كذا وكذا وتحت تفضل قد
فعلنا وتحت ادن أدنينك وتحت سر (١) قد سر رناك فقال المتنبي انما أردت من
التسرية فأمر له بجارية وتحت صل قد فعلنا وكان بحضرة سيف الدولة شيخ يضحك
منه يقال له المعلى حسد المتنبي على ما أعطاه سيف الدولة فقال هلا قلت له
يا مولاي هي هي لما قال هش بش يعني (حكاية الضحك) فضحك سيف الدولة
وقال له ولك أيضا ما تحب وأمر له بصلة انتهى

التمن وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي

الشرح النبوة مصدر نبا الشيء ينبو غير مهموز اذا تجافى وتباعد وفي المثل
الصدق ينبى عنك لا الوعيد اى ان الصدق يدفع عنك المكروه لا التهديد
والغمرة الشدة وجمعها غمرات وتنجلي تذهب والمعنى وهذه الجفوة التى لحقتنى
شدة نزلت بى وستزول عنى بزوال غضبك والجملة مأخوذة من قول الأغلب
المجلى الراجز

الغمرات ثم تنجلينا عنا وينزلن بأخرينا

وقد ذهبت مثلا بضرب فى احتمال الأمور العظام والصبر عليها ذكرها
الميدانى فى أمثاله وثانى هنا على بعض ما وقفنا عليه من أخبار الأغلب الراجز

(١) الذى فى الديوان مضبوطة بضم قشديد وعلى ذلك فعناها من السرور

لا من التسرية والا لقال سر بفتح أوله وقشديد تانيه مكسورا

ذكر الأغلِب العجلى الراجز

هو الأغلِب العجلى الراجز بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن على
ابن بكر بن وائل وهو القائل ينتخر بقومه (إنَّ سرَّكَ العزَّ فجعجج يجشم)
وكان أحد المعمرين عاش في الجاهلية طويلاً وأدرك الإسلام. فأسلم ذكر ذلك
صاحب الأثاني وقال أنه أول من رجز الأراجيز الطوال في العرب وكانت العرب
تقولها في الحرب والحُدَّاء والمفاخرة ومن رجزه قوله في سجاح بنت الحارث بن
سويد لما تزوجت مسيلة الكذاب

قدأبصرت سجاح من بعد العى	ملوَّحا في العين مجلود القرى
مثل العتيق في شباب قد أتى	من اللجيميين أصحاب القرى
ليس بندي واهنة ولا نسا	نشا بلحم وبخبز ما اشترى
حتى شتا ينتح ذفراه الندى	خاطى البضيع لجه حظاً بظاً
كأنما تُجمع من لحم الخصى	إذا تمطى بين بُرديه صاى
كان عرق أيريه إذا ورى	حبلٌ عجوزٍ ضفرت سبع قوى

الى أن قال

قال آلا أدخله قالت بلى	فشال فيها مثل محراث الفضا
يقول لما غاب فيها واستوي	مثلها كنت أحسيك الحسا

يشير بذلك الى آيات قالها مسيلة الكذاب الى سجاح أضربنا عنها
لفحشها وكانت سجاح المذكورة قد ادعت النبوة في بني تميم وادعت انه أنزل
عليها قرءانا فيه يا أيها المتقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريش
قوم يبغون وكان ادعاؤها النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع
عليها بنو تميم واتبعوها فكانت تسجع لهم الأسجاع الموزونة فمنها قولها يامعشر
تميم اقصموا الجملة فاضربوا فيها كل هامة واضرموا فيها ناراً تلهاة حتى تتركوها

سوداء كالحمامة فلما استفحل أمرها وكان مسيلة الكذاب بن حبيب الخنفي قد ادعى النبوة ونحسّن في حَجْرِ الِجَمَامَةِ وتبعه خلق كثير قصدته سَجَاحٌ بِجَمُولِهَا وأحاطت به فضاق بها ذرعا فاستشار وجوه قومه فقالوا زى أن تسلّم هذا الأمر إليها وكان مسيلةٌ ذادها فأرسل إليها أن الله تبارك وتعالى أنزل علىّ وحيا فهلي تجتمع وتتدارس ما أنزل الله علينا فمن عرف الحق اتبعه واجتمعنا فأكلنا العرب بقومي وقومك أكلًا فاجتمعت به وقالت هات ما أنزل عليك فقال أنزل علىّ ألم تر كيف فعل ربك بالحيليّ أخرج منها نطفة تسمى بين صفاق وحشي من بين ذكر وأنتى وأموات واحيا ثم الى ربهم يكون المنتهى . قالت وماذا قال ألم تر أن الله خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا فنولج فيهن الغراميل إيلاجا ونخرجها منهن اذا شئنا اخرجنا قالت فبأى شيء أمرك فقال الايات التي أضربنا عنها لقبحها فخصمت له وصدقته وصالحته ثم خطبها بأمرها من قوما فزوجوه إياها قال الطبري ثم فارقه على أن يحمل إليها نصف غلات الجمامة وأنصرفت الى الجزيرة وبقيت في نبي تغلب وانتهى أمر مسيلة الكذاب بقتله في إمارة خالد بن الوليد رضى الله عنه قتله وحشي غلام جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمِ الَّذِي كَانَ قَتَلَ حَمْزَةَ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ وَعَاشَتْ سَجَاحٌ إِلَى زَمَنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْ وَتَابَتْ وَبَقِيَ الْأَغْلَبُ الْعِجْلِيُّ حَيًّا إِلَى زَمَنِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَحِقَ بِجَيْشِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ قُتِلَ فِي وَقْعَةِ نَهَاوَنْدِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ١٩ هـ لِسَبْعِ سِنِينَ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ غَيْرُهُ اسْتَشْهِدَ الْأَغْلَبُ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ فِي سَنَةِ ٦٤٣ مِيلَادِيَّةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَقْفَلُهُ عَلَى أَخْبَارِ آخِرِي

(المن) وَهَذِهِ النَّكْبَةُ سَعَابَةٌ صَيْفٍ عَن قَلِيلٍ تَقَشُّعٌ

الشرح النكبة واحدة نكبات الدهر أي مصائبه تقول أصابته نكبة ونكب

فلان فهو منكوب وتَقَشُّعٌ أي تنقشع حذفت احدي التائين تخفيفا ومعناه تنكشف

وتتبدد وهو مثل يضرب في اقتضاء الشيء بسرعة ذكره الميداني في أمثاله ومما
يستطرده بالمناسبة ما قيل ان أبا صفوان خالد بن صفوان التميمي الشاعر المشهور بالبلاغة
وقع بينه وبين بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري كلام فغيره بلال
بكثرة لحنه في الكلام حتى اقتطع في المسجد يتعلم الاعراب وقد كف بصره وكان
بلال بن أبي بردة أحد نواب خالد بن عبد الله القسري الذي تولى العراقين في
سنة ١٠٥ هـ من قبل هشام بن عبد الملك فكان اذا مر بموكبه يقول خالد من
هذا فيقال الأمير فيقول خالد سحابة صيف عن قليل تمشع فسمعه بلال يوما فقال
والله لا تمشع حتى يصيبك شؤبوب برّدي منها وأمر به فضرب ما تبي سوط وانما ذكر
خالد المثل استثقالا لبلال وتوقفه سرعة زوال امارته وعلى ذلك يكون المثل قديما
ولم أقف على قائله ومعني ابن زيدون وهذه النازلة التي أصابتنى منزول قريبا
لثغى بملك وعدلك

(المن) ولن يُرِيْبِنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَحَابَهُ أَوْ تَأَخَّرَ غَيْرَ ضَنْبَيْنِ غَنَاؤُهُ
الشرح لن حرف لنفي الاستقبال ويرني من الريبة وهي الشك ضد اليقين
والبطء من الابطاء ضد السرعة والضنين البخيل والغناء بالفتح والمد النفع فاذا
كسرت الغين وقصرت فهو ضد الفقر وان مددت فهو التغي بالاصوات والمراد
الاول والمعني ولست أشك في كرم مولاي وفعه اذا تأخر عنى لاعن بجمل وما وُصف
السحاب بالبطء والغناء بالتأخر عاد الى شرح حالينهما فقال

(المن) فَابْطَأُ . الدَّلَاءُ فَيَضُؤُا مَلْؤُهَا وَأَثْقَلُ السَّحَابُ مَشِيًّا أَحْفَلُهَا
الشرح الدلاء جمع دلو ما يستقى به من بئر ونحوها والفيض مصدر قاض
الماء اذا كثر وسال والثقيل ضد الخفيف والحفل محركا الامتلاء يقال احتفل
الوادي ماء والضرع لبنا وحضت السماء حفلا جدا وقع مطرها وهذا الكلام
هو كد لإزالة الريبة من نفسه في الجملة السابقة لأنه ثبت فيها ابطاء افراج مولاه

وعفود عنه وهنا شرح مافي هذا الابطاء من زيادة قائمة تعود منه كأنه يقول لاريب
ولاخوف من عاقبته قلن اللاء البطيئة في السقي هي الأكثر امتلاء والسحاب
المتناقل في مشيته هو الأكثر مطرا فمدح البطء والتقل في هذه الجملة وان يكن
من لوازمها الدم تفننا واقتدارا . ويمعجني ما حفظته قريبا من هذا المعنى من قول
احمد شوقي بك شاعر مصر الشهير في مدح أميرها . وكان قد أبطأ عليه قليلا
في وعد وعده به

تم الوعود كمر السحاب ووعدك كالبحر يمشى المهل
يم العباد وينشى البلاد اذا الغيث في أرض قوم نزل
ويارب ريث أفاد الجزيل اذا ما أفاد اليسير العجل

الريث هنا هو البطء وجاء في المثل رب عجلة وهبت ريثا ويروى تهب ريثا
(المتن) وَأَنْفَعُ الْحَيَاةَ مَا صَادَفَ جَدْبًا وَأَلَدُّ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيلاً
(الشرح) هذه الجملة في معني ما قبلها والحيا مقصور المطر والجذب خلاف
الخصب والغليل من الغلة وهو العطش والمعنى وأفنع المطر ما أصاب أرضا جديبة
فأفنتها وأحلى الماء ما وافى ظمآن فأرواه قال الشاعر

هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى يصيب غليلا

وكنى بفلاك عما يناله من عذاب السجن وصغاره وان الافراج عنه وان تأخر
عليه يقع منه موقع حياة الارض الميتة بالمطر والعطشان بالماء البارد وهي أمثال
ضربها لتحسن في عين مولاه فيستميل بها رضاه والمعنى كل قضاء قضيته على
حلو مقبول حسن العاقبة

(المتن) (وَمَعَ الْيَوْمِ عَدُوٌّ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)

(الشرح) نصف الجملة مأخوذ من المثل ان مع اليوم غداً يامسعدة يضرب
في تنقل الدول على مر الايام ذكره الميداني ونصفها الثاني لفظ الكتاب العزيز

(وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب) وجاء في المثل أيضا .
لكل حي أجل والمثلان فيهما تسلية لنفسه بالصبر على المكاره
والمعنى سيعقب يومى غده بسرور رضاك على وان ما لحقنى من العذاب قائما
هو مقدر على فى الأزل
(المتن)

لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ
الشرح الضمير للسيد والاهتبال الاغتنام والاحتيال ومنه يقال للصائد
هبال قال الشاعر (ومطعم الصيد هبال لبغيته) وهنا بمعنى الاقتصار والعتب
اللوم قال الشاعر

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب
والاغفال ترك الشيء اهمالا واعراضا واصله غيبة الشيء عن بال الانسان
ويروى فى اغفاله يقال غفل زيد اذا سها وتغافل اذا تعد الغفلة والمعنى لك الحمد
على اقتصاصك منى اذا كان فيه رضاك ولا لوم عليك فى تغافلك عنى اذا
شملنى غفوك
(المتن)

وَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا * فَأَفْعَالُهُ اللَّاتِي سَرَرْنَ أَلُوفُ
الشرح الفعل ما يصدر عنك من خير أو شر وقد فسر ذلك بقوله الفعل
الذى ساء واحدا والافعال التى سرت ألوفا فدل ذلك على فعل الاساءة وأفعال
السرور من خير وشر وهذا البيت لأبى الطيب المتنبي من أبيات خمسة قلها
فى أبى المشائر الحسين بن على بن حمدان وكان السبب فى ذلك ان المتنبي كان
قد أنشد سيف الدولة قصيدته الميمية ومطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شيمٌ ومن بجسى وحالى عنده سقم
وكانت قد حوت عتابا مرا خرج به عن حد الأدب مع الملوك حتى اغضب
عليه سيف الدولة فرماه بدواة كانت بين يديه وهم جماعة بقتله ثم عتابا عنه فى

ذلك المجلس بسبب بيت من هذه القصيدة قاله لما اصابته الدواة وهو
 ان كان سرهم ماقلا حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم
 فأعجب سيف الدولة منه لسرعة خاطره ووصله بمال وكان في المجلس رجل
 يعادي أبا الطيب فكتب الى أبي العشائر بانطاكية كتابا شرح له فيه القصيدة
 الميمية واغراه بالمتنبي فوجه ابو العشائر عشرة من غلمانه ليقتالوه فلما وصلوا الى
 حلب وقفوا قريبا من باب سيف الدولة في الليل وانفتحوارسولا الى أبي الطيب
 على لسان سيف الدولة لياتيهم به فلما قرب منهم ضرب احدهم بيده الى عنان
 فرس أبي الطيب فسل أبو الطيب سيفه فوثبوا عليه فلما رأى ذلك منهم هضمهم
 بفرسه فبهر قنطرة كانت بين يديه وقد أصاب الفرس احدهم بسهم فانتزعه منه
 حتى اذا أقى نشابهم عطف عليهم فضرب احدهم بالسيف فقطع الوتر وبعض القوس
 وجرحه في ذراعه فوقفوا على صاحبهم المخرج وسار المتنبي وتركهم فلما يتسوا
 منه قال أحدهم نحن غلمان ابي العشائر فيئتند قال

ومنتسب عندي الى من احبه وللتبيل حولي من يديه حفيف
 فبيج من شوقي وما من مذلة حنفت . ولكن الكرم ألوف
 وكل وداد لا يدوم على الاذى دوام ودادي للحسين ضعيف
 وان يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعاله اللاتي سررن ألوف
 ونفسي . له نفسى الغداء لنفسه ولكن بعض المالكين عنيف
 ومراد ابن زيدون ان احسان مولاه عليه أكثر من اساءته له فان ساءه
 بفعل واحد قد سره بأفعال كثيرة . والكثير لا يقبله القليل : وهو معنى بيت
 أبي الطيب المتقدم

وَأَعُوذُ قَاقُولُ مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسَعَهُ عَفْوُكَ
 (الشرح) التفت من الغيبة الى الخطاب متسائلا عن ذنبه الذي ضاقت

سمة العفو عن اغتفاره وهو استفهام انكارى معناه الجحد اى لا ذنب تضيق عنه
صاحه عفوكم

(المن) والجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمٌ

(الشرح) الجهل ضد العلم وهنا بمعنى السفه والخطا وقد جاء بهذا المعنى
فى مواضع من التنزيل كقول الله تعالى بل أنتم قوم تجهلون أى تسفهون وفى شعر
القدماء الاسلاميين كقول حسان ابن قيس الصحابى رضى الله عنه

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له بوارى تحى صقوه أن يكفوا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حلیم اذا ما أورد الامر اصدا
فقابل بين الحلم والجهل أى لا خير فى حلم ليست له بادرة من غضب أو
حدة تمنع من الاستهانة والتحقير ومنه ذل من لا سفیه له كما لا خير فى جهل لا
حلم به يورد الأمر ويصنره أى يجهل فى موضع الجهل ويحلم فى موضع الحلم
وهذا كعنى الآخر

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء قهوى فانى مقوم ومن شاء تعويجى فانى معوج
ويأتى من ورائه أى يقضى عليه والضمير للجهل يقال أتى عليه الدهر أى
أهلكه والمعنى ولا جهل لى يستعصى على حلمك القضاء عليه بالصنح والستر
(المن) (والتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَفْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ)

(الشرح) التطاول من الطول خلاف القصر قول طاوتى فطلتهأى علوته طولاً
كخاصنى فخصسته أى قهرته وغلبته ولم يستفرقه من التغريق وهو القتل وأصله
ان القابلة . كانت تغرق المولود فى ماء السلى حين ولادته عام القحط فيموت
فسمى التغريق قتلاً والتطاول من الطول والطائل بفتح الطاء المشددة وهو الفضل
والقدرة والمعنى لم أذنب ذنباً تقصر قدرتك عن تجاوزه وغفرانه

(المتن) (والتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ احْتِمَالُكَ)

(الشرح) التحامل تكليف الأمر على مشقة تقول تحامل عليه وبه أى تكلفه ويستعار الحمل معنوياً للوزر الذى يرتكبه المرء من المآثم فى الدنيا قال الله تملك (فإنه يحتمل يوم القيامة وزراً) أى إثمًا ولم يف من الوفاء ضد الغدر والاحتمال افتعال من الحمل وهو الحام تقول حمل عنه فهو حمول أى ذو حلم قيل للأحنف بن قيس انك لحليم فقال لم أكن حليماً ولكنى صبورٌ أى حمول والمعنى لم أحملك حملاً ينوء بحملك حملاً

(المتن) لَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَأَيِّنَ هَذَا أَوْ مُسِيئًا فَأَيِّنَ فَضْلُكَ

(الشرح) لا أخلوا أى لا ابرأ تقول أنا منك خلاء أى براء وخلاك ذم أى تيراً وسقط عنك الهم وأين سؤال عن مكان تقول أين زيد إذا سألت عن مكانه وحاصل المعنى لست أخلو من أحد أمرين إما أن أكون بريئاً فيما رُميت به وأما مسيئاً أى مذنباً فإن كان الأول فأين عدالك وإن كان الثانى فأين فضلك أى عفوك وفيه المقابلة بين البراءة والذنب والتقسيم البديعى (١) حيث قسم

(١) التقسيم فى اصطلاح البديعيين هو أن يورد المتكلم معانٍ ثم يحتاج الى شرح أحوالها أو بعبارة أخرى ذكر ك أشياء متعددة ثم ترجع الى بيان حالتها مثاله ما كتب به أحد العمال الى عامله : انك لا تخلو فى هربك من صارفك ان تكون قدمت اليه اساءة خفته معها أو اجترمت فى عمالك خيانة رهبت بكشفه اياك عنها فان كنت أسأت

(فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنةً من يسيرها)
 وان كنت خفت خيانة فلا بد من مطالبتك بها ومن قول زهير بن أبى سلمى
 فان الحق مقطعه ثلاث بين أو نثار أو جلاء
 فذلکم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء

البرائة والذنب الى العدل والعمو ولا تجد لها ثالثا والمعنى اطلب عدلك وعموك
في الحالتين (المن)

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبُ فَعَدْلِكَ وَاسِعٌ * أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ
الشرح إن حرف شرط مدغمة في لا النافية وقد تكون بنيران ادغام كما قال
ثابت قطنة

فان لا أقم فيكم خطيبا فاني بسيفي اذا جد الوعى لخطيب
والبيت مفسر لما تقدم وهو لأبي عبادة البحرى الشاعر من قصيدة بمدح
بها المتوكل على الله الخليفة العباسى ومطلعها

شوقى اليك تفيض منه الأدمع وجوى عليك تضيق عنه الاضلع
يستشفع اليه ليصم عن سماع كلام الوشاة فيه يقول فى أثنائها
انى وما قصد للحجيج ودونهم خرق نخب به الركب وتوضم
أصفيك أقصي الود غير مقلل ان كان أقصي الود عندك ينفع
وأراك أحسن من أراه وان بدا منك الصدود وبان وصلك أجمع
يعتادنى طربى اليك فيقتلى وجدى ويدعونى هواك فأتبع
ومنها

شرفاً نبي العباس ان أباكم عم النبي وعيصه المنفوع
إن الفضيلة للذي استسقى به عمر وشفع إذ غدا يستشفع
وأرى الخلافة وهى أعظم رتبة حقا لكم ووراة ما تنزع
أعطا كورها الله عن علم بكم والله يعطى من يشاء ويمنع
وهى طويلة الى قال مستشفعا

قسم الثلاث الاولى بالثلاث الثانية ومعنى ذلك ان يحلفوا انهم ما فعلوا أو
يتنافروا الى الحاكم ليحكم بينهم أو يكشفوا الامر حتى ينجلي وهو تقسيم جيد

هل يجلبنّ الى عطفك مَوْقِفٌ نَبَتٌ لَدَيْكَ أَقُولُ فِيهِ وَتَسْمَعُ
 مازال لي من حسن رأيك موثِلٌ آوَى إِلَيْهِ مِنَ الْخَطُوبِ وَمَفْرَعُ
 فَعَلَامَ انْكَرْتَ الصَّدِيقَ وَأَقْبَلْتُ نَحْوَى رِكَابِ الْكَاشِحِينَ تَطَلَّعُ
 وَأَقَامَ يَطْمَعُ فِي تَهْضُمِ جَانِبِي مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِيهِ يَطْمَعُ
 الْأَيُّ يَكُنْ ذَنْبُ فَعْدَلِكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَمَفُوكٌ أَوْسَعُ

والفظة المعوفى البيت الأخير أوقع في كلام البحري وابن زيدون أبدلها بلفظة
 (فضلك) أو ربما كانت الرواية كما قال ابن زيدون ولكني وجدت البيت في
 الديوان كما نقلته هنا

ذكر البحري الشاعر وبعض أخباره

البحري نسبة إلى جده بختري واسمه الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد
 ابن شلال بن جابر وينتهي نسبه إلى طيء ويكنى أبا عبادة شاعر مقلق فصيح اللسان
 حسن المنهب نقي الكلام مطبوع وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء
 فإن بضاعته فيه نزرّةٌ وجيده منه قليل وكان يتشبه بأبي تمام في شعره ويحذو
 حذوه ويراه صاحباً واماماً ويقدمه على نفسه ويقول في الفرق بينه وبين أبي تمام
 إن جيد أبي تمام خير من جيده ووسطه ورديته خير من وسط أبي تمام ورديته
 وقد جمع ديوان شعره فكان أكبر من ديوان أبي تمام والمتأمل فيه يرى أن
 الفاظه مصقولةٌ كالأشياء وحواشي نظمه مطرزةٌ كالثياب الموشاة وقلما يجد فيه
 كلماتٍ نافيةٌ أو معنى مبتدلاً بل هو السهل الممتنع والمورد الصافي يدخل إلى القلب
 فيعقله الفهم ويستلذه الطبع ولم أر من برز عليه في مدح الخلفاء والأمراء خاصة
 فكانه خلق للمديح أكثر مما خلق له من أنواع الشعر قال ابن خلكان ومولده
 بمَنبِجَ وقيل يزردنة قرية من قراها ونشأ وتخرج بها ثم خرج إلى العراق ومدح
 جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الأَكابر والرؤساء

وأقلم ببغداد دهرا طويلا ثم طاد الى الشام ويقال لشعره سلاسل الذهب وهو في الطبقة الأولى . قيل لأبي العلاء المبرى أى الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحرى أم المتنبي فقال أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحرى ولعمري ما أنصفه ابن الرومى فى قوله

والتمى البحرى يسرق ما قال ابن اوس فى المدح والنشيب
وقال صاحب الأغاني قيل للبحرئى يوما إن الناس يزعمون أنك أشعر من
أبى تمام فقال والله لا ينفعنى هذا القول ولا يضرب أبا تمام ولو ددت الأمر على ما قالوا
ولكنى والله تابع له أخذ منه نسيى يركد عند هوائه وأرضى تنخفض عند سمائه
وحدث عن نفسه فقال كان أول أمرى فى الشعر أنى صرت الى أبى تمام وهو
بمحص فعرضت عليه شعرى وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم فأقبل على
وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لى أنت أشعر من حضرنى فشكوت اليه خلة
فكتب لى الى أهل المرة كتابا يشهد لى بالحدق فى الشعر وقال لى امتدحهم
فصرت اليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا لى اربعة آلاف درهم فكان أول مال
أصبتة وقال أول ما رأيت ابا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف وقد
مدحته بقصيدتى التى اولها

أألق صب من هوى فافيقا أم خان عهدا أم اطاع شفيقا

فسر بها ابو سعيد وقال احسنت والله يا قتي واجدت قال وكان فى مجلسه رجل
نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده وتكاد ركبتة تمس ركبتة فأقبل على وقال
لى يا قتي أما تستحى منى هذا شعر لى تتحلله وتنشده بمحضرتى فقال ابو سعيد احقا
ماقول قال نعم وانما سمعه منى نسبتى به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد ا كثر
هذه القصيدة حتى شككت علم الله فى نفسى وبقيت متحيرا فأقبل الى ابو سعيد
وقال يا قتي قد كان فى تهربك الينا وودك ما يفتيك عن هذا فجعلت أحلف له ان

الشعر لي ما سبقني اليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحطه فلم ينفع ذلك شيئا واطرق
أبو سعيد وقطع بي حتى تمنيت اني سُخْتُ في الأرض فقامت منكسر البال أجر
رجلي فخرجت فها هو الا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني اليه فأقبل
عليّ الرجل وقال الشعر لك يا بني والله ما قلته قط ولا سمعته الا منك ولكنني
ظننت انك تماونت بموضعي فأقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة سابقة
بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكائرتي حتى عرقتي الأمير نسبك وموضعك ولوددت
أن لا تلد طائفة الا مثلك ودعاني وضمني اليه وأقبل يقرظني ولزمته بعد ذلك
قلت سبب التعارف هنا يخالف قوله السابق من أنه صار الى أبي تمام وهو بجمعه
وعرض عليه شعره وانه قال له انت اشعر من حضرتي فلعل هذا التعارف كان
سابقا لتعرفه به بجمعه فيستقيم الخبر ان والله اعلم فأما القصيدة التي مدح بها
ابا سعيد وذكرونا مطالعها فيقول في أبيات منها

غدت الجزيرة في جناب محمد	رياً الجناب مغاربا وشروقا
برقت مخايله لها وتخرقت	فيها عزالى جوده تخريقا
صفحت له عنها السنون وواجهت	اطرافها وجه الزمان طليقا
رفع الأمير ابو سعيد ذكرها	واقام فيها للمكارم سوقا
يستطرون يداً يفيض نوالها	فيغرق المحروم والمرزوقا
يقظ اذا اعترض الخطوب برأيه	ترك الجليل من الخطوب دقيقا
هلا سألت محمداً بمحمد	تجد الخبير الصادق المصدوقا
وسل الشراة فانهم اشقى به	من اهل موقان الاوائل موقا

وهي طويلة اجزأنا بهذا القدر منها ونقل صاحب خزنة الأدب عنه فقال
لما انقطعت الى أبي تمام وانكلت عليه في تعريف الشعر وطرقه قال لي يا أبا عبادة
تخير الأوقات وأنت قليل الهموم خال من الغنوم فان العادة اذا قصد الانسان

تأليف شيء أو حفظه فعليه أن يختار وقت السحر فإن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقلُ الغناء وصفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهواء وسكنت الأصوات ورق النسيم وإذا شرعت في التأليف فإن الغناء مضاره الذي يجري فيه واجتهد في إيضاح معانيه وأملك في النسيب مسلك الألفاظ الرقيقة والمعاني الرشيقة وأكثر من ذكر الصباية وتوجع الكتابة وقلق الأشواق ولوعة الفراق والتعلل باستنشاق النسائم وغناء الحمام والبروق اللامعة والنجوم الطالعة والتبرم من العزال والوقوف على الأطلال وإذا أخذت في مدح سيد فاشهر مناسبه وارهب عزائه ودرغب في مكارمه واحذر المجهول من المعاني وأياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديئة والألفاظ الوحشية وناسب بين الألفاظ والمعاني وكن كأنك خياطا يقدر الثياب على مقادير الاجسام وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الاوانت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة فان الشهوة تعينك على حسن النظم وجملته الحال أن تعتبر بما سلف من أشعار الماضين فما استحسنته فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه انتهى قال وانشدته يوما من شعري فتمثل بييت أوس بن حجر

إذا مقررٌ منادٍ را حذنا به
تخطأ فينا نابٌ آخر مقرر

ثم قال لي نعت الى والله نفسي قتلت أعينك بالله من هذا القول فقال عمرى ان يطول وقد نشأ في طيء مثلك أما علمت أن خالد بن صفوان رأي شيب بن شيبه وهو من رهطه يتكلم فقال يا بني إن احسانك في كلامك نعي الى نفسي لا أنا أهل بيت مانأ فينا خطيب قط الامات من قبله قتلت بل يبيك الله ويجعلني فداءك قال ومات ابوتام بعد هذا الحديث بسنة ومن شعر البحترى في مدح المتوكل على الله العباسي قوله من قصيدة يهنئه فيها بعيد الفطر بالرهصت وأنت أفضل هائم
وبسنة الله الرضية تظفر

فانعم بيوم الفطر حينما انه
 اظهرت عز الملك فيه بجعل
 قانليل تصهل والفوارس تدعى
 والارض خاشعة تמיד بنقلها
 والشمس مائة توقد بالضحى
 حتى طالمت بنور وجهك فانجالت
 الى أن قال

قلو أن مشتاقا تكاف غير ما
 صلوا ورايك آخذين بمصمة
 قاسم بمغفرة الآله فلم يزل

ومن شعره في وصف البركة وتخلصه
 يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
 بحسبها أنها في فضل رتبها
 ما بل درجة كالغيري تنافسها
 فلو تم بها بلقيس عن عرض
 تنصب فيها وفود الماء معجلة
 كأنما الفضة البيضاء مائلة
 إذا علتها الصبا أبدت لها حبا
 فحاجب الشمس أحيانا يضحكها
 إذا النجوم تراءت في جوانبها
 لا يبلغ السمك المحصور غايتها
 يعمن فيها بأوساط مجنحة

يوم أغر من الزمان مشهور
 لجب يحاط الدين فيه وينصر
 والبيض تلعب والاسنة تزهر
 والجو معتكر الجوانب أغبر
 طور او يطفئها العجاج الأكر
 تلك الدجى وأنجاب ذاك العنبر

في وسعه لسى اليك المنبر
 من زبهم وبندمة لا تخفر
 يهب الذنوب لمن يشاء ويففر

الى المدح باحسن الخالص
 والآفات اذا لاحت مغانيها
 قد واحدة والبحر ثانيها
 في الحسن طور او اطوارا تباها
 قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
 كالليل خارجة من جبل مجريها
 من السباتك تجري في مجاريها
 مثل الجواش مصقولا حواشيها
 ورقيق الفيث أحيانا ييا كيا
 ليلا حسبت مماء ركبت فيها
 لبعث ما بين قاصيها ودانيها
 كالطير تنقض في جوف خوافيها

لَمَنْ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسَافِلِهَا إِذَا انْحَطَطْنَ وَيَهُو فِي أَعَالِيهَا
تُغْفَى بِسَاتِنِهَا الْقُصُوفُ بِرُؤْيَتِهَا عَنِ السَّحَابِ مَتَحَلًّا عِزَالِيهَا
كَأَنَّهَا حِينَ جَلَّتْ فِي تَدَقُّعِهَا يَدُ الْخَلْقِ نَمَّا سَالٌ وَادِيهَا

ومن قوله يصف الزو وهي سفينة بناها المتوكل لنفسه

تَعَجِبْتُ مِنْ فِرْعَوْنَ إِذْ ظَنَّ أَنَّهُ أَلَهُ لِأَنَّ النَّيْلَ مِنْ تَحْتِهِ يَجْرِي
وَلَوْ شَاهَدَ الدُّنْيَا وَجَامِعَ مَلِكِهَا لَقَلَّ لَدَيْهِ مَا يُكَدَّرُ مِنْ مِصْرٍ
وَلَوْ بَصُرْتُ عَيْنَاهُ بِأَزْوٍ لِأَزْدَرِي حَقِيرِ الَّذِي نَالَتْ يَدَا مَنِ الْأُمْرِ
إِذَا لَرَأَى قَصْرًا عَلَى ظَهْرِ لُجَّةٍ بِرُوحٍ وَيَنْدُو فَوْقَ أَمْوَاجِهَا يَجْرِي
تَصَادُ الْوَحُوشُ فِي حَفَائِي طَرِيقَهُ وَتُسْتَنْزَلُ الطَّيْرُ الْعَوَالِي عَلَى قَسْرِ

ومن قوله يصف إيوان كسري من قصيدة طويلة

فَكَانَ الْجِرْمَاذُ مِنْ عَدَمِ الْأَنْسِ وَأَخْلَلَهُ بِنِيَّةٍ رَمَسَ
لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلْتَ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عَرَسِ
وَهُوَ يُنْبِتُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمِ لَا يَشَابُ الْبَيَانَ فِيهِمْ بَلْبَسِ
فَإِذَا مَرَّأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كَيْفَ ارْتَمَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفَرَسِ
وَالْمَنَابِيَا مَوَائِلٌ وَاتُوشِرُ وَأَنَّ يَزُجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفَسِ
الدَّرَفَسُ هُوَ الْعِلْمُ الْكَبِيرُ

وعراك الرجال بين يديه فِي خَفْوَتِ مَنْهُمْ وَإِفْخَاضِ جَرَسِ
مَنْ مُشَّحٌ يَهُوِي بِعَامِلِ رَمَحٍ وَمَلِيحٌ مِنَ السَّنَانِ بِتُرْسِ
تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَا لَمْ يَتَّبِعْ إِشَارَةَ خَرَسِ
وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنَدِ مِمَّا جَوَّبُ فِي جَنْبِ أَرَعْنَ جَلَسِ
وَكَأَنَّ الْوَفُودَ ضَاحِينَ حَسْرِي مِنْ وَقُوفٍ حَوْلَ الزَّحَامِ وَخَنَسِ
وَكَأَنَّ الْقِيَانَ وَسَطَ الْمُقَاصِي رَ يُرْجِنُ بَيْنَ حَوٍّ وَلُئْسِ

عَمَرَتْ لِلسُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ
وَمِنْ قَوْلِهِ مَرْتَجِزًا فِي وَصْفِ الْغَيْثِ

ذات ارتجاز بحنين الرعد
مسفوحة الدمع لغير وجد
ورقةٌ مثل زئير الأمد
جاءت بها ريح الصبا من نجد
فراحت الأرضُ بعيش رغدٍ
كأنما غداها في الوهد
ومن افتتاحه في التشبيب قوله

بُودِي لَوْ يَهْوَى الْعَزْلُ وَيَعْشَقُ
أَرَى خُلُقًا حَبِي لَمَوْءَ دَائِمًا
وَزَوْرًا أَتَانِي طَارِقًا فَحَسْبَتَهُ
أَقْسَمَ فِيهِ الظَّنَّ طَوْرًا مَكْذِبًا
فَلَوْ فَهِمَ النَّاسُ التَّلَاقِي وَحَسَنَهُ

وَمِنْ قَوْلِهِ أَيْضًا

لَيْسَ فِي الْعَاشِقِينَ أَنْقَصَ حِظًا
حَسُنَتْ لَيْلَةُ الْكُثَيْبِ فَكَانَتْ
ضَلَّ بَدْرُ السَّمَاءِ أَوْ كَادَمَا
اللَّوَاتِي يَنْظُرْنَ بِالنَّظَرِ الْفَا
يَتَبَسَّمْنَ مِنْ وَرَاءِ حَوَاشِي الْـ
وَيَسَارِقْنَ وَالرَّقِيبَ قَرِيبَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا مَدَحَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُهُ فِيهَا

بإفصاحه والبلاغة قوله

لَتَمَنَّنْتَ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى عَطَلَ النَّاسُ فَنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ
 فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَدَّ كَ امْرُؤٍ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ
 وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّاحِكُ حَكٌّ فِي رَوْنَقِ الرَّيِّحِ الْجَدِيدِ
 مَشْرُقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يَخُجُّ لَقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
 مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بَطُونُ الْقَرَاظِدِ سَ وَمَا تُحْمَلَتْ ظُهُورُ الْبَرِيدِ
 مُسْتَمِيلٌ سَمِعَ الطَّرُوبَ الْمَعْنَى عَنِ أَغَانِي مُخَارِقِ وَعَقِيدِ
 حَجِيجٌ تَخْرُسُ الْأَلْدَّ بِالْفَا ظَ فَرَادَى كَالْجَوْهَرِ الْمُدُودِ
 وَمَعَانٍ لَوْ فَصَلْتَهَا الْقَوَافِي هَجَنْتَ شَعْرَ جَرَّوَلٍ وَوَلِيدِ

وله في مدح مالك بن طوق من قصيدة مطلعها

رَحَلُوا فَايَةَ عِبْرَةٍ لَمْ تَسْكَبْ أَسْفَاً وَأَيَّ عَزِيمَةٍ لَمْ تَغْلَبْ

يَقُولُ فِي خَتَامِهَا يَمْدَحُهُ وَيَمْدَحُ قَوْمَهُ التَّغْلِبِيِّينَ وَيَصِفُهُمُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ
 وَمَتَى تَغَالَبَ فِي الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى بِالتَّغْلِبِيِّينَ الْأَكْكَارِمِ تَغْلَبِ
 قَوْمٌ إِذَا قِيلَ النَّجَاءُ فَهَالَهُمْ غَيْرَ الْخَفَائِظِ وَالرَّادَى مِنْ مَهْرَبِ
 حَصَّ التَّرِيكَ رَوْوَسَهُمْ فَرَوْوَسَهُمْ فِي مِثْلِ الْأَلَاءِ التَّرِيكَ الْمَذْهَبِ
 التَّرِيكَ الْبَيْضَةُ مِنَ الْحَدِيدِ تَلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ وَقَدْ تَشْبِيهَا بَيْضَةُ
 النَّعَامِ وَالْحَصَّ إِزَالَةُ شَعْرِ الرَّأْسِ يُقَالُ رَجُلٌ أَحْصَى أَيَّ قَلِيلِ شَعْرِ الرَّأْسِ

يَمشون تحت ظبي السيوف الي الردي
 يترأكون على الأسنه في الوغى
 ينسبك جود الغيث جودهم اذا
 حتى لو ان الجود خير في الورى
 مشى العطاش الى برود المشرب
 كالصبح قاض على نجوم النهب
 عثرت أكفهم بهام مجذب
 نسا لأصبح ينتمى في تغلب
 وله في الفخر قصيدة طويلة يذكر فيها مجد آباءه وأجداده يقول منها

(م - ١٢)

إن قومي قوم الشريف قديما
 وإذا ما عدت بجبي وعمرا
 وعبيداً ومُسهرًا وجدياً
 لم أدع من مناقب المجد ما يقف
 ذهبت طيبي بسابقة المجد
 معشر أمسكت حلومهم الأُر
 نزلوا كاهل الحجاز فأضحى
 فاذا قوت وائل وتميم
 ظل ولداً بنادون فخلا
 وحدبنا أبوة وجدودا
 وإباناً وعامرا والوليدا
 وتدولاً وبُحترًا وعتودا
 سنع من هم أن يكون مجيدا
 سد على العالمين بأسا وجودا
 ض وكادت من عزهم أن نميدا
 لهم سا كنوه طرا هبيدا
 كان ان كان حنظلاً وهبيدا
 مؤتياً أسكاه وطلحاً نضيدا

الطلح هنا الموز ونضيدا موضوعا بعضه فوق بعض

فاذا المحلُ جاء جاءوا سيولا
 بحسن الذكر عنهم والأحاديـ
 معشر يُنجزون بالخير والشـ
 عدلوا المصنّب من تهمامة أحلام
 ملكوا الأرض قبل ان تملك الأُر
 فهم قومٌ تبع خيراً قوم

ومن مرانته قوله في المتوكل على الله لما قتل وهي طويلة ومنها

ولم أنس وحش القصر اذ ريع سرّبه
 واذا صيح فيه بالرحيل فهتكت
 ووحشته حتى كأن لم يتم به
 كأن لم تبّت فيه الخلافة طلقة
 ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها
 واذا ذعرت اطلاؤه وجأكره
 على عجل أستاره ومثائره
 أنيس ولم تحسن لعين مناظره
 بشاشتها والمالك يُشرق زاهره
 وبهجتها والعيش غض مكاسره

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت . بهيبتها . أبوابه ومقاصره
 وابن عميد الناس في كل نوبة . تتوب وتاهى الدهر فيهم وأمره .
 وشعره كله من الطبقة الأولى ولم أقف له على شرح ويقال ان أبا العلاء
 المعري شرحه وصماه عبث الوليد كما هو مذكور في ترجمة ابي العلاء في كتاب
 سقط الزند ولم أقف عليه أيضا قلت وتسميته بعث الوليد يقصد به المدح لا الذم
 وان يكن العبث في اللغة اللعيب فاما اراد تلاعبه بالألفاظ والمعاني كما تقول سحرني
 زيد ببيانه والله اعلم وكانت ولادة البحري في سنة ٢٠٥ هـ ووفاته في سنة ٢٨٤
 وهو ابن ثمانين سنة تقريبا بمنهج بلده ومن ذريته حفيداه عبيد الله وابو عبادة
 وكانا رئيسين في زمانهما ومدحهما المتنبى فيمن مدح . انتهت اخباره

(المتن) حَنَانِيكَ قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبِّيَّ وَنَالَني مَاحَسِي بِهِ وَكَفِي

الشرح حنانيك مثني حنان وهي كلمة تَرَحُّمٍ اي اطلب حنانك مرة بعد مرة
 قاله طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي الذي قتله النعمان بن المنذر

ابامنذر كانت غرورا صحيفتي ولم أعطكم بالطوع . الى ولا عرضي

ابامنذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشراهنون من بعض

والسَّيْلُ ماسال من مياه الأمطار حتى فاض وزاد على الكفاية والزُّبِّيُّ جمع
 زُبْيَةٍ واصلها حفرة تحفر للأسد في مكان مرتفع ليقع فيها فاذا جاء السَّيْلُ غزيرا
 حتى وصل اليها قالوا بلغ السيل الزُّبِّيُّ اي جاء جارفا فصار مثلا يضرب لما جاوز
 الحد من كل شيء ومثله بلغت الدماء الثُّننَ والثُّننُ شَعرَاتٌ تخرج في مؤخر رُسْغِ
 الدَّابَّةِ وجاوز الحِزَامَ الطُّبِّيِّينَ والجمع طُبِّيٌّ وهو للحافر والسباع كالضرع لغيرها ومن
 كتاب عثمان بن عفان رضي الله عنه الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قوله
 أما بعد فقد بلغ السيلُ الزُّبِّيُّ وجاوز الحِزَامَ الطُّبِّيِّينَ (اي بلغ الشرنهايته) وطمع
 في من كان يضعف عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
ورأيت القوم لا يقصرون دون دمي فأقبل اليّ على احد امرّيك وكن لي أم
عليّ صديقا كنت أم عدوا

فان كنت ما كولا فكن خيرا آكل وإلا فأدركني ولما أمزق
وقوله نالني من النوال وهو العطاء وهنا بمعنى وصلني من المكروه تستعمل
في الخير والشر وما موصولة وصلتها قوله حسبي به وكفى والمعنى اطلب خانيتك
قد بلغت في عقوبتي وجاوزت الحد وكان ما وصلني من عذاب السجن ما كفايتي
وزاد علي الكفاية

(متن) وَمَا أَرَانِي إِلَّا لَوْ أَمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ فَأَيَّبْتُ وَاسْتَكْبَرْتُ
(الشرح) أي ولست أرى نفسي لعظم جرائمي إلا كأنني لو أمرت
بالسجود لأدم أيبت واستكبرت من الكبر بكسر الكاف وسكون الباء وهو
العظمة والتجبر ولو حرف امتناع لامتناع غيره وانما أراد بهذه الجملة وما يأتي
بعدها من الأمور الموجبة لارتكاب المآثم والخذلان انه لو وقع فيما وقع فيه
أولئك المخالفون لكان جرّمه عظيما وعقابه حقا ويظهر ان القصد من سوجه تلك
الجل متتالية بقوله أيبت واستكبرت وقلت وأمرت وعكفت الخ مما سيجي ببناء
ضمير المنكلم بعد المبالغة في استعطاف مولاه ليحمله على استصغار جرّمه بالقياس
اليها فيكف عن التماذي في عقوبته يريد انه لو نظر بحق وعدل لعلم ان ذنبه لا يماثل
واحدة من تلك الجرائم مع ان العقوبة تختمل ان تكون نكالا عن أية واحدة
منها وهذا من المجاز المشبه بالحقيقة لأن الحقيقة هي الاصل في الدلالة على المعنى
المشبه بها وقد أشار في هذه الجملة الى قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال المفسرون إن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق آدم أبا للبشر الأول أوحى إلى الأرض أني خالق منك خليفة فمنهم من يُطِيعني ومنهم من يعصيني فن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار فقالت الأرض أنخلق مني خلقا يكون للدار قال نعم فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة فبعث إليها عزرائيل ليأتيه بقبضة منها من أحرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتتها ليقبض منها قالت أعود بعزة الله الذي أرسلك أن تأخذ مني شيئا فقال لها أعود بعزته إن أعدى له أمرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عندها ومالها وحلها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها إلى السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت الأرض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأخلقن خلقا مما جئت به ولا سلاطنتك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ماشاء الله ثم أخرجها فمجنا طينا لازبا (أي مشتدا يلزق باليد) ثم حمأ مستونا (أي أسود منتنا) ثم صلصالا (أي جافا) ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة تراه وتعجب من صورته لأنهم لم يكونوا رأوا مثله فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تسخل ذلك الجسد فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد فقال الله عز وجل ادخليه كرهاً وستخرجين منه كرهاً فدخلت في يافوخه فوصلت إلى عينيه فجعل ينظر إلى سائر جسده طينا إلى أن وصلت إلى منخره فعطس فلما بلغت إلى لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي أول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمتك ربك ولما بلغت الركبتين هم ليقوم فلم يقدر فقال الله تعالى خالق الإنسان من عجل فلما بلغت الساقين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا وأحشاء وكساء الله لباساً يستر به وجعل

عقله في دماغه وصرامته في قلبه وشره في كليلته وغضبه في كبده ورغبته في رتته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من خلقه يسمع بعظم ويصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم ثم ركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء وطوله ستين ذراعاً ثم قال الله له اذهب إلى أهلك النمر من الملائكة فاسمع ما يمجونك به فانها تحينك وتحمية ذريتك فذهب اليهم وقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله ثم علم آدم اسماء الاشياء واسماء الملائكة وذلك لأن الملائكة قالوا ليخاق ربنا ماشاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وان خلق فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلاً ثم عرضهم على الملائكة ولم يقل عرضها لأن المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبّر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء فقال الله تعالى لهم اخبروني باسماء تلك الأشخاص ان كنتم كما تقولون لم يخلق الله خلقاً الا كنتم أفضل منه وأعلم فقالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم فقال الله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم وذلك لما ظهر عجزهم فأنبأهم بها فقال الله تعالى يا ملائكتي ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وما كان وما يكون وأعلم ما تبدون أي ما قلتمونه أتجعل فيها الآية وما كنتم تكتمون من قولكم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منا وقيل معنى وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية وحينئذ قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم ومعنى السجود هنا انحناء فقط لا وضع الجبهة على الأرض لأن السجود بمعناه المعروف لا يليق الا الله تعالى فسجدوا كلهم الا ابليس أبي واستكبر فسماه الله ابليس لأنه أنبَسَ من رحمة الله أي يش ويقال أنه كان يسى عزازيل بالسريانية والحرف بالعربية وكان من أكثر الملائكة عبادة فتارة يعبد الله في السماء وتارة في الأرض وكان رئيساً للملائكة

الذين اسكنهم الله الأرض بعد طرد الجن الذين أفسدوا فيها الى جزائر البحار
 وشعاب الجبال وأعطاه الله ملك الأرض وملك السما الدنيا وخزاة الجنة فدخله
 العجب وظن نفسه أكرم الملائكة عليه قيل كان ينظر الى آدم جوفاً قبل أن
 تنفخ فيه الروح فيقول هذا خلق لم يتمالك فأنا خير منه خلقتي ربي من فارو خلقه
 من طين قال المنسرون فهو أول من أخطأ في القياس لأن ما ألقى الى جوهر
 الطين زاد ونما وما ألقى الى جوهر النار اضمحل وتلاشى ثم قال ولئن فضله الله
 على لأعصينه ولئن فضلتى عليه لأهلكه فلما أمره الله بالسجود لآدم مع باقي
 الملائكة أبى وتعاضم لما سبق له في علم الله من الشقاوة فجزاه الله سبحانه وتعالى
 بالطرد من رحمته وسماه شيطانا وحكم عليه بالكفر نعوذ بالله من عجب النفس
 وغرورها انتهى

(المتن) وَقَالَ لِي نُوحٌ ارْكَبْ مَعَنَا فَكُلْتُ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ

(الشرح) يشير الى قصة نبي الله نوح عليه السلام وابنه الذي تخلف عن ركوب

السفينة معه حين وقوع الطوفان في قوله تعالى (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ
 مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ
 لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
 الْمُغْرَقِينَ)

ذكر نبي الله نوح ونسبه وقصته

هو نبي الله نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو نبي الله

ادريس عليه السلام بن يرد بن مهليل بن قينين بن ياتش بن شيث بن آدم
 عليه السلام أبي البشر الأول أول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وكان
 أبا البشر الثاني بعد آدم وأطول الأنبياء عمراً بعث الى قومه يدعوهم الى الايمان بالله
 وترك عبادة غيره فحوا من تسعمائة سنة وخمسين الا قليلا فكذبوه فأنذروهم وصبر

عليهم وتحمل أذاهم فما ازدادوا الا كفرا وحينئذ دعا الله عليهم فأوحى الله اليه أن لا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مفرقون وأمره أن يصنع فلما أي سفينة لنجاته عليها هو ومن معه من آمن به حين وقوع العذاب أي الطوفان فصنعها وهم يستخرون منه وحمل معه أهله وقومه المؤمنين ومن كل زوجين اثنين من الدواب والوحوش والطيور ونحو ذلك فلما جاء أمر الله وفار الماء من التنوير علي وجه الأرض ركب نوح السفينة فيمن معه وكان ابنه ويقال له يام وقيل كنعان في معزل عنه فناداه يا بني اركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين قال له ابنه ما أوى الى جيل يعصني من الماء أي يمنعني منه ولم يركب معه فقال له ابوه لا عاصم اليوم من أمر الله أي عذابه الا من رحم فينجيه من الفرق فلما تناهى الطوفان حال بينهما الموح فكان من المغرقين قل ابن عباس رضي الله عنه كان قوران الماء بالهند اما الشعبي فكان يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة والتنور هو الذي يُخْبَزُ فيه وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه هو وجه الأرض والله اعلم وقد اخبر الله عز وجل نوحا عليه السلام بأن ابنه ليس منه إنه عمل غير صالح وقد اغرقه الله مع قوم نوح الكافرين جزاء كفرهم وعصيانهم انتهى

(وَأَمْرَتْ بِبِنَاءِ صَرْحٍ لَعَلِّي أُطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)

(الشرح) يشير الى قوله تعالى (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) قال المفسرون فرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعاليق وفرعون هذا اسمه الوليد بن مصعب ابن الريان وعمر أكثر من اربعمائة سنة وكان يسوم بني اسرائيل سوء العذاب يذبح ابناءهم ويستحبي لساءهم أي يستبقيهم من الذبح فكانوا خوفا وخشاهة

والتَّوَلَّاهُمْ هُمُ الْعَبِيدُ وَالْأَمَاءُ فَأَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُنَجِّيَهُمْ مِنْهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 واهل دينه فبعث الله اليه موسى بن عمران نبيا

ذكر موسى بن عمران عليه السلام ونسبه وبعثه

هو نبي الله موسى بن عمران بن بصير بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه
 السلام وهو اسرائيل تركت باقى نسبه لشهرته وكان مولده بمصر وفي زمنه امر فرعون
 بقتل كل مولود يولد من بني اسرائيل والسبب في ذلك ان المنجمين اخبروه بقرب
 ظهور نبي منهم يسلبه ملكه ويتغلبه على سلطانه فلما ولد موسى عليه السلام خافت
 عليه أمه القتل وإراد الله سبحانه وتعالى ان يحفظه من فرعون ليعثه اليه نبيا فأوحى
 الله الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فآلقيه في اليم^(١) اي النهر فلما ولده
 وضعت في تابوت من خشب وألقته في نهر النيل فالتقطه جوارى آسية بنت
 مزاحم امرأة فرعون وأتت لها به وكانت سالحة فألقى الله الرحمة في قلبها عليه
 فأخذته وفرحت به ومنعت فرعون من قتله وطلبت له المراضع فلم يقبل ثدي واحدة
 منهن حتى أتت أمه فيمن أتين لرضاعه فلما عرضت عليه ثديها قبله وردّه الله
 اليها كما قال تعالى فرجعناك الى أمك كي تقر عينها وإنما سمى موسى لأنه وجد
 بين ماء وشجر والماء بالتبطينه اسمه مو والشجر شافنشاريبا لفرعون الى ان بلغ
 اشده ثم جنى جنابة وهي أنه قتل رجلا من القبط عدا على اسرائيل فاستنصره
 عليه فطلبه فرعون ففر الى ارض مدين بالشام قال سعيد بن جبیر رضي الله عنه
 بين مصر ومدين مسيرة ثمان ليالى فتزوج فيها بابنة شعيب عليه السلام واقام
 معها زمنا ثم سار بأهله قاصدا مصر فضل عن الطريق فاتاه الناموس وهو
 بالوادي المقدس وكلمه الله من طور سيناء وهو جبل قرب أيلة وقيل

(١) اليم اسم للبحر والبحر يطلق على البحر الملح وعلى كل نهر عظيم كالنيل والفرات
 قال عدى بن زيد العبادي (سره كثرة ما يملك والبحر مرضا والسدير) اي الفرات

جبل بالشام وهو المضاف إليه سيناء واكرمه الله بالرسالة الى فرعون واستوزر له اخاه هارون عليه السلام فذهبا الى فرعون وقالوا انا رسول ربك اليك فقال فرعون لموسى ومن ربك قال رب السموات والارض فكذب به وقال للملا من قومه ما علمت لكم من إله غيرى وقال لهامان وكان وزيره أوقد لى على الطين أى أطبخ لى الآجر واعمل لى منه صرحا أى قصرا عاليا وقيل منارة لى أطلع منه الى إله موسى أى أنظر اليه وأقف على حاله وانى لأظن موسى من الكاذبين قيل انه أول من اتخذ الآجر وبنى به والآجر الطين المحروق يضرب مربعا للبناء وهو اللبن ككتف وإبل فجمع هامان العمل والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء ثم طبخ الآجر والجص وهو ما يطل به البناء ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق واراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه ويقال كان يصمده راكبا على البرزون وهى دابة للركوب أطول من الحمار ودون البغل فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقت قطعة منه على عسكر فرعون قتلت منهم نحو ألف رجل ووقعت الثانية فى البحر والثالثة فى المغرب وابلى الله فرعون وقومه بالآيات التسع وأخذهم بالسنين فلم يؤمنوا الا ما كان من أمر السحرة الذين أبطل موسى سحرهم بصاه قلمهم آمنوا وصدقوا قتلهم فرعون ولما استكبر هو وجنوده ولم ينقادوا للحق نجازاهم الله سبحانه وتعالى بأن نبسهم فى اليم أى ألقاهم فى بحر القلزم وكان ذلك عاقبة الظالمين والقلزم كقنفذ يقال إنه اسم البلد المعروف الآن بالسويس بين مصر ومكة وهو منيا معروف واليه يضاف هذا البحر المسمى بالبحر الاحمر لأنه على ساحله أو لعله سى القلزم من القلزمة وهو الابتلاع كأنه يتلع راكبه والله أعلم

(المتن) وَكَفَّتْ عَلَى الْعَجَلِ

(الشرح) الاعتكاف في اللغة الاقبال على الشيء والمواظبة عليه أو حبس النفس على ملازمته ومنه الاعتكاف في المسجد للعبادة والمجمل ولد البقرة مادام له شهر ثم ينتقل عنه يشير الى قوله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا الآية) قال المفسرون هم بنو اسرائيل من قوم موسى عليه السلام الذين عبدوا العجل يعني اتخذوه الها قبل أن ذلك وقع منهم بعد انطلق موسى الى جبل طور سيناء الذي ناجى ربه وكانوا قبل هلاك فرعون استماروا من القبط حلبيهم ليتزينوا بها في يوم عيدهم فبقيت عندهم الى أن أهلك الله فرعون وجنوده فامتلكوها فلما أبطأ موسى عليهم في المناجاة جمع السامري تلك الحلي وكان رجلا منهم مطاعا فيهم واسمه موسى ابن ظفر فصاغها عجلا من ذهب وفضة في غياب موسى وجعله مجوقا ووضع في جوفه أنابيب بوضع مخصوص فاذا هبت الريح سمع له صوت كصوت البقر وقيل أن الله حوله لجا ودما والمفسر بن في ذلك أقوال اضر بنا عنا فكفوا عليه يعبدونه وقالوا لن نبرح عيه عا كفين حتى يرجع الينامرسي) فلما رجع من المناجاة وراهم يعبدونه غضب عليهم وذبح العجل أو حكه بالبرد وذراه في البحر وقد آخذهم الله سبحانه وتعالى بأن جعلهم بعدامة لاجماع لها ولا رابطة الى يوم القيامة وهذا معنى قوله تعالى سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا والله أعلم

(التين) واعتدت في السبت

(الشرح) الاعتداء والتعدى من العداء وهو الظلم والسبت يوم معلوم من أيام الاسبوع والمراد به سبت اليهود وكانوا يعظمونه وينقطعون فيه عن أعمالهم يشير الى قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قرة خاسنين) قال المفسرون هم اليهود في زمن نبي الله داود عليه السلام وذلك أن الله تعالى كان قد حرم عليهم صيد السمك يوم السبت وكانوا بقرية يقال

لها أئنة بالشام فكانوا لا يصطادونه في ذلك اليوم. وكانت الحيتان تظهر على وجه الماء في هذا اليوم آمنة مطمئنة لا يتعرض لها أحد وفي ذلك يقول الله تعالى (وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمُ الْآيَةُ) ثم وسوس لهم الشيطان فاحتلوا على صيده بأن احتفروا أنهارا بجانب البحر فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فتنساب إليها الأسماك في المدة من الليل إلى صباح الأحد بقوة الموج ولا تعود ثانية إلى البحر لعمق الأنهار المختفرة فيأتي أهل القرية ويأخذونها ثم زاد اعتداؤهم إلى أن استحلوا الصيد في السبت فسخم الله تعالى قردة خاسئين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وهو أمر تحويل وتكوين والمسح تحويل صورة إلى ما هو أقرب منها والقردة جمع قرد وهو الحيوان المعروف وذلك جزاء لهم لمخالفتهم أمر ربهم انتهى

(المتن) وَتَعَاطَيْتُ فَعَقَرْتُ

(الشرح) التعاطى التناول باليد والعقر ضرب قوائم البعير ونحوه بالسيف ولا يطلق في غير القوائم وربما قيل عقره إذا نحره يشير إلى قصته صالف بن قدار من عمود عافر ناقة صالح عليه السلام المذكور في قوله تعالى (إِنَّا نُرِي صَالِحًا إِذْ نَادَىٰ صَاحِبَهُمْ فَتَنَاهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا آلِهَتَهُمْ وَالَّذِينَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا أَن يَسْبِقُونَهُ فَاذْهَبْ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَانْتَبِهْ إِذْ يَسْبِقُونَهُ)

فَتَنَاهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْهُمْ وَأَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرِبَ مِمَّا كُنْتُمْ يَحْتَضِرُونَ فَتَنَاهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرًا إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) قال المفسرون هم عمود قوم نبي الله صالح عليه السلام

ذكر نبي الله صالح عليه السلام ونسبه وقصة عقرة الناقة

هو نبي الله صالح عليه السلام بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد ابن خادر بن عمود بن جابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقد تقدم ذكر

بأبي النسب في قصة نوح عليه السلام وكان قومه يسكنون الحجر إلى وادي القرى بين الحجاز والشام واتخذوا بيوتهم من الجبال نحتوها وجابوها أي قطعوها وجوفوها وكانوا طول الأعمار وفي سعة من معاشهم فلما بعث الله إليهم صالحا عليه السلام رسولا كانوا أطول الأعمار وقالوا أنتبئح بشر آدمياً مثلنا إنا أناني ضلال وسعر أي خطأ عن الصواب وجنون لأن السعير من السعار كغراب الجنون فلما كذبه قال الله تعالى سيطعون غدا من الكذاب الأشر والأشر البطر أي حين ينزل بهم العذاب فأرسل الله الناقة فتنة لهم أي محنة واختباراً وأمر نبيهم صالحاً أن يرتقبهم ويصبر على أذامهم وينبئهم أي يخبرهم أن الماء قسمة بينهم للناقة يوم تشرب فيه ولهم يوم يشربون فيه فإذا كان يوم الناقة حضروا لبئها فتكفيهم وتغنيهم عن الماء وإذا كان يومهم حضروا الماء فلا تحضر الناقة فلما أراد الله فتنهم كرهوا الناقة ولبنها وحرصوا أشقاهم وهو سالف بن قدار على عقريها وكان لها فصيل فتناولها بالسيف فمقرها قيل أقام على أطراف أصابع رجله ثم رفع يديه فضر بها فقتلها وغاب الفصيل عنهم فجازاهم الله سبحانه وتعالى بأن أرسل إليهم جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فكاتبوا كهشيم المحتظر والصيحة في اللغة رفع الصوت بأقصى الطاقة والهشيم المحتظر الشجر البالي الذي تذبذبه الرياح أي أي تطيرته وتذهب به والمعنى أنهم من شدة الصيحة صاروا كيبس الشجر إذا بلى وتحطم وذهبت به الريح كل مذهب لتكذيبهم انذار نبيهم صالح عليه السلام انتهى

(المن) وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت

(الشرح) النهر بالتحريك الماء الجاري المتسع وبالسكون مجرى الماء وقيل

معناها واحد أو هاتان والابتلاء الامتحان والاختبار من البلوى والبلية وطالوت اسم ملك من ملوك بني إسرائيل وهو الذي قاتل العملاقة وتملأ عليهم

وقتل ملكهم جالوت على يد داود عليه السلام بشير الى قوله تعالى (فَلَمَّا فَصَلَ
طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ اِنَّ اللّٰهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ بِيَّيَّ وَ مَنْ
لَمْ يَطْعَمَهُ فَاِنَّهُ مِنِّي اِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ اِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ
فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ الْآيَةُ .)

قال المفسرون لما مات نبي الله موسى بن عمران عليه السلام خلف من بعده
في بني اسرائيل يوشع بن نون من ولد يوسف بن يعقوب عليه السلام لأن أخاه
هارون مات قبله فخكم فيهم بالتوراة الى أن قبضه الله اليه ثم اعتقه كالب بن يوفنا
كذلك ويقال انه زوج مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام ثم حزقييل بن
بودى وحدثت فترة عظمت فيها الأحداث حتى نسوا عهد الله وعبدوا الأصنام
فبعث الله اليهم إيلياس بن ياسين من ولد هارون أخى موسى نبياً فجهد لهم ما نسوا
من التوراة وأمرهم بالعمل بالحكامها ثم مات وأخلفه اليسع بن أخطوب فكان فيهم
ما شاء الله ثم قبضه الله اليه فخلف من بعده خلوف عظمت فيها الخطايا وظهر لهم
عدو من العمالة وهو جالوت وقومه وكانوا يسكنون بحر الروم بين مصر وفلسطين
فطلبوهم على كثير من أرضهم وسبوا ذراريهم وأسروا من بنات ملوكهم عدة
وضربوا عليهم الجزية فكانوا في بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امورهم لأن
سبط النبوة هلكوا كلهم الا امرأة حبل فحبسوها فولدت غلاماً سمته أشمويل
بن بالى ومعناه بالعربية اسمايل وربى في بيت المقدس فلما بلغ أتاه جبريل عليه
السلام وقال له اذهب بأمر ربك الى قومك فبلغهم رسالته فقد بعثك فيهم نبياً
فذهب اليهم ودعاهم الى الايمان فكذبوه وقالوا استعجلت علينا بالنبوة فان كنت
صادقاً فابعث لنا ملكاً يقاتل معك في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام
بني اسرائيل . بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذى

يسير بالجموع للحرب والنبي يشير عليه ويأتيه بالخبر من ربه فقال لهم نبيهم اشبويل
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا من أين يكون له الملك وكيف يستحقه
ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لأن طالوت لم يكن من سبط الملوك
والملك يحتاج الى المال فقال لهم ان الله اصطفاه واختاره عليكم وخصه بالملك وزاده
بسطة أى فضيلة بالعلم أى علم الحرب والجسم لأنه كان طويلا جسيبا جميلا وقيل
المراد به القوة لأن العلم بالحروب والقوة على الاعداء فيه حفظ المملكة والله
يؤتى ملكه من يشاء وهو واسع الفضل وقال لهم ان آية ملكه أن يأتكم النابوت
فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون قبل كان النابوت من
خشب يضع فيه موسى التوراة ومتاعا من متاعه وقيل من ذهب وكان أنبياء
بنى اسرائيل يتوارثونه بعد موسى ويطمئنون به ويسكنون اليه ويحملونه معهم
الى أى مكان يذهبون اليه واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به
على عدوهم فلما عصوا وافسدوا وسلط الله عليهم العاقبة فغلبوهم على أمرهم كما مر
سلبوه منهم فيما سلبوا ثم أن العاقبة تشاءوا منه لما فى علم الله من ارادة رجوعه
الى بنى اسرائيل فأخرجوه عنهم ووضعوه فى أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل فلم
يرعهم الا والنابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى وكانت الملائكة تحمله أى
تسوقه حتى وضعت فى دار طالوت فأقروا بملكه لصدق نبيهم فيما أخبرهم به فلما
جاءهم النابوت تأهب طالوت للخروج الى الجهاد فأسرعوا لطاعته وخرجوا معه
ولما فصل أى خرج من بيت المقدس بالجنود وكانوا على ما يقال سبعين الفا أو أكثر
وكان مسيرهم فى حر شديد شكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وقالوا له ادع الله
أن يجرى لنا نهرنا نشرب منه فقال لهم ان الله مبتليكم بنهر ليتبين به طاعتكم
وهو اعلم بذلك فمن شرب منه فليس منى أى ليس من أهل دينى وطاعتى ومن لم
يطعمه أى ومن لم يذوقه فانه منى إلا من اغترف منه فرقة بيده فشربوا منه الا قليلا

منهم أي نحو ثلثماية وبضمة عشرة قيل أن هذا النهر كائن بين الأردن وفلسطين
فالذين اغترفوا بأيديهم كما أمروا كفهم الفرقة لشربهم وقوت قلوبهم فعبروا
النهر مع طالوت وقاتلوا جالوت وقومه وهزموهم بأذن الله وقتل داود جالوت
والذين شربوا من النهر وهم الأكثر من أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم
يروا وجبنوا عن التمسك بقوا على شط النهر لم يجاوزوه ولم يقاتلوا لمخالفتهم
أمر الله تعالى انتهى

(المن) وَقَدَّتْ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ

الشرح القود والقيادة والمقادة بمعنى وهو أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً
بقيادها ضد السوق والفيل الحيوان المعروف بأبرهة صاحبه وهو أبرهة بن الصباح
ابن يكسوم وقيل أبرهة الأشرم أبو يكسوم وكان كبير الحبشة بأرض اليمن من
قبل النجاشي ملك الحبشة واسم فيه محمود اهداه اليه النجاشي حين غزا البيت
الحرام بمكة

ذكر قصة أصحاب الفيل

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة أصحاب الفيل في قوله تعالى (الْم تَرَّ
كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ)
المفسرون إن أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل أوصياء النجاشي بنى كنيسة
صنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها حج العرب وكتب إلى النجاشي إنى
قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبنى ملك مثلها ولست منتبها حتى أصرف إليها حج
العرب فسمع بذلك رجل من بني كنانة ففرح إليها فدخلها ليلاً فقعدها فيها ولطخ
بالعنبرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب
من أهل ذلك البيت سمع الذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى
يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بهيله وكان له فيل يقال له

محمود وكان فيلا عظيما جسيما فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة
 وخرج معه بالفيل واثنى عشرة فيلا غيره ووقيل أكثر فسمعت العرب بذلك
 فأعظموه وראوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بن
 أطاعه من قومه قاتله فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال له أيها الملك استبقني فان
 استبقائي خير لك من قتلي فاستبقاه فأوثة وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار
 حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج له نقيس بن حبيب الخثعمي في قومه ومن
 اجتمع اليه من قبائل اليمن قاتلوه فهزموهم وأخذ نقيلا فقال نقيس ايها الملك اني دليل
 أرض العرب وهاتان يندأى على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج منه يده
 حتى اذا مر بالطائف خرج له مسعود بن غيث في رجال من تميم فقال ايها
 الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث
 معك من يدك عليه فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان
 بالنعيم مات ابرهة وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة من المعس رجلا من
 الحبشة يقال له الأسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالفارة على نعم الناس
 فجمع الأسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب ما يبي بعير ثم ان ابرهة بعث
 بجنازة الحميري الى اهل مكة فقال سل عن شريفها ثم ابلغه ما رسالك به اليه
 أخيره أني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت فأنطلق حتى دخل مكة
 فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لأخبرك انه لم يأت لقتال
 إنما جاء ليهدم هذا البيت ثم ينصرف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال
 ولا لنا به يد إنما سنخلى بينه وبين ما جاء اليه فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليليه
 ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بينه وحرمة وان يُخَلَّ بينه وبين ذلك فوالله
 ما لنا به قوة قال فأنطلق معي الى الملك فأردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض
 بنيه حتى قلم العسكر وكان ذو نفر مديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك

من غنّاء فيما نزل بنا فقال ما غنّاء رجل امير لا يأمن ان يُقتل بكرة او عشيا ولكن
سأبت الى انيس سائس الغيل فانه لي صديق فأسأله ان يصنع لك عند الملك
ما استطاع من خير ويعظم خطرَكَ ومنزلَكَ عنده فأرسل الى انيس فأناه فقال له
ان هذا سيّد قريش صاحب عينِ مكة يُطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس
الجبال وقد اصاب الملك له مايتي بعير فان استطعت ان تنفّعه عنده فانفّعه فانه صديق لي
فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيدُ قريشٍ وصاحبُ عينِ مكة
يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال يستأذن عليك وانا أحب ان
تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالفٍ عليك فأذن ابرهة له وكان
عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة أعظمه واكرمه وكره ان يجلس معه
على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه فدعاه واجلسه معه ثم قال
لترُجمانه قل له ما حاجتك فسأله الترجمان فقال حاجتي الى الملك ان يرُدّ علي مايتي
بعير اصابها لي فقال ابرهة لترُجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رأيتك ولقد
زهدتُ فيك قال ولم قال جئت الى بيت هو دينك ودين اباك وهو شرفكم
وعصمتكم لأهديه فلم تكلمني فيه وتكلمني في مايتي بعير أصبتها قال عبد المطلب
انا رب هذه الابل والبيت رب سيمنه قال ما كان ليمنه مني قال فأنت وذاك
فامر بابله فرُدّت اليه وقيل عرض عليه اموال تهامة ليرجع فأبى فلما رُدّت الابل
على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا
في رءوس الجبال تخوفاً عليهم من ممرّة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة
فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

يلربّ لا ارجو لهم سواكا ياربّ فلمنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عداكا أمنعهم ان يخربوا قراكا

وقال

لام ان المرء يمسح رحله فامنع حلاك
لا يغلبين صليهم ومخالهم عدواً محاك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالكم
عمدوا حماك بكيدهم جهلا ومارقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكم بدنا فآزر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح
أبرهة بالمخمس قد تهيأ للدخول وهياً جيشه وهياً فيله فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم
ثم أخذ بأذنه وقال أيرك محمود وارجع راشد من حيث جئت فانك في بلد الله
الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فوجهوه راجعا إلى
اليمن فقام مهرولا فوجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل
مثل ذلك فضربوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد
في الجبل فأرسل الله عليهم طيورا سوداً وقيل خضراً وقيل أيضاً أبايل أي جماعات
بكرة متفرقة يتبع بعضها بعضها من نواحي شتى فوجاً فوجاً زمرة زمرة أمام كل
فرقة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق وقيل أبايل كالابل
المؤبلة قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقال الكسائي للنحوي واحدها أبول
كعجول وعجاجيل وقال ابن عباس لما خرا طيم كخر اطم الطير واكف كأ كف الكلاب
ترميهم بحجارة عظيمة في الكثرة والفعل صغيرة في المقدار والحجم مع كل طائر
حجر في منقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحصاة فكان
الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل
وأما أبرهة فتساقطت أنامله كلها كلما سقطت أنملة اتبعها مدّة وقبح ودم فانتهى
إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير ومامات حتى انصدع أي أنشق صدره من قلبه
وافلّت وزيره أبو يكسوم وطائر يملق فوقه حتى بلغ النجاشي قصص عليه القصة

فلما أتمها وقع الحجر عليه نغراً ميتاً بين يديه وكانت تلك الحجاراة الصغيرة من مسجيل
 أى من طين متحجر مصنوع للعداب فى موضع هو فى غاية العلوّ وقول الله تعالى
 فجعلهم كعصف ماأكل أى كورق زرع أكلته الدواب فرائته فيبس وتفرقت
 اجزائه شبه تقطع أوصلهم بتفرق اجزاء الروث واختلفوا فى العصف المأكل
 فقال مجاهد العصف ورق الخنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة الحب اذا أكل
 وصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الخنطة
 كهيئة الغلاف له ويروى أن السبب الذى حمل ابرهة على الغزو لهدم البيت غير
 ذلك وهو أن فئة من قريش خرجوا تجاراً الى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر
 وثم بيعة للنصارى تسمى قريش الميكل واسمها القليس بناها ابرهة المذكور
 للنجاشي وكتب اليه بخبرها وماعزم عليه من صرف حج العرب اليها كما مر فلما
 نزلوا بجانبها أججوا ناراً واشتروا ثم ارتحلوا وتركوا النار كما هى فى يوم عاصف
 فهبت الريح وسأقت النار الى الهيكل فاضطرم ناراً فانطلق الصريح الى النجاشي
 فأسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة انتقاماً للبيعة وباقى السياق يتحدث فى
 المعنى مع تقدم ويقال انه بعد هلاك أصحاب الفيل وقائدهم ابرهة اقتسم عبد
 المطلب وأبو مسعود الثقفى وكانا صديقين أوالهم من الذهب والجواهر ووضعاه
 فى حفرتين لكل واحد حفرة ثم نادى عبد المطلب فى الناس فأصابو البقية وساد
 عبد المطلب بذلك قريشا فلم يزل هو وابو مسعود فى أهليهما فى غنى من ذلك
 المال ودفع الله عن الكعبة الأعداء وكانت الواقعة فى سنة ٥٧١ ميلادية وهى السنة التى
 ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوها تاريخاً لولده وعن عائشة رضى الله
 عنها قالت رأيت سائس الفيل وقائده أعمين مقعدين يستطعمان الناس وسأل
 عبد الملك بن مروان عتاب بن أسيد أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أسن منه ولد صلى الله عليه وسلم

طام الفيل وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يتكفنان الناس بل قيل لم يكن بمكة أحدا لارآهما لأن عائشة مع صغرها رأتهما قبلاً ولي أن يراهما من كان أكبر منها في ذلك الحين ولما رد الله سبحانه وتعالى الجبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم قال بعض العلماء وكانت هذه الحادثة إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله لأنها تؤكد لأمره وتمهيد لشأنه انتهى

(المتن) وعَاهَدَتْ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصُّحُفَةِ .

(الشرح) العهد العقد والموثق والخلق والوصية يقال تعاهد القوم وتواتقوا وتحالفوا وتواصوا اذا اجتمعوا على أمر بينهم وقريش اسم لبطون من العرب نزلوا البيت الحرام وحوله وعمروه وكلها تنسب لجد واحد لا تتجاوزة هو فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمه بن مدوكة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان كما في سلسلة النسب الشريف وكانت تدعى النضر بن كنانة وكانوا متفرقين فجمعهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر المتقسم ذكره ولذلك يقال لقصي مجعما ومن انتهى الشرف في الجاهلية فوصله بالأسلام عشرة رهط من عشرة ابطن وهم هاشم وأميه ونوفل وعبد الدار وأسد وتيم ومخزوم وعديّ وجمع وسهم فعامة قبائل قريش من ولد فهر كما قدمنا وهذه العشرة الأبطن المذكورة يطلق عليها قريش البطائح لأنهم نزلوا بطحاء مكة وما سواهم مثل كنانة واسد وغيرهما من قبائل هضر قريش الظواهر لأنهم نزلوا حول مكة وليست لهم وكان صلى الله عليه وسلم من رهط هاشم إحدى العشرة الأبطن المذكورة وفي الحديث الشريف أن الله أصطفى كنانة من بني اسماعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وانما سميت قريش قريشا لتجمعهم من القريش وهو التجميع وقيل لأنهم كانوا يتقرشون البيعات فيشترونها ومهنتهم التجارة أو لأن النضر

ابن كنانة اجتمع يوما في ثوبه قالوا تقرش قيل سأل معاوية عبد الله بن عباس رضي الله عنه لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه تمبث بالسفن ولا تطلق الا بالنار يقال لها القرش لانها لا تأكل بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تملى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وانشد شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين فلا تترك فيه لفي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب جمحي قريش يأكلون البلاد أكلا كيشا
ولهم آخر الزمان نبي يُكثِرُ القتل فيهم والخوشا

قلت وقد رأيت أهل ساحل البحر الأحمر يصطادون سمكا خشن الجلد وقفه شكل هلال تحت الحناك يسمونه القرش ويقولون انه يقرس الاسماك والانسان أو هو كالتمساح في نهر النيل اذا رأى السان في الماء يادر الى اقتراسه ويعافون لحمه الا بمض الناس من اهل اليمن فانهم لا يعافونه وقيل هو من تقرش الرجل اذا تزه عن مدانس الامور او من تمارشت الرماح اذا دخل بعضها في بعض وقوله على مافي الصحيفة . الصحيفة الكتاب وجمعها صحائف وصحف نادرة قال في القلموس لان فميلة لا يجمع على فُعل وقال في المصباح عن الزمخشري الصحيفة قطعة من جلد او قرطاس كُتِبَ فيه واذا نُسبَ اليها قيل صَحْفِيٌّ بفتح الحين ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ كما يُنسب الى حنيفة حنفيٌّ والى بجيلة بَجَلِيٌّ والمراد هنا الصحيفة التي كتبها كفار قريش في مقاطعة بني هاشم وبني المطلب لآثار النبي صلى الله عليه وسلم وقام بالدعوة ونذكر حكايتها مختصرة

ذِكْرُ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَهَا كِفَارُ قُرَيْشٍ فِي مَقَاتِعِ بَنِي هَاشِمٍ

قال اهل السير لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبث دعوته الى الايمان

بالله وترك عبادة الأصنام والأوثان اجتمع كفار قريش من أهل مكة وتماهدوا
 على مناوأة بني هاشم وبني المطلب ومهاجرتهم وقطع العلائق معهم واجموا على قتل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا افسد محمد علينا ابناءنا ولساءنا وقالوا قوموه
 خذوا مناديتهم مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وانفسكم فأبى قومه فعند
 ذلك اجمع رأيهم على مناوأة بني هاشم وبني المطلب والتضييق عليهم
 بمنعهم حضور الأسواق وعلى أن لا يأتوا كحومهم ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم
 بهم رافة حتى يسلموا محمد القتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في السكبة توكيدا
 على أنفسهم وكان اجتمعهم وتحالفهم في خيف بنو كنانة (والخيف ناحية خلف
 الجبل) بالأبطح (والابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى ويسمى محصبا وهو
 بأعلى مكة) فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكفرهم شعب أبي طالب
 وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش وظاهرهم
 على أهلهم وكان سن النبي صلى الله عليه وسلم حين دخولهم الشعب سنا وأربعين
 سنة فجهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكانوا اذا قسم العير مكة
 يأتي احدهم ليشتري شيئا يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا هاشم التجار غلوا أصحاب
 محمد حتى لا يدوكوا شيئا هكم قد علمت مالي ووقائي فيزيدون في السلعة اضافا
 فيرجع خائبا وأولاده يتضاغون أى يصيحون بالبكاء من الجوع ويضدوا التجار
 على أبي لهب فيرجمهم وكان دخولهم الشعب في هلال المحرم سنة سبع من النبوة
 وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا
 الى الحبشة ومكة بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب سنتين وقيل ثلاثا في أشد
 البلاء وضيق العيش وكان أبو طالب يخاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان يقتاله أحد من يريده بالسوء فيأمره أن يضطجع على الفراش فاذا نام الناس
 اقله وأمر أحد بنيه أو غيره أن يضطجع مكانه ثم اطلع الله رسوله على ان الأربعة

وهي سومة الخشب أكلت . فإني الصحيفة من الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة
الرحم وهي الصحيفة التي علقت في الكعبة فذكر ذلك لعمه أبي طالب فقال له
عمه ما كذبتنني تط فانطلق في عصابة من قومه ولبسوا أحسن لباسهم وخرجوا
إلى قريش فلما رأتهم ظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلوا محمدا للقتل فتكلم
مهم أبو طالب فقال جرت بيننا وبينكم أمور فأتوا بصحيفتكم التي فيها واثيقكم
فلعل يكون بيننا وبينكم صلحا وإنما قال ذلك خشية أن ينظروها قبل أن يأتوا بها
فلا يأتون بها فأتوا بها لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع إليهم
للقتل فوضعوها بينهم وقالوا لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا
وعلى أنفسكم فقال أبو طالب إنما أتيتكم في أمر فيه نصفة بيننا وبينكم إن ابن أخي
(يريد محمدا صلى الله عليه وسلم) أخبرني بأن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد بعث
الله إليها دابة لم تترك لفظا من الالفاظ المتضمنة للظلم والقطيعة إلا لحسته فإن كان
كما يقول نزعتم عن سوء رأيكم فينا وإن لم ترجعوا فوالله لأنسلم لكم محمدا حتى
تموت عن آخرنا وإن كان الذي يقول باطلا رفناه إليكم قالوا رضينا بالذي تقول
ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم فلما رأت
قريش ذلك قال أكثرهم هذا سحر ابن أخيك وزادهم بغيا وعدوانا فقال لهم
أبو طالب يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين لكم ظلمكم
وقطيعتكم لنا ثم انصرفوا إلى الشعب وعندئذ مشى خمسة من كفار قريش وهم
هشام بن عمرو بن الحرث وزهير بن أمية بن المغيرة والمطعم بن عدي وإبوالبختري
ابن هشام واسمه العاص وزمعة بن الأسود في قبض الصحيفة فقال زهير أنا
أبدؤكم فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال
يا أهل مكة أنا أكل الطعام ولبس الثياب وبنو هاشم لا يباعون ولا يبتاع منهم
والله لا أقصد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال أبو جهل كذبت لا تشق

قام زمعة فقال والله انت ا كذب مارضينا بكتابتها حين كُتبت وقال ابو البختري
 والمُطعمُ بن عدي صدقما والله وواقهم هشام بن عمرو فقال ابو جهل أمر قضي به
 ليلا وابطالب جالس في ناحية المسجد فقام المطعم الى الصحيفة فشقها ثم قاموا
 خمستهم ومعهم جماعة ولبسوا السلاح وخرجوا الى بنى هاشم وبنى المطلب في الشعب
 وامروهم بالخروج الى مساكنهم بمكة وكان كاتب الصحيفة على الارجح منصور
 ابن عكرمة فسلت يده انتهى

(المن) وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ

(الشرح) اَوَّلَ وَتَأَوَّلَ اَي فَسَّرَ وَمِنْهُ تَأْوِيلُ الرَّؤْيَا قَالِ ابُو هَلَالِ الْعَسْكَرِيُّ
 فِي كِتَابِ الْفُرُوقِ مَا نَصَّهُ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ اَنْ التَّفْسِيرَ هُوَ الْاِخْبَارُ عَنْ
 اَفْرَادِ اَحَادِ الْجُمْلَةِ وَالتَّأْوِيلُ الْاِخْبَارُ بِمَعْنَى الْكَلَامِ جُمْلَةً وَقِيلَ التَّفْسِيرُ اَفْرَادَ مَا يَنْظُمُهُ
 ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلُ اِخْبَارُ بِفَرْضِ التَّكْلِمْ وَقِيلَ اسْتِخْرَاجُ مَعْنَى الْكَلَامِ لِاعْلَى
 ظَاهِرِهِ بَلْ عَلَى وَجْهِ مَجَازٍ اَوْ حَقِيقَةٍ اَنْتَهَى وَالبَيْعَةُ مَصْدَرٌ بِاعِ الشَّيْءِ اِذَا اشْتَرَا ضِدُّهُ
 يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَعَاقِدِينَ اَنَّهُ بَائِعٌ وَالمَبْتَاعُ مَبِيعٌ عَلَى النِّقْصِ وَالمَبِيعُ عَلَى
 التَّمَامِ وَيَطْلُقُ البَيْعُ عَلَى الطَّاعَةِ وَمِنْهُ البَيْعَةُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَبِيعُ بِهَا أَصْحَابَهُ وَهِيَ الْمَرَادَةُ هُنَا وَالعَقَبَةُ طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ أَوْ إِلَيْهِ وَالمَرَادُ بِهَا
 الْعَقَبَةُ الَّتِي بَاعَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَزَرَجِيَّيْنَ بِمَكَّةَ وَهِيَ عَنْ
 يَسَارِ الطَّرِيقِ لِقَاصِدٍ مَنِ قَالَ الشَّيْخُ حَمْزَةَ فَتَحَ اللَّهُ رَحْمَةَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمَوَاهِبِ
 الْفَتْحِيَّةِ وَالعَقَبَةُ بَيْعَاتُهَا ثَلَاثٌ وَلَا يُعْلَمُ اِنْ اَحَدًا تَأَوَّلَ فِي اِحْدَاهَا فَيَنْبَغِي حَيْثُ
 تَأَوَّلَ كَلَامُ بَنِ زَيْنُونَ بَأَنَّ مَرَادَهُ لَوْ فَرَضَ اَنَّهُ بَعْدَ مَبَايَعَتِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَقَضَ البَيْعَةَ مَتَأَوَّلًا اَنْتَهَى كَلَامُهُ وَقَدْ قُتِلَ عَنِ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيُّ اَنَّهُ
 عَقَدَ فِصْلًا مَخْصُوصًا لِانْتِقَادِ ابْنِ زَيْدُونَ فِي شَرْحِهِ الْمَسْمُوعِ تَمَامِ الْمُتُونَ فِي اُمُورِ
 مِنْهَا قَوْلُهُ وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ وَزَعَمَتْ اَنْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فِلْتَةً وَتَخَلَّفَتْ

عن صلاة العصر في بني قريظة مع انه لم يتأول أحد في بيعة العقبة وان القائل في خلافة أبي بكر فإنة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلا يصح الانكار عليه وان الله لم يعاقب أحدا في التخلف عن صلاة العصر في بني قريظة ولذا فلا وجه لهرن ذلك بتخلف ابليس عن السجود لآدم ونحوه ومع احترامى لما نبه إليه الشيخ حزة وما أشار به الصلاح الصفدى أرى أن ما أشتهر عن ابن زيدون من قوة الادراك والتضلع في درس سير الغابرين وأخبارهم وامثالهم واستعماله أنواع المجاز في نظمه ونثره وقد كان من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة وواحد دهره في البلاغة لا يمكن أن يقال كان يجهل حديث العقبات الثلاث وان لا متأول فيها من أحد ويصعب في نظرى انه افتاد الى الخيال حتى اضطره الى ايراد شاهد مجازى ليس له شبيه أو نظير من الحقيقة فلذا لم يتأول أحد في بيعات العقبة كما قيل فليس لقوله (وتأولت في بيعة العقبة) معنى مجازى وقد قيل أن المجاز لا بد له من حقيقة لأنها الاصل في الدلالة على المعنى المراد وهذا ظاهر في سائر معانى هذه الرسالة التى حوت ذكر وقائع سلفت واذأ فلا بد من متأول ولا يشترط أن يكون المتأول من الاصحاب فاذا تقرر ذلك أقول انه أراد بالمتأول هنا إبليس لعنه الله حين صرخ من رأس العقبة قائلا يا أهل الأنخشب وهى الجبال هل لكم فى مذمم والصباة معهم عزموا على حربكم وفى رواية يامعشر قريش هذه الأوس والخزرج تحالف على قتالكم حتى سمعوا الأ نصار ففزعوا فقال لهم صلى الله عليه وسلم لا يرعكم هذا الصوت فإنا هو صوت أرب العقبة أو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد ممن يخافون ولا شك أن كلام هذا الملعون من المآثم التى يصح استشهاد ابن زيدون بها لأنه من التحريض على الشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقريش بمكة أشد الناس عداوة له ولم يقو الأ سلام وقتها وقد ذكر ابن هشام فى السيرة ان جلة منهم غدت على الخزرج فى صبيحة الليلة التى

بايعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة الثانية وقالوا لهم إنه قد بلغنا
أنكم بجاتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا
ووالله ما من حيٍّ من العرب ابغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم
ولولا أن بعضاً من مشركي الخزرج حلفوا لهم بالله ما كان من هذا شيء وقد صدقوا
لأن المبايعة كانت سرا لم يدخل فيها أحد من مشركيهم لتفاقم الشر وحدث
مالم محمد عقباه على أنه قد حدث بعدها القبيض على سعد بن عبادة رضى الله عنه
حينما نفر الناس من منى وتنطسوا الخبير (أى تحسسوا) ووجدوه قد كان فأخذوه
وأقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويحسبونه ويحسبونه إلى أن خلاصه الله
تعالى منهم وأبليس هذا هو الذى سبق له الآباء عن السجود لآدم وأول من ذكره
ابن زيدون في استشهاده فان قيل تأويل البيعة إنما يقع ممن بايع الرسول قلنا
ويقع ممن استمع وان لم يبايع لأن المستمع شريك المبايع في فهم الغرض فيجوز
لكليهما التأويل إذا اراد وقد علمنا من معانى التأويل أنه الاخبار بمعنى الكلام
بجملة أو استخراجها على غير ظاهره وأبليس إنما أخرجه بجملة وعلى غير ظاهره
المراد به هداية الخلق إلى دين قويم والتحالف على نصرته وقتال من يشرك بالله
أحداً وهو من علمنا عداوته لآدم وذريته إلى قيام الساعة فأما ما انتقده الصلاح
الصقدي على ابن زيدون في قوله وزعمت أن خلافة أبى بكر كانت فلتة وتختلف
عن صلاة العصر في بنى قريظة فستكلم عنهما في موضعها من هذا الكتاب بما
يخرج بهما إلى مراد ابن زيدون إن شاء الله وننقل هنا حديث العقبة الثانية
وما قيل فيه كما روت السيرة النبوية

ذكر مبايعة العقبة الثانية

قلوا لما هدى الله من هدى من الأوس والخزرج حينما ذهب مضعب بن
عمير مبشرة صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وعاد منها إلى مكة مع من خرج من

الأ نصار الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك واخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقابله بمن أسلم منهم سر صلى الله عليه وسلم بذلك وواعدوه ان يوافوه في الشعب الأيمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة ليبياعوه فأمرهم ان لا ينتهبوا ثيابا ولا ينتظروا غائبا فلما فرغوا من الحج وكانت الليلة التي واعدوه فيها وكانوا يكتمون على من معهم من قومهم المشركين أمرهم جاءوا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل يتسلل الرجل والرجلان حتى اجتمعوا في الشعب وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم اوسبقهم الى الشعب ومعه عمه العباس وابو بكر وعلى رضي الله عنهم فأوقف العباس عليا على قم الشعب وابابكر على قم الطريق الآخر فلما جلسوا كان اول من تكلم العباس فقال يا معشر الخزرج وكانت تطلق الخزرج على ما يشمل الأوس ان محمدا منا كما قد علمت وقد منعناه من قومنا فهو في عز ومنعة في بلده وقد أباي الانحياز اليكم واللحق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما نحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فن الآن فدعوه فقال البراء بن معرور انا والله لو كان في انفسنا غير ما نتطق به لقلناه اليكم ولكننا نريد الوفاء والصدق وبذل المهج دونه وقلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم وخذ لنفسك وربك ما احببت فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم فقال عبد الله بن رواحة فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع فاخذ البراء بن معرور يده صلى الله عليه وسلم ثم قال والنبي بعثك بلحق لمنعك مما تمنع منه زرادينا وفي رواية ازرنا فنحن والله اهل الحرب والحلقة وورثناها كابرأ عن كابر وينا البراء بكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو الهيثم بن التيهان قبله علي مصيبة المال وقتل الأشراف فقال

العباسُ أَخْفُوا جَرْمَكُمْ فَإِنَّ عَلَيْنَا عَيْونَنَا ثُمَّ قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْيَهُودِ حِيَالًا وَإِنَّا قَاطِعُوها فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ
أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا فَنَبْسِمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ بِلِ الدَّمِ الدَّمُ وَالْهَدْمُ
الْهَدْمُ^(١) يَعْنِي دَمِي دَمِكُمْ تَطْلِبُونَ دَمِي وَأَطْلِبُ دَمَكُمْ وَذَنبِي ذَنْبِكُمْ وَحَرْمَتِي حَرْمَتِكُمْ
وَإِنَّمَا مَنِي وَأَنَا مِنْكُمْ . أَحَارِبُ مِنْ حَارِبَتِكُمْ وَأَسَالِمُ مِنْ سَالِمَتِكُمْ وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ
الْعَبَّاسُ عَلَيْكُمْ بِمَا ذَكَرْتُمْ ذَمُّهُ اللَّهُ وَعَهْدُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ
يَدُ اللَّهِ فِي أَيْدِيكُمْ لَتَجِدُنَّ فِي نَصْرَتِهِ وَلِتَشْدُنَّ مِنْ أَرْزِهِ اللَّهُمَّ كُنْ لِابْنِ أَخِي شَهِيدًا ثُمَّ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَجُوا إِلَيَّ اثْنَيْ عَشْرَةَ تَقِيًّا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ
فَأَخْرَجُوا تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ فَالْخَزْرَجِيُّونَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنُ عَدَسٍ
وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنُ عَمْرِو وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ وَالْبَرَاءُ بْنُ
مَعْرُورٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَعَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَسَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ بْنِ
دَلَيْمٍ وَالْمُنْدَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُنَيْسٍ وَالْأَوْسِيُّونَ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ وَسَعْدُ بْنُ
خَيْشَمَةَ وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ أَنْتُمْ كِفْلَاءُ عَلَى قَوْمِكُمْ
كَكِفَالَةِ الْخَوَارِجِيِّينَ لَيْسَى بْنُ مَرْيَمٍ وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي يَعْنِي الْمُهَاجِرِينَ ثُمَّ تَوَاقَفُوا
عَلَى ذَلِكَ وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا إِنْ نَحْنُ قَضَيْنَا قَالَ رَضُوا بِاللَّهِ وَالْجَنَّةِ قَالُوا رَضِينَا
أَبْسَطُ يَدِكَ فَبَايَعَهُ الثَّلَاثَةُ وَالسَّبْعُونَ كُلَّهُمْ فَكَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ
وَالْأَسْوَدِ أَيْ الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ وَيُقَالُ لَهَا الْبَيْعَةُ الثَّانِيَةُ فَلَمَّا وَقَعَتْ صَرَخَ الشَّيْطَانُ
مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَشَدِّ صَوْتٍ وَأَبْعَدِهِ يَا أَهْلَ الْأَخَاشِبِ أَيِ الْجِبَالِ وَفِي رِوَايَةٍ
يَا أَهْلَ الْجَبَابِجِ (أَيِ الْمَنَازِلِ) هَلْ لَكُمْ فِي مَذْمٍ وَالصَّبَاةُ مَعَهُ (يَعْنِي بِمَذْمٍ مُحَمَّدًا
وَالصَّبَاةُ أَصْحَابُهُ وَالصَّبَابِيُّ الْخَارِجِيُّ مِنَ دِينِ إِلَى دِينٍ) فَاتَّهَمُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى حَرْبِكُمْ
فَفَزَعَتْ الْأَنْصَارُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَزْبُ الْعَقَبَةِ وَفِي رِوَايَةٍ

(١) وَقَدْ كَانَ هَذَا مَثَلًا يُضْرَبُ فِي اسْتِجْلَابِ مَنْفَعَةِ الْوَفَاقِ وَالْإِتِّحَادِ

صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه الأوس والخزرج تحالفوا على قتالكم ففرع الانصار عند ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرعكم هذا الصوت فإما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد من تحالفوا معه
(المتن) وتفرّت إلى العيرِ ببدْرٍ

الشرح النفر محرّكة جماعة الناس وبالسكون القوم ينفرون الى القتال للنصر والمدد ونفرتهم بالتشديد دعوتهم والعير القافلة التي تحمل المتجر من أي نوع كان قال بن قتيبة في أدب الكاتب . ويذهب الناس الى أن القافلة الرقعة في السفر ذاهبة كانت أوراجة وليس كذلك إنما القافلة الراجعة من السفر يقال قلت في قافلة ولا يقال لمن خرج من العراق الى مكة قافلة حتى يصدرونها انتهى وبدر موضع بين الحرمين الشريفين وهو الى المدينة أقرب وبينهما ثمانية وعشرون فرسخا وسمى بدرا لأن به بئرا حفرها رجل من جهينة يقال له بدر ابن قيس وقيل بن قريش بن بدر بن يخلد وبه سميت الوقعة الشهيرة بغزوة بدر الكبرى في أوائل الاسلام والذي استنفر الناس اليها من مكة أبو سفيان بن حرب والسبب في ذلك أنه كان قادما من الشام بعير قريش تحمل أموالها وبلغه أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري لينذهب الى مكة ويخبر قريشا بذلك لنجدته وكان من ذلك وقوع القتال بين كفار قريش وساداتها وبين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما سيجيء وهي التي كسر الله بها شوكة المعاندين من قريش وكبرائها وعز الله بها الاسلام وشرف بها كل من حضرها فعرفوا بالبدرين وقبل أن نذكر خبرها تأتي على ترجمة أبي سفيان صاحب العير

(ذكر أبي سفيان بن حرب وبعض أخباره)

أبو سفيان كنيته واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد

مناف ويلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جدته عبد مناف كان سيداً
من سادات قريش ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان أبوه حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار من أئمة العرب في الجاهلية
وآل حرب كانوا إذا ركبوا في قومهم قداموا في المواكب واخليات لهم صدور
المجالس إذا جلسوا وكان أبو سفيان صاحب العير يدير والعيش يوم احدوا الخندق
ومن أمثال العرب قول الشاعر

لست في العير يوم يمدون بالعير ولا في النفير يوم النفير
وكان يجهز التجار بأمواله وأموال قريش إلى أرض العجم إلى أن ظهر محمد
صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام فناواه وألب قريشاً عليه إلى أن كان
فتح مكة فأسلم وكان من حديث أسلافه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
سار إلى فتح مكة وقد انقطعت أخباره عن قريش بعد تقص المدة بينه وبينهم
في حديث طويل خرج يوماً أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون
الخبر فأقبلوا يسرون حتى أتوا مرة الظهر أن خارج مكة فاذا هم بنيران موقدة كأنها
نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذا فقال بديل هي نيران بني عمرو فقال أبو سفيان
عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم
ولخندوهم وأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه وفي رواية
أن العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا سفيان بالأراك
تخاف عليه القتل فأردفه معه على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
راكبها حتى مر به علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورآه عمر معه فقال عمر الحمد لله
الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد عمر رضي الله عنه نحو النبي صلى الله
عليه وسلم فسبته العباس بالبغلة ودخل بأبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما دخل عمر بعده قال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه

بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس يا رسول الله إني قد أجرته
 فلما أكره عمر فيه قل العباس مهلا يا عمر والله ما تصنع به هذا إلا انه رجل من بني
 عبد مناف ولو كان من بني عدى ما قلت هذا فقال عمر رضی الله عنه مهلا يا عباس
 فوالله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أعلم لأني أعلم
 أن اسلامك أحب الي رسول الله من اسلام الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 للعباس اذهب به فقد أمناه حتى تغدو به على الغداة فرجع به العباس الى منزله فلما
 أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قل ويحك يا أبا سفيان ألم يأن
 لك أن تعلم أنه لا إله الا الله قل فتشهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس
 انصرف يا عباس فاحتبس عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله فقال
 العباس يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فأجل له شيئا يكون في قومه
 فقال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن
 ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فخرج به العباس فأجلسه عند خطم الجبل فمرت
 به القبائل سلمت وأسلم وجهية فكان كلما سأل عنهم وأجابه العباس يقول مالي
 وهؤلاء حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء كتيبة من المهاجرين
 والأنصار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فقال أبو سفيان من هؤلاء فقال
 العباس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار فقال يا أبا الفضل
 لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال له العباس ويحك أنها النبوة فالحق بقومك فحذرهم
 فخرج سرعيا حتى أتى مكة وصرخ في المسجد قائلا يا مشر قريش هذا محمد قد جاءكم
 بما لا قبل لكم به قالوا فمه قل من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد
 الحرام فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن وقد بقي أبو سفيان الى أن أدرك خلافة
 عثمان بن عفان رضی الله عنه ويقال أن إحدى عينيه فقئت بالطائف فصار أعور
 الى أن كان يوم البرموك فقئت عينه الأخرى ودخل على عثمان رضی الله عنه

وهو مكفوف فقال له هل علينا عينٌ قال لا فقال يا عثمان إن الأمر أمرٌ علية
والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بنى أمية فزجره عثمان رضى الله عنه ودخل
مرة قبل ذلك على على بن أبى طالب فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه
فقال يا أبا الحسن ما بال هذا الأمر فى أضعف قريش وأقلها يعنى تبا فوالله لئن شئت
لأملأتها عليهم خيلا ورجلا فقال له على يا أبا سفيان ظلما هاديت الله ورسوله
والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئا إنا وجدنا أبا بكرٍ أهلا لها يعنى الخلافة وفى ذلك
يقول أبو سفيان

وأضحت قريش بعد عز ومنعة خضوعا لتيم لا بضرب القواضب
فيالهف قسى بالذى ظفرت به ومازالا منها قاتزا بالرغائب

ودخل مرة على عثمان أيضا عقب خلافته فقال يا معشر بنى أمية إن الخلافة صارت
فى تيمٍ وعدى حتى طمعتا فيها ولقد صارت اليكم فتلقفوها تلف الكرة فوالله
ما من جنة ولا نار أو نحو ذلك فصاح به عثمان فعل الله بك وفعل وقد نُقِلَ عنه
حديثٌ لا بأس بذكره هنا رواه ابن عباس رضى الله عنه وذكره البخارى فى
باب كيف كان بدء الوحي قال ان هرقل أرسل فى ركب من قريش وكانوا
تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان
وكفار قريش فاتوه وهم بأيلياء فدعاهم الى مجلسه وحوله عظماء الروم ودعا ترجمانه
فقال سلمهم أيهم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم انه نبيٌ قال أبو سفيان قلت
أنا أقربهم نسبا فقال أدنوه منى وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه
قل لهم انى سائل هذا عن الرجل فان كذبتى فكذبوه قل فوالله لولا الحياء
من أن يؤثروا على كذبا لكذبت عليه ثم كان أول ما سألنى عنه ان قال
كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط
قبله قلت لا قال فهل كان من آباءه من ملك قلت لا قال فأشرف الناس يتبعونه

أم ضَعَفَاؤُهُمْ قَلتْ بِلِ ضَعَفَاؤِهِمْ قَالِ أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْتَقِصُونَ قَلتْ بِلِ يَزِيدُونَ قَالِ
 فَهَلِ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدِ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قَلتْ لَا قَالِ فَهَلِ كُنْتُمْ
 تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالِ قَلتْ لَا قَالِ فَهَلِ يَغْدُرُ قَلتْ لَا وَنَحْنُ فِي
 مَدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعْلُ فِيهَا قَالِ وَلَمْ تَمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ
 قَالِ فَهَلِ قَاتَلْتُمُوهُ قَلتْ نَعَمْ قَالِ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ قَلتْ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ
 صِجَالِ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالِ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قَلتْ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا
 بِهِ شَيْئًا وَاتْرِكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعِنَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالِ
 لِلرَّجْمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ
 تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلِ قَالِ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قَالِ
 كَانَ أَحَدٌ قَالِ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقَلتْ رَجُلٌ يَتَأَمَّنِي بِقَوْلِ قَيْلِ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلِ
 كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قَلتْ فُلُو كَانِ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ لَقَلتْ رَجُلٌ
 يَطْلُبُ مَلِكًا أَيْبَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلِ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالِ
 فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِيفَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذِرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى
 اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافَ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنْ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ
 اتِّبَاعُ الرَّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْتَقِصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ
 الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيْرَتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا
 وَكَذَلِكَ الْإِيمَانِ حِينَ تَخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلِ يَغْدُرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا
 وَكَذَلِكَ الرَّسُلِ لَا تَغْدُرُ وَسَأَلْتُكَ بِمِ يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ
 وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبَيْنَهُمْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ
 وَالْعِنَافِ فَإِنَّ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَيَسِيْلُكَ مَوْضِعُ قَدَمِي هَاتِينَ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ
 خَارِجٌ لَمْ أَظُنْ أَنَّهُ مِنْكُمْ فُلُو أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصْتُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ
 عِنْدَهُ لَتَسَلَّمْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَاءَ

به دِحْيَةَ إِلَيْهِ قَرَأَهُ فَذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى
 هَرَقْلَ عَظِيمِ الرُّمِّ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَأَيُّ أَدْعَاكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ
 أَسَلِمَ تُسَلِّمُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ قُلْتُ قُلْتُ فَمَنْ عَلَيْكَ إِثْمُ الْبَرِّيِّينَ (١) وَيَأْهَلُ
 الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
 يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. قَالَ
 أَبُو سَفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالُوا فَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ
 الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا قَهْلًا لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمَرَ (٢) أَمْرُ ابْنِ أَبِي
 كَبْشَةَ (٣) أَنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ نَبِيِّ الْأَصْفَرِ فَارْتَلَمَتْ مَوْقِنَا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى ادْخَلَ اللَّهُ
 عَلَيَّ الْإِسْلَامَ أَنْتَهَى الْحَدِيثَ وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَكَانَ إِسْلَامُهُ فِي
 أَوَّلِ الْأُمْرِ ظَاهِرًا حَيْثُ قَالَ حَتَّى ادْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَقُلْ فِي قَلْبِي وَقَالَ
 الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَقُلْ الْإِيمَانَ وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ
 وَاسْمُهَا رَمْلَةٌ زَوْجُهُ أَيُّهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهِيَ بَارِضُ الْحَبَشَةِ وَأَصْدَقُهَا
 النَّجَاشِيُّ مِنْ مَالِهِ أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارًا وَأَبُوهَا يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ وَلَمَّا قِيلَ لَهُ إِنَّ مُحَمَّدًا نَكَحَ
 ابْنَتَكَ قَالَ ذَلِكَ الْفُضْلُ لَا يُقْدَحُ أَنَّهُ وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ فِي امْتَالِهِ لَا يُقْدَحُ أَنَّهُ وَهُوَ
 مِثْلُ يَضْرِبُ لِلشَّرِيفِ لَا يُرَدُّ عَنْ مِصَاهِرَةٍ وَمِوَاصِلَةٍ وَالْقَدْحُ فِي قَوْلِ الْمِيدَانِيِّ
 الْكُفُّ وَالْفَرْقُ فِي الْمَعْنَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَدْحِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يُجَلُّهُ وَمَزَحَ أَبُو سَفْيَانَ مَعَهُ وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ حَبِيبَةَ فَقَالَ لَهُ وَاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا أَنَّ
 تَرَكْتِكَ الْعَرَبُ فَمَا انْتَطَحَتْ جَمَاءٌ وَلَا ذَاتُ قُرْنٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَضْحَكُ وَيَقُولُ أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبُو سَفْيَانَ وَكَانَ مِضْيَافًا كَرِيمًا وَخَبَارَهُ كَثِيرَةٌ

(١) البرييين جمع أرييس وهو الأكر أو الزراع والفلاح وهم نصارى

والمعنى عليك اثم قومك (٢) كثر واشتد وزاد تعب (٣) يريد محمد صلى الله عليه وسلم .

اجتزأنا بهذا القدر منها ومات بالشام في خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ثلاثين هجرية وهو ابن ثمان وثمانين سنة انتهت اخباره وندكر خبر وقعة بدر التي اشار اليها ابن زيدون

ذكر غزوة بدر الكبرى

قال أهل السير لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام بعير قريش وفيها أموالهم نذب المسلمين للحرب وقال هذه عير قريش وفيها أموالهم فالخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها أى تكون لكم غنيمة فنخف بعضهم وتناقل آخرون لأنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقى حرباً وهي التي أنزل الله فيها قوله (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ظهره حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر غائباً فلما دنا أبو سفيان من أرض الحجاز وسمع الخبر وكان متخوفاً على العير من محمد وأصحابه استأجر ضمضم بن عمرو الفخاري ليأتي مكة يستنفر قريشاً للحرب فخرج ضمضم مسرعاً الى مكة حتى اذا كان ببطن الوادي صرخ بأعلى صوته قائلاً يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة^(١) أى أدركوا العير فان محمداً قد عرض لها في أصحابه لا أرى أن تدركوها فنفروا اليها سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش الا أبو لهب ومن لم يستطع أرسل أحداً غيره وأرسل أبو لهب العاص بن هشام ابن المغيرة بدله وكان عدة من خرج تسعمائة وخمسين رجلاً وقيل أكثر ومن اخطيئة مائة فرس مدرعة سوى دروع المشاة فخرجوا على الصعب والذلول ومعهم القيان للغناء وضرب الدفوف حتى اذا كانوا وراء الكثيب العقنقل بالعدوة القصوى أى المكان المرتفع من الوادي وهو بدر اتصل خبرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه هذه مكة قد رمت اليكم بأفلاذ كبدها يعنى تجمعت رجالاً بها الحربكم

(١) اللطيمة الأبل تحمل العطر والبز أى الثياب ولا تكون لغير ذلك

واستخلاص غيرها منكم وقد تقدم أبو سفيان بالخير حتى ورد الماء بيدر فلما أتاه
 الخير صرف وجهه عن الطريق وترك يدرا يساراً وأقبلت قريش قزلت
 بلحفة وهو موضع بين مكة والمدينة وبينها وبين مكة اثنان وثمانون ميلاً تقريباً
 وكانت قرية جامعة وتسمى مهبة وإنما سميت بالحفة لأن ميلاً غزيراً اجتمعها
 فأزال عنها أهلها ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره ونجاها أرسل إلى قريش
 إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام والله
 لا نرجع حتى نرد يدرا (وكان يدور موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل
 عام فنحرو الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا تزال
 تنابنا أبداً وفي ذلك يقول الله عز وجل فيهم ولا تكونوا (كالدِّينِ خَرَجُوا مِنْ
 دِيَارِهِمْ بَطَرًا أَوْ رَمَاءَ النَّاسِ) فأشار الأحنس بن شريق التقيُّ على بنى زهرة
 وكان مطاعاً فيهم بالرجوع إلى مكة كفا عن القتال في غير ضيعة فرجعوا ولم يشهدوا
 الوقعة ومضى القوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل بأصحابه قريباً
 من يدرا حتى حاذى ماء من مياهها فنزل به فأشار عليه الحباب بن المنذر وكان
 ذا رأى أن ينهض بالناس من هذا المكان إذ لم يكن يصلح للنزول فنهض صلى
 الله عليه وسلم بالناس حتى أتوا أدنى ماء من القوم فنزلوه وغروروا ما سواه أي دفنوه
 ثم بنوا حوضاً على القليب أي البئر وملئوه ماء وبنوا لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم حريشاً يقبى الشمس وقد ارتحلت قريش وأقبلت فلما رآها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم تصوب من المقفل قال اللهم هدى قريش قد أقبلت بخيلاً بها
 وفخرها تجادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم فأحنهم الغداة
 ويادر الحوض حوض رسول الله نفر من قريش يقتحمونه فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دعوهم فما شرب منهم أحد الا قتل فكان كما قال والتحم القتال وحى
 الوطيس وأنزل الله نصره على نبيه فهزم المشركين وبدد شملهم وقتل من سادات

قريش وصناديدهم زهاء السبعين وأسر مثلهم ومن قتل يومئذ عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وابنه الوليد والاسود بن عبد الاسد المخزومي وهو يقتحم الحوض ليشرب منه وأبوجهل بن هشام وكان اشد قريش تحريضا للناس على أن لا يرجعوا الى مكة بعد نجاة العير وقد ارتجز وهو يقاتل

ما تَنَقَّمُ الحَرْبُ العَوَانُ مِنِّي بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثُ سَنِيٍّ لِمِثْلِ هَذَا وَكَدَّتْنِي أُمِّي وَقَتْلُ أَيْضًا أَبُو البَخْتَرِيِّ بِجَاءِ مَعْجَمَةٍ وَاسْمُهُ العَاصِ بْنِ هِشَامٍ وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى أَنْ لَا يُقْتَلَ إِذَا ظَفَرَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُبْلَغُهُ عَنْهُ شَيْئًا يَكْرَهُهُ وَلَا تَنْهَى عَنْهُ فِي تَقْضِ الصَّحِيفَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبَرَهَا فِيهَا مَضَى وَلَكِنَّهُ أَبِي إِنْ يَسْتَأْذِنُ إِذَا أَخْلَى زَمِيلَهُ جُنَادَةَ بْنَ زَهْرٍ ابْنَ مَلِيحَةَ مِنَ القَتْلِ فَأَبَوْا عَلَيْهِ قَاتِلَهُمُ القَتْلَةَ المُجَدَّرُ بْنُ زِيَادٍ وَمَا بَرَزَ أَبُو البَخْتَرِيِّ لِلْقِتَالِ ارْتِجَزَ يَقُولُ

لَنْ يَسْلَمَ ابْنُ حِرَّةَ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

وَقَتْلُ أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَابْنَهُ عَلِيَّ وَزَمِعَةَ بْنَ الاسودِ والحَرْثِ ابْنَهُ وَعَقِيلَ بْنَ الاسودِ بْنِ المَطْلَبِ وَغَيْرَهُمْ فَأَوْدَعُوا بَطْنَ القَلْبِيبِ وَمَنْ أَمَرَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المَطْلَبِ عَمَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيطٍ وَسَهْلُ بْنُ عَمْرٍو وَابُو العَاصِ ابْنُ الرِّيعِ زَوْجُ زَيْنَبِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَاحْتِلَالِهِ النَّبِيِّ فِي الإِسْلَامِ بَعْدَ ذَلِكَ وَالنَّضْرُ بْنُ الحَرْثِ بْنِ كَلْدَةَ ثُمَّ قَتَلَ عَقْبَةَ بَعْدَ صَبْرٍ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرْقِ الظُّبَيْيَةِ (وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسْتَتَلُّ فِيهَا) لِكُفْرِهِ وَفِاقِهِ وَكَذَلِكَ قَتَلَ النَّضْرُ بْنُ الحَرْثِ بْنِ كَلْدَةَ بِالصَّفْرَاءِ صَبْرًا وَالصَّفْرَاءُ وَادِيَيْنِ الحَرَمَيْنِ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ بِالأَثِيلِ بِأَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يَقُولُ فَرْتَهُ لِحْتِهِ قَبِيلَةَ بِنْتِ الحَرْثِ بِأَبْيَاتٍ مُؤَثِّرَةٌ آثَرْنَا قَلْبَ بَعْضِهَا قَالَتْ يَارَا كَبَا إِنَّ الأَثِيلَ مِظَنَةٌ مِنْ صَبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مَوْفِقٌ

أبلغ بها ميتا بأن نحيبة
 مني اليك وعبرة مسفوحة
 هل يسمعي النضر إن ناديت
 أمحمد ياخير ضنء كريمة
 ما كان ضرك لو مننت وربما
 الى أن قالت في ختامها

ظلت سيوف نبي أبيه تنوشه
 الله أرحام هناك تشقى
 صبوا يقاد الى المنية متعبا
 رسف المقيد وهو عان موق

فيقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بلغني هذا الشعر قبل موته
 لمننت عليه ومات من الصحابة رضوان الله عليهم ستة من المهاجرين منهم عبيدة
 ابن الحرث بن المطلب وعمير بن ابي وقاص وثمانية من الانصار منهم سعد بن
 خيثمة وديسر بن عبد المنذر رحمهم الله جميعا ونقل النبي صلى الله عليه وسلم
 كل أمرىء ما أصاب من الغنيمة وأتى الصائح مكة بمن قتل وأمر قامت النوائح
 في بيوتها حزنا عليهم وكانت عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثماية
 وأربعة عشر رجلا كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا النهر معه ثلاثة وثمانين
 من المهاجرين وواحدا وثلاثين ومائتين من الانصار من الخزرج والاوز ولم يشهد
 الوقعة عثمان بن عفان رضى الله عنه تخلف بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لمرضه بالجدي وقيل لتمريض رقية زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 له النبي لك أجر رجل وسهمه وتخلف آخرون من أصحابه بجهة يقال لها يئر أبي
 بكية بأمره صلى الله عليه وسلم أما لصغر سنهم أو لاعدار أخرى وكان خروج
 النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة في رمضان لثلاث ليال خلون منه على رأس
 تسعة عشر شهرا للهجرة والوقعة لثلاث بقين منه ومما قيل فيها من الشعر قول

حسان بن ثابت ضى الله عنه يعبر الحارث بن هشام بفراره من الزحف من
قصيد مطلعها

تبكت فؤادك في المنام خريذةً تسقى الضجيع بيارد بسام
يقول في أبيات منها

زعمت بأن المرء يكرُب عمره عدمٌ لمعتكر من الاصرام
ان كنتِ كاذبةً التي حدتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجى برأس طيرة ولجام
ينذرُ العناجيج الجياد بقفرة مرّ الدموك بمحصد ورجام
فلماسع الحارث بها أجابه يقول

الله يعلم ما تركتُ قبالم حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا أقتل ولا يضرُّ عدوى مشهدى
وشيمت ربح الموت من تلقائهم فى مازق وانخليل لم تبدد
ففررت منهم والأحبة فيهم طمعالم بمقاب يوم مرصد
فقبل ان أبياته هذه من أحسن ما قبل فى الفرار من الزحف وقال الاسود
ابن المطلب يرثى أولاده

وبكى ان بكيت على عقل وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيتهم ولا تسمى جميعا فا لأبى حكيمة من مزبد
وقالت هند بنت عتبة وهى أم معاوية بن أبى سفيان ترثى أباه عتبة وعمها
شبية وأخاها الوليد بن عتبة

ويلى على أبوى وال قبر الذى وازاهما
لامتل كهلى فى الكهو ل ولا تقى كفتاهما
أسدان لا يتدلا ن ولا يرام حاهما

رحمان خطيان في كبد السماء تراهما
 سادا بغير تكلف عفوا بفيض نداهما
 وقالت أيضا تماظم النساء في مصيبتها بأخويها عمرو ومعاولية أي انها اعظم مصيبتها
 وبكى عميد الابطحين كليهما وحاميهما من كل باغ يريدتها
 أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمى وشيبة والحامى الزمار وليدها
 ألتك أهل المجد من آل غالب وفي الغر منها حين ينمى عديدها

انتهى خبر وقعة بدر

(المن) وانخذلت بثلت الناس يوم أحد

(الشرح) الانخذال والتخاذل بمعنى التقاعد عن نصره الغير أو اغاثته وأحد
 بضمين جبل قرب المدينة المنورة على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام من جهة
 الشام وبه كانت الوقعة الشهيرة بنزوة أحد بين المسلمين وكفار قريش وميأتي
 خبرها والمنخذل بثلت الناس يوم أحد هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المناقين
 وقبل ان تذكر خبرها نأتى على ترجمة عبد الله بن أبي بن سلول مختصرة فنقول

ذكر عبد الله بن أبي بن سلول

هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحرث بن عبيد الخزرجي وسؤل اسم
 أم أبي أي جدته امرأة من خزاعة ويكنى أبا حباب سيد من سادات الخزرج
 في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف إليه الخزرج حسده
 وناصبه العداء وادعى النبوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا في
 المناقين واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المناقون كثيرين حتى لقد روى عن
 ابن عباس أنهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة ونسبعين امرأة وهو قائد العصبة الذين رموا
 عائشة ام المؤمنين بالافك وقد ورد في القرآن ذمته بالنفاق والكفر غير مرة ولما
 كانت وقعة أحد خرج مع جيش النبي صلى الله عليه وسلم مظاهرا وقد كان

اشار على النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الخروج من المدينة فلما خالفه في ذلك
 وخرج بلجيش خرج معه الى ان كان بالشوط بين أحد والمدينة انخل عنه ورجع
 الى المدينة ومعه ثلثمائة رجل ممن يرون رأيه في النفاق وقال أطاعهم وعصاني والله
 ماندري علام قتل أنفسنا وسيأتي تنمة ذلك في خبر وقعة أحد ولما مرض مرض
 موته عاده النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له صلى الله عليه وسلم
 أهلكك حب اليهود قال يا نبي الله ان لم أبعث اليك لتؤتيني ولكن بعثت اليك
 لتستغفر لي وسأله قيصه ليكن في فاعطاه إياه واستغفر له وقيل ان ولده الحباب
 الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله باسم ابيه هو الذي سأل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قيصه ليكن في اياه فينال من بركته فاعطاه
 إياه وسأله ان يصلي عليه فصلى عليه بكل ذلك اكراما لابنه عبد الله وإسمافا له
 ولطابته وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما مات عبد الله
 ابن أبي بن سؤل دُعِيَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه قلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي
 ابن سؤل وقد قال يوم كذا . كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما كثرت عليه قال اني خيبت فاخترت
 لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له زدت عليها قال فصلى عليه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآياتان
 من براءة ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
 ورسوله وماتوا وهم فاسقون وعن جابر رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على
 ركبتيه ونفت فيه من ريقه وألبسه قيصه وقيل إنما اعطاه القيص مكافاة له لأنه
 كان ألبس العباس بن عبد المطلب حين أسير يوم بدر قيصا ويروى ان النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمْ فِيمَا فَعَلَ بِهِ فَقَالَ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ قَبِيصَى وَصَلَاتِي مِنْ اللهِ وَاللهُ
 إِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَسْلَمَ بِهِ أَلْفٌ مِنْ قَوْمِهِ فَيُرَوِّي أَنَّهُ اسْلَمَ أَلْفٌ مِنْ قَوْمِهِ لَمَّا رَأَوْهُ
 يَتَبَرَّكُ بِقَبِيصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ نَزُولِ الْآيَةِ مَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْافِقٍ وَلَا قَامَ عَلَى قَبْرِهِ بَعْدَهَا وَفِيمَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ بَيَانَ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْمَنْافِقِ مِنَ الْإِيذَاءِ لَهُ وَمَا قَابَهُ
 بِهِ مِنَ الْحَسَنِ مِنْ إِبَاسِهِ قَبِيصَهُ كَفَنَّا وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ مَيْتًا وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ
 قَالَ اللهُ تَعَالَى وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ وَكَانَتْ مَدَّةَ مَرَضِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي عَشْرِينَ
 لَيْلَةً وَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْمُهْجَرَةِ انْتَهَتْ أَخْبَارُهُ
 ذِكْرُ غَزْوَةِ أُحُدٍ

وكان من حديث هذه الغزوة كما رواه أهل السير أنه لما أُصِيبَتْ قُرَيْشُ
 بِقَتْلِ سَادَاتِهَا وَفُرْسَانِهَا يَوْمَ بَدْرٍ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ وَرَجِعَ قَلْبُهُمْ إِلَى مَكَّةَ وَرَجِعَ
 أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِبَيْتِهِ . مَشَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ
 وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَتْ آبَاؤُهُمْ وَأَخْوَانُهُمْ بِبَدْرٍ
 فَكَلَمُوا أَبَا سَفْيَانَ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ طَالِبِينَ إِعَادَةَ الْكُرَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَأَصْحَابِهِ أَخَذُوا بِالنَّارِ فَنَادَى أَبُو سَفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ
 وَقَتْلَ خِيَارِكُمْ فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ (أَي مَالِ الْعَمِيرِ) عَلَى حَرْبِهِ ففعلوا فاجتمعت
 قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِ الْعَمِيرِ بِأَحَائِشِهَا وَهُمْ بَنُو الْمِصْطَلِقِ
 وَبَنُو الْهَوْنِ بْنِ خَزِيمَةَ (وَأَمَّا سَمَوُا أَحَائِشَ لِاجْتِمَاعِهِمْ عِنْدَ حُبَيْشِ جَبَلِ بَمَكَةَ
 وَتَحَالَفِهِمْ مَعَ قُرَيْشٍ عَلَى غَيْرِهَا) وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ مِمَّنْ أَدَّاعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ
 كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ وَخَرَجُوا وَخَرَجَ مَعَهُمْ وَحْشَى غَلَامٌ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ وَكَانَ
 حَبَشِيًّا يَقْتَفِ بِحَرْبَتِهِ قَدْفَ الْحَبْشَةِ قَلَمًا يَنْخَطِءُ بِهَا أَخْرَجَهُ مَوْلَاهُ وَقَالَ لَهُ إِنْ أَنْتَ
 قَتَلْتَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي طُعَيْمَةَ بْنِ عَدِيِّ فَأَنْتَ عَنِيْقٌ وَأَخْرَجُوا الظُّنَّ مَعَهُمْ وَهِيَ

النساء على الهوادج التماسا للحفيظة لتلا يفروا من القتال وكان قائده الناس أبو سفيان
ابن حرب وخرجت في الظعن هنداً وزوجته كما خرج غيرها فزلوا بيطن السبيخة من
قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للسين أني رأيت في المنام بقرات تبيع فأولتها خيراً ورأيت في ذباب سيفي تلمأ
ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة
وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلتناهم
فيها وكان هذا رأى عبد الله بن أبي بن سلول فقال رجال من المسلمين اخرج بنا يا رسول
الله إلى أعدائنا لا يرون أنا جبناً منهم فقال عبد الله بن أبي يا رسول الله أقم
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا إلا أصاب منا ولا دخلها
علينا إلا أصبنا منه فلم يزل الذين كان من أمرهم حب اللقاء خارجاً برسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى دخل صلى الله عليه وسلم فلبس لأمنه (أى لباس
الحرب) ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يكن ذلك لنا فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت
فأقم فقال عليه السلام ما ينبغي لني إذا لبس لأمنه ان يضعها حتى يقاتل فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة
اتخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المناقين وكانت عدتهم ثلثمائة
رجل وقال اطاعهم وعصاني والله ما ندرى علام تقتل أنفسنا فاتبهم عبد الله بن
عمرو بن حرام أحد بني سلمة ليردهم وقال يا قوم اذكروا الله ان لا تتخذوا نبيكم
وقومكم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلناكم واننا نرى انه لا يكون قتال فلما
استعضوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال لهم ابدكم الله اعداء الله فسيخني الله
عنكم فبقي النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة وكان المشركون في ثلاثة آلاف
والخيل مائتي فارس والظعن خمس عشرة وادج رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الشيخين حتى طلعت الحمراء وهما أطمأن في طرف المدينة وعرض المقاتلة بها
 بعد المغرب فأجاز من أجاز ورد من ود وسار صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب
 من أحد في عبوة الوادي فجعل ظهره وعسكره الى الجبل وقال لا يقاتلن احد
 حتى تأمره فعبى الجيش وعبت قريش جيشها وأمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا نبي عمرو بن عوف والرماة خمسون رجلا
 قال انضح الجيش عنا بالنبل حتى لا تأتي خيالة العدو من خلفنا فلما التقى الجمعان
 انهزم المشركون حتى لثرى النساء قد رفن عن سوقهن حتى بدت خلاخيلهن
 فجعل المسلمون يقولون الغنيمة الغنيمة وكانت الراية بيد مصعب بن عمير وراية
 المشركين مع طلحة بن عثمان وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة
 ابن أبي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وقال له استقبل
 خالدًا فكن بازائه حتى أودتكَ وأقبل ابوسفيان يحمل اللات والنزى وهما صنان
 فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فهجم على خالد فهزمه الله ومن
 معه فلما انهزم القوم قال الذين كانوا حرمًا من ورائهم بعضهم لبعض لما رأوا
 النساء مصعدات في الجبل الغنيمة الغنيمة انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأدركوا الغنائم قبل أن تُسبَقوا اليها وقالت طائفة بل نطيع أمر رسول
 الله فنثبت مكاننا حيث أمرنا ولكن الذين أبوا من الرماة أن يثبتوا انطلقوا
 فلاحقوا بالمسكرب يبادرن الغنيمة فانكشف ظهر المسلمين فلما رأى خالد بن الوليد
 قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل على الرماة فقتلهم فاشتدت عزائم المشركين
 حين رأوا خيلهم مقاتل وشدوا على المسلمين فهزموهم وأرسل أبو سفيان رسولاً
 الى الأوس والخزرج يقول لهم خلوا بيننا وبين ابن عمنا فنصرف عنكم فانه
 لا حاجة بنا الى قتالكم فردوه بما يكره وكان يحرض قومه الاستطاع قبل الحرب
 خو قال لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يا بني عبد الدار انكم وليتم لواءنا

يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم فاذا زالت زالوا فاما
 أن تكفونا لواءنا وأما أن نخلوا بيننا وبينه فهموا به وقالوا له نحن نسلم اليك
 لواءنا؟ ستسلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذي أراذنا ولما التقوا قامت
 هند بنت عتبة في النساء اللواتي معها وأخذن الدفوف يضرن خلف الرجال
 ويحرضن وهند تقول

نحن بنات طارق ان قبلو نعائق الدر في الخناق
 والمسك في المفارق وففرش النمارق أوتدبروا ففارق
 فراق غير وامق

وتقول ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار ضربا بكل بتار قالوا وصرخ
 صارخ من المشركين ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ المسلمون وانكفأ عليهم القوم
 فبعد أن كانت كادت النصره تم لهم وانهم اصابوا اللواء المشركين ما يدنوا اليه
 أحد منهم حتى اخذته امرأة منهم يقال لها عمرة بنت علقمة الحارثية . فرفعه
 اليهم فلا ثوابه . عاد النصر للمشركين وقتل حمزة بن عبد المطلب بحربة وحشى
 غلام جبير بن مطعم واصيبت رباحية رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى
 وشقت شفته وكلم أي جرح في وجنتيه وجبهته فجعل الدم يسيل في وجهه ويمسحه
 ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله تعالى وفي رواية
 اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم أدموا وجه
 النبي وترس أبو دجانة رضى الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه
 فكان النبيل يقع في ظهره وهو منحني عليه ورمى النبي صلى الله عليه وسلم عن
 قوسه حتى اندقت سبيلها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت عين
 قتادة حينئذ حتى وقعت على وجنتيه فردها صلى الله عليه وسلم في مكانها بيده
 فكانت أحسن عينيه وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة

كعبُ بن مالك أخو بني سلمة بعد أن صاح صائح المشركين بأنه قتل قال كعب
عرفت عينيه تزهران من تحت المِخْفَرِ (وهو درع يتقنع به المتسلح) فتأديت بأعلى
صوتي يامشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرف المسلمون
ذلك نهضوا به نحو الشعب ونهض معهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحزب
ابن الصمة في رهط من المسلمين فلما أسند في الشعب جاء أبي بن خلف وهو يقول
يا محمد لا تجوت أن نجرت قال القوم يا رسول الله أعطف عليه رجل منا فقال
دهوه فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحزب بن الصمة
فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء (الزبابة عن ظهر البعير ثم استقبله
فطعنه في عنقه طعنة تدأداً بها أي قلب) فجعل يتدحرج عن فرسه مراراً وكان
قبل ذلك يقول وهو بمكة يا محمد ان عندى العودُ (أى فرسى) أعلفه كل يوم فرقاً
من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا أقتلك ان شاء
الله فلما رجع أبي بن خلف الى قريش وقد خدشه النبي صلى الله عليه وسلم بالحربة
خدشاً صغيراً احتقن دمه منه قال قتلى والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك
والله إن بك من بأس فأت عدو الله بسرف (موضع قرب التنعيم على ثلاثة أميال
من مكة) وهم قافلون به وخرجت هند والنساء اللواتي معها يمتزرن القتلى من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدن عن الأذان والانوف حتى أخذت هند منها
قلائد وبقرت عن بطن حمزة رضي الله عنه فأخرجت كبده فلا كتها فلم تستطع
إساعتها فلفظتها (قلت ومن ذلك عرفت بأكلة الأكبادة) ثم علت صخرة
فصاحت بأعلى صوتها ترنجيز شعراً

شفيتُ من حمزة نفسى بأحد حتى بقرتُ بطنه عن الكبد
أذهب عني ذلك ما كنت أجد من لدعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب برَد تقدم أقداما عليكم كالأسد

وذلك حين ظفر قومها بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحسان بن ثابت ان هنذا ارتجزت الشعر فلو
سميتها ورأيت أشرها قائمة على الصخرة تذكر ما فعلت بحمزة فقال أسمعنى بعض
قولها فأنشده ناسع فقال يهجوها

أشرت لكاع وكان عادتها لوما اذا أشرت مع الكفر
لن الاله وزوجها معها هند الهنود طويلة البظر
أخرجت مرقضة الى أحد فى القوم مقببة على بكر
وعصاك استك تقين بها دقي عجانك منك بالفهر
وفى رواية دقي العجانة منك بالفهر

قرحت عجيزتها ومشرجها من نصها نصا على القمر
ظلت مداويها زميلتها بلساء تضحيه وبالسدر
أخرجت نائرة مبادرة بأبيك فالك يوم ذى بدر
وفى رواية بأبيك وابنك يوم ذى بدر

وبعك المسلوب بزته وأخيك منفرين فى الجفر
ونسيت فاحشة أئبت بها يا هند ويحك سيئة الذكر
وفى رواية يا هند ويحك سيئة الدهر

فرجت صاغرة بلا ترة منا ظفرت بها ولا نصر
زعم الولائد أنها وكدت ولدا صغيرا كان من عهر

قيل وأشرف ابو مغيان قال فى القوم محمد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تجيبوه مرتين فالتفت الى قومه وقال أما هؤلاء فقد قتلوا ولو كانوا
فى الاحياء لأجابوا فلم يملك عمر رضى الله عنه نفسه ان قال كذبت يا عدو
الله قال اعل هبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا بماذا قال قولوا

لله أعلى وأجل قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله
صلى عليه وسلم أجيبوه قالوا بماذا قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان
يوم بيوم بدر والحرب مجال وفي ذلك يقول شاعرهم عبد الله بن الزبير القرشي

ياغرابَ البين اسمعت قتل أما تنطق شيئاً قد فعل
ان للخير وللشرمدى وكلا ذلك وجه وقبل
والعطيات خساس بينهم وسواها قبرٌ مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغنا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم ترى بالجر^(١) من جُمجُمَة وأكف قد أثرت^(٢) ورجل
ومرايل حسان سرّيت^(٣) عن كفاة أهل كوافى المنزل
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدم بطل
صادق النجدة قرم بارع غير ملتاث^(٤) لدى وقع الأسل
حين حكمت بقاء بركها^(٤) واستحر القتل في عبد الأشل
ثم خفوا عند ذاكم رقصاً رقص الحفان^(٥) يملوا فى الجبل
فقتلنا الضعف من اشراقهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس الا أننا لو كررنا لفظنا المتعطل
بسيوف الهند تلو هامهم عللا تلوهم بعد نهل
وفي هذه القصيدة يقول البيت المشهور

ليت أشياخى بدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
بعد قوله

(١) الجر سفح الجبل (٢) أثرت أي قطعت (٣) ملتاث متردد
(٤) صدرها (٥) الحفان أولاد النعمان

فصل المهراس ما سا كنة بين اقحاف وهام كالخجل
المهراس قيل ماء بأحد وبالسبع حسان بن ثابت رضى الله عنه هذا الشعر
أجابه بقوله

كان منا الفضل فيها لو عدل	ذهبت بابن الزبيري وقفة
وكنك الحرب أحيانا دول	ولقد نلتم وثلنا منكم
حيث نهوى علا بما نهل	نضع الاسياف في أكتافكم
كسلاح النيب ^(٢) يأكن العصل	نُخْرِج الأصبغ ^(١) عن استاهكم
هربا في الشعب أشباه الرمل ^(٣)	اذ تولون على أعقابكم
فأجاناكم الى سفح الجبل	اذ شدنا شدة صادقة
من يلاقوه من الناس بهل	بمخاطيل ^(٤) كأشراف الملا ^(٥)
وملأنا القوط منه والرجل	ضاق عنا الشعب اذ نجزعه
أيدوا جبريل نصراً قزل	برجال لستم أمثالهم
طاعة الله وتصديق الرسل	وهلونا يوم بدر بالتقى
وقتلنا كل جحجاج رقل	وقتلنا كل رأس منهم
يوم بدر وأحاديث المثل	وتركنا في قريش عورة
يوم بدر والتنايل الهيل	ورسول الله حقا شاهد
مثل ما يجمع في الخصب الحمل	في قريش من جموع جمعوا
نحضر البأس اذا البأس نزل	نحن لا أمثالكم ولداسها

(١) الاصبغ سواد الى الحمرة أو لون يضرب الى الشبهة وفي رواية الاصبغ
بدل الاصبغ وهي الابان المدوقة وسلاح النيب من سلاح يسلمح والنيب الأبل
المسنة (٢) الأبل ترسل الى الماء خمسا (٣) الخناطيل جمع خنطل الداهية
(٤) وفي رواية كامناق الملا

هذه رواية ابن هشام في السيرة ورأيت في ديوان حسان رضى الله عنه
قصا فيها وزيادة عما ههنا فأثبت الزيادة التي وجدتها في الديوان وهي
فَسَدَحْنَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سَبْعِينَ غَيْرَ الْمُنْتَحَلِ
وَأَسْرَنَا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَانصَرَفَ مِثْلَ أَفْلَاتِ الْحَجَلِ
لَمْ يَفُوتُوا بِشَيْءٍ سَاعَةً غَيْرَ أَنْ وَلَّوْا بِجَهْلٍ وَفِشَلِ

قلوا ولما اجاب عمر رضى الله ابوسفينان بما تقدم قال ابوسفينان هلم الى يا عمر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائنه فانظر ماشأه فأتاه فقال له ائتدك الله
يا عمر ائتدنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلاك الآن فقال ابنت عندي
اصدق من ابن قمينة اللبى (وهو الذي قتل مصعب بن عمير صاحب الراية
وكان يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع واخبر قريشا بانه قتل محمدا)
فلما انصرف ابوسفينان نادى ان موعيدكم بئد للعام القابل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لرجل من اصحابه قل لهم هي بيننا وبينك موعدا ثم بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال اخرج فى آثار
القوم فانظر ماذا يصنعون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فاتهم يريدون
مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فاتهم يريدون المدينة فوالذي نفسى بيده لن
ارادوها لأصبرن اليهم فيها ثم لأنا جزئهم وقال له اكم ذلك حتى تأتيني قال على
فخرجت فى آثارهم فلما رأيتهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل عدت أصبح من
الفرح وما قدرت ان اكم ذلك وحينئذ فرغ الناس لقتلاهم وخرج النبي صلى
الله عليه وسلم يلتبس حمة عمه فوجده بطن الوادى وقد بقر بطنه عن كبده
ومثل به فقال لولا ان تحزن صفة أو تكون سنة من بعدى أتركته حتى يكون
فى اجواف السباع وحواصل الطير ولئن اظهرنى الله على قريش فى موطن من
المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم وقال اصحابه فحوا من ذلك غضبا لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فدفن فأنزل الله عليه بعد (وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَمَاقِبُوا
 بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) فعفا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلثة قالوا وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في الناس بطلب العدو وان لا يخرج الا من حضر يوم الأمس وانما خرج
 بالناس مرهبا للعدو ليظن ان بهم قوة وان ما اصابهم لم يوهنهم ثم انتهى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الأسد (موضع على ثمانية اميال من المدينة)
 وعسكر بها ثلاثة ايام ثم رجع الى المدينة وكان قد مر معبدا الخزاعي بن عمرو بن
 حزم بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع وهو يومئذ مشرك وكانت خزاعة
 عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة مسلمة ومشركة لا يخفون عنه شيئا
 فقال اما والله يا محمد لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله عاقك
 منهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي اباسفيان بالروحاء
 (وهي على ثلاثين او اربعين ميلا من المدينة) في طريقها الى مكة وقد اجمع هو
 ومن معه من قريش على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقالوا
 نستأصل بقية اصحاب محمد حتى نفرغ منهم فلما رأى ابوسفيان معبدا قال
 ما وراءك يا معبد قال ان محمدا قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله يتمرقون
 عليكم تمحرقا قال ويلاك ما تقول ! قال والله ما اراك ترمحل حتى ترى نواصي الخيل
 قال فوالله لقد اجمعنا على الكرة عليهم قال فاني انهاك عن ذلك قال فتنى ذلك
 اباسفيان ومن معه عن الكرة ولحقوا بمكة وقد احصوا من قتل من المشركين فكانوا
 اثنين وعشرين رجلا اما من قتل من المهاجرين والأَنْصار فعلى رواية ابن هشام سبعمون
 رجلا والله أعلم قالوا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار
 من بني عبد الاشهل وبني ظفر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فزرت عيناه
 ثم قال ولكن حمزة لا بوا كي له فلما رجع سعد بن معاذ وأسيب بن خضير الي دار

بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج اليهن وهن على باب المسجد يبكين فقال ارجعن فقد آسيتن بأنفسكن . ونهى يومئذ عن النوح ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عبد الله بن أبي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لا يتكر شرفا له في نفسه وفي قومه اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر يخطب الناس قام فقال ايها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم اكرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنا قلت بجزاً (أى شرا) إن قت أشدُّ أمره فألقى رجل من الأنصار بياب المسجد فقال له مالك ويلك قال قت أشدُّ أمره فوثب على رجال من أصحابه يجيذونني ويعنفونني لكأنا قلت بجزاً قال ويلك أرجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما أتبغى ان يستغفر لى قال ابن اسحاق وكان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة ومحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المناقين ممن كان يُظهرُ الايمان بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته وكانت الوقعة في النصف من شوال للسنة الثالثة من الهجرة انتهى خبر وقعة أحد

(الآن) وَتَحَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَيْتِي قُرَيْظَةَ

الشرح التحلف بمعنى التأخر أو القعود تقول تحلف فلان عن القوم قعد فلان يذهب معهم وصلاة العصر احدى الأوقات الخمسة المفروضة وقريظة قبيلة من يهود خيبر بالمدينة وهم حلفاء الأوس وكاوا مخالفين فغزاهم رسول الله صلى الله

ولما نهض اليهم تخلف بعض أصحابه عن صلاة العصر معه اذ كان أمر أن لا يتخلف أحد منهم ولم يترتب على هذا التخلف عقاب أو عتاب من الله ورسوله اذ لا عمد فيه ولا سوءنية كما سيأتي بعدوانما مراد ابن زيدون مافي المخالفة العمدية لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم من عظيم الوزر ومن الثابت أن التخلف وقع فعلا فلما ما ترتب من عدم المواخذة عليه حين قامت الحججة دافعة سوء القصد كما هو معلوم فشيء آخر وبذلك لم نرحقنا في انتقاد الصلاح الصفدي على ابن زيدون كما ذكر الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله وإلا لجاز أن ينتقد على قوله وأنفت من امارة أسامة ورويت روى من كتيبة خالد والله أعلم

ذكر غزوة بني قريظة

قال أصحاب السير لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة في الليلة التي انصرف فيها من الاحزاب هو واصحابه عقب غزوة الخندق التي كانت في شوال سنة خمس من الهجرة ووضعوا السلاح أتاه جبريل عليه السلام بعد صلاة الظهر يأمره بالمسير الى بني قريظة^(١) الذين أعانوا الأحزاب من قريش و غطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم عليا رضى الله عنه بالراية الى بني قريظة وابتدرها الناس فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل علي بثرمن آبارها في ناحية من أموالهم فتلاحق الناس به فأتاه رجال بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر فصلوا المغرب والمغرب بها بعد العشاء وأبوا أن يصلوا قبل وصولهم اليها لما في ذلك من مخالفتهم أمره صلى الله عليه وسلم وإنما شغلهم عن صلاة العصر في بني قريظة ما لم يكن منه بد فإعابهم الله بذلك

(١) قريظة والنضير قبيلتان سكنتا خيبر وكانوا يهودا ثم دخلوا في العرب

علي نسبهم الى هارون أخى موسى عليه السلام

ولا عنفهم الرسول وكانت عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف واخيل
سنةً وثلاثين وحاصر نبي قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في
قلوبهم الرعب فزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوانبت الأوس وقالوا
يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت بموالي الخزرج بالأسس ما فعلت وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر نبي قينقاع حلفاء الخزرج فزلوا على حكمه فسأله
إياهم عبد الله ابن أبي بن سلول فوجههم له فلما كلفه الأوس قال لهم ألا ترضون أن يحكم
فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الي سعد بن معاذ فلما حكمه فيهم قال أرى ان تقتل الرجال
وتسبي الزراري والنساء وتقسم الأموال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة أروقة وقيل سبعة أرقعة (أي سموات) ثم استنزلوا
فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة فخذق به (الخذق معرب
خزير حول المدينة) ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق وقتل حبي
ابن أخطب عدو الله معهم في ذلك اليوم ويقال كانت عدتهم ستمائة وقيل أكثر
وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم
سهمان الخيل وسهمان الرجال واخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس
سهمان وللفارسه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكان أول فية وقعت فيه
السهمان وأخرج منه الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت
المقاسم ومضت السنة في المغازي واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نساءهم
لنفسه ریحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عنده
حتى توفي عنها وكان قد عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت
يا رسول الله تتركني في ملكك فهو أخف على وعليك فتركها وكانت هذه الغزوة
في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة انتهى

(المتن) وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ

(الشرح) الافك الكذب وعائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً ولم يتزوج بكراً غيرها وهي ابنة بنت وابتى عليها بالمدينة وهي ابنة تسع وتوفى عنها وهي ابنة ثمانى عشرة سنة وكانت رضي الله عنها من أفصح نساء قريش وأغزرهن علماً وأدباً وأكثر أحاديثه صلى الله عليه وسلم ومنته مأخوذة عنها قال الطبري وكان زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر من النبوة أي قبل الهجرة بثلاث وعمرس بها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة وأصدقها اثني عشر أوقية ونشأ (النش نصف أوقية) وكانت من أحب أزواجه إليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتها وعلى صدرها فافتخرت بذلك بقولها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سجرى ونجرى (السحر الرئة والنحر أعلى الصدر) وقيل قالت خلال في تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما أتى الله مريم بنت عمران والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحي نزل الملك بصورتى وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين وأهديت إليه تسع سنين وتزوجني بكراً لم يشركه في أحد من الناس وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد وكنت من أحب الناس إليه ونزل في آية من القرآن كادت الأمة أن تهلك ورأيت جبريل ولم يره أحد من نساءه غيرى وقبض في بيتي لم يله أحد غير الملك وأنا فأى نساء رسول الله كانت احظى منى وبلغها مرة أن ناما يتناولون أباها فأرسلت اليهم فلما حضروا خطبتهم فقالت أبي وما أبيت والله لا تعطوه الايدي ذلك طود منيف وفرع مديد هيبات كذبت الظنون أتيجح اذا كديتم وسبق اذا ونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامدق قريش ناشتا وكهفها كهلا ينفك عانيها ويريش مملقها ويرأب شعبها ويلم شعنها حتى حليتته قلوبها فما برحت

شكيمته في ذات الله مثبتة حتى أخذ بفناؤه مسجداً يحيى فيه مآلات المبطلون وكان
وقيد الجوامح غزير الدمة شجى النسيج فاقضت اليه نسوان مكة وولداها
يسخرون منه ويستنزؤون به (الله يستهزئ بهم ويدهم في طفياهم يمهون) فأكبرت
ذلك رجالات من قريش فحنت قسيها وفوقت سهامها واتشلوه غرضاً فلوا له
صفاة ولا قصوا له قناة حتى ضرب الحق بجرائه والتي بركه . ورسد اوتاده
فلما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رؤاه ومدطنبه ونصب حباله وأجلب بجنيه
ورجله قهام الصديق حاسراً مشمراً فرد رس الاسلام على غربه وأقم أود قفاه
فاندعر النفاق بوطنه وأتتاش الناس بعده حتى ازاح الحق على أهله وحقن
الدماء في أهبا ثم أته منيته فسد ثلته نظيره في الرحمة وشقيقه في السيرة والممدلة
ذاك ابن الخطاب لله در أم حملت به ودرت عليه ففتح الفتوح وشرد الشرك
وبعج الارض قهات أكلها وانظمت خباها ترأه فيأباها وتريده فيصنف عنها
ثم فركها كما صحبها فأرونى ماذا ترتنون وأنى يومى أبى تنقون أيوم اقلته اذعدل
فيكم أم يوم ظعنه اذ نظر اليكم أقول هذا واستغفر الله لى ولكم وكانت رضى
الله عنها قهية راوية للشعر وقذفت فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفوان
ابن المعطل السلى فبرأها الله تعالى بقوله (إن الذين جاءوا بالافك عصابةً منكم
لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب
من الآء والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) وقد فصل البخارى فى صحيحه
حديث الافك نقلا عنها رضى الله عنها قال قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيتن خرج سهمها خرج بهامه فأقرع بيننا
فى غزاة غزاها (هى غزوة بنى المصطلق التى كانت فى سنة ست هجرية) فخرج
سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت
احل فى هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك

وقل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فممت حين اذنوا لا تبرز حتى جاوزت
الجيش فلما قضيت من شأني اقبلت الى رحلي فمست صدري فلذا عقد لي من
جزع ظفائر (أى من خرز وهو الحجر الباني) قد انقطع فرجعت فالتسته فخبسني
ابتغاؤه واقبل الرهط الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجى فرحلوه على ببرى
الذى كنت اركب وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء اذ ذاك خفا لم يتقلن ولم
يمشهن اللحم وانما يأكلن العلقة من الطعام (أى ما يتبلغ به) فلم يستنكر القوم
نخلة الهودج حين رفعوه فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا
ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها أحد فأمت منزلى
الذى كنت به وظننت انهم صيقتوني فيرجعون الى فيينا انا جالسة غلبتني عيناي
فممت وكان صفوان بن أمطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش
فأدج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتاني فمرقتى حين رأني وكان
يراني قبل الحجاب فاستيةظت . باسترجاعه فخرمت وجهي بجلباني ووالله ما كلني
كلمة غير استرجاعه حتى أناخ براحتيه فوطيء يدها فركبتها فانطلق يقود بي
الراحلة حتى أمينا الجيش بعد ما نزلوا . مرسين في نحر الظهيرة قلت فهلك من
هلك في شأني وكان الندى تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول قدمنا المدينة
فاشتكيت (أى مرضت) حين قدمناها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب
الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ويريني في وجعي أن لا أرى من النبي صلى الله
عليه وسلم اللطف الذى أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيمم
ثم ينصرف فذلك الذى يريني ولا أشعر بالشئ حتى تقهت فخرجت أنا وأم مسطح
قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لانخرج إلا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ
الكنف قريبا من بيوتنا وكنا نتأذى من الكنف أن نتخذها عند بيوتنا
فانطلقت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب حين فرغنا من شأننا فمترت

أم مسطح في مرطها فقالت تسمى مسطح قلت لها بئس ما قلت أتسيين رجلا
 شهد بدرا فقالت اى هنتاه او لم تسمعى ما قل قلت وما قل فأخبرتني بقول الألفك
 فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتي دخل على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فسلم ثم قال كيف نيكم قلت له أتأذن لى ان آتى ابوى قالت وأنا حينئذ
 أريد أن استيقن الخبر من قبلها فأذن لى فأتيت أبوى قلت لأمى يا أمته
 ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هونى على نفسك الشان فوالله لقلما كانت
 امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت قلت سبحان
 الله أولئذ يحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت مايرقلى دمع ولا
 اكنحل بنوم ثم أصبحت أبكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن
 أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما فى فراق أهله قالت فإما
 أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم فى نفسه من الود لهم فقال أسامة هم
 أهلك يا رسول الله ولا نعلم الا خيرا وأما على بن أبى طالب فقال يا رسول الله لم يضيقت الله
 عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بربيرة فقال اى ربيرة هل رأيت فيها شيئا يرى بك فقالت لا والذي بعثك بالحق
 إن رأيت منها أمرا قط أغمضه عليها أكثر من انها جارية حديثه السن تمام عن
 عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 يومه فاستعفر من عبد الله بن أبى بن سلول فقال وهو على المنبر من يندرنى
 من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى وفى رواية فى أهل بيتي فوالله ما علمت على
 أهلى إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على
 أهلى إلا معى قلت فقام سعد بن معاذ فقال أنا أعذرک منه يا رسول الله ان كان
 من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فنأفبه أمرک
 فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت بنت عمه

مِنْ فَخِذِهِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَسَكُنَّ أَحْتَمَلْتَهُ الْحَمِيَّةَ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ
 كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَهْتَلُ وَلَا تَهْدِرْ عَلَى ذَلِكَ فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ
 سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَتَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مَنَافِقٌ تَجَادَلُ
 عَنِ الْمَنَافِقِينَ فَتَارَ الْحَيَّانَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنْبِرِ فَلَمْ يَزَلْ يَخْفِضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ قَالَتْ وَبَكَتْ
 يَوْمَ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَرِقَ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبُو آيٍ وَقَدْ بَكَتْ
 لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظَنَّ أَنَّ الْبُكَاءَ قَالَتْ كَبِدِي قَالَتْ فِينَا هَذَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا
 أَبُكِي إِذَا اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي فِينَا نَحْنُ
 كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي
 مِنْ يَوْمٍ قَبْلَ فِيَّ مَا قَبْلَ قَبْلِهَا وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي قَالَتْ فَتَشَهَّرَتْ
 حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدَ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتَ بِرَيْثَةٍ
 فَسِيرْتِكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا
 اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ
 دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُثُ مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لِأَبِي أَيْ جَدِّي قَالَ وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ
 قُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي قَالَتْ وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ قُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ
 لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا تَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ حَتَّى
 اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَنْ قُلْتُ لَكُمْ أَنِّي بِرَيْثَةٍ لَا تُصَدِّقُونِي وَلَنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ
 بِأَمْرِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بِرَيْثَةٌ لَتُصَدِّقَنِي فَوَاللَّهِ مَا أُجِدُّ لِي وَلَكُمْ مِثْلًا إِلَّا يَا يَوْسُفَ إِذْ
 قَالَ أَمْرًا فَصَبَرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي
 وَأَنَا وَاللَّهُ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بِرَيْثَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ مَبْرَأٌ لِي وَلَكِنْ مَا كُنْتُ وَاللَّهُ أَظَنَّ أَنَّ
 يُنْزِلَ اللَّهُ فِي شَأْنِي وَحَيًّا يَتْلُو لِشَأْنِي فِي نَفْسِي أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يَتْلُو وَلَكِنْ
 كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يَبْرُؤُنِي اللَّهُ بِهَا

قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى انزل الله ما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه لَيَنْحَدِرُ منه مثل حَبِّ الْجُبْنِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ قَالَتْ فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهُ وَفِي رِوَايَةٍ أُبْشِرِي أَمَا وَاللَّهِ قَدْ بَرَأْتُكَ اللَّهُ فَقَالَتْ أُمِّي قَوْمِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ بِرَأْيِي فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ الْآيَةَ) ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ بَغْطِيهِمْ وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ ثُمَّ أَمَرَ بِسَطْحِ بْنِ أُنَانَةَ وَحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ وَكَانُوا مِنْ أَفْصَحِ الْفَاحِشَةِ فَضُرُّوا أَحَدَهُمْ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَقَدْ سُئِلَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ الْمَعْطَلِ فَذَا هُوَ حُصُورٌ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ وَقُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِيدًا قَالُوا وَاعْتَدِرْ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ نَسَبُوا إِلَيْهِ حَدِيثَ الْإِفْكِ فَقَالَ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَاقِلِ	حَصَّانٌ رَزَّانٌ مَا تُزْنُ بِرِيَّةٍ
نَبِيَّ الْهَدْيِ وَالْمَكْرَمَاتِ الْفَوَاضِلِ	حَلِيلَةُ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا
كِرَامِ الْمَسَاعِي تَجِدُهَا غَيْرُ زَائِلِ	عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْيِ بْنِ غَالِبِ
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ	مَهْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ جَيْبَهَا
فَلَا رَفَعْتَ سُوطِي إِلَى أَنَا مَلِي	فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتِ
بِهَا الدَّهْرُ بَلْ قَوْلِ أَمْرِي فِي مَا حَلِ	وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِبَلَائِطِ
لَا لَ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمَجَافِلِ	وَكَيفَ وَوَدِي مِنْ قَدِيمٍ وَنُصْرَتِي
تَقَاصِرُ عَنْهُ سُورَةُ الْمُنْتَطَاوِلِ	لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كَأَنَّهُمْ
مِنَ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرِ ذَاتِ غَوَائِلِ	رَأَيْتُكَ وَابْتَغَيْتُكَ اللَّهُ حُرَّةٌ

فكانت عائشة رضى عنها تنهى من يشبهه في وجهها وقول اليس هو
الذي يقول

فإن إني ووالده وعرضى ليرض محمد منكم وقاء

قيل لها اليس ممن قال فيك قالت لم يقل شيئاً ولكنه الذى يقول

حصان رزان ماترن بريبة وتصبح غرنى من لحوم الغوافل

قالوا وكان مما هاج الشر بينها وبين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله

لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما استشاره فيها لم يضيق الله عليك والنساء سواها

كثير فخرجت عليه تناصر معاوية في الطلب بدم عثمان بن عفان رضى الله عنه

وكان بعد ذلك من وقعة الجمل المبسوطة في السير ما كان ومن خطبتها يوم الجمل

قولها ايها الناس صه صه ان لى عليكم حق الأئمة وحرمة الموعظة لا يتهمنى

إلا من عصي ربه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سخرى وسخرى

فأنا إحدى نساءه في الجنة إذ خرنى ربي له وخلصني من كل بضاع وميزبى

مناقصكم (١) من مؤمنكم . وبنى ارض الله لكم في صعيد الأبواء (٢) ثم

(١) تشير الى عبدالله بن أبى بن سلول الذى زماها بحديث الافك المتقدم

(٢) تشير الى آية التيمم في قوله تعالى فلم تجدوا ماءً فتميموا صعيدا طيبا

والصعيد التراب اووجه الأرض والابواء مكان بين مكة والمدينة في البيداء نزل

به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عائشة معه في سفرته هذه فاقطع عقدها

او فقد فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على

ماء فعانب الصديق ابنته على اقامة النبي صلى الله عليه وسلم بالناس في هذا المكان

بغير ماء بسبب عقدها فلما اصبحوا وليس معهم ماء انزل الله آية التيمم فقال سيد

ابن حضير لعائشة ماهى بأول بركتكم يا آل أبى بكر وفي حديث اخر جزاك الله

خييرا فوالله ما نزل بك امر تكرهينه الا جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرا

أبي ثاني اثنين الله ثالثهم وأول من سمي الصديق الخ قيل ان أم سلمة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم حينما علمت بزماها على الخروج الى وقعة الجمل كتبت
لها تقول أما بعد فانك سئدة بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته وحجابك
مضروب على حرمة قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكن عقيرك فلا
تصخر بها الله من وراء هذه الأمة لو أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يهد
إليك عهدا علمت علمت بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد إن عمود الإسلام
لا يُناب بالنساء ان مال ولا يُرأب بهن أن صدع حماديات النساء غض الأطراف
وخفر الأغراض وقصد الوهابة ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله
عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قلوفا من منهل الى منهل إن بين الله مهواك
وعلى رسوله تردن وقد وجهت سدافته وروى سجافته وتركت عبيداه لوسرت مسيرك
هذا ثم قيل لي ادخلى الفردوس لا تحييت أن ألقى محمدا صلى الله عليه وسلم
هاتكة حجابا ذمر به على أجملي حصينك بيتك ووقاعة الستر قبرك حتى تلقينه
وأنت على تلك أطوح ماتكون لله بارقة وأنصر ماتكونين للدين ما حلت عنه
لوز كرتك قولا تعرفينه لتبشت به نهش الرقطاء المطرقة فكتبت لها عائشة
رضي الله عنها قول أما بعد فما أقباني لوعظك وأعرقني لحق نه يحتك وليس الأمر
كما تظنين ولنعم المسير مسير فزعت فيه الى فتنين متناجزتين أوقالت متناحرتين
فان أقعد في غير حرج وان أخرج قالي مالا بدلي من الازدياد منه والسلام وكتب
لها أيضا مالك بن الحرث الأشتر من المدينة وهي بمكة يقول أما بعد فانك ظعينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرك أن تقرى في بيتك فان فعلت فهو خير
قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا المقعد نحتته قلت ومن هذا
الحديث يظهر ان فقد المقعد حصل مرتين الأولى كما في حديث الافك والثانية
هذه التي ذكرناها هنا وهذا من مفاخرها رضي الله عنها

لك وان آيت إلا أن تأخذني منسأتك وتلقى جلبابك وتبدي للناس شعيراتك
قاتلتك حتى أردك الى بيتك والموضع الذي يرضاه لك ربك فكتبت اليه في الجواب
أما بعد فانك أول العرب شبَّ الفتنَةَ ودعا الى الفرقة وخالف الأئمة وسعى في
قتل الخليفة وقد علمت انك لن تعجز الله حتى يصيبك بنقمة يذهر بها منك
للخليفة المظلوم وقد جاءني كتابك وفهمتُ ما فيه وسيكفينك الله وكل من أصبح
ممانلا لك في ضلالك وغيبك ان شاء ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لنساءه أيتكن صاحبةُ الجمل الأديب يُقتلُ حولها قتلى كثيرةً وتنجو بعد ما كادت
وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اذ صح أنها كانت عائشة
وقيل قال لها يلحميراء كَأني بك تَنبَحُكِ كِلَابُ الحوَابِ قاتلين عليا وأنت
له ظالمة فيقال أنها انتهت في مسيرها الى الحوَاب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فلما وصلته
نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبليها فقال قتلى من أصحابها ألا ترون ما أكثر
كلاب الحوَاب وما أشد نباحها فأمسكت زمام بغيرها وقالت وإنما لكلابُ
الحوَاب ردوني ردوني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكرت
الخير فقال لها قائل مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوَاب وأتوها بخمسين
أعرايا شهودا كاذبين فحلفوا لها أن هذا ليس بماء الحوَاب فسارت لوجهها حتى
كانت وقعت الجمل بالبصرة وإنما سميت الوقعة بهذا الاسم لأنها كانت فيها عائشة
رضي الله عنها راكبة جملا يسمى عسكرا في هودج قد ألبس الرِّفْرِفُ ثم جلود النمر
ثم فوق ذلك دروع الحديد ودارت الحرب حتى قبي الناس ورشق الجمل بالنبل
حتى صارت القبةُ عليه كهيئة القنفذِ وقطعت الأيدي على خِطَامِ الجمل فلما
رأى ذلك على عليه السلام أمر الأشر وعمارا ففتر الجمل فأقعى وله رُغَاءٌ
ثم وقع بجانبه فرَّ الناس من حوله وانتهت الوقعة وحملت عائشة الى المدينة فكانت
فيها الى أن بلغت من العمر ستا وستين سنة ولما احتضرت قيل لها تدفنين مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأني أحدثت بعده حدثاً فادفونوني مع أخوتي
 بالبيع فمات رضي الله عنها لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة ثمان
 وخمسين هجرية وصلى عليها المسلمون وامهم أبو هريرة ونزل في قبرها خمسة من
 أهلها عبد الله وغروة ابناً الزبير والقمام وعبد الله ابناً محمد بن أبي بكر وعبد
 الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي بكر ودفنت كما أوصت رحماً الله انتهى
 (المن) وَأَنْفَتْ مِنْ أَمَارَةِ أَسَامَةَ

الشرح الألفة الأباء والكبر والاستنكاف من الشيء وعمله أنف منه
 تزه عنه أو كرهه والاسم الألفة والامارة الولاية والأمير الوالي فعيل بمعنى قاسل
 وأسامة اسم لصحابي من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكر هنا نسبه
 وخبر امارته وما قيل فيها فنقول

ذكر اسامة بن زيد ونسبه وحديث امارته

هو اسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى وأبوه زيد من
 موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سبته خيل لبني القين في الجاهلية
 وهو يومئذ غلام يَمَعَةٌ فوافوا به سوق عكاظ فوضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام
 ابن خويلد بن أسد لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أهدته اليه فتبناه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقه وكان يقال له
 حِبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن خيار اصحابه الذين يعتمد على صدقهم وإخلاصهم
 إلى أن قُتِلَ في غزوة مؤتة جهاداً في الاسلام في قرية من قرى البلقاء بأرض فلسطين في
 جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة ونشأ ابنه اسامة صاحب الترجمة على ما كان عليه
 أبوه من الولاء والإخلاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث امارته ان النبي صلى
 الله عليه وسلم امره في مرض موته بالتهيؤ لغزو الروم وقال له سر الى الشام فأوطئ
 الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين فقد وليتكَ هذا الجيش فاعد

صباحا وحرقت عليهم واسرع السير فان انظرك الله عليهم فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع وكانت عدة الجيش سبعمائة رجل وقيل ثلاثة آلاف منهم ألف فارس وكان ذلك يوم الاثنين لأربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة للهجرة فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءاً بيده لأسامة رضى الله عنه ثم قال اغزوا بالله وفي سبيل الله قتال من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة بن الحصيبي الأسلمي فتكلم قوم فقالوا ائستعمل هذا الغلام الحدّث على المهاجرين الأولين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتلهم فغضب غضبا شديدا وخرج وقد عصّب رأسه بمصايبه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في إمرتي أسامة فلقد طعنتم في إمرتي أباه من قبله وأيم الله إن كان أبوه نخليق للإمارة وإن ابنه من بعد نخليق للإمارة فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يؤدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول افتدوا بعث أسامة فلما كان يوم الأحد اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة عليه وهو مغرور فطأ أسامة قبله والنبي لا يتكلم بل جعل يرفع يده الى السماء ويضعها على أسامة ثم عاد أسامة الى معسكره فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة بلا خلاف حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة فعاد أسامة بالمسكر فدخل المدينة ودخل بريدة باللواء حتى أتى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرزه فلما ولي أبو بكر الخلافة أمر الناس بما كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فقالت الانصار لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل لأبي بكر يرجع بالمسلمين فإن أبا فليؤل علينا رجلا أقدم سنّا من أسامة وكان سن

أسامة سبع عشرة سنة وقيل ثمانى عشرة وكان أسامة قد أرسل الى عمر رضى
 الله عنه يسأله فى عرض أمره على أبى بكر وهل يرجع بالناس فان وجوههم معه
 ويخاف على أئمة المسلمين ان يتخطفها المشركون فأتى عمر أبى بكر فذكر له ذلك
 فأبى رجوعهم فعاد الى أسامة والآنصار فأخبرهم بمقالة أبى بكر فقام الانصار وقالوا
 لا بُدَّ ان تراجع أبى بكر فى ذلك فذهب اليه ثانية فراجعهم فقام اليه أبو بكر رضى
 الله عنه وقال يا ابن الخطاب استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة
 وتأمرنى أن أنزعه والله لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاءا قضى به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بخينئذ رجع عمر اليهم وأخبرهم فتجهزوا وخرج
 أبو بكر رضى الله عنه فشيعةهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف
 يهود دابة أبى بكر فقال أسامة لأبى بكر يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لتركبن أو لا تنزلن فقال أبو بكر والله لا أركب ولا تنزل والله ما ضررنى ان
 أغير قدمى ساعة فى سبيل الله وعاد أبو بكر رضى الله عنه وسافر أسامة ولم
 يضره حدائة سنة وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة
 ما خرج هذا من عندهم وان أسامة سار الى أرض فلسطين فوصلها فى عشرين
 ليلة فشن الغارة عليهم وسبي حريمهم وحررق منازلهم وأجال الخيل فى عرصاتهم
 وأصاب الغنائم منهم وأعز الله الاسلام وكان أسامة على فرس أبيه فقتل قاتل
 أبيه فى الغارة وعاد الى المدينة سالما وكان تحت لوائه أكبر المهاجرين الأولين
 وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيده بن الجراح وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم
 ثم استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر رضى الله عنه وأمره بالصلاة
 بالناس فى مرضه وكلم أبو بكر أسامة فى عمر أن يأذن له فى التخلف ففعل ومن ثم
 كان عمر رضى الله عنه حتى بعد ان ولى الخلافة لا يلتقى أسامة إلا قال له السلام
 عليك أيها الأمير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لى هذا فيقول

لا ازال أدعوك الامير ما عشت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت
على أمير انتهى ومات أسامة رضى الله عنه في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان
التي كانت في سنة ستين للهجرة والله أعلم انتهى

(المنن) وَزَعَمْتُ أَنْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً

(الشرح) الزعم مثلثة يطلق على القول الحق والباطل والفلتة وقوع الشيء
بغتة أي فجأة عن غير تردد أو تدبر وهذا مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضى
الله عنه بعد البيعة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه لقد كانت خلافة أبي بكر
فلتة لا عن استعداد لها ومَشُورَةٍ ولكن وقى الله شرها وذلك بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم واختلاف الأنصار فيمن يلى الأمر بعده واجتماعهم في سقيفة
بنى ساعدة للمشاورة وإرادتهم تولية أحد منهم حتى حضرهم أبو بكر وعمر رضى
الله عنهما فأزالا الخلاف وتمت البيعة لأبي بكر رضى الله عنه وقد فسّر قول عمر
رضى الله عنه بأن المراد بالفلتة الخيانة لأن الألف مالت الى تولى الخلافة
يوم السقيفة وكثر التشاجر فيها فاختلسها أبو بكر اختلاسا فهدأ الشرونا وتامت الفتنة
وعصم الله تعالى ووقى منها وقد كانت الشيعة تري ان علي بن أبي طالب أحق بالخلافة
من الشيخين ابى بكر وعمر وانما فوضت الخلافة الى أبى بكر ثم عمر لمصلحة رأواها
وقعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطيب قلوب العامة ولهم أقوال
لا محل لشرحها هنا فلما كان في خلافة عمر رضى الله عنه بلغه في آخر حجة حجها
وهو بمكة ان رجلا قال لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا والله ما كانت
بيعة أبى بكر الا فلته قول كلام عمر رضى الله عنه الى غير ما أراد فلما بلغ عمر
رضى الله عنه ذلك غضب غضبا شديدا وقال إني لقائم المشية في الناس فحزنهم
هؤلاء الذين يريدون أن ينصبوهم امرهم قال عبد الرحمن بن عوف فقلت له يا أمير
المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع للناس وغوغاهم وانى اخشى أن تقوم

فتقول مقالة يُطَيَّرُ بِهَا أَوْلِيَّتُكَ عَنْكَ كُلُّ مُطَيَّرٍ وَلَا يَعُوهَا وَلَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا
 قَاهِلٌ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَاتْمِمْ دَارَ السَّنَةِ وَتَخْلُصْ بِأَهْلِ الْفَقْهِ وَاشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولُ
 مَا قَلْتُ بِالْمَدِينَةِ مَتَمَكَّنًا فَيَعْبِي أَهْلَ الْفَقْهِ مَقَالَتَكَ وَيَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا قَالَ فَلَمَّا عَادَ
 إِلَى الْمَدِينَةِ فِي عَقَبِ ذِي الْحِجَّةِ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً طَوِيلَةً فَكَانَ
 مِمَّا قَالَ مِنْهَا أَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فُلَانًا قَالَ لَوْ قَدِمْتُ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا
 فَلَا يَفْرَنُ أَمْرًا أَنْ يَقُولَ إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فُلْتَةً فَتَمَّتْ وَأَنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ
 إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَفَى شَرِّهَا وَوَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تَقْتَطِعُ الْأَعْنَاقَ إِلَيْهِ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ فَمَنْ بَايَعَ
 رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَانْهَ لَأَبِيْعَةٍ لَهُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ إِيَّاهُ كَانَ (أَيُّ
 أَبِي بَكْرٍ) مِنْ خَيْرِنَا حِينَ تُوْفِيَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ التَّحْقِيقِ
 وَمَا كَانَ فِيهَا أَنْتَهَى وَمَرَادُ ابْنِ زَيْدُونَ أَنِّي لَوْ قَامْتُ كَمَا قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي أَغْضَبَ
 عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَتَأْوِيلُهُ كَلَامُهُ إِلَى غَيْرِ مَا أَرَادَ بِهِ وَوَلَيْسَ غَرَضُهُ الْإِنْكَارُ
 عَلَى عَمْرِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّ هَذَا بَعِيدُ الْإِحْتِمَالِ عَلَى سِتِّيِّ مِثْلِهِ كَمَا تَرَى وَلَمْ يَرْحَقْ
 لِلصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ فِي اتِّقَادِهِ الْمَتَقَدِّمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَتَأْتِي عَلَى تَرْجَمَةِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ مَخْتَصِرَةً فَتَقُولُ

ذَكَرَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَسَبَهُ وَبَعْضَ فَضَائِلِهِ

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قَحَافَةَ وَاسْمُ أَبِي قَحَافَةَ عَثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ
 ابْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ وَيَجْتَمِعُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَدِّهِ مَرَّةً بِنِ كَعْبِ بْنِ لَوْيٍ
 وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ الْكَعْبَةِ فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَتِيقًا لِإِمَّا الْجَمَالِ
 أَوْ لِقَوْلِهِ فِيهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقِيلَ بِلِ
 سَمْتِهِ بِهِ أُمُّهُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِالرِّضَالَةِ وَأَمَّنَ بِالنَّبِوَةِ بَلْ كَانَ أَوَّلَ الرِّجَالِ إِسْلَامًا
 فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ
 لَهُ بِالسَّابِقِيَّةِ فِي الصَّحْبَةِ وَقَالَ مَا أَحَدٌ أَمَّنَ عَلَى فِي صَحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ

ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً وهو رفيقه في الحضر وجليسه في الغار وفي هجرته الى المدينة وقد وردت فيه أحاديث شريفة تدل على فضله ومكاته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يعجز عن احصاء ما آثره الشريفة كلها وكان رضى الله عنه أبيض نحيف الجسم خفيف العارض أخى (١) لا يستمسك إزاره (٢) مفروق الوجه (٣) غائر العينين تأتيء الجبهة عارى الاشاجع (٤) أقرع وكان يخضب بالحناء والكمم كأن لحيته ورأسه جمر الغضى وبما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن في أصحابه اشمط غيره

ذكر خلافته وحديث السقيفة وما قيل فيها ووقاته رضى الله عنه

ذكر أصحاب السير والمؤرخون انه لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض موته قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فصلى بهم رضى الله عنه قالت جفصة بنت عمر رضى الله عنه زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك مرضت فقدمت أبا بكر قال لست الذى قسمته ولكن الله قدّمه وذكر حذيفة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى لا أدزى ما بقائى فيكم فاقندوا بالذين من بعدى وأشار الى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وما حدثكم ابن مسعود فصنقوه ثم خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها فضل أبى بكر رضوان الله عليه من بين الصحابة فاستدلوا بذلك على أوليائه للخلافة فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بايه المهاجرون فى اليوم الذى قبض فيه صلى الله عليه وسلم فاجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا نولى هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عبادة واخرجوا سعدا اليهم وهو مريض وكان سيد الخزرج فلما اجتمعوا قل سعد لأبنه او لبعض بنى عمه انى لا أقدر لشكواى ان أسمع القوم كلهم

(١) أخى اى مقوس (٢) اى لا عجزله (٣) قليل لحم الوجه (٤) الاشاجع

اصول الاصابع اى لالحم يغطيها

كلامي ولكن تلق مني قولي فأسمعهموه فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع
 صوته فيسمع أصحابه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه يامعشر الأنصار لكم
 ساقية في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب أن محمدا عليه السلام
 اثبت بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الانداد والاثوان
 فما آمن به من قومه الا رجال قليل وما كانوا يقدرون على أن ينعوا رسول الله
 ولا أن يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضياعا عموما به حتى اذا أراد بكم
 الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الايمان به وبرسوله والمنع
 له ولأصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه
 منكم وأتقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها
 وأعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا حتى أنحن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض
 ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين استبدوا
 بهذا الأمر دون الناس فانه لكم دون الناس فأجابوه جميعا أن قد وقعت في الرأي
 وأصبت في القول وإن نعدو . إرايت نوليك هذا الامر فانك فينا مقنع ولصالح
 المؤمنين رضى ثم انهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا فان أبت مهاجرة قريش
 فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولون ونحن عشيرته
 وأولياؤه فلام تنازعونا هذا الأمر بعهده فقالت طائفة منهم فانا نقول منا أمير
 ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدا فقال سعد بن عبادة حين سمعها
 هذا أول الوهن وأتى عمر بن الخطاب الخبير فأقبل الى منزل النبي صلى الله عليه
 وسلم وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه دائم في جهاز رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأرسل الي أبي بكر أن أخرج الى فارس اليه انى مشتغل
 فأرسل اليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج اليه فقال اما علمت أن
 الانصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون ان يولوا هذا الامر سعد بن

عبادة واحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومن قريش أمير فضيا مسرعين نحوهم
فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فهاشوا ثلاثهم فلقبهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة
فقالا لهم أرجعوا فانه لا يكون ما تريدون فقالوا لا فعل فجاؤوا وهم مجتمعون فقال
عمر بن الخطاب اتيناكم وقد كنت زويت (وفي رواية زورت) كلاما أردت أن
أقوم به فيهم فلما رُفِعت اليهم ذهبت لأبتدىء المنطق فقال لي أبو بكر وريدا
حتى أتكلم ثم أنطق بعد بما أحببت فطلق فقال عمر فما شيء كنت أردت أن
أقوله الا وقد أتى به أو زاد عليه فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله
قد بعث محمدا رسولا إلى خلقه وشهيدا على امتة ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون
من دونه آلهة شتى ويزعمون أنها لهم شافعة ولهم نافعة وأما هي من حجر منحوت
وخشب منجور ثم قرأ ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقلوا ما نعبدكم الا ليقربونا إلى الله زلفى فعظم على العرب
ان يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايان
به والمؤاساة له والصبر معه على شدة أذي قومهم لهم وتكذيبهم ايهم وكل الناس
لهم مخالف وعليهم زار فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وشنّف الناس لهم واجماع قومهم
عليهم فهم أول من عبد الله في الارض وآمن بالله وبرسوله وهم اولياؤه وعشيرته
واحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم في ذلك الا ظالم وأنتم يامعشر
الانصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام رضىكم
الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته وفيكم جِلَّةُ أزواجه وأصحابه فليس
بعد المهاجرين الاولين من عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفتانوا
بعشورة ولا تقضي دونكم الأور قمام الحباب بن المنذر بن الجوح قال يامعشر
الانصار املكوا عليكم أمركم فان الناس في فيتكم وظلكم ولن يجترىء مجترىء
على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم انتم أهل العز والثروة وألوا المدد

والمنعة والتجربة وذوو البأس والتجدة وإنما ينظر الناس إلى ما تسمعون فلا تختلفوا
 فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم أبي هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم
 أمير فقال عمر هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم
 ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم
 وولى أمورهم منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحججة الظاهرة والسلطان
 المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل يبطل
 أو متجانف لائم أو متورط في هلكة فقام الحبابُ فقال يا معشر الانصار املكوا
 على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فان
 أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن بلادكم وتولوا عليهم هذه الامور فأنتم والله
 احق بهذا الامر منهم فانه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين
 أنا جدي لها المحكمك (١) وعديها المرجب (٢) اما والله أن شتمت لتعيدها
 جذعة (٣) قال عمر رضى الله عنه اذا يقتلك الله قل بل اياك يقتل قال أبو
 عبيدة يا معشر الانصار إنكم أول من نصر وأزر فلا تكونوا أول من بدل
 وغير فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال يا معشر الانصار إنا والله

(١) الجذيل مصغر جنل وهو اصل الشجرة والمحكمك الذى تحتك به الابل

وهو عود ينصب لها تمر من به

(٢) المديق مصغر العنق اى النخلة والمرجب ما جعل له رجة اى دعامة

تبنى حوله لتسند من السقوط وكانوا يفعلون ذلك بالنخلة السحوق اذا تخوفوا عليها
 ان تنقر من الرياح العواصف والتصغير هنا يراد به التكبير وقد ذهب هذا القول
 مثلا يضرب لمن يستشفى برأيه كما تروح الابل بلحك وتستند النخلة بالدعامة

(٣) اى نعيد الشر الى حداثة يريد انه يبعث الحرب من جديد لامتلاك

هذا الامر

لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به الأرضي
ربنا وطاعة قبينا والسكح لأتفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا
أن نبتغي به من الدنيا عرضا فإن الله وليّ المنّة علينا بذلك ألا أن محمد صلى الله عليه
وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى وأيم الله لا يراني الله أنازعهم. هذا الأمر
أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم قال أبو بكر هذا عمرو هذا أبو عبيدة
فأيهما شتم فبايعوا قالوا لا والله لا تتولى هذا الأمر عليك فانك أفضل المهاجرين
وثاني اثنين إذ هما في النار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين
المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك أبسط يدك
نبايئك فلما ذهب ليايماه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن
المنذر يا بشير دقت حقائق ما حولك إلى ما صنعت أنفست على ابن عمك الأمانة
قال لا ولكني كرهت أن أنازع قوما حقا جعل الله لهم ولما رأيت الأوس
ما صنع بشير بن سعد وما تدعوا إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد
ابن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان أجد النقباء والله لئن
وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا
لكم معهم فيها نصيبا أبدا قوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه فانكر على سعد
ابن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجتمعوا له من أمرهم واقبلت أسلم بجباعتها حتى
ضاق بهم السكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقتت
بالنصر واقبل الناس بعدهم من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطئون سعد
ابن عبادة فقال ناس من أصحاب سعد اتقوا سعدا لا تطئوه فقال عمر اقتلوه قتله
الله ثم قلم على راسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عَضُوك فأخذ سعد بلحية
عمر فقال عمر والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة فقال
أبو بكر مهلا يا عمر الرّفق ههنا ابلغ فاعرض عنه عمر وقال سعد أما والله لو أن بي

قوة ما أقوي على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسكها زئير ايجحرك وأصحابك
 أما والله لا لحقنك بوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احموني من هذا المكان
 فخلوه فأدخلوه داره وترك أياما ثم بعث اليه أن اقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع
 قومك فقال أما والله حتى أرميكم بما في كنفاتي من نبي وأخضب سنان رعي
 وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي واقتلكم باهل بيتي ومن اطاعني من قومي وأيم
 الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي واعلم
 ما حسابي فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر لا تدعه حتى يبايع فقال له بشير بن سعد
 إنه قد لجّ وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده
 وأهل بيته وطائفة من عشيرته فأتركوه فليس تركه بضارك إنما هو رجل واحد
 قركوه وقبلوا مشورة بشير واستنصحوه لما بدالهم منه فكان سعد لا يصلي
 بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى
 مات أبو بكر رحمه الله ويقال انه لما قام الحباب بن المنذر وانتضى سيفه وقال
 أنا جدي لها المحكك وعديتها المرجب انا ابو شبل في عرينة الأسد حامله عمر
 فضرب يده فندر السيف فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد وتتابع
 القوم على البيعة وبايع سعد وكانت قلنة كفلتات الجاهلية قام ابو بكر دونها وفي
 رواية إن سعدا لم يبايع كما مر واستمر الي ان تولى عمر الخلافة فخرج الى الشام
 فمات بها قالوا ويخلف عن البيعة علي بن ابي طالب والزبير بن العوام والعباس بن
 عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من بني هاشم لأنهم وجدوا في انفسهم
 حيث لم يكونوا في المشورة في سقيفة بني ساعدة مع ان لهم حقا فيها ثم بايعوا بعد
 ذلك في حديث يطول شرحه وبعد خلافة ابي بكر رضي الله عنه خطب الناس
 فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اني وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم فأعينوني
 وان اسأتُ فقوموني الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قومي عندي

حتى ازيح عليه حقه والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ذمهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وخطب أيضاً خطبة بعدها فقال ألا ان أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك المملوك اذا مَلَكَ زَهْدَهُ اللهُ عز وجل فيما عنده ورغبة فيما في يدي غيردوا انتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق واذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله جل ثناؤه وأشد حسابه وأقل عفوه وسترون بعدي مثلكما عضواً وأمة شحاجا ودماً مبأحا فان كانت للباطل نزوة ولأهل الحق جولة ينفو لها الأثر وتموت السنن فالزموا المساجد وتوردوا القرآن وليكن الأبرام بعد التشاور والصفقة بعد التناظر وفي أوائل خلافته ارتدت العرب ققاتلهم حتى أرغمهم على الرجوع الى الاسلام وكانت خلافته في شهر ربيع الأول في اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما مرض مرض موته عهد بالخلافة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتاب يقول فيه هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك ظني به وإن بدل أو غير فلا علم لي بالغيب والخير أردت بكم ولكل إمرئ ما اكتسب من الإنم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في علته التي مات فيها فقلت له أراك باوثاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما لاني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي إني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أفقه أن يكون له الأمر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج^(١) وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف

(١) النضائد الوسائد جمع وسادة

الأذريبي^(١) كما يَألم أحدكم النوم على حسك السعدان^(٢) والذي قسني بيده
 لئن يُقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا
 يا هادي الطريق جرتَ إنما هو والله الفجرُ أو البجرُ^(٣) قلتَ خفّضْ عليك
 يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذا يبيضك إلى ما بك فوالله ما زلت
 صالحاً مصلحاً لا بأسَ على شيءٍ فاتك من أمر الدنيا ولقد تخلّيت بالأمر وحدك
 فما رأيت إلا خيراً انتهى ومكث في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً
 وقيل عشرة أيام وتوفي في جمادى الآخرة لثمان بقين منه سنة ثلاث عشرة هجرية
 عقبَ فحى أصابته من يوم بارد اغتسل فيه وقيل مات مسموماً من طعام أهدي
 إليه فأكل منه والله أعلم ورثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة	فأذكر أخاك أبا بكر بما فعل
التالي الثاني المحمود شيمته	وأول الناس طراً صدق الرسل
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد	طاف العدو به إذ ضعد الجبل
وكان حب رسول الله قد علموا	من البرية لم يعدل به رجلا
خير البرية أمها وأرفها	بعد النبي وأوقها بما حملا

انتهى

(المن) وَرَوَيْتُ رُحْمِي مِنْ كَنْبِيَةِ خَالِدٍ

(الشرح) رَوَيْتُ رُحْمِي أَي سَقَيْتُهُ دَمًا عَلَى الْمَجَازِ وَالرَّمْحُ مَلُومٌ وَالْكَنْبِيَّةُ
 الْجَيْشُ أَوْ جَمَاعَةُ الْخَيْلِ مِنَ الْمِائَةِ إِلَى الْأَلْفِ وَالجُمْلَةُ صَدْرِيَّتٌ مِنَ الشَّعْرِ هَكَذَا

(١) الأذريبي منسوب إلى أذربيجان (٢) الحسك الشوك والسعدان نبت

تأكله الأبل فتسمن عليه (٣) الفجر الضوء والبحر الظلمة ضرب بهما مثل الغمرات
 الدنيا يريد أن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك وإن صرت
 في الظلماء هجمت بك على المكروه أم

ورويت رعي من كتيبة خالد واني لأرجو بعدها ان أعمر
من قصيدة لأبي شجرة السلمى وسيأتي ذكرها بعد وكتيبة خالد جيشه
الذى حارب به أهل الردة وقبل ان تأتي بخبره نذكر شيئا من أخبار أبي شجرة
السلمى ومنبب قوله القصيدة التى منها البيت المذكور فنقول

﴿ ذكر ابى شجرة السلمى وبعض اخباره ﴾

هو أبو شجرة بن عبد العزى وأمه الخنساء من بنى سليم بن منصور ذكره
الطبرى فى تاريخه ولم أقف على بقية تسبه وكان شاعرا من شعراء بنى سليم ومن
قتاك العرب وأدرك الاسلام وأسلم فلما كان فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه ارتد
بعض قومه عن الاسلام فيمن ارتد من العرب وثبت بعضهم وكان معن بن حاجر
أميرا عليهم لأبى بكر رضى الله عنه فلما ندب ابو بكر خالد بن الوليد رضى الله
عنهما لمحاربة أهل الردة بعث خالد الى معن يأمره بالمسير اليه بمن ثبت من بنى
سليم بن منصور على الاسلام فسار اليه وكان فيمن لحق من بنى سليم بأهل الردة
ابو شجرة هذا فقاتل معهم جيش خالد رضى الله عنه وقال من قصيدة

فلو سألت عنا غداة مزامر كما كنت عنها سائلا لو فأيتها

لقاء نبي فهر وكان لقاؤهم غداة الجيواء حاجة فقضيتها

صبرت لهم نفسى وعرجت مهرتى على الطعن حتى صار وردا كمينها

إذا هي صدت عن كمي أريده عدلت اليه صدرها فهديتها

ثم قال قصيدته التى منها البيت السابق وهى

صحا القلب عن مى هواه واقصرا وطاوع فيها العاذلين فأبصرا

وأصبح ادنى رائد الجهل والصبا كما ودّها عنا كذلك تغيرا

واصبح ادنى رائد الوصل بينهم كما حبّلها من حبّلنا قد تبترا

الآيةا المدلى بكثرة قومه وحظك منهم ان تضام وتقمرا

مثل الناس عنايوم كل كربة
 اذا ما التقينا دارعين وحسرا
 الّسنا نعاظي ذا الطماح لجامه
 ونظمن في الميحا اذا الموت اقفرا
 وعارضه شهباء تخطر بالقنا
 ترى البلق في حاقلها والسورا
 فرويت رحي من كتيبة خالد
 واني لا اوجو بعدها ان اعمرا
 ثم اسلم بعد ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس ولكن تصيدته هذه حفظت
 عنه وتناقلها الركبان فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم ابو
 شجرة المدينة فاناخ ناقته بصعيد بنى قريظة ثم اتى عمر وهو يعطى المساكين من
 الصدقة فقال يا امير المؤمنين اعطني فاني ذو حاجة قل ومن انت قل ابو شجرة
 ابن عبد العزى السلى قل ابو شجرة اى عدو الله الّست الذى يقول
 فرويت رحي من كتيبة خالد واني لا ارجو بعدها ان اعمرا
 ثم جعل يعلوه بالدرة في راسه حتى سبقه عدوا فرجع الى ناقته فارتحلها ثم
 اسندها في حرة شوران راجعا الى ارض بنى سليم وقال
 ضنّ علينا ابو حفص بنائله
 وكلُّ مختبئ يوما له ورق
 مازال يرهقي حتى خديت له
 وحال من دون بعض الرغبة الشفق
 لما رهبت ابا حفص وشرطنه
 والشيخ يفرع احيانا فينحرق
 ثم ارعويت اليها وهي جانحة
 اوردتها الخل من شروان صادرة
 مثل الطريدة لم ينبت لها ورق
 تطير مروا ايان عن مناسمها
 ابنى لا زرى عليها وهي تنطلق
 اذا يعارضها خرق تعارضه
 كما تنوقد عند الجهد الورق
 ودهاء فيها اذا استعجلتها خرق
 ينوء آخرها منها بأولها
 سرح اليدين بها نهضة العنق
 ولم اقف له على اخبار اخرى اذ كرها ولا اهتديت على تاريخ وفاته لانه
 لم تكن له شهره غير ما عرف عنه بانه من الفتاك وكان مرتدا فاسلم انتهى

ذكر خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه وشيء من اخباره

هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم إحدى الأبطن العشرة المذكورة في نسب قريش وكان سيدا من ساداتهم في الجاهلية وقائد خيلم يوم أحد ثم أسلم هو وعمر بن العاص السهمي في وقت واحد عقب انصراف الأحزاب عن الخندق وحسن إسلامه وقاد السرايا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه نعم عبد الله وأخو المشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عجزت النساء أن يلدن مثل خالد وكان شجاعا ذا بأس ونجدة . واستعمله أيضا أبو بكر رضي الله عنه في حرب أهل الردة في أوائل خلافته فقاتل العرب حتى أرغمهم إلى العودة إلى الإسلام وأبلى بلاء حسنا كما هو مذکور في التاريخ وغزا أرض الروم وواقعه باليرموك وغيرها مشهورة وما زال عاملا لأبي بكر رضي الله عنه إلى أن توفي وخلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان أول ما بدأ به عزل خالد حينما توغل في بلاد الشام وهابته المعجم هيبة شديدة لشدة علفه بتدبير الحروب وانتصاراته المتكررة حتى افتتن الناس بشجاعته ومقدرته وقال لا يلي لي عملا أبدا وولي مكانه أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وكان سبب التهاجر بينهما على ما يقال أن خالدًا رضي الله عنه كان قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته داعيا إلى نبي جديدة يدعوهم إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلا وكانوا بناحية يلملم جبل على مرحلتين من مكة فلما وصلهم خافوه فلبسوا السلاح فقال لهم اسلوا فقالوا نحن قوم مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال فما بل السلاح عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخذنا أن تكونوا هم ويقال انهم قالوا له صبا أنا ولم يحسنو أن يقولوا أسلمنا قال فضعوا السلاح فوضعوه فقال استأمرؤا فأمر بعضهم فكنتف بمضا وفرقهم في أصحابه

ولم يقبل دعواهم وكانت بنو جزيمة أشرحى في العرب ويسمون لعنة الدم وهم الذين قتلوا الفاكه بن المغيرة عم خالد وعوف بن عوف والد عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وكان مع خالد بنو سليم الذين قتلت جزيمة منهم مالك بن الشريد وأخويه في موطن واحد قبل الاسلام فلما كان وقت السحر نادى منادى خالد أن من كان معه أسيرا فليقتله فأول بعضهم أن ذلك نأرا بعمة الفاكه قتل بنو سليم من كان معهم تشقيا وانتقاما لمالك بن الشريد وأخويه وامتنع المهاجرون والأَنْصار فأرسلوا أسراهم وبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم أن قتلهم كان خطأ فبعث على بن ابى طالب رضى الله عنه ودفع اليه ابلا وورقا يدي به قتلهم وقال له اجعل امر الجاهلية تحت قدميك فذهب على رضى الله عنه فوادهم وأعطاهم بدل ما أتلف عليهم حتى يبلغ الكلب وزادهم من المال احتياطا بدل ما يلغون ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أصبت واحسنت ثم قال والذي أنا عبده لى أحب الى من حمر النعم ثم قام مستقبلا القبلة شاهرا يديه وهو يقول اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد يكررها ثلاثا قالوا وتكلم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه مع خالد وقال له عملت بأمر الجاهلية في الاسلام فقال له خالد إنما أخذت بثأر ابيك فقال له عبد الرحمن كذبت انا قتل قاتل أبى وإنما نأرت بعصك الفاكه فوقع بينهما شرفا ستعان عبد الرحمن بن عوف بعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عليه فكان في قلب عمر منه شيء ولما وقع من خالد في حرب الردة ما وقع ومنه قتله مالك بن نويرة بعد أن أمره وتزوجه بأمر أمه ليلي بنت سناز ويقال كان يهواها في الجاهلية وكانت من أجل النساء تكلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أبى بكر وقال له اعزل خالد فان في سيفه رهقا كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته فقال الصديق رضى الله عنه كلا لا أشيم سيفنا منه الله على المناقين والكافرين ولم يعزله وقيل أن عمر قال له إن خالد قد زنى

فأرجه قال ما كنت لأرجه فانه تأول فأخطأ قال فانه قتل مسلماً فاقفلة به قال ما كنت لأقتله انه تأول فأخطأ قال فأعزله قال ما كنت لأشيم سيفاً منه الله عليهم ابدأ والمحتجون بخالد يقولون انه لم يقتل مالكا الا بعد أن أظهر الارتداد عن الاسلام والمحتجون عليه يقولون إن ما لكأ قال له . أنا على الاسلام ما غيرت ولا بدلت وشهد بذلك عبد الله بن عمر وأبو قتادة بن ربعي وقيل سالم مولى ابى حذيفة والله أعلم وكان مالك بن نويرة الذى قتله خالد من بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة سرياً نبيلاً ردف الملوك وبه يضرب المثل فى قولهم قى ولا كمالك وكان مكثراً ومن شعراء قومه واخوه متمم بن نويرة المكنى ابانهمش الشاعر المشهور كثير الاقطاع فى بيته قليل التصرف فى أمر نفسه اكتفاه بأخيه مالك وكان أعور دميماً فلما بلغه قتل أخيه حزن عليه حزناً شديداً وورثاه المرثية المشهورة ومنها وهى طويلة

قد كفن المنهال تحت رداءه	قى غير مبطن العشيات لروعا
ولا برماً تهدى النماء لعرسه	اذا القشع من حس الشتاء تقمعا
تراه كنصل السيف يهتز للندى	اذا لم نجد عند امرىء السوء مطعما
فان تكن الايام فرقن بيننا	قد بان محمودا أخى حين ودعا
فشبتنا بخير فى الحياة وقبلنا	أصاب المنايا رهط كسرى وتبعنا
وكنا كندمانى جديمة برهة	من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كانى ومالكا	لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فكان الأصعب تسميها أم المرائى وبعد قتل مالك حضر متمم الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الصبح خلف ابى بكر الصديق فلما فرغ أبو بكر رضى الله عنه من صلاته واقتل عن محرابه قام متمم فوقف بحذاءه وانكأ على صبية قومه ثم ألتد

نعم القتييل إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قنلت يا ابن الأزور
 أَدْعُوته بالله ثم قتلته لوهو دعائك بنعمة لم يَغْدُرْ
 وأوماً الى أبي بكر رضى الله عنه فقال والله مادعوته ولا غدرته ثم أنشد
 ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا ولنعم مأوى الطارق المتنور
 لا يمك الفحشاء تحت ثيابه حلوا شمائله عفيف الميزر
 ثم بكى وانحط عن سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام
 اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له لوددت أنك رثيت زيدا اخى بمثل
 ما رثيت به مالكا فقال يا أبا حفص والله لو علمت أن اخى صار بحيث صار
 أخوك مارثيته فقال عمر سمعنا انى أحد عن أخى بمثل تعزيتيه وقال متمم أيضا
 فى خالد بن الوليد رضى الله عنه من أبيات

قضى خالد بغيا عليه لمرسه وكان له فيها هوى قبل ذلك
 فأمضى هو أم خالد غير عاطفٍ عنان الهوى عنها ولا متهالك

وبقى خالد رضى الله عنه الى سنة أحدى وعشرين وقيل اثنين وعشرين
 وتوفى بجمص رحمه الله ولما احتضر قال والله ما فى جسدى موضع أصبع الا وفيه
 طعنة أورمية أو ضربة وها أنا أموت حتف أنفى موت الحمار فلا تأمت أعين
 الجبناء ولما بلغ عمر رضى الله عنه موته وكانا متهاجرين كما قدمنا وامتنع النساء
 عن البكاء عليه قال وما على نساء بنى المغيرة أن يرقن من دمعين على أبى سليمان
 ما لم يكن أغوا أو لقلقة فلما سمعن ذلك بكين عليه وقد اكتفينا بما أوردناه من
 أخباره رضى الله عنه خوف الاطالة

(المتن) وَمَزَّقْتُ الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكْتَ يَدَ اللَّهِ عَلَيْهِ

(الشرح) التمزيق التخريق والأديم الجلد والبركة النماء والزيادة يشير الى

قول الشاعر فى الآيات الآتية

ابعد قتيل بلدينة اظلمت
جزى الله خيرا من امام وباركت
فمن يجر او يركب جناحي نفاة
قضيت امورا ثم غادرت بعدها
وما كنت اخشى أن تكون وفاته
بكفى سبنتي ازرق العين مطرق

روي ان عائشة رضى الله عنها قالت ان الجن رثت عمر بن الخطاب رضى
الله عنه بهذه الايات قبل موته بثلاثة أيام والصحيح انها للشماخ بن ضرار
ذكر ذلك الشيخ ابى نصر الجوهري فى صحاح اللغة وذكر صاحب العقد الفريد
البيت الثانى منها ونسبه الى حسان بن ثابت وليس كذلك

ذكر الشماخ بن ضرار وبعض أخباره

الشماخ لقبه واسمه معقل بن ضرار بن عمر بن جحاش بن بجالة بن مازن بن
سعد بن ذبيان شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم وحسن اسلامه ذكر
ذلك صاحب كتاب الاغانى وكان شديد متون الشعرا شد كلاما من لبيد بن ربيعة
واتما كان فيه كرازة ولييد أسهل منه منطقا وجمله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة
وقرنه بالنايفة ولييد وأبى ذؤيب الهذلى وكان معاصرا للكعب بن زهير بن أبى سلمى
والخطيئة وهو جرول بن أوس وله أخوان شاعران أحدهما مزرد واسمه يزيد
والثانى جزء وبعضهم ينسب الايات التى تقدمت اليه والله اعلم
واشتهر الشماخ بوصف الابل والحمر الوحشية إلا أنه أكثر فى وصف الثانية
حتى قال الوليد بن عبد الملك لما سمع شعره فيها أنى لأحسب أحد ابويه حمارا
فما قاله فى وصف الابل قوله

وكيف يضيع صاحب مُدْفِنَاتٍ عَلَى اثْبَاجِنٍ مِنَ الصَّقِيعِ
يريد به صاحب الابل الكثيرة لأنها اذا كانت كذلك أدفنت بعضها بعضا

بأنفاسها وقوله

يُبا كرن العِضَاءَ بِمَقْنَعَاتٍ نواجدهن كالحده الوقيع -
يصف أسنانها بالفؤوس ذوات الرأسين ومن قوله في الحر الوحشية
يحشرجها طوراً وطوراً كأنها لها بالرغامى والنخياشيم جارزُ
الجارز الشديد السعال يصف شدة سعالها من العدو .

يكلفها أقصى مداه إذا التوى بها الورود عوجت عليها المفاوز
حداها برج من نهيق كأنه لما رد لحيته من الجوف دراجز
وقابلها من بطن زروة مصعداً على طرق كأنهن نحائز
فأصبح فوق الحقف حقف تبالة له مركب في مستوى الأرض بارز

وقال ايضاً فيها

توائل من مصك انصبته حوالب أسهرية بالزنين

الاسهران عرقان من المنخرين يقول ان منخري حمار الوحش يسيلان ماءً

وتلك عادة الحر اذا اغتمت وقال ايضاً

متي ماتع ارساغه مطمئنة على حجر يرفض أو يتدخرج
وله غير ذلك كثير ومن احسن ماقاله في المدح وقيل أنه من أحسن ماقالته

العرب قوله وقد ذكر في الحماسة

وأشعثُ قد قدَّ السفارُ قيصه وجرَّ شواءً بالعصا غيرهُ مُضَج
دعوت إلى ماناني فاجابني كبريم من الفتيان غير مزلج
قبي عملاً الشيزي ويروي سنانه ويضرب في رأس الكمي المدجج
قبي ليس بلراضي بأدنى معيشة ولا في بيوت الحي بالمتولج

وهو الذي مدح عرابة الاوسى بقوله

رايت عرابة الاوسى يسمو الى الخيرات منقطع القرين

إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
 يحتمل انه اراد الفرخ اي تلقاها بفرخ لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرخ
 قاله الخطيب الشربيني رحمه الله وقال المبرد في الكامل إن اصحاب المعاني قالوا
 انه أراد بها القوة ومثله قول الله عز وجل والسماوات مطويات بيمينه
 إذا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رِحْلِي عَرَابَةٌ فَأَشْرُقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
 ومثل سرة قومك لم تجاروا الي رُبُعِ الرهان ولا الثمين
 الثمين من الثمن كالسديس من السدس يريد أنه إذا بلغ المبدوح لم يحتاج
 ان يرحل الي غيره وقد أحسن إلا أن بعضهم عاب عليه قوله فأشرقى بدم الوتين
 وقالوا كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائها عنها واحتجوا بقول رسول الله صلى
 الله عليه وسلم للأصمعيه المأسورة بمكة وقد نجت على ناقته صلى الله عليه وسلم
 فقالت يا رسول الله نذرت إن نجوت عابها أن أئجرها فقال لبئس ماجزيتها به
 ولا نذر للانسان في غير ملكه واستحسنوا قول أبي نؤاس في مدح محمد الامين
 العباسي من قصيدته الميمية

وإذا المطى بنا بَلَّغْنَ محمداً
 قَرَّبْنَا من خير من وطى الحصى
 وقوله ايضا يَعْرضُ بقول الشماخ
 أقول لناقي إذا بَلَّغْتَنِي
 لقد أصبحت عندي باليمين

اليمين هنا المنزلة الجليلة

فلم أجعلك للغريان نهبا
 حرمت علي الازمة والولايا
 ومثله قول الفرزدق الشاعر
 علام تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ نَحْيُ
 ولا قلت أشرقى بدم الوتين
 واعلاق الرحالة والوضين
 وخيرُ الناس كلهم أمامي

متي تردى الرضاة تستريحى من التهجير والدبر الدوامى
 ويروى من الاسراع والدبر الدوامى جمع دَبْرَةٌ وهى فرحة الدابة وقد سبقهم
 فى هذه المعنى امرؤ القيس بقوله لناقته
 فجزيت خير جزاء ناقة واحد ورجعت سالمة القرى بسلام

حيث دعا لها بخير الجزاء شكرا لها على سرعة السير والصبر عليه رجعتنا
 الى أخبار الشماخ قلوا كان عرابةً الذي عناه بشعره المنتقم سيدها من سادات قومه
 الأوس وجوادا من أجولدهم فأتى الشماخ المدينة فلقبه عرابة فسأله عما أقدمه فقال
 أردت ان أمتار لأهلى وكان مه بغير ان فأوقرهما له بُرّاً وتمرا وكساه واكرمه
 فخرج من المدينة وامتدحه بالايات المذكورة فصارت مثلاً سائراً وأثراً باقياً
 لا تبلى جدته ولا تتغير بهجته قال أبو الحسن بن رشيق القيروانى فى العمدة
 فى من رفعه الشعر ووضعوه وقد قدح ذلك فى مروءة الشماخ وحط من قدره لسقوط
 همته عن درجة مثله من أهل البيوتات ونحوي الاقدار كسقوط النابغة الذبياني
 بامتداحه النعمان صاحب البؤس والنعيم قلت وعندى ان النابغة وان يكن شريفاً
 فلا يؤخذ عليه فى مدحه النعمان وقد كان النعمان ملك العرب وانما يؤخذ عليه مدحه
 لنظيره أو أدنى منه والنعمان لم يكن نظيره وانما حط النابغة عن درجة أمثاله
 استهتاره بالشعر واعتكافه عليه ومدحه غير الملوك كابن الجراح الكلبى قائد جيش
 الحرث بن أبى شمر الغسانى ورنائوه وعتابه وهجاؤه آخرين وكانت الاشراف
 تأنف من قول الشعر وكذلك الملوك وحكاية امرؤ القيس الكندى مع أبيه
 وطرده له لما اعتلق قول الشعر مشهورة معلومة فاما مدح النابغة للنعمان خاصة فلا
 زراية عليه فيه ألا ترى كيف أن لبيد بن ربيعة لما أمر ابنته ان تحجب الوليد بن
 عقبة أمير الكوفة حينما بعث الوليد اليه بمائة من الابل لينحرها وبأبيات من
 الشعر وكان قد كف لبيد عن قول الشعر فى الاسلام وكان قد نذر فى الجاهلية ان

لَا تَهَبْ صَبَا إِلَّا أَطْعَمَ قَالَتْ تَجِيبُهُ

أَيَا وَهَبِ جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحْرَانَا فَأَطْعَمْنَا الثَّرِيدَا

فَعَدَّ أَنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وَظَنَى بِأَبْنِ أَدْرَى أَنْ يَعُودَا

قَالَ لَهَا أَبُوهَا أَحْسَنْتِ لَوْلَا أَنَّكَ سَأَلْتِيهِ قَالَتْ إِنَّ الْمَلُوكَ لَا يُسْتَحَى مِنْ

مَسْأَلَتِهِمْ قَالَتْ لَهَا وَأَنْتِ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ وَلَيْبِدُ هُوَ ذَلِكَ الْمَعْرُوفُ بِالسَّخَاءِ وَالشَّرْفِ

وَالشَّجَاعَةِ وَقَوْلُ الشَّعْرِ وَأَبُوهُ قَبْلَهُ يُقَالُ لَهُ رِبِيعَةُ الْمُعْتَرِّينَ لِحُودِهِ وَسَخَاءُهُ وَلَوْ كَانَ

هَذَا يَزْرِي بِهِ لَمَا رَضِيَ لِابْنَتِهِ أَنْ تَقُولَ مَا قَالَتْ وَلِمَا امْتَنَحَسْنَ مَضَاءَهُ وَلَسْتُ أَدْرِي

مَنْزِلَةَ الشَّمَاخِ فِي الشَّرْفِ وَالرَّفْعَةِ لِأَقْبَسَ عَلَيْهِ عَرَابَةٌ فِي شَرْفِهِ وَرَفْعَتِهِ فَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ

فَدَحَهُ لَهُ يَحِطُّ بِقَدْرِهِ وَالْإِفْلَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَاتَ الشَّمَاخُ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ هِجْرِيَّةً

أَتَتْهُ وَادْفَرَ غَنَامًا مِنْ تَرْجَمَتِهِ نَأَى بِتَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ الْآيَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ

ذَكَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَسَبَهُ وَخِلَافَتَهُ وَمَوْتَهُ

هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِيِّ بْنِ رَبَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ

ابْنِ رِزَاحِ بْنِ عَدِيِّ وَيَكْنَى أَبُو حَفْصَةَ وَيَلْقَبُ الْفَارُوقَ قَبِيلَ لِأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ

وَالْبَاطِلِ وَقِيلَ لِأَنَّهُ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ وَكَانَ مَخْفِيًا فِيهَا وَيَلْتَقَى نَسَبُهُ مَعَ رَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَدِّهِ كَعَبِّ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ وَمَوْلَدِهِ قَبِيلِ الْفِجَارِ

الْأَعْظَمِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ وَقَدْ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ شَدِيدًا

فِي الْحَقِّ قَوِيًّا فِي الدِّينِ لَا يَخْشَى فِيهِ لَوْمَةٌ لِأَنَّهُمْ وَلَا قَرَابَةٌ قَرِيبٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَاهَرَ

بِإِسْلَامِهِ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ فِي هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ مَتَنَكِبًا قَوْسَهُ مُنْتَضِيًا فِي يَدِهِ

أَسْمُهُ مُخْتَصَرًا عَزَّزَتْهُ (أَيَ حَرْبَتَهُ) فَاتَى الْكَعْبَةَ وَالْمَلَأَ مِنْ قَرِيشٍ بِنَاءً مَهَافِطَافٍ

بِالْبَيْتِ سَبْعًا مَتَمَكَّنًا ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى الْخَلْقِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً

وَقَالَ لَهُمْ شَاهَتِ الْوُجُوهُ لَا يُرْغَمُ اللَّهُ إِلَّا عِنْدَهُ الْمَعَاظِمُ مَنْ أَرَادَ أَنْ تَشْكُلَهُ أُمَّةٌ وَيَوْمَ

والله ويرمل زوجته قليقياً وراء هذا الوادي بما تبعه أسد وكان إذا ذلك لا يخرج
 من مكة مهاجراً الا مختفياً وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل
 لخلق علي لسان عمر وكان اذا قال قولاً قالنا لب أن الله سبحانه وتعالى ينزل فيه
 قرآنا يؤيده فمن ذلك ما قال في أسارى بدر فانه أشار بقتلهم وأشار غيره بمغادرتهم
 فانزل الله تبارك وتعالى قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب
 عظيم) ومن ذلك ما قاله في الحجاب فانزله الله وما قاله في الحجر فخرمه الله وقال
 صلى الله عليه وسلم لو كان بمدي نبي لكان عمر بن الخطاب وما نره كثيره واضحة
 وكان آدم مشرباً بجمرة طويلاً أصنع له حقائقان (طرة من الشعر حول الرأس الاصم)
 حسن الخدين والأف غليظ القدمين مجدول اللحم حسن الخلق ضخم الكراديس
 (العظام المكتنز لها) أعسر يسر يعمل بيديه واذا مشى كأنه راكب وهو أول
 من دعى أمير المؤمنين ثم جرت بذلك السنة وأول امام وضع التاريخ وأول من ختم
 بالطين وأول من جمع الناس على امام يصلى بهم التراويح في شهر رمضان وكتب
 بذلك الى البلدان وأول من حمل الدرّة وضرب بها وأول من دون الدوليين للناس
 في الاسلام ومصر الامصار وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم العطاء وتزوج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته حفصة سنة ثلاث هجرية وتوفى عنها وتولي الخلافة
 ثمان خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة هجرية بعد من أبي بكر
 الصديق رضی الله عنه وفي أيام خلافته ازدهى الاسلام واتسعت نواحيه فافتتحت
 بلاد الروم والترك والهند والجزر والشام والعراق ومصر وسكنندرية والنوبة وكان مع
 شدته في الحق متواضعا يحمل الطعام الى المساكين بيده ويسأل عنهم ويرحمهم
 ولما بويع بالخلافة خطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس اني قد وليت
 عليكم ولولا رجاء أن اكون خيركم لكم وأقوامكم عليكم وأشدكم استضلاعا لما ينوب من
 مهمهم وركم ما توليت ذلك منكم ولكفى عمر معهما محزنة ما وافقة الحساب بأخذ حقوقكم

كيف أخذها ووضعها ابن أضعها وبالسير فيكم كيف أسير فرجى المستعان فأن عمر
 أصبح لا يثق بقوة أو حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأيسده
 وخطبه كثيرة أكتفينا منها بهذه وله الرسالة المشهورة في القضاء التي كتب بها
 إلى أبي موسى الأشعري وهي التي جمع فيها جمل الأحكام واختصرها بأجود الكلام
 وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حذردها
 محيصا فآثرا قلها هنا ليستفيد منها مستفيد وهي بعد البسلة من عبد الله عمر
 ابن الخطاب إلى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة
 وسنة متبعة فافهم إذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له آس في الناس
 بين وجهك وعدلك ومجاسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف
 من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين
 إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه
 عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع إلى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق
 خير من التبادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب
 ولا سنة ثم اعرف الاشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى اقربها
 إلى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهي إليه فان
 احضر بينة أخنت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه انفى للشك وأجلى
 للعلمي المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة
 زور أو ظنينا في ولاء أو لسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايان
 واياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم وانتكر عند الخصومات فان الحق في مواطن
 الحق يُعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه
 كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه
 الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام

ومكث رضي الله عنه في الخلافة عشر سنين وستة اشهر وأياما محمود السيرة
 طبيب السريرة مرضيا في جميع اموره يسوس الامور بالعدل والشفقة الى أن قتل
 بطنة خنجر من يد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة وأسمه فيروز
 في صلاة الصبح فمات من جراحه ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة
 ثلاث وعشرين رحمه الله تعالى ورضي عنه قيل إن أبا لؤلؤة طعنه ثلاث طعنات
 إحداهن في سرتة فكانت القاضية وطمن معه ثلاثة عشرة نفرا في الصلاة مات
 منهم سبعة وكان السبب في ذلك أن أبا لؤلؤة لا رحمه الله شكى اليه سيده المغيرة
 ابن شعبة فيما ضربه عليه من الخراج وكان نجارا لطيفا وسأله ان يكلم مولاه في
 تخفيفه عنه فقال له عمر رضي الله عنه وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال
 ما أرى هذا تميلا قد بلغني انك تقول لو أردت أن أعمل رحي تطحن بالريح
 فقلت قال نعم قال فاعمل لي رحي قال لئن سلمت لا عملن لك رحي يتحدث
 بها من بالشرق والمغرب ثم انصرف عنه وحقد عليه وتربص له حتى ضربه بالخنجر
 في صلاة الصبح كما سبق ذكره ولما علم انه ماخوذ طمن نفسه ومات لا رحمه الله
 قالوا ولم يمهده عمر رضي الله عنه لاحد بالخلافة بل اوصى ان تكون شورى بين
 ستة من كبار المهاجرين فمن وقعت عليه الشورى تولاها وقالوا لله لا احمك حيا وميتا
 وحديث الشورى يطول بنا شرحه فاكتفينا بالإشارة اليه انتهى

(المتن) وَضَحِّيْتُ بِالْأَشْمَطِ الَّذِي عِنْدَ الشُّجُودِ بِهِ

الضحاه بالمد أصله امتداد النهار كانه اسم للوقت ومنه الاضحية وجمعها اضاحي
 والضحية وجمعها ضحايا أي الذبيح وقت الضحى ثم كثر حتى قيل ضحى في اي وقت
 كان من أيام التشريق ويقال قتل فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه وأيام التشريق
 ثلاثة بعد يوم النحر لان لحوم الاضاحي تُشَرَّقُ فيها أي تشررفى الشمس الا أن ما في
 التاريخ للطبري لا يؤيد ان قتله رضي الله عنه كان فيها كما سيأتي وقوله بالاشمط أي

الذي اختلط سواد شعر رأسه ببياضه وكان رضى الله عنه كذلك والعنوان بضم أوله وكسره كل شيء يستعمل به عليه ومنه عنوان الكتاب واختلفوا في اشتقاق عنوان فزعم بعضهم انه مأخوذ من العنوان أي الأثر وزعم آخرون انه مأخوذ من قول العرب عنيت الأرض تنوذاً أخرجت النبات واعتناها المطر أي أظهر نباتها وقيل مأخوذ من عن يمين إذا عرض وبدا والسجود الخضوع ومنه سجود الصلاة معلوم يشير إلى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

ضحوا بأشمت عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرأنا

من أبيات يرثي بها عثمان رضى الله عنه الذي قتل في داره بالمدينة وكان قد وخطه الشيب وسيأتي خبر مقتله عقب أخبار حسان بن ثابت رضى الله عنه
ذكر حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر وبعض أخباره

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمر بن زيد مناة من الخزرج ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام يلقب ذا الأكلة شاعر فحل من فحول الشعراء ويقال انه أشعر أهل المنذر وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ومن المعمرين عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وقيل أكثر وكان يقال أعرق قوم في الشعراء آل حسان فانهم يُتَدَوَّنُ سنَّة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد وعبد الرحمن وحسان وثابت والمنذر وحرام وكان معروف في الجاهلية بجود الشعر وزاحم النابتة الذي ياتي وعلقمة بن عبدة عند عمرو بن الحرث الغساني وامتدحه بحضرتهما بقصيدته
اللامية المشهورة ومنها

لله در عصابة نادمتهم	يوما بجلق في الزمان الأول
يمشون في الحلال المضاعف نسجها	مشى الجمال الى الجمال البزل
الضاربون الكباش يبرق بيضه	ضربا يطيح له بنان المفصل
وانخالطون قهيرهم بقنيهم	والمنعمون على الضعيف المرمل

أولاد الجنة حول قبر أبيهم
يُشَوِّنُ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابِهِمْ
يَسْقُونَ مَنْ وَزَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ
يُسْقُونَ دَرِيْقَ الرَّحِيقِ وَلَمْ تَكُنْ
بِيضَ الْوَجْهِ كَرِيْمَةَ أَحْسَابِهِمْ
إِلَى أَنْ قَالَ، فَمَتَخَرَّ بِنَسْبِهِ

نَسْبِي أَصِيلٌ فِي الْكِرَامِ وَمَنْدُودِي
وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَيَسُودُ سَيِّدُنَا جَاحِجَ سَادَةِ
وَنَحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمَهْمَ خَطَابِهِ
وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمَوَكِّ رِكَابُنَا
تَكْوِي مَوَاسِمُهُ جُنُوبَ الْمَصْطَلِي
وَنَسُودُ يَوْمَ النَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِي
وَيَصِيبُ قَائِلُنَا سِوَاءَ الْمَفْصَلِي
فِيهِمْ وَنَفْصَلُ كُلِّ أَمْرٍ مَعْصَلِي
وَمَتَى نَحْكُمُ فِي الْبَرِيَّةِ نَعْدَلِي

والجاء الاسلام وانتظم في سلك الانصار نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده ولذلك فضل على الشعراء بثلاث كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة وشاعر الامم كلها في الاسلام وكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو من يهجوهم فقال فيه اللهم آتته روح القدس وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤديك ما نافخت عن الله عز وجل وعن رسوله وكان ثلاثة رخط من قريش يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن الزبير وابوسفيان بن الحرث وعمرو بن العاص فتعرض لهم ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة فكان أشد القول عليهم قول حسان ثم كعب لانهم ما كانوا يعارضونهم بمثل قولهم في الوقائع والايام وأهون القول عليهم قول ابن رواحة لأنه كان يعيرهم بالكفر فلما دخلوا في الاسلام وتمتعوا

في الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة وكان لحسان رضى الله عنه لسان
أسود يضرب به رَوْتَةٌ أُنْفَه ويقول ما يسرني به يقولُ بين بصرى وكنعان ولو
وضعتَه على شعر حلقة أو على صخر لفلقه ولما استأذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يهجو قريشا قال كيف تهجوهم وانا منهم قال اسلك منهم كما تسلك الشعرة
من العجين فاذن له وقال ائت ابا بكر الصديق فانه أعلم الناس بأنساب العرب
فأتاه فأعلمه فقال له كُفَّ عن فلان واذا كر فلانا فقال يهجو أباسفيان بن الحرث

الا أبلغ ابا سفيان عنى	فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيوفنا تركتك عبدا	وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذلك الجزاء
أنهجوهُ ولست له بكفاء	فشر كما تلخير كما الفداء

في البيت الاخير كلام لأهل العلم لأجل خير وشر لأنهما من أدوات

التفضيل وتمتضى المشاركة وانما أجابه حسان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

هجوت مباركاً برأ حنيفا	أهين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم	ويعسسه وينصره سواء
فان أبى ووالدتى وعرضى	لعرض محمد منكم وقاه
فاما تنفقن بنى لوى	جنيمة ان قتلهم شفاء
أولئك معتر نصروا علينا	فهي أظفارنا منهم دماء
وحلف الحرث بن أبى ضرار	وحاف قريظة منا براء
لسانى صارم لا عيب فيه	وبجرى لا تكدره الدلاء

وأبو سفيان هذا أبوه الحرث بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه

وسلم وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ارضعتها حليلة بنت أبى

ذؤيب السعدية وأشبهه الناس به قيل ان قريشا لما سمعت بشته قالوا إن

هذا الشتم ماغلب عنه ابن أبي قحافة يعنون ابا بكر رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب بشعره ففي ليلة وهو في سفر قال ابن حسان فقال حسان ليك يا رسول الله وسعديك قال اسمعني شعرك فاجعل ينشد والنبي صلى الله عليه وسلم يصغى اليه فما زال يستمع وهو سائق راحلته حتى كان راجع الراجلة تمس الورك الى ان فرغ فقال صلى الله عليه وسلم لهذا اشد عليهم من وقع النبل وقال امرت عبد الله بن رواحة فقال واحسن وامرت كعب بن مالك فقال واحسن وامرت حسان فشغى واشتغى فلما كانت خلافة ابي بكر رضى الله عنه نهى الصحابة عن ان ينشدوا شيئا من مناقضات الانصار وقريش وقال ان ذلك فيه شتم للمنى بلية وتجديد الضغائن وقد هدم الله امر الجاهلية بما جاء به الاسلام وحديث وقد تميم بأشرفهم وخطبائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعين رجلا ودعاهم لياه للمفاخرة وما قالوه من الخطابة والشعر وما رد به شماس بن قيس من الانصار في الخطابة وحسان بن ثابت في الشعر حتى اذعنوا لها بالتميز عليهم في الفصاحة والبلاغة مشهور معلوم لاحاجة بنا الى ذكره ولحسان رضى الله عنه ديوان من الشعر حوى كثيرا من أنواعه في المدح والنسيب والهجاء والمراثي ومما رثي به النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كثير) قوله

كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فليك كنت أجازر

وانما كان رضى الله عنه بوصف بالجبن فقد قيل انه حين يوم الخندق عن قتل يهودي طاف بالحصن وقد كلمته صفة بنت عبد المطلب رضى الله عنها أن ينزل اليه ليقتله فقال لها ما أنا بصاحبه فأخذت صفة عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربت به حتى قتله وأجابوا عنه بأنه ما كان يستطيع ان يضرب بيده شيئا لأن اكله مقطوع والأكل عرق في اليد يفسد ولا يقال عرق

الإكل وبما عد عليه أيضا إفاضته في حديث الافك كما ر عليك فيما مضى من هذا الكتاب وعاش رضى الله عنه الى زغن خلافة معاوية بن ابى سفيان وكان عثمانيا ومات فى سنة اربع وخمسين هجرية بالمدينة أو سنة ٦٧٦ ميلادية والله اعلم انتهى

ذكر عثمان بن عفان رضى الله عنه وخلافته وموته

هو عثمان بن عفان بن العاص وكنيته أبو عبد الله من نبي أمية احدى العشرة الأبطال المذكورة فى اسب قريش وولتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بدرا وبذل نفسه فى سبيل الله وجيز جيش العسرة من ماله وسماه النبي صلى الله عليه وسلم ذا النورين لأنه تزوج بنته رقيه فلما ماتت عنده زوجه أختها أم كلثوم ووردت فيه أحاديث شريفة تدل على فضله ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم منها اللهم انى رضيت على عثمان فارض عنه اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت ومنها إني لأستحي ممن استحييت منه ملائكة الرحمن ولما تغيب عن بيعة الحُدَيْبِيَّةِ وكان قد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فى حاجة ضرب صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال منه عن عثمان ولشمالى خير من يمينه وكان مولده بالطائف فى السنة السادسة من عام الفيل فهو أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وبويغ له بالخلافة ليلية بقيت من ذى الحجة وقيل فى أول المحرم سنة أربع وعشرين بأغلبية أهل الشورى التى قررها عمر رضى الله عنه قبيل وفاته كما هو معلوم ولما بويغ خرج الى المسجد فرقى المنبر وخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس انكم فى دار قلعة وفى بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ألا وأن الدنيا طويت على الغرور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور إعتبروا بما مضى مم جدوا ولا تغفلوا فانه لا يُنقل عنكم ابن أبناء

الدنيا واخوانها الذين أثاروها وعمروها وتمعوا بها طويلاً ألم تلقظهم لرموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب لها مثلاً فقال عز وجل وَأَضْرِبْ لَمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى قَوْلِهِ أَمْلاً الْآيَةَ وَأَقْبَلَ النَّاسَ يَبَايَعُونَهُ وَخَطَبَ أَيْضًا فَقَالَ أَمَا بَعْدَ فَاِنِّي قَدْ حُمِّلْتُ وَقَدْ قَبِلْتُ الْآ وَانِي مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ الْآ وَأَنْ لَكُمْ عَلَيَّ بِمَدِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا اتَّبَاعٌ مِنْ كَانَ قَبْلِي فَمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسُنَّتُمْ وَمِنْ سُنَّةِ أَهْلِ الْخَيْرِ فَمَا لَمْ تَسْنُوا عَنْ مَلَأَ وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إِلَّا مَا اسْتَوْجِبْتُمْ الْآ وَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ قَدْ شُهِبَتْ إِلَى النَّاسِ وَمَالِ الْيَاسِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَا تَرْكَنُوا إِلَيْهَا وَلَا تَتَّقُوا بِهَا فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ وَعَاطِلُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مَنْ تَرَكَهَا انْتَهَى وَفِي أَيْلَمِ خِلَافَتِهِ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَافْتَتَحَ صَابُورَ وَافْرِيقِيَّةَ وَسُوحْلَ الْأَرْدُنِّ وَسُوحْلَ الرُّومِ وَاصْطَخْرَ وَفَارِسَ الْأُولَى وَطَبْرَمِسْتَانَ وَكِرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَالْأَسَاوِرَةَ وَمَكَّةَ يَدْبِرُ أُمْرَ الْخِلَافَةِ اثْنَيْ عَشَرَ سَنَةً إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ لَيْلَةً حَتَّى كَانَ مَا كَانَ مِنْ أُمُورِ انْكَرُوهَا عَلَيْهِ قَتَلُوهُ فِي دَارِهِ مَظْلُومًا رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَقُولُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ وُلِيَ الْخِلَافَةَ أَخَذَ فِي تَوَلِيَةِ الْأَحْدَاثِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَثَرَمَ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ كِبَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حَتَّى كَاشَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ إِنَّكَ لَمْ تَسِرْ سِيرَ سَلْفِكَ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَوْطَأَتْ أَهْلَ بَيْتِكَ وَقَرَابَتِكَ رَقَبَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ كَانَ يَقْتَضِعُ قَرَابَتَهُ فِي اللَّهِ وَأَنَا أَصْلُ قَرَابَتِي فِي اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ اللَّهُ عَلَى أَنْ لَا أَكَلِمَكَ أَبَدًا فَلَمْ يَكَلِّمَهُ حَتَّى مَاتَ وَمَا تَمَازَى الْأَمْرَ اجْتَمَعَ بِمَضْمُومٍ وَكَتَبُوا كِتَابًا ذَكَرُوا فِيهِ مَا خَالَفَ فِيهِ عُمَانُ مِنْ هَيْبَتِهِ خُمُسَ أَفْرِيقِيَّةَ لِمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَفِيهِ حَقُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمِنْهُمْ ذُوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَمَا كَانَ مِنْ تَطَاوُلِهِ فِي الْبَنِيَانِ حَتَّى عَدَّوْا سَبْعَ دُورٍ بَنَاهَا بِالْمَدِينَةِ وَبَنِيَانِ مُرْوَانَ الْقَصُورَ بِنْدَى خَشْبٍ وَعِمَارَةَ الْأَمْوَالِ بِهَا مِنْ الْخُمُسِ الْوَاجِبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَفْشَاءِ الْوَلَايَاتِ

في أهله وبنى عمه أحداثٌ وَعِلْمَةٌ لَا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور
 وما كان من الوليد بن عقبة عامله بالكوفة إذ صلى بهم الصبح سكران أربع ركعات
 وتعطيله إقامة الحد عليه إلا بعد أن كلم فيه وتركه للمهاجرين والأَنْصار لا يستعملهم
 ولا يستشيرهم في شيء واستغفناه برأيه وما كان من الحِمْي الذي حتى حول المدينة
 كان من إداره المطايا على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي صلى الله عليه
 وسلم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزرانة إلى السوط وأنه أول من
 ضربهم بالسياط فظهور الناس ثم تصاعد القوم ليدفن الكتاب في يد عثمان فدفنه
 إليه عمار بن ياسر رضي الله عنه قرأه وقال له أنت كتبتة قال نعم قال ومن منك
 قال سبي عثر فمرقوا قرآناً منك قل من هم قال لا أخبرك بهم قال فلم اجترأت
 علي فقال مروان بن الحكم وكان حاضراً يا أمير المؤمنين إن هذا السبد الأسود
 قد جرأ الناس عليك وانك إن قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه
 فضربوه حتى غشى عليه وجروه وطرحوه على باب الدار فغضب له بنو المغيرة وكان
 حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الصبح عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال
 أما والله لئن مات عمار لنقتلن به عظيماً من بنو أمية فقال عثمان لست هناك وكانت
 من عنان هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري فكانت هذيل وبنو
 زُهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود وكانت بنو غفار واحلافها ومن غضب لابي
 ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم أيضاً قد حنقت على عثمان رضي الله عنه
 بحال عمار بن ياسر ثم أن عبد الله بن أبي سرح عامله بمصر ضرب رجلاً من أتى
 عثمان يشكو إليه قتله فذهب هدرًا وكان كلما شكى الناس أمره إلى علي بن أبي طالب
 رضي عنه أرسل الحسن ابنه إليه فلما أكثر قال له يوماً إن أباك يرى أن لا أحد
 يعلم ما يعلم ونحن أعلم بما فعل فكف عنا فلم يبعث علي رضي الله عنه ابنه في
 شيء بعد ذلك قالوا وقبلها قال لعلي رضي الله عنه وقد سأله الناس أن يكلمه إن

الناس قد كذبوني أن أكلتكم والله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا تنكروه وما
اعلمت شيئا تجهله وما ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك وما نبصرك من
عمى وما نعلمك من جهل وإن الطريق لبين واضح تعلم يا عثمان أن أفضل الناس
عند الله امام عدل هدي وهدى فأحيا سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة وأن
شر الناس عند الله امام ضلالة ضل وأضل به فأحيا بدعة مجهولة وأمات سنة
معلومة وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالامام الجائر
يوم القيامة ليس معه ناصر ولا عازر فيلقى في جهنم فينبور دورة الرحي يرتطم
بجذرة النار إلى آخر الأبد وأنا أحذرك أن تكون امام هذه الأمة المقتول فإنه
يقال يقتل في هذه الأمة امام يفتح به باب القتل والقتال إلى يوم القيامة يخرج
بهم في أمرهم ويمرجون فقال له عثمان رضي الله عنه أما والله لو كنت مكاني
ما عنفتك ولا أسلمتكم ولا عبت عليكم وكلمته أم سلة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم وهي تمظه قالت يا بئى مالي أرى رعبك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين
لا تفط طريقا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها ولا تمتدح بزناد كان عليه
السلام أكباها وتوخى حيث توخى صاحبك فانهما تكما الأمر تكما (١) ولم يظلمنا
هذا حق أمومتى قضيتك اليك وإن عليك حق الطاعة فقال عثمان رضي الله عنه
أما بعد قد قلت فوعيت وأوصيت قبلت ولى عليك أن تنصتني لما أقول إن
هؤلاء النفر راع نعر تطأ طأت لهم تطأطؤ الدلاء وتلدت لهم تلدد المضطرب
قارانيهم الحق إخوانا وأراهموني الباطل شيطانا أجرت المرسوز رسته وأبلغت
الرايع مسقاته فنفروا على فرقا مضى من صمته أنفد من صول غيره وساع أعطاني
شاهده ومنعني غائبه فانا منهم بين ألسن لداد وقلوب شداد وسيوف حداد
عنزني الله منهم أن لا ينهى عالم منهم جاهلا ولا يردع أو ينذر حلیم سفيا والله

حسبي وبحسبهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدرون قالوا وأتاه وفد من أهل مصر يتظلمون إليه من واليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وأنه لما سمع شكواهم أمر بعزله وولي محمد بن أبي بكر رضي الله عنه مكانه ولما سار محمد بن معه قاصدا مصر زور مروان بن الحكم كاتبه كتابا لابن أبي سرح وختمه بخاتم عثمان وفيه إذا جاءك محمد وقلان وقلان فاحسب على قتلهم وقر في عملك حتى يأتيك رأيي واحتبس من جاء يتظلم منك ويحث مروان بالكتاب عبداً من عبيد عثمان فضبطوه في الطريق وأنحفوا الكتاب منه وقرأوه فرجع محمد بن أبي بكر بن معه إلى المدينة وجمعوا على بن أبي طالب وطلحة والزبير ومعهما رضي الله عنهم اجمعين ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاضراً وعرضوا الكتاب على عثمان رضي الله عنه وقالوا كتبنا وكذا فقال انما هما ثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين أو ببني الله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أميلت ولا عدت وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم قالوا قد أجل الله لنا ذلك وحصروه في الدار وكان رؤساء الوفود أربعة قواد كنانة بن بشر وقيل عبد الرحمن بن عديس البلوخي التجيبي الذي حناه عقبة بقوله بعد قتل عثمان رضي الله عنه ألا أن خير الناس بعد ثلاثة قبيل التجيبي الذي جاء من مصر وسودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحقي الخزاعي وابن النباع اللبي ومن معهم من قومهم وطلبوا إليه واحدة من ثلاث إمس عنها بد أن

يخلع لهم أمرهم أو يقتص من نفسه أو هم قائلوه

قال لهم أما أن أخلع نفسي فما كنت لأخاع سرباً لا سرباً لله فيكون سنة من بعدي كما كره القوم إمامهم خلعوه وأما إن اقتص من نفسي فوالله لقد علمت أن صاحبي بن يدي كانا يماقبان وما يقوى بدني على القصاص وأما إن قتلوني فلئن قتلتموني لاتحايون بعدي أبداً ولا تصلون بعدي خيماً أبداً

فتفرقوا عنه ويقال أنهم سألوه ان يسلم لهم مروان بن الحكم ليحاكموه على تزويره الكتاب فأبى عليهم وكان مروان أصل الشر ثم لزم بيته رضى الله عنه وألان جانبه وخذركل من يريد نصرته عن أن يقاتل احدا وأشرف عليهم مرة فقال لهم انه لا يحل سفك دم امرئ مسلم الا في إحدى ثلاث كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس فهل انا في واحدة منهن فإ وجد القوم له جوابا ثم قل انشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعته تسعة من أصحابه أنا أحدهم فنزل الجبل حتى همت حجارته أن تنساق فقال اسكن حراء فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد قالوا اللهم نعم قال شهدوا لى ورب الكعبة قلت وهؤلاء التسعة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد ولم يذكر بينهم أبو عبيدة وهو عاشر العشرة المبشرين بالجنة ثم خطب رضى الله عنه خطبته التى قال فيها بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس والله ما عاب من عاب منكم شيئا اجهله وما جث شيئا الا وأنا أعرفه ولكنى مننتى نفسى وكذبتنى ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زل فليتب ولا يتأدى فى الملكة ان من تأدى فى الجور كان أبعد عن الطريق فانا أول من اعطى استغفر الله مما فعلت وآوب اليه فثلى نزع وتاب فانا نزلت فليأتنى أشرافكم فليرونى رأيهم فوالله لئن ردنى الحق عبدا لأستن بسنة العبد ولا أكون كالمقوق إن ملك صبر وإن أعتق شكر وما عن الله مذهب الا اليه فلا يعجزن عنكم خياركم ان يدنوا الى لئن أبت يمينى لتتابعنى شمالي قال فرقى له الناس يومئذ وبكى من بكى منهم ولم يشأ الله أن تهدأ القنتة الى أن انتهت اخيرا بقتله فى داره مظلوما بعد أن حوصر فيها أربعين ليلة قالوا وتسور عليه الحائط محمد بن أبى بكر مع آخرين من دار عمرو بن حزم الأنصارى ويقال أن محمد انراخت يد لما قال يا ابن أخى لوراك ابوك لساءه مكانك ولكنه غمز

أحد أصحابه فوجاه بمشقص حتى قتله وقيل ضربه بالسيف فاقامه بيده فقطعها
قال أما إنها أول يدٍ خطت المفضل^(١) واختلفوا فيمن قتله فبعضهم يقول نيار
ابن فيض وبعضهم يقول سؤدان بن حمران والله أعلم بحقيقة ذلك وكان قتله ثمانين
بشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وعمره اثنتان وثمانون سنة ودفن
بالقيع وقيل بحش. كوكب ليلاورثاه حسان بن ثابت الأ نصارى رضى الله عنه قال
من أسره الموت صرفا لامرأته . فليأت أسدة في دار عثمانا
مستحقي حلق المازي قد سميت - فوق الجحاطم بيض ذان أبدانا
بل لبيت شعري وليت الطير تخبرني . ما كان شأن عليّ دو ابن جفانا
قال بعض الشراح البيت الأخير زاده أهل الشام التحريض على قتال علي بن
أبي طالب رضى الله عنه

ضحوا بأشمت عنوان السجود به	يقطع الليل تسبيحا وقرءانا
لتسمن وشيكا في ديارهم	الله أكبر يا نارات عثمانا
وقد وضيت بأهل الشام ذافرة	وبالأمير وبالأخوان لخوانا
إني لمنهم وان غابوا وان شهدوا	مادمت حيا وما سميت حسانا
صبرا فدا لكم أمي وما ولدت	قد ينعم الصبر في المكروه أحيانا
شدوا السيوف بنني في مناطقكم	حتى يحين بها في الموت من حانا
لملكم ان تروا يوما بمغبطة	خليفة الله فيكم كالنبي كانا

وبنو أمية يدعون أن لعلي رضى الله عنه يدا في التحريض على عثمان رضى
الله عنه وهو قول مكذوب عليه فقد قال علي رضى الله عنه وهو على المنبر والله
لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل عثمان لادخلتها أبدا ولئن لم يدخل النار إلا من
(١) يريد بالمفضل سور من القرآن من الحجرات فإزلا في أصح الأقوال سميت

بذلك لكثرة الفصول بين سورها أو لقلة المسوخ منها

قتل عثمان لادخلتها أبدا ولولا لحرف الاطالة لتقلت كل ما قيل في ذلك انتهى
(المن) وبذلت لقطام

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً • وَضَرْبَ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ لِلْمُصَمِّمِ
(الشرح) البزل العطاء وِقَطَامُ اسمٌ مبنى على الكسر والمراد به امرأة
من الخوارج سيأتي ذكرها والمبد المملوك والقَيْنَةُ الأُمة المَقْنِيَةُ وقيل الجارية
البيضاء مَغْنِيَةٌ كانت أو غير مَغْنِيَةٌ يشير الى قول أبي مِيَّاس المرادى في عبد الرحمن
ابن ملجم لعنه الله الذى قتل الامام علي بن أبي طالب رضى الله عنه من آيات
يقول فيها

ولم أر مهزأ ماله ذوسباحة كهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحساب المصمم
وتذكر اولاً ترجمة الامام علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثم نعقبها ببسط خبر
قطام وما كان من أمر عبد الرحمن بن ملجم والسبب في قتل الامام رضى الله عنه
ذكر الامام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

هو الامام علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف أول من
اسلم من الذكور والصبيان وسنة خمس عشرة سنه وقيل أقل من ذلك ومن المهاجرين
الاولين وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب الناس اليه وزوج
ابنته فاطمة رضى الله عنها وأبو الحسن والحسين سيدى شباب أهل
الجنة في الجنة شهد معه المشاهد كلها غير تبوك وكان رضى الله عنه بعيد المدى
شديد القوى يقول فصلاً وبجكم عدلاً تتفجر الحكم من جوانبه وينطف العلم من
نواحيه بطلا في الحروب لا يقارع اذا علا بالسيف قد واذا اعترض قط وما نازله
قرن من أبطال الجاهلية المروفين لإخذه وجنله له السابقة في الاسلام والقرابة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال فيه على سيد المؤمنين وولى المتقين

وقائد الفر المحجلين وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه (١) وأدر الحق على لسانه كيفادار وقال له أما ترضى أن تكون منى
بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبوة بعدى وجملة صلى الله عليه وسلم هو وقاطمة
والحسن والحسين كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى وجماعتي اللهم اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء
على رضى الله عنه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤآخ بينى وبين
أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والآخرة ويوم خير
قال لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
فبات الناس يسوكون ليلتهم أيهم يعطاها فقال أين على بن أبى طالب قالوا
يا رسول الله انه يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فلما أتى بصق فى عينيه ودعا له فبرأ
حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال يا رسول الله اقاتلهم حتى يكتونوا
مثلنا فقال له لتتقد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم الى الاسلام واخبرهم
بما يجب عليهم من حق الله فوالله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من
حمر النعم وفضائله مشهورة لا تحصى وكان كثير التهجيد زاهدا فى الدنيا عزيز العلم
كثير الوعظ فصيحاً بليغاً بويغ له بالخلافة بعد قتل عثمان رضى الله عنه وهو
كاره لما لحس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية والناس فى اضطراب
وقد ذكرنا ما كان فى خلافة عثمان رضى الله عنه من الفتنة التي انتهت بقتله
رضى الله عنه فرقى المنبر وخطب أول خطبة قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه
ان الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر نفتحوا بالخير ودعوا البشر الفرائض
أدوها الى الله سبحانه يؤديكم الى الجنة ان الله حرم حرما غير مجهولة وفضل

(١) يروى أن هذا الحديث قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير

خم فى على رضى الله عنه والشيعنة تمسك به وتصادى من عاداه

حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالأخلاص والتوحيد المسلمين والمسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده الا بلحق لا يحل أذى المسلم الا بما يجب بأدروا أمر
العامة وخاصة أخدم الموت فان الناس أمامكم وان ما من خلقكم الساعة
تحموكم تحفوا تلحقوا فانما ينتظر الناس أخراهم اتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده .
انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوا واذار أيتم الخبير
نقنوا به واذار أيتم الشرف دعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض انتهى
وكان أول من مد يده اليه وباعه طلحة بن عبيد الله وكانت يده شلاء فتطير
منها وقال ما أخلقها أن تنكث ثم بايعه الزبير بن العوام وبقية المهاجرين والانصار
رضى الله عنهم ولكن طلحة والزبير رضى الله عنهما استأذناه في العمرة فأذن لها
فالحقا بمكة ثم نكثا بيعته وكانت عائشة أم المؤمنين بمكة ولما عادت منها بلغها في
الطريق قبل وصولها المدينة خبر مقتل عثمان والبيعة لعلّى رضى الله عنهما فرجعت
أدراجها ثم اجتمع عليها طلحة والزبير رضى الله عنهما واتمروا على الذهاب الى
البصرة فيمن معهم من نبي أمية وغيرهم الذين هربوا من المدينة ليطلبوا بسم
عثمان فهض على رضى الله عنه بالناس من المدينة قاصدا البصرة ليلحق بالقوم
فيردّهم وكتب يعزل عمال عثمان رضى الله عنه عن الأمصار فأبي معاوية بن
أبي سفيان أن يعتزل أو يبايع وقد علم بخروج طلحة والزبير وعائشة كما قدمنا
فامتصرخ أهل الشام على القتال وكان ما كان من وقعة الجمل مع عائشة رضى الله عنها
بالبصرة سنة ست وثلاثين ومقتل طلحة والزبير ووقعة صفين بالشام مع معاوية بن أبي
سفيان وأمر الحكيمين أبي موسى الأشعري من قبل عليّ وعمرو بن العاص من قبل
معاوية وما خدع به عمرو بأموسى بان اتفق معه على أن يخامأ علياً ومعاوية ويقم المسلمون
لهم خليفة يختارونه فتقسم ابو موسى واشهد من حضر أنه خلعها فوافق عمرو على
خلع عليّ ولم يخلع معاوية فانكر قوم من أصحاب عليّ رضى الله عنهم الحكيمين

وكفروا علياً ومعاوية ومن كان معهما بصفين وقاتلوا لا حكم الا لله ولرسوله وخرجوا على علي رضي عنه فسموا الخوارج وقد كان خروجهم بلائاً ومحنة وكانوا على ما يقال أربعة آلاف غوغاء لارأس لهم فذهب اليهم علي رضي الله عنه فقاتلهم بالنهر وان فلم يفلت منهم سوى تسعة أنفس في أخبار طويلة لا يسع المقام سردها ولما استقر على الكوفة وهو يتجهز لحرب معاوية بالشام تصدى له عبد الرحمن بن ملجم المرادي وكان من بقية الخوارج فرصد له وقت الفجر وهو يريد أن يدخل داره بعد أن خرج منها وايقظ الناس لصلاة الصبح فضربه بالسيف على قرنه فشجه ووقع السيف في الجدار ومات رحمه الله في سابع عشرة رمضان سنة أربعين وصلى عليه ابنه الحسن ودفن بقصر الامارة بالكوفة وغى قبره لنلا تنبشه الخوارج فلذلك لم يعرف محله الآن وقيل أنه نُقل بعد صلح الحسن ومعاوية الى المدينة والله اعلم وكان رضي الله عنه آدم شديد الأذى تهيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع وهو الى القصر أقرب ومكث في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر كانت كلها قن وحروب وقتل وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل أقل من ذلك والله أعلم وممن رثاه أبو بكر بن حماد فقال

وهزَّ عليٌّ بالعراقين لِحْيَةً مُصِيبَتِهَا جَلَّتْ عَلِيَّ كُلِّ مُسَلِّمٍ
وقال سيأتينا من الله حادث يُخَضِّبُهَا أَشَقَى الْبَرِيَّةِ بِالْمِ
فباكره بالسيف شلت يمينه لَشُومِ قَطَامٍ عَنْهُ زَلْ ابْنِ مَلْجَمِ
فياضريةً من خاسر ضل معيه نَبِؤاً مِنْهَا مَعْدَا فِي جَهَنَّمَ

وقال السيد الحميري الشاعر أيضاً وكان شيعياً

إني ادين بما دان الوصي به وشاركتُ كُفَّهُ كُفِّي بِصِفِينَا
في سفك ما سفكت منها اذا احتضروا وابرز الله لقطع الموازيَا
تلك الدماء ما يارب في عنقي ثم اسقي مثلها آمين آمينا

ولم يَزِيهِ حسان بن ثابت لأنه كان عُمَانِيَا انتهى فَمَا حَكَايَةَ قَطَامٍ قَتَدُ كَرُوا
 أن ثلاثة من الخوارج الذين نَجَوْا من القتل يوم النهروان وهم عبد الرحمن بن ملجم
 المرادي والبرك بن عبد الله المعروف بِزَادَوِيَّةٍ مولى بنى العنبر وعمرو بن بكر
 التميمي اجتمعوا فَنَدَا كَرُوا النَّاسَ وَعَابُوا عَلِيًّا وَلَهُمْ ثُمَّ تَرَحُّمُوا عَلِيًّا أَهْلَ النَّهْرَوَانَ
 وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا لإخواننا الذين كانوا دُعَاةَ النَّاسِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ
 والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم فلو شربنا أنفسنا فأتينا أُمَّةَ الضلال
 فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وتأرنا بهم إخواننا (قلت ولذلك سُمِّيَ الشُّرَاةُ)
 فقال ابن ملجم أنا أ كفيكم علي بن أبي طالب وقال البرك بن عبد الله أنا أ كفيكم
 معاوية بن أبي سفيان وقال عمرو بن بكر والله ما عمرو بن العاص يدونهما فإنا له
 فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا يَنْكُصُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَهْدَ صَاحِبِهِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَتَّى
 يَقْتُلَهُ أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ فَانْخَنُوا سِيوفَهُمْ فَسَمَوْهَا وَأَتَمَدُوا لِسَبْعِ عَشْرَ لَيْلَةً تَخْلُجُ مِنْ
 شَهْرِ رَمَضَانَ أَنْ يَثْبُتَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَأَقْبَلَ كُلُّ رَجُلٍ
 إِلَى الْمَصْرِ الَّذِي فِيهِ صَاحِبُهُ فَمَا ابْنُ مَلْجَمٍ فَكَانَ عِدَادُهُ فِي كِنْدَةَ نَخْرَجُ فَلَقِي
 أَصْحَابَهُ بِالْكُوفَةِ فَكَتَمَهُمْ أَمْرَهُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَفْشَوْهُ وَإِنَّهُ لَقِيَ امْرَأَةً ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ
 بَنِي الرَّبَابِ يَقَالُ لَهَا قَطَامُ ابْنَةِ عَلْقَمَةَ وَقِيلَ ابْنَةُ الشَّجْنَةَ وَقَدْ قَتَلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا يَوْمَ
 النَّهْرَوَانَ وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ فَلَمَّا رَأَتْهَا أَخَذَتْ بِعَقْلِهِ وَنَسِيَ حَاجَتَهُ الَّتِي جَاءَ لَهَا ثُمَّ خَطَبَهَا
 فَقَالَتْ لَا أَتَزَوِّجُ مِنْكَ إِلَّا بِشَرُوطٍ ثَلَاثٍ أَحَدُهَا ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَثَانِيهَا عَبْدٌ وَقِيْنَةٌ
 وَثَالِثُهَا قَتْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهَا أَمَا الْمَالُ وَالْعَبْدُ وَالْقِيْنَةُ فَنَعَمْ وَأَمَا قَتْلُ عَلِيٍّ
 ابْنِ طَالِبٍ فَلَا أَرَاكَ ذَكَرْتَهُ لِي وَأَنْتِ تَرِيدِينَ نِيَّيَ قَالَتْ بَلِ التَّمَسُّ غَرَّتَهُ فَإِنْ أَصَبْتَ
 شَفَيْتَ نَفْسَكَ وَنَفْسِي وَيَهْنُوكَ الْعَيْشُ مَعِي وَإِنْ قُتِلْتَ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
 مِنَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتِهَا قَالَ وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَى هَذَا الْمَصْرِ إِلَّا لِقَتْلِ عَلِيٍّ فَلَمْ مَاسَأَلَتْ
 فَزَوَّجَهَا عَلِيًّا مَا اشْتَرِظْتُ وَأَقَامَ عِنْدَهَا مَدَّةً فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا لَطَالَمَا أَحْبَبْتِ الْمَكْتُ

عند أهلك وأضربت عن الأمر الذي وعدتني به فقال لها إن لي وقتاً مع أصحابي لا أتجاوزهم فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج الملعون وقعد لعلّ بن أبي طالب رضى الله عنه حين خروجه لصلاة الصبح كما قدمنا وضر به على قرنه بالسيف فشجه وقال الحكم لله لالك يا على (يشير إلى أمر الحكيمين) ولما قبضوا عليه وسئل قال أما أنا فقد أرهفت السيف وطردت الخوف وحثت الأمل وبقيت الرجل وضربت ضربة لو كانت بأهل عكاظ قتلتهم فأخذوه ودخلوا به على رضى الله عنه فقال له أى عدو الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحنت سيفي أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه فقال عليه السلام لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلقه ثم أوصى أن يلبنوا فراشه ويطيبوا طعامه وقل إن أنا مت من ضربته هذه فيضرب ضربة بضربة ولا تمثأوا به فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور فلما توفي رضى الله عنه قُدّم ابن ملجم للقتل فقتل وأخذته الناس في بوارى (حصري) ثم أحرقوه بالنار وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها على رضى الله عنه قعد معاوية بن أبي سفيان فلما خرج ليصلي الغداة اشتد عليه بسيفه فوقع السيف في أليته فأخذ فقال ان عندي خبراً أسرك به فان لخبرتك فنافى ذلك عندك قل نعم قال ان اخأ لي قتل علياً في هذه الليلة قال فلعله لم يقدر على ذلك قال ان علياً يخرج ليس معه من يحرسه فأمر به معاوية فقتل وبعث إلى الساعدي وكان طبيباً فلما نظر إليه قال اختر إحدى خصمتين إما ان احى حديده فأضعها موضع السيف لأن ضربتك مسمومة وأما أن اسقيك شربة تقطع الولد منك وتبرأ منها قال معاوية أما النار فلا صبر لي عليها وأما انقطاع الولد فلان في يزيد وعبد الله ماتت به عيني فسماه تلك الشربة فبرأ ولم يولد له بعدها وحينئذ أمر معاوية بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه اذا سجد وأما عمرو بن بكر

فجلس لعمر بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان قد اشتكى بطنه ~~بشيء~~ ~~بشيء~~ ابن حزافة المدوني وقيل خارجة بن حبيبة صاحب شرطته فخرج يصلي بالناس فشد عليه عمرو وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فأخذته الناس وانطلقوا به الى عمرو بن العاص فرأهم يسلمون عليه بالامرة فقال من هذا قالوا الامير عمرو ابن العاص قال فمن المقتول قالوا خارجة فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة قومه عمرو بن العاص فقتله انتهى

(المتن) وَكَتَبْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَنْ يَجْمَعَ بِالْحُسَيْنِ

الشرح الجمجمة صوت الرحي ومنه المثل اسع جمجمة ولا أرى طحنا يُضْرَبُ لمن يمد ولا يفى وتطلق الجمجمة ايضاً على الحبس والتضييق وهو المراد هنا يشير الى كتاب عبيد الله بن زياد الى عمر بن سعد بن أبي وقاص حينما اتدبه لقتال الحسين بن علي رضي الله عنه ونصه . أما بعد فجمع بالحسين بن علي واصحابه بالمكان الذي يوافق كتابي فيه ولا تحأه الا بالمرء في غير حصن وعلى غير ماء وقد امرت رسولاً ان يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك امرى والسلام وقد ذكر الطبري في تاريخه أن هذا الكتاب الى الحر بن يزيد التيمي بحروفه وأما كتابه الى عمر بن سعد فنصه أما بعد فحل بين الحسين واصحابه وبين الماء لا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقى الزكي المظوم امير المؤمنين عثمان ابن عفان والله أعلم وعمر بن سعد هذا ابو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما لك بن ابيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي من اكابرة القرشيين وأحد النفر الثمانية الذين نسبوا الناس بالاسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من عند الله ومن المهاجرين الاوابين ومن شهد بدرا وقاد السرايا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً عشرة المبشرين بالجنة وكان عمر ابنه من عمال يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في خلافته ولحق بعبيد الله بن زياد بالكوفة

لما بعته اليها يزيد حيثما اهمه امر الحسين رضى الله عنه فكان من أعوانه وانصاره
وحضر قسوم مسلم بن عقيل بن أبي طالب الكوفة لما بعته الحسين رضى الله عنه
اليها لأخذ البيعة له وشاهد القبض عليه وما كان من تفرق أصحابه الذين بايعوه
من أهل العراق عنه وخذلانه كما سيحىء ولما أمر ابن زياد بقتله طلب أن يوحى
فنظر في وجوه جلساء عبيد الله فرآي عمر بن سعد فدعا اليه فأبى فأمره ابن زياد
بلجأته فخلا به وأوصاه بما أراد وفيما أوصاه به أن أبعث الى حسين بمكان كذا
من يردده فلما سمع كلامه افشاه الى عبيد الله بن زياد فيقال ان ابن زياد قال له
أما وقد دلت عليه فلا يقاتله احد غيرك وكان قبل ذلك ولاء الربى فصرفه عنها
وجهره لقتال الحسين رضى الله عنه فسار اليه قتلته ولم يمهله الله كثيرا حتى ملط
عليه المختار بن أبي عبيد الثقفى قتلته وابنه وقتل أيضا عبيد الله بن زياد وشر
ابن ذى الجوشن وغيرهم ممن اشترك في قتل الحسين رضى عنه ثارا بأهل البيت
وكان ذلك فى سنة ست وستين هجرية وقد اكتفينا من ترجمة عمر بن سعد بهذا
السير اذ لا حاجة للتوسع فيها ونأتى على ترجمة الحسين بن على رضى الله عنه
ايضا لموضوع كتابنا فنقول

ذكر الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيامه بطلب الخلافة وقتله
هو الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم وبقية النسب معلوم
ويكنى أبا عبد الله وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد شباب
أهل الجنة وشهيد هذه الأمم ولد رضى الله عنه بالمدينة فى شهر شعبان ليلال خلون منه
سنة أربع من الهجرة وترعرع ونشأ بها وهو من عرف مكانه وقرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا نطيل القول فيه وكفى ما قاله جده صلى الله عليه وسلم فيه حسين
منى وأنا من حسين ولم يبايع النبى صلى الله عليه وسلم صغيرا قط الا الحسن والحسين
وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم وفى الحديث الشريف عن أم سلمة زوج النبى

صلى الله عليه وسلم قالت كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعى الحسين فأخذته
فبكى ففركته فدنا منه فأخذته فبكى فتركته فأبى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل
فقال أتعبه يا محمد قال نعم قال ألا إن امتك ستقتله وإن شئت أريتك من ثرة
الأرض التي يقتل بها فبسط جناحه فأراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقد
ذكر صاحب كتاب نظم السَّمَطِ في خبر السَّبَطِ أنه وجد في حجر مكتوبا قبيل
البعثة بألف سنة ماصورته

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

وحديث خلافة أخيه الحسن رضى الله عنه وتنازله عنها معاوية بن أبى سفيان
في سنة احدى وأربعين وهو عام الجماعة معلوم مشهور ومات الحسن رضى الله
عنه في سنة تسع وأربعين واستبد معاوية بن أبى سفيان بالخلافة وقتل مركزها
من الحجاز الى دمشق الشام من حينذاك حتى انتزعها العباسيون ونقلوها الى
بغداد ولما دنا أجله عهد بها الى يزيد ابنه فبويع له بالخلافة في رجب سنة ستين
عقب وفاة أبيه فلما بلغ الخبر حسينا رضى الله عنه خرج من المدينة يوم الأحد
لليتين بقيتا من رجب قاصدا مكة ساخطا على خلافة يزيد منكرا بيعته فأتاه
ابن عباس رضى الله عنه قبل السفر فسأله ابن يزيد قال العراق لأخذ بيعتى فقال
له إن أهل العراق قومٌ غدرٌ فلا قربنهم أقم بهذا البلد فانك سيد أهل الحجاز
فإن كان أهل العراق يريدونك فاكذب اليهم فليتنفوا عدوهم ثم أقدم عليهم بعد
ذلك فإن آيت إلا أن تخرج فسر الى اليمن فإن بها حصونا وشعابا وهى أرض
طويلة عريضة ولا أيك بها شعبة وانت عن الناس فى عزلة فأبى عليه إلا المسير
الى الكوفة فقال له إذا لا تأخذُ نَعْمَكَ نداءك وصبيانك فإبى أيضا ولما سمع ابن
عمر رضى الله عنه بمخروجه وكان غائبا ملحقه فى الطريق على ثلاث مراحل من
المدينة فقال له ابن يزيد قل العراق واخرج له كتب القوم وقال هذه بيعتهم وكتبهم

فناشده الله أن يرجع فأبى فقال له أجدنك بمحدث ما حدثت به أحدا قبلك ان
جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يُخَيِّرُهُ بين الدنيا والآخرة فلختر الآخرة
وانكم بضعة منه فوالله لا يليها احسن أهل بيته أبدا وما صرفها الله عنكم الا بما هو
خير لكم فأرجع فأنت تعرف غدا أهل العراق وما كان يلقى أبوك منهم فأبى الرجوع
فاحتنقه وقال له أستودعك الله من قتيل ومرّ في طريقه على عبد الله بن مطيع العَدَوِيّ
على بئر له فنزل عليه فقال له الى ابن أبي عبد الله قال الى العراق لأن معاوية بن أبي
سفيان مات وجاء في أكثر من حمل حمل صحفا من أهل العراق لأخذ بيعتي قال
لا تقبل فوالله ما حفظوا أبلك وكان خيرا منك فكيف يحفظونك فأبى وأبه وكتب
اليه عامل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق كتابا رقيقا ليكف ويرجع فلم يقبل ولم أر أحدا
واقفه على هذا الخروج الا القدرُ المكتوبُ فسار حتى وصل مكة فدخلها ليلة
الجمعة لثلاث مضي من شعبان سنة ستين وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه
قد أنكر بيعة يزيد أيضا وسبق الحسين الى مكة بيوم واحد من طريق الفرع
متنكبا الطريق الاعظم فأقما بمكة مائة ومال الناس للحسين رضي الله عنه
وكنوا عنه ثم سار من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة سنة ستين
قاصدا الكوفة وكان قد بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه
اليها في اليوم الذي خرج فيه من مكة فوصلها مسلم بعد جهد شديد وبايع له باسم
الحسين ثمانية عشر ألفا من أهلها وكان النعمان بن بشير عاملا ليزيد بن معاوية
على الكوفة فبلغه خبر مسلم وكان النعمان بن بشير رجلا جليبا يحب العافية قراخي
بعض الشيء في أمره فكتبت شيعة يزيد الى يزيد فيه فمزله وكتب الى عامله
بالبحرة عبيد الله بن زياد كتابا يقول فيه لما بعد فانه كتب الى شيعة من أهل
الكوفة يخبرونني ان ابن عقيل بالكوفة يجمع الجوع لشق عصا المسلمين فسِرُّ
حين قرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب النمرّة حتى

تَمَقَّقَهُ قَتُورَةً أَوْ قَتَلَهُ أَوْ تَنَفَّيَهُ وَالسَّلَامَ فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابَ قَامَ خَطِيْبًا بِالْبَصْرَةِ
فَرَّقَى الْمَنْبِرَ فَقَالَ أَمَا بَعْدُ فَوَاللَّهِ مَا تَمَرَّنَ بِي الصَّعْبَةُ وَلَا يُقَمِّعُنِي بِالِشَّيْثَانِ وَأَنَّى لِنُكْلِ
لِمَنْ عَادَانِي وَسُمُّ لِمَنْ جَارَنِي أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا (١) يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِنْ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ وَلَا نِي الْكُوفَةَ وَأَنَا غَاد إِلَيْهَا الْغَدَاةَ وَقَدْ اسْتَخَلَفْتَ عَلَيْكُمْ هِمَّانُ بْنُ زِيَادِ
ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَيَاكُمْ وَاطْخَلَفَ وَالْأَرْجَافُ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَتُنَّ بَلغُنِي عَنْ رَجُلٍ
مَنْكُمْ خِلَافَ لَأُقْتَلَنَّهُ وَعَرِيفَهُ وَوَلِيَّهُ وَلَا تَخْذَنَ الْإِدْنِي بِالْأَقْصَى حَتَّى تَسْمَعُوا لِي
وَلَا يَكُونُ فِيكُمْ مَخَالَفٌ وَلَا مَشَاقُّ أَنَا ابْنُ زِيَادٍ أَشْبَهْتَهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ وَطِئَ الْحَصِي
وَلَمْ يَنْتَزِعْنِي شَبَهَ خَلٍ وَلَا ابْنَ عَمِّ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَ الْكُوفَةَ فِي قَلْبِ مَنْ
رَجَلَهُ وَاحْتَاطَ لِلْأَمْرِ وَبَثَّ الْعَيُونَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ الَّذِي كَانَا نَازِلًا فِي دَارِهَا نِي
ابْنِ عُرْوَةَ وَكَانَ شَرِيكَ ابْنِ الْأَعْوَرِ قَدْ سَارَ إِلَى الْكُوفَةِ قَبْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَكَانَ شَيْعِيًّا
فَلَمَّا قَدِمَهَا وَدَخَلَ دَارَ هَانِي بْنِ عُرْوَةَ وَرَأَى مَرَضًا ثُمَّ مَرَضَ نَقَالَ لَهَا نِي مَرَّ مَسْلَمًا
إِنْ يَكُونُ عِنْدِي فَانْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ يَعُودُنِي وَقَالَ لِمُسْلِمٍ أَوْ أَيْتُكَ إِنْ أَمَكُنْتِكَ
مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَضَارَ بِهِ أَنْتَ بِالسَّيْفِ قُلْ نَعَمْ وَجَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ شَرِيكَ يَهُودَهُ فِي مَتَرٍ
هَانِيٌّ وَقَدْ قَالَ شَرِيكَ لِمَسْلَمٍ إِذَا سَمِعْتَنِي أَقُولُ اسْتَوْنِي مَاءًا فَلَخَرَجَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ
بِالسَّيْفِ وَجَلَسَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى فَرَّاشِ شَرِيكَ فَقَالَ شَرِيكَ اسْتَوْنِي مَاءًا ثَلَاثَ
مَرَاتٍ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ مَسَامٌ وَخَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ سَالِمًا وَيُقَالُ أَنْ شَرِيكَ لَمَّا قَالِ اسْلَمَ تَخْرُجُ

(١) هَذَا مِثْلُ يَثْرِبَانَ أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ وَالْقَارَةَ قَبِيلَهُ وَهُمْ عَضَلُ وَالْدَيْشُ
ابْنَا الْهَوْنِ بْنِ خَزِيمَةَ وَالنَّسَبُ إِلَيْهَا قَارِيٌّ وَأَصْلُ الْمَثَلِ إِنْ رَجَا بَيْنَ التَّقْيَا أَحَدُهُمَا
قَارِيٌّ فَقَالَ الْقَارِيُّ لِلثَّانِي إِنْ شَأْتِ صَارَعْتِكَ وَإِنْ شَأْتِ سَابَقْتِكَ وَإِنْ شَأْتِ
رَامَيْتِكَ فَقَالَ الْآخَرُ قَدْ اخْتَرْتُ الْمَرَامَةَ فَقَالَ الْقَارِيُّ قَدْ أَنْصَفْتَنِي وَأَنْشَأَ يَقُولُ
قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا إِنْ أَمَّا إِذَا مَافَتْ نَلَقَاهَا نَرْدُ أَوْلَاهَا عَلَى أَخْرَاهَا

ثُمَّ انْتَزَعَ لَهُ بِسَهْمِ فَشَكَ فَوَادَهُ اه

الى عبيد الله وقتله قلم هاني بن عروة وقال له اني لا أحب أن يقتل في داري
 كأنه استقبح ذلك فلما انصرف عبيد الله سالما وخرج مسلم قال له شريك ما منعت
 من قتله قال خصلتان إما احدهما فكرامة هاني ان يقتل في داره وإما الاخرى
 فحديث حدثه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الامم التي
 مؤمن قال هاني لما والله لو قتله لقتلت فاسقا فجزا كافر باغدر اولكي كرهت
 أن يقتل في داري ولبت شريك ثلاثا ثم مات رحمه الله وقد احتال عبيد الله بن
 زياد على هاني بن عروة حتى أتى به الى داره فقال ايه يا هاني ما هذه الامور التي
 ترَبصُ في دورك لا مير المؤمنين جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت
 له السلاح والرجال وظننت أن ذلك يخفي علي فانكر هاني ذلك فراه عبيد الله
 العين التي أخبره وكان العين رجلا يختلف الى هاني ويعرفه فأقر هاني فقال ابن
 زياد ابدى الصريح عن الرغوة فقال هاني انه أتاني وسألني النزول علي فاستحييت
 من رده وادخلته دوري واضفته وآوته ولك الله علي ان لا أبغيك سوءا وان
 شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى انطلق اليه وأخرجه من دوري الى
 حيث شاء من الارض وأخرج من زمامه وجواره فقال عبيد الله لا والله لا تفارقي
 أبدا حتى نأيتني به فقال والله لا آتيك به أبدا فكثر الكلام بينها فقال عبيد الله
 ادنوه مني فأدنوه فقال والله لنأيتني به أو لأضربن عنقك قل اذا تكثر البقرة
 حول دارك فقال والهفا عليك ابا لبارقة تخوفاي وكان هاني يظن ان عشيرته مذحج
 سيسمنونه فقام اليه عبيد الله فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أفته
 وجبينه وخذته حتى كمر أفته وسيل السماء على ثيابه ولم يجد هاني ما ينود به
 عن نفسه ثم قل خذوه في بيت من بيوت الدار واغلقوا عليه بابه واجعلوا عليه
 حرسا فبلغ مسلم بن عقيل ما حل به أتى فنادى في أصحابه وكانوا أربعة آلاف
 ممن بايعوه حاضرين واقبل على قصر ابن زياد فلما بلغ ابن زياد الخبر تحرز في القصر

واغلق الأبواب ثم بث ابن زياد أيديه لتخذل الناس عن ابن عقيل وتخوفهم
 الحرب فلم يمض وقت حتى تفرقوا عن مسلم وما معه ثلاثون نفسا من ذلك العدد
 فخرج نحو أبواب كِنْدَةَ فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ثم خرج من الباب
 والتفت فإذا هو لا يرى ولا يحسُّ بأحد يده على الطريق ولا على منزل فمضى
 على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني
 جبلة من كندة فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة فطلب إليها ماء فسقته فستلت
 وخرجت فرأته واقفاً بالباب فارتابت فيه فخبرها واتسب لها فدخلته دارها
 وأكرمه فأتى ولدها فلم به فانطلق فخبّر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهذا
 أتى أباه عند ابن زياد وأمر إليه الخبير فاعلم به ابن زياد فبعث في طلبه ستين أو
 سبعين رجلاً فذهبوا إليه واقتحموا الدار فقاتلهم فيها فلما اعجزهم اشرفوا عليه من
 ظهر البيت ورموه بالحجارة فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه في السكة فقاتلهم
 أيضاً حتى أئخنوه بالجراح وأخيراً قبضوا عليه بأمان من محمد بن الأشعث ولما
 وصلوا به إلى ابن زياد تكلم بن الأشعث بما كان من أمانه له فقال له عبيد الله بن
 زياد ما أنت والامان إنما أرسلناك لتأتينا به فسكت ثم أن عبيد الله قال لمسلم
 لاقتلناك قتلة لم يقتلها أحد في الاسلام واقبل عليه يشتمه ويشتم حسينا وعليها
 وعقيلاً وجاوبه مسلم بما قدر عليه واخذ يسكت ولما استيقن بالقتل طلب أن يوصي
 فنظر في وجوه الناس من جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فدعا
 إليه وقال له أن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة وهي ميراثي فإني أن يختلي به فقال له
 عبيد الله لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك فقام إليه فقال له مسلم إن عليّ
 كذا وكذا ديناً فاقضه عني ثم استوهب جثتي من ابن زياد فوارها وابتعث إلى
 حسين من برده من مكان كذا فقال عمر بن سعد لابن زياد أتدري ما قال أنه
 ذكر كذا وكذا فقال له ابن زياد لا يخونك الأمين ولكن قد يؤمن الخائن ثم

أمر بمسلم فلخذوه واشرفوا به على موضع الجزارين فضربوا عنقه وقيل رمى به من فوق القصر فقطع فمات وأمر بهائيء بن عروة فلخرجوه من الدار وذهبوا به الى السوق وهو مكتوف فجعل يقول وامتدحجاءه وأين منى مذحج فضربوا عنقه وبعث برأسيهما الى يزيد بن معاوية ولم تدفع مذحج عن هاتئء شيئا وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدئ الشاعر من أبيات وقيل إنها للفرزدق

فان كنت لا تدري ما الموت فانظري الى هاتئء في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طار قتيل
أصابهما أمر الامير فاصبعا أحاديث من يسرى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل

وأما حسين رضي الله عنه فانه سار حتى اذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحرث بن يزيد التميمي فقال له أين تريد قال أريد هذا الميصر قال له أرجع فني لم أدع لك خلفي خيرا ارجوه فهم أن يرجع وكان قد بلغه قتل مسلم وهاتئء فقال له إخوة مسلم لا ترجع حتى نصيب نارنا أو نقتل فقال لا خير في الحياة بعدكم فسار فاقمته أوائل خيل عبيد الله بن زياد وكانت عدة أصحاب الحسين رضي الله عنه خمسا واربعين فارسا ومائة راجل وكان الحرث بن يزيد قد لازمه فقال له الحر قد أمرنا عبيد الله أن لا نتركك حتى تأتي بك فانطلق بنا اليه فقال له الحسين رضي الله عنه اذا والله لا أتبعك ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر ائني لم أؤمر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فاذا آيت فخذ طريقا لا تدخل الكوفة ولا تردك الى المدينة تكون بيني وبينك نصفة حتى اكتب الى ابن زياد وتكتب اليه أنت أو الى يزيد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقي فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك قال فتياسر الحسين عن طريق العدئب والقادسية وسار في أصحابه والحر يسيره فأتى ذا حسم وأقبل أربعة نفر على رواحلهم يريدون

الانضمام الى الحسين رضى الله عنه وأنشده الطرمّاح الشاعر المشهور واسم أبيه
 عدى أبياتا اضربنا عنها وكان دليل الثلاثة الذين معه في الطريق فاقبل الحرين يزيد
 الى الحسين وقال له أن هؤلاء النفر ليسوا من أصحابك وهم من أهل الكوفة وأنا
 حابسهم أو رادهم فقال له الحسين لا تمنعهم مما امنع منه نفسى انهم نصارى واعوانى
 فكف عنهم الحرم قال لهم الحسين رضى الله عنه اخبرونى خبر الناس وراءكم
 فقال له احدهم اما اشرف الناس فقد أعظمت ريشوتهم وملئت غرائم يستمال
 ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم ألب واحد عليك واما سائر الناس بعد فان
 أفتدتهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك ثم عرض عليه الطرمّاح أن يسير
 به الى أجا وهو جبل طيب فيحمونه ويضربون بين يديه فلا يوصل اليه وفيهم عين
 تطرف فشكره وأبى عليه فودعه وذهب ومضى الحسين رضى الله عنه الى قصر
 بنى مقاتل ثم أسفل عنه واخذ يتياسر باصحابه يريد أن يفرقهم فيأتيه الحرين يزيد
 فيردم فيردوه فجعل اذا ردهم الى الكوفة ردا شديدا امتنعوا عليه فارتفعوا فلم
 يزالوا يتسايرون حتى انتهوا الى نينوى بقرب المكان الذى نزل به الحسين
 رضى الله فأتى راكب من عند عبيد الله بن زياد الى الحر بن يزيد بكتاب يقول
 فيه أما بعد فجمع بالحسين واصحابه بالمكان الذى يوافيك كتابى فيه الخ. وقد
 ذكرنا صورته في أول الترجمة فأغنى عن الاعادة فقال لهم الحر هذا كتاب الامير
 عبيد الله بن زياد يأمرنى فيه أن اجمع بكم فى المكان الذى يأينى فيه كتابه
 وهذا رسوله وقد أمر أن لا يفارقتى حتى أنفذ رأيه وأمره قال وأخذ الحر القوم
 بالنزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية فقالوا دعنا نزل فى هذه
 القرية يعنون نينوى أو فى هذه القرية يعنون الغاضرا أو فى هذه الأخرى
 يعنون شفيّة فقال لهم والله لا أستطيع ذلك هذا رجل قد بعث على عيننا
 فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد من الكوفة فى أربعة آلاف وكان قد

ولاه بن زياد على الرّي ثم بدا له أن يصرفه الى قتال الحسين رضي الله عنه
فاستغفاه فلم يعفاه فأتى الحسين وتكلم معه وما كان غير قليل حتى وافاه كتاب ابن
زياد يقول فيه أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء الخ وقد مر عليك باقيه في
أول الترجمة قال فبعث عمر بن سعد خمسمائة فارس مقاتلهم لتزولوا على الحسين
(مورد الماء) وحالوا بين الحسين وأصحابه عن الماء أن يسقوا منه قطرة وكان ذلك
قبل قتل الحسين بثلاث قالوا والتقى حسين رضي الله عنه بعمر بن سعد مرارا وتكرارا مع
بعضهما ثم كتب عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد يقول أما بعد فإن الله قد أطفأ
النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطاني ان يرجع الى المكان
الذي منه أتى أو أن نسيره الى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتنا فيكون رجلا من المسلمين
له ما لهم وعليه ما عليهم أو ان يأتي يزيدا أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيري فيما
بينه وبينه رأيه وفي هذا لكم رضي وللامة صلاح فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال هذا
كتاب رجل ناصح لا يبره مشفق على قومه نعم قد قبلت قيام اليه شمر بن ذي الجوشن
فقال له اتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك الى جنبك والله لئن رحل من بلدك ولم
يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزم منك ولتكونن أولى بالضعف والمجز
فلا تعطه هذه المنزلة فانها من الوهن ولكن لينزل على حكامك هو وأصحابه فانت
ولى العقوبة وان عفوت كان ذلك لك فقال ابن زياد نعم ما رأيت ثم ان عبيد الله
دعا شمر بن ذي الجوشن وقال له اخرج بهذا الكتاب الى عمر بن سعد فليعرض
على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فان فعلوا فليبعث بهم الى سلما وان هم
أبوا فليقاتلهم فان فعل قاسم له وأطع وان أبي قاتلهم أنت وكن أمير الناس
ونب عليه فاضرب عنقه وابعث الى برأسه وكان كتاب عبيد الله بن زياد الى عمر
ابن سعد أما بعد فاني لم أبعثك الى حين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتنبيه
السلامة والبقاء ولا لتعمد له عندي شافعا فانظر فان نزل حسين وأصحابه على

الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان ابوا فازحف اليهم حتى يقتلهم فاتهم
لذلك مستحقون فان قتل حسين فاطم الخليل صدره وظهره فانه عاق مشاق قاطع
ظلم وان آيت فاعتزل عملنا وجسدنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر
فانا قد امرناه بامرنا والسلام فلما قدم ابن ذي الجوشن على عمر بن سعد فقرا عليه
الكتاب قال عمر مالك ويالك لا قرب الله دارك وقبح ماجئت به افسدت علينا
امرنا لا يستسلم والله حسين ان نفسا آية لبين جنبيه فقال له شمر ما انت صانع
أتمضى لأمر أميرك وتقتل عدوه والا نخل بيني وبين الجند قل لا ولا كرامة
انا أتولى ذلك دونك وكن أنت على الرجال ولما أخبر عمر بن سعد الحسين
رضي الله عنه قال والله لا انزل على حكم ابن مرجانة ثم وقع القتال وكان مع عمر
من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يرض عليكم ابن بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون منها واحدة فتحولوا مع الحسين
وقاتلوا معه الى ان قتلوا ومن عدل معهم من اصحاب عبيد الله بن زياد اخر
ابن يزيد التميمي الذي تقدم ذكره فانضم الى الحسين رضي الله عنه وقال له جئتك
ثائبا ووالله ما كنت اظن أن يصل القوم معك الى هذا الحد فقبل توبته ودعاه له
بغير قتال معه الى أن قتل رحمه الله ولما أيقن الحسين رضي الله عنه انهم قاتلوه
قام في أصحابه خطيبا فحمد الله واثى عليه ثم قال نزل بي من الأمر ما ترون وان
الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جدا فلم يبق منها الا
كصابة الاء وخسيس عيش كالمرعى الويل ألاترون أن الحق لا يسئل به وبالباطل
لا ينهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله فاني لا أرى الموت الا شهادة ولا الحياة
مع الظالمين الا ذلا ونسما قاتل مع أصحابه حتى قتل وقتل معه من أهل بيته عباس
ابن علي وجعفر اخوه وخمسة من بني عقيل وابنان لعبد الله بن جعفر عون ومحمد
وثلاثة من بني هاشم وغيرهم رحمهم الله أجمعين وذلك بالطف من أرض كربلاء في

يوم عاشوراء سنة احدى وستين وعمره ست وخمسون سنة قتله سنان بن أنس
النخعي وحز رأسه خولي بن يزيد وأتى به عبيد الله بن زياد وهو يقول مرتجزا

أوقر ركابي فضة وذهبا أنا قتلته الملك المحجبا

خير عباد الله أما وأبا وخيرهم إذ يتسبون نبيا

قال له عبيد الله اذا كان خير الناس أما وأبا فلم يقتله قد موه فاضربوا عنقه فضرب
عنه لازحه الله وقيل انما أتى برأس الحسين طمعا في مكافأة يزيد بن أبي سفيان اذ

كان قال من جاءني برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا فانفرد شبيل بن يزيد الحنظلي
فجز رأسه ودفنه الى خولي أخيه قدم به على يزيد وانشده البيتين اللذين قدما

قتله يزيد لاعبيد الله والله أعلم بصحة ذلك قالوا وبعت عبيد الله بن زياد زفر
ابن قيس الجعفي الى يزيد بنخلبر فقدم عليه حتى وقف بين يديه فقال له ماوراءك

يا زفر قال أبشرك يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره قدم علينا الحسين في رجاله
واهل بيته فبرزنا اليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الامير عبيد الله

أو القتال فابوا فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى
اذا اخذت السيوف مأخذها من هام الرجال جعلوا يلودون منا بالآكام والحفر كما

يلوذ الحمام من الصقر فلم يكن الا كنعر جزور أو نوم نائم حتى آتينا على آخرهم
فهايتك أجسادهم مجردة وهامهم مرملة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح بقاع

سبب زوارهم العقبان والرحم قال قدمت عينا يزيد وقال لقد كنت أرضى
من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية (يريد عبيد الله بن زياد) أما والله

لو كنت صاحبه تركته رحم الله أبا عبد الله وغفر له وفي رواية أخرى انه لما أتى
اليه برأس الحسين رضى الله عنه تمثل بقول الحصين بن الحمام المرى

فقلق هاما من رجال أعزة غلبنا وهم كانوا أعق واظلموا

ولما أتى اليه بمن بقي من أهل الحسين رضى الله عنه قال لهم لقد اخلصتم

انفسكم ببيد أهل العراق وما علمت بخروج ابي عبد الله ولا بقتله ثم أمر بهم
 فضربت عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكسأهم وأخرج لهم جوائز كثيرة
 وقل لو كان بينهم وبين ابن مَرْجَانَةَ نسب ما قتلهم ثم ردهم الى المدينة فلما
 دخلوها خرجت ابنة عقيل ناشرة شعرها واضعة كفا على رأسها وهي تبكي وتقول
 ماذا تقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الاسم
 بتوتى وباهلى بعد مقتدى منهم أسارى وقتلى ضرجوا بهم
 ما كلن هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفوني سوما في ذوى رحى
 وقالت ترثيهم

عيني ابكي بعبرة وعويل واندي ان قدبت آل الرسول
 ستة كلهم لصلب على قد اصبوا وخسة لعقيل

وذكروا ان يزيد بن معاوية امر بخطيب من بني أمية ان يصعد المنبر فصعد
 وخطب ونال من علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومن الحسين ابنه واطنّب في
 ذلك فاستأذن علي بن الحسين (وهو الذي نجا من القتل من ولد الحسين رضى الله
 عنه) في أن يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد فألح عليه فأذن له فصعد
 المنبر وخطب خطبة أبكت العيون وأوجلت القلوب يقول فيها أيها الناس من
 عرفني قد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسى وانسى له حسبي ولسي انا ابن
 مكة انا ابن زمزم والصفاء انا ابن من حمل الركن باطراف الرداء انا ابن خير من
 اترو وارثدى انا ابن خير من اتعل واحننى انا ابن خير من حج ولبى انا ابن
 خير من ركب البراق في الهواء انا ابن خير من أسرى به من المسجد الحرام الى
 المسجد الأقصى انا ابن خير من بلغ به جبريل سدرة المنتهى انا ابن خير من
 دنا فتدلى فكان قلب قوسين أو ادنى انا ابن خير من صلى بملأكة السماء انا ابن
 محمد المصطفى انا ابن علي المرتضى انا ابن سيدة للنساء انا ابن الأليام انا ابن خير

الاصفياء فنند ذلك ضجج الناس بالبكاء وكادت تكون فتنة فولى رضى الله عنه
خوف الفتنة انتهى

(المن) وَمَثَلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهِيدُوا • جَزَعَ الْخَزْرَجَ مِنْ وَقْعِ الْأَمَلِ
إِشْرَحَ تَمَثَّلَتْ أَى تَشَبَهَتْ بِالْغَيْرِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرَّةُ كُلُّ أَرْضٍ ذَاتِ
حِجَارَةٍ سَوْدٍ وَالْمَرَادُ بِهَا نَاحِرَةً قَالَ نَارُ مَوْضِعٍ بظاهر المدينة في جهتها الشرقية تحت وإِقْمَ
وَهُوَ أَطْمٌ مِنْ أَطَامِهَا وَبِهَا كَانَتْ الْوَقْعَةُ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا ابْنُ زَيْدُونَ الْمَسَاءَةَ بِاسْمِهَا
وَنِسَابُ خَيْرِهَا وَالْمَثَلُ بِبَيْتِ الشَّرِّ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ أَوْقَعَ بِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةَ وَقَبْلَ أَنْ نَذَرَ الْقِصَّةَ فِي ذَلِكَ نَذَرَ طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوَةَ
لَأَنَّهُ سَابِقٌ لْخَبَرِ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ فَتَقُولُ

ذَكَرَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَخِلَافَتَهُ وَبَعْضَ أَخْبَارِهِ

هُوَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَتَقَدَّمَ ذَكَرَ بَاقِيَ النِّسْبِ فِي
أَخْبَارِ جَدِّهِ أَبِي سَفْيَانَ صَخْرَ بْنَ حَرْبٍ وَيَكْنَى أَبُو الْخَالِدِ وَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ
مَعَاوِيَةَ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِّينَ بِتَدْيِيرِ أَبِيهِ الَّذِي مَكَثَ سَبْعَ سِنِينَ يَرُوضُ النَّاسَ
لِبَيْعَةِ يَزِيدَ وَيَشَاوِرُ وَيُعْطِي الْأَقْرَابَ وَيَدْنِي الْأَبْعَادَ حَتَّى اسْتَوْثِقَ النَّاسَ لَهُ وَكَانَ
قَدْ رَأَى فِي نَبِيِّ هَاشِمٍ نَفُورًا شَدِيدًا فَاحْتَالَ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَرْغَمَهُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي
بَيْعَةِ يَزِيدَ قَالُوا وَمَا كَاشَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ وَكَانَ جَسُورًا بِقَوْلِهِ
لَهُ مَاذَا تَرَى فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَنَا ذِيكَ وَلَا أَنَا ذِيكَ
إِنَّ أَخَاكَ مِنْ صَدَاقِكَ فَانظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ . وَتَفَكَّرَ قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ فَانْظُرْ
قَبْلَ التَّقَدُّمِ وَالتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ فَضَحِكَ مَعَاوِيَةَ وَقَالَ تَطْلُبُ رَوَاحُ تَمَثَّلَتْ
الشَّجَاعَةَ عِنْدَ الْكِبَرِ وَفِي دُونَ مَاقَلَّتَهُ عَلَى ابْنِ أَخِيكَ . أَيَكْفِيكَ وَكَانَ الْإِحْنَفُ
ابْنُ قَيْسٍ حَاضِرًا فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ مَاذَا تَرَى يَا أَحْنَفُ قَالَ الْإِحْنَفُ نَخَافُكُمْ إِنْ

صَدَقْنَا وَنَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْنَا فَسَكَتَ عَنْهُ وَعَمِدَ إِلَى اسْتِدْعَاءِ وَقُودِ الْأَمْتِ بِلِإِلَيْهِ
 مِنْ كُلِّ مِصْرٍ قَوْمًا فَكَانَ مِنْهُمْ وَفَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو وَبْنُ حَزْمٍ فَخَلَّاهُ بِهِ
 وَقَالَ لَهُ مَاذَا تَرَى فِي بَيْعَةِ يَزِيدٍ فَقَالَ لَهُ إِنْ اللَّهُ سَأَلَ كُلَّ رَاعٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَاتَّقِ
 اللَّهَ وَالنَّظَرَ مِنْ تَوْلَى مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ مَعَاوِيَةَ يَهْرُ حَتَّى
 تَنفَسَ الصُّمَدَاءُ وَكَانَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ أَمْرٌ نَاصِحٌ قَلْتِ بِرَأْيِكَ وَلَمْ
 يَكُنْ عَلَيْكَ إِلَّا ذَلِكَ وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقِ إِلَّا ابْنِي وَأَبْنَاؤُهُمْ (يَعْنِي وَلَدَهُ وَوَلَدَ ابْنِ بَكْرٍ وَعَمْرٍو
 وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) فَأَنبِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَخْرَجَ عَنِّي ثُمَّ جَلَسَ لِلْوُقُودِ
 وَأَذِنَ لَهُمْ فَسَجَلُوا عَلَيْهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ يَقُولُوا فِي يَزِيدٍ فَخَطَبُوا وَحَبَسُوا
 إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ فَانَّهُ قَالَ أَنْتِ اعْلَمِي يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي
 لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَمُدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ فَإِنْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ اللَّهُ وَلِهَذَا الْأُمَّةُ
 رَضِيَ فَلَا تَشَاوِرِ النَّاسَ فِيهِ وَإِنْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا تَزُودِي الدُّنْيَا وَتَذْهَبِي
 أَنْتِ إِلَى الْآخِرَةِ قَالَ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يَذْكُرُوا إِلَّا كَلِمَةَ الْأَحْنَفِ ثُمَّ بَايَعَ النَّاسُ
 لِيَزِيدٍ فَقَالَ رَجُلٌ وَقَدْ دُعِيَ إِلَى الْبَيْعَةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ
 مَعَاوِيَةُ تَعُوذُ مِنْ شَرِّ نَفْسِكَ فَانَهَا أَشَدَّ عَلَيْكَ فَبَايَعَ وَقَالَ إِنِّي أَبَايَعُ وَأَنَا كَارُهُ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ
 بَايَعَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا
 ثُمَّ كَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ فَخَبَّرَ أَهْلَهَا وَحَضَمَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَحَذَّرَهُمْ
 الْفِتْنَةَ فَتَكَلَّمَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 عَمْرٍو وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَانْكَرُوا بَيْعَةَ يَزِيدٍ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فَكَتَبَ مَرْوَانَ
 إِلَى مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ فَجَرَجَ مَعَاوِيَةَ بِرِيدِ الْحَجِّ وَمَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي أَلْفٍ فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهَا تَلَقَاهُ
 النَّاسُ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرْحَبًا بِسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَرَّبُوا
 دَابَّةً لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَرْحَبًا بِشَيْخِ قَرِيْشٍ وَابْنِ الصَّدِيقِ
 وَقَالَ لِابْنِ عَمْرٍو وَابْنِ الزُّبَيْرِ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ وَدَعَا لَهُمْ بِدُيُوبٍ فَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا وَخَرَجَ

بهم إلى مكة فحضى حجه ولما أراد الشخصوص امر باقتله فقدمت وأمر بالمنبر
 فقرأ عن الكعبة وأرسل إلى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن
 الزبير رضوا الله عنهم فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير أ كفنا كلامه قال على ابن
 لا تخالفوني قالوا لك ذلك ثم أتوا معاوية فخلا بهم وقال لهم قد علمتم نظري فيكم
 وتعطى عليكم وصلى لأرحمكم ويزيد أخوكم وابن عمكم وإنما أرحمت أن أقتله
 باسم الخلافة وتكفروا أتم تأمرون وتمنون فسكتوا وتكلم ابن الزبير فقال نبيرك
 بأحدى ثلاث فأبها أخذت فهي لك الأولى إن شئت فاصنع فينا ما صنع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله إليه ولم يستخلف فذبح هذا الأمر حتى يختار
 الناس لأ نفسهم والثانية أن شئت فاصنع أبو بكر عهد إلى رجل من قاصية قريش
 وترك من ولده وورثته من كان لها أهلا والثالثة أن شئت فاصنع عمر صبرها إلى
 ستة ففر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها
 لكان لها أهلا قال معاوية هل غير هذا قال لا ثم قال لا آخرين ما عندكم قالوا
 نعم على ما قال ابن الزبير فقال لهم اني أتقدم إليكم وقد اعنر من أنذر إنى قائل
 مقالة أقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة في مقامى هذا لا ترجع إليه كلمته حتى
 يضرب عنقه فلا ينظرون امرؤ منكم الا انفسه ولا يبق الا عليها وأمر أن يقوم
 على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما فان تكلم أحد بكلمة يرد عليه بها قتلاه
 وخرج وأخرجهم معه فرقى المنبر وحف به أهل الشام واجتمع الناس فقال بعد
 حمد الله والثناء عليه أيها الناس إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار قالوا ان
 حسينا وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا يزيد وهؤلاء الرهط سادة
 المسلمين وخيارهم لا نبرم أمرنا دونهم ولا نقضى أمرنا إلا عن مشورتهم وانى دعوتهم
 فوجدتهم سامعين طائعين فبايعوا وسلموا واطاعوا فقال أهل الشام وما يعظم من
 أمر هؤلاء إذ نذنا لنا فنضرب أعناقهم لا نرضى حتى يبايعوا علانية قال معاوية

سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بلئشر وأحلى جماعتهم عندهم أفصتوا فلا
 أسمع هذه المقالة من أحد منكم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا ثم قرب رواحله
 فركب ومضى فقال الناس للحسين وأصحابه قلم لا نبايع فلما دعيتهم بايعتم قالوا لم
 نعمل وما خفنا إلا القتل فكادنا بكم وكادكم بنا فأنت ترى كيف احتل معاوية
 على تخليف ابنه عن غير رضى ولا مشورة من المسلمين قالوا وأربع خصال
 كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موقعة ابتزازه على هذه
 الأمة بالسفهاء حتى ابتزمتها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذووا
 الفضل واستخلافه ابنه بعهده سيكبرا خيرا يلبس الحرير ويضرب بالطناير وادعائه
 زيادا وقد قال رسول الله صلى الله وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حُجْر
 ابن عدى الكندي وأصحابه لتشييعهم إلى علي رضي الله عنه قلت وفي ادعائه
 زيادا يقول يزيد ابن مفرغ في هجو ابن زياد

الا أبلغ معاوية بن صخر	مغائلة من الرجل الجاني
أنفضب أن يقال أبوك عف	وترضى أن يقال أبوك زاني
فاشهد أن رحلك من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زيادا	وصخر من سمية غير دان

وقال آخر يهجو زيادا ولمم أمه سمية

عاشت سمية معاشرت وما علمت ان ابنها من قريش في الجماهير

ولقد حدث في أول سنة من خلافة يزيد قتل الحسين رضي الله عنه كما مر عليك من
 هذا الكتاب وفي الثانية قتل أهل المدينة وفيهم اختيار الصالحون بوقعة الحرة لخلافهم
 عليه كما سيجيء وفي الثالثة غزو الكعبة ورميها بالحجارة ومكث في الخلافة أربع
 سنين وإياما ومات في النصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وعمره تسع
 وثلاثون سنة ودفن بدمشق وقيل بجوار ابن خارجها اقتتت أخباره مختصرة

وتذكر الآن خبر وقعة الحرة وما حدث فيها فنقول

ذكر وقعة الحرة بالمدينة

وكان من حديث هذه الوقعة أن الحسين بن علي رضي الله عنه لما قُتِلَ كما سبق ذكره قام عبد الله بن الزبير بن العوام رضي عنه بمكة وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فثار أصحابه وطلبوا إليه أن يظهر بيعته وقد كان يبائع الناس سرا ويظهر أنه عائد بالبيت فقال لهم لا تعجلوا واخذ يجمع الجوع فلما بلغ خبره يزيد بن معاوية اعطى الله عهدا ليوقفه في سلسلة ثم بدا له أن يلايته فبعث إليه مع البريد بجامعة بن ورق وثرس خرا ليلبسها ويأتيه بهما برا يمينه فلما ورد عليه البريد زده ردا رقيقا ولم يجبه إلى الحضور عنده وعلا بعدئذ أمره وكاتبه أهل المدينة وقال الناس اما اذا مات الحسين رضي الله عنه فليس أحد ينازع ابن الزبير ثم أن الوليد بن عتبة وناسا من بني أمية قتلوا ليزيد لو شاء عمرو بن سعيد وكان عامله على المدينة لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك فعزل يزيد عمرا في هلال ذي الحجة سنة احدى وستين وولى مكانه الوليد ابن عتبة فاتاها فلم يبق شيئا من أمر ابن الزبير فعزله أيضا وولى مكانه عثمان بن محمد ابن أبي سفيان وكان هذا قتي غرا لم يجرب الامور ولم يحنك السن ولا يكاد ينظر في شيء من سلطانه وعمله اذ بعث في اياه وقد آمن أهل المدينة أي في سنة اثنتين وستين الى يزيد بن معاوية فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى ورجالا آخرين من اشرافها قدموا على يزيد فآكرمهم واعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة فلما وصلوها اظهروا شتم يزيد وقالوا انا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر وتمرزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان وانا نشهدكم بانا قد خلمناه فتابهم الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد وكان ذلك في سنة ثلاث وستين ووثبوا على عثمان بن محمد عامله ومن

بلمدينة من بني أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم من قريش وكانوا نحو الف رجل
فأخرجوهم بجماعتهم حتى انزلوهم دار مروان بن الحكم وحاصروهم حصاراً ضميماً وكان
يدبر أمر بني أمية مروان بن الحكم فكتبوا كتاباً إلى يزيد بن معاوية يقولون فيه
أما بعد فاتا قد حُصرتا في دار مروان ومنعنا العذابَ ورمينا بالجُوبِ فياغوثاه
ياغوثاه فلما قرأ كتابهم قال متملاً

لقد بدلوا الحلم الذي من سجيبي فبدلت قوتي غِلظةً بليان

وفي رواية أن عثمان بن محمد هو الذي كتب الكتاب إلى يزيد فكتب يزيد إلى
أهل المدينة كتاباً يحذرهم ويقول فيه والله لئن وضعكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة
أقل بها عددكم وأتركنكم أحاديث تُنسخ أخباركم كأخبار عاد وثمود فلما أتاهم
كتابه حَمَى القوم وعولوا على قتال جنوده ولم يبالوا بتهديده وبلغ يزيد الخبرُ
فدعا مسلم بن عقبة المرثي وهو شيخ كبير وأمره بالسير إليهم في جيش تبلغ عِدته
اثني عشر الفا وكان مسلم مريضاً فقال له إن حدث بك حدث فاستخلف على
الجيش حُضَيْن بن نُمير السكوني وكان معاوية بن أبي سفيان لما احتضر أوصى
إلى يزيد أن له يوماً من أهل المدينة فاذا فعلوا فليُرْمِهِمْ بِسَلْمِ بْنِ عَقْبَةَ فَانه رجلٌ
قد عرفنا نصيحته وقال لست أخاف عليه إلا ثلاثة الحسين بن علي وعبد الله
ابن عمر وعبد الله بن الزبير فاما الحسين بن علي فأرجو الله أن يكفيه منه كما قتل
أباه وخنل أخاه وأما ابن عمر فانه رجل قد انهكه الورع فليخُلْ بينه وبين آخرته يُخَلْ
ما بينه وبين دنياه وأما ابن الزبير فان خَبُّ ضَبُّ فان ظَفِرَ به فليقطعهُ لِرَبِّاً
لِرَبِّاً فاقبل مسلم بالجيش حتى اذا بلغ أهل المدينة إقباله عمدوا إلى كل ماء بينهم وبين
الشام فصبوا فيه القَطِرَانَ وَعَوَّرُوهُ فَأرسل الله المطر على جيش مسلم فلم يُسْتَقْوُوا
بِدَلْوٍ حَتَّى قَبِعُوا المَدِينَةَ ثُمَّ وثب أهل المدينة على بني أمية ومن معهم فحاصروهم في دار
مروان وقالوا والله لانكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تطوناعهد الله

وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا على عتوة لنا ولا تظاهر واعطينا عدواً فنكف عنكم
 ونخرجكم عنا فأعطوهم عهداً على ذلك فأخرجوهم من المدينة بأقلامهم حتى لقوا
 مسلم بن عقبة بوادي القرى فسألهم عن حال الناس فلم يكلمه إلا عبد الملك بن
 مروان لليهود التي أعطوها لأهل المدينة فقال عبد الملك لمسلم بن عقبة أمت أهل
 المدينة مشركاً ثم تستقبلهم فإذا طلعت الشمس طلعت بين اكتاف أصحابك
 فلا توثقهم وقع في وجوه أهل المدينة فيؤذيهم حرها فقال له لله أبوك لقد رأي
 بك خلفاً قتل حيث أشار عليه عبد الملك وبعث إلى أهل المدينة ينصحبهم ويخيمهم
 ويحذرهم واجلهم ثلاثاً فضى الأجل ولم يجيبوه وانصرفوا على قتاله واستمدوا له
 فانتخبوا خندقاً في جانبها وقسموا جيشهم لوطاً لكل ربع رئيساً وأمير الجماعة
 عبد الله بن حنظلة للنسيل ووقع القتال فلما رأى أهل الشام بساتهم وبجالتهم
 هابوهم وكرهوا قتالهم فانكثفوا فأمر مسلم بن عقبة أميرهم بسريره فوضع بين
 الصنمين وهو عليه مريض وأمر منادياً ينادى قاتلوا عن أميركم أو دعوة فجد أهل
 الشام في القتال ومسلم يحرضهم أشد تحريض ويقول مرتجواً

أحيا أباه هاشم بن حرمه يوم الهباتين ويوم اليعنكة
 كلُّ الملوك حوله منبره وورعه للوالدات منكبه
 لا يلبث القليل حتى يجد له يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

فانهزم أهل المدينة وسمعوا التكبير من خلفهم فلذا أهل الشام قد اقتحموا
 عليهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن حنظلة وابنامه وكاتوا ثمانية وقتلوا الفضل بن
 عباس بن ربيعة ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس ومحمد بن عمرو بن حزم
 وغيرهم ويقال انه لم يبق بعده منه الوقتة بدرى ودخل مسلم المدينة وأخرج أهلها
 إلى الحرّة وأباحها لجيشه ثلاثاً وفضحت النساء واقتضت الأباكرا وأسرف مسلم
 في قتل الرجال حتى سوه مسرفاً ثم دعا من بقي منهم لبيعة يزيد وعلى أنهم تحول

له يحكم في دماهم واموالهم وأهليهم فأتى اليه يزيد بن عبد الله بن زمنة بن الأسود
ومحمد بن أبي الجهم بن حديفة ومعل بن سنان بعد الوقعة بيوم فأبوا أن ينادوه
على ما أراد قتلهم صبوا وبعث برؤسهم إلى يزيد وهرب عبد الله بن مطيع فلقق
بمكة فكان بها إلى أن قتل مع عبد الله بن الزبير في دولة عبد الملك بن مروان
وجعل يقاتل أهل الشام ويقول مرتجزا

أنا النبي فررت يوم الحرة والشيخ لا يفر إلا امره
فاليوم اجزى كربة بفره لا بأس بالكربة بعد الفره

وكان جميع من قتل يوم الحرة من قريش والانصار ثلثمائة رجل ومن الموالى
وغيرهم أضعاف ذلك وقيل أكثر والله أعلم بالحقيقة وكانت الوقعة ليلتين بقيتا
من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ويقال انه لما أقيمت رؤس أهل المدينة بين يدي
يزيد تمثل بقول عبد الله بن الزبيرى القرشى الشاعر من قصيدته التى قالها يوم
أحد لما انتصر كفار قريش على المسلمين

ليت أشياخي بيدي شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
وقد قتلنا القرم من ساداتكم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تسل
لست من خديف ان لم انتقم من بنى احد ما كان فعل
لعمت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل

الثلاثة الايات الاخيرة ليست من شعر ابن الزبيرى بل من تضمينه هو
وفيه كفر صراح نعوذ بالله منه فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارتدت عن الاسلام يا أمير المؤمنين فقال بل نستغفر الله فقال له والله
ما ساكنتك أرضا ابدا وخرج عنه قلت وهذا ما كان يرمى به أبوه معاوية بن
أبي سفيان حين تشبه بالخلافة ومحاربه على بن أبي طالب بدعوى الطلب بدم

عُمان فكانت أم الحريش البارقية تحرض يوم صفين أصحاب علي رضي الله عنه على القتال وهي قول هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والوصي الوفي والصديق الاكبر انها لحن بدرية وضفائن احدىة وثب بها معاوية حين الغفلة ليترك بها ثارات بني عبد شمس انتهى ويحسن بنا أن نذكر طرفاً من أخبار ابن الزبيرى قائل الأبيات التي تمثل ببعضها يزيد بن معاوية وقد ذكرناها في خبر وقعة أحد للامام القاريء بسيرة هذا القرشي الشاعر

ذكر عبد الله بن الزبيرى الشاعر وبيض أخباره

هو عبد الله بن الزبيرى بن قيس بن عدي بن سعد السهمي من بني كعب ابن لؤي شاعر من شعراء قريش الممدودين وكان في ابتداء الاسلام يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش ولما انتهت وقعة بدر الكبرى التي خذل الله فيها قريشا وبدد شملهم كما هو معروف رثا موتاهم قال

ماذا على بدر وماذا حوله	من فتية يبيض الوجوه كرام
تركوا نبيها خلفهم ومنبها	وابنى ربيعة خير خصم فنام
والحارث الفياض يبرق وجهه	كالبدر جلى ليلة الاظلام
والعاصي بن منبه ذا مرة	رحا تميأ غير ذى أوصام
تمى به اعراقه وجدوده	وما أثر الأخوال والأعمام
واذا بكى بك فاعول شجوة	فعلى الرئيس الماجد بن هشام
حيا الاله أبا الوليد ورهطه	رب الانام وخصه بسلام

قال ابن هشام وتروى هذه الأبيات لغيره وقال ايضا يوم احد قبل اسلامه

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله	وحزرة في فرسانه وابن قوقل
وافلتنا منهم رجال فامرعوا	فليتهم عاجوا ولم تتعجل
اقاموا لنا حتى تعض سيفونا	منراتهم وكلهم غير عزل

وحتى يكون القتل فينا وفيهم ويلقوا صبوحة شره غير منجلى
 وقال القصيدة التي تمثل يزيد بن معاوية بيوتين منها كما تقدم وكان النبي صلى
 الله عليه وسلم قد أهدر دمه يوم فتح مكة فهرب الى بخران فقال فيه حسان بن
 ثابت رضى الله عنه بيتا واحدا ما زاده عليه

لا تَعَدَمَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَغْضَهُ نَجْرَانُ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْمٍ
 فلما بلغ ذلك ابن الزبيرى خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وقال
 حين أسلم

يا رسول المليك ان لسانى راتق ما فتقتُ إذ أنا بور
 إذ أبارى الشيطان فى سن الغسى ومن مال مَيْلُهُ مشبور
 آمن اللحم والعظام لربى ثم قلبى الشهيد أنت النذير
 اتى عنك زاجر ثم حياً من لؤى وكلهم مفرور
 وهو القائل فى مدح نبي عبد مناف حينما سنَّ لهم هاشم بن عبد مناف رحلة
 الشتاء والصيف

قل للذي طلب الساحة والندى	هلا مررت بأل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم	منعوك من ضر ومن إتلاف
الرائشين وليس يوجد رائش	والقائلين هلُم للأضياف
وانخالطين قبيرهم بغنيهم	حتى يكون قبيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق	والراجلين برحلة الايلاف
عمرو الملا هشم تريد لقومه	ورجال مكة مُسنتون عيجاف
سفرين سنهما له ولقومه	سفر الشتاء ورحلة الاصيف

وكان يميل الى الشعر القصير فسأله أبو سفيان فى ذلك فقال حسبك من الشعر
 غرة لأمتة وسمية واضحة وقد اكتفينا من أخباره بهذا القليل ولم تقف على تاريخ

مولده ووفاته والله أعلم

(المن) وَرَبَّحَتْ الْكَعْبَةَ وَصَلَبَتْ الْعَائِدَةَ عَلَى النَّبِيَّةِ

(الشرح) الرجم الرمي بالحجارة والكعبة مؤنثة البيت الحرام سميت

بذلك لتربيعها تقول كعبت البناء تكمياً إذا ربعته وقيل سميت بذلك لثنوبها

وارتفاعها ومنه قيل كعبت الجارية تكعب كما باباً تتأ ثديها قيل كانت قبل أن

تُدسح الأرض رابية حمراء مشرفة على وجه الأرض ولما خاطب الله الملائكة في

شأن آدم بقوله إني جاعل في الأرض خليفة قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ثم

خافت غضب الله عليهم لهذا الرد فلأذوا بالعرش وطافوا به سبماً فرضي عنهم وكان قد

اهبط الله آدم إلى الأرض بمكة فقال الله للملائكة ابنوا لي في الأرض بيتاً يعوذ

به من سخطت عليه من بني آدم فبنوا الكعبة في تلك الرابية فسميت بيت الله

لذلك فهي من رحمة الله ونعمه علينا وقد فرض الله الحج إليها وجعله أحد

أركان الإسلام الخمسة لتسبل الذنوب ومحو السيئات وهذا أول بناءها ثم بناها

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما أخبر الله تعالى بقوله (واذ يرفع إبراهيم القواعد

من البيت وإسماعيل الآية) ولم يجعل لها سقفاً ثم تهدمت فبنتها العماقة ثم تهدمت

فبناها جرهم ثم تهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بنخشب الدوم وجريد النخل

وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعاً ثم استهدمت وكانت فوق القامة فأرادت

قريش تعليتها فهدمتها وبنتها وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناءها معهم

وسقفوها بنخشب سفينة ألقاها البحر إلى جدة وكان طولها ثمانين عشر ذراعاً ثم

احترقت حين حوصر ابن الزبير أول مرة فلما ارتفع عنه الحصار واطمأن بآله

هدمها وأعاد بناءها وزاد فيها ست أذرع من الحجر ولما قتل ابن الزبير واستولى

الحجاج بن يوسف على الحرمين في دولة عبد الملك بن مروان هدمها بامر عبد الملك

وردها إلى أصلها كما سيجيء فبقيت إلى الآن على ذلك البناء وقل بعض العلماء

أنها بنيت عشر مرات وجمع أسماء من بنوها في الآيات الآتية
 بَنَى بَيْتَ رَبِّ الْعَرْشِ عَشْرًا تَفْخَمُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ الْكِرَامِ وَأَدَمُ
 فَشَيْثُ قَابِرَاهِمِ ثُمَّ عَمَالِقُ قُصَى قُرَيْشٍ قَبْلَ هَذَيْنِ جُرْمُهُمْ
 وَعَبْدُ الْإِلَهِ بْنِ الزَّبِيرِ وَبَعْدَهُ بِنَاءُ الْحِجَابِ وَهَذَا مُتَمِّمٌ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقِيقَةِ وَقَدْ رُجِمَتْ مَرَّتَيْنِ الْأُولَى فِي حِصَارِ حُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرِ السَّكُونِيِّ
 لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ قَبْلَ هَلَاكِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَعَقِيبَ وَقْعَةِ
 الْحَرَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَالثَّانِيَةَ فِي حِصَارِ الْحِجَابِ بْنِ يَوْسُفَ لِبْنِ الزَّبِيرِ أَيْضًا فِي سَنَةِ
 اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ كَمَا سَيَجِيءُ

وقول ابن زيدون وصلتُ العائِدَةَ عَلَى الثَّنِيَةِ الصَّلْبِ مَعْلُومٌ وَالْعَائِدَةُ الْمَلْتَجِيءُ
 وَالْمُرَادُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ بِعَدِّ الْبَيْعَةِ
 لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي خَبَرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَاخِطًا عَلَى
 خِلَافَةِ يَزِيدٍ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ عَائِدَةٌ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ فَسُمِّيَ الْعَائِدَةُ وَالثَّنِيَةُ الْعَقِبَةُ فِي الْجَبَلِ أَوْ
 طَرِيقَهَا إِلَيْهِ وَالْمُرَادُ بِهَا الْمَكَانَ الَّذِي صَلَبَ فِيهِ ابْنُ الزَّبِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ
 وَنَذَكَرْنَا أَوْلَا خَبَرَ رَجْمِ الْكَعْبَةِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَتَقُولُ

ذَكَرَ رَجْمَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ أَوْلَى مَرَّةً

قَالَ الْمُؤَرِّخُونَ لَمَّا فَرَّغَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِبَةَ الْمُرِّيُّ مِنْ قَتْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي وَقْعَةِ
 الْحَرَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا التَّفْتَاطَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ بِمَكَّةَ فَسَارَ إِلَيْهِ بِجِيُوشِهِ وَخَلَفَ
 عَلَى الْمَدِينَةِ رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ وَقَيْلُ عَمْرُو بْنُ مُحَرَّرِ الْأَشْجَعِيِّ فَلَمَّا أَتَى إِلَى
 الْمَشَلِّ وَقَيْلُ قَفَا الْمَشَلِّ فِي آخِرِ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَدَعَا
 حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرِ السَّكُونِيِّ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ بَرْدِعةِ الْحَارِأَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا
 الْأَمْرُ إِلَى مَا وَأَيْتِكَ هَذَا الْجَيْشُ وَلَكِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَاكَ بَعْدِي وَلَيْسَ
 لِأَمْرِهِ مَرْدٌ خَذَعَنِي أَرْبَعًا اسْرِعِ السَّيْرَ وَعَجِّلِ الْوِقَاعَ وَعَمَّ الْأَخْبَارَ

ولا تمكن قرشيا من أذنتك وقيل قل له اذا لقيت القوم فاياك أن تمكنهم أذنتك لا يكون
إلا الوقاف ثم النكاف ثم الانصراف ومات لارحمه الله فمضى حصين قدم مكة
لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين فحاصر ابن الزبير اربعين يوما وقيل
أربعة وستين يوما وقاتله ابن الزبير بجموعه قتالا شديدا قتل فيمن قتل فيه أخوه
المنذر بن الزبير وكان قد نجا من وقعة الحرّة ثم قذفوا البيت الحرام بالمجانيق
لثلاث خلون من ربيع الأول من السنة المذكورة وأحرقوه بالنار وأخذوا
يريجزون بقولهم

خطارة مثل الفنيق المزبد نرى بها أعواد هذا المسجد

وبقولهم

كيف ترى صنيع أم فروه تأخذهم بين الصفا والمروه
يعنون بأم فروة المنجنيق ويقال أن سبب إحراق البيت أن رجلا من أصحاب
عبد الله بن الزبير أخذ قيساً في رأس رمح له فتطيرت به الريح فضرب أستار
الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الأسود فاحترقت وانصدع الركن في ثلاثة
أمكنة وقال ابن عبد ربه بل الرجل من الشام ولعله الأصح والله أعلم وقد ضايق
أهل الشام عبد الله بن الزبير حتى إذا جاءهم نعي يزيد بن معاوية في هلال ربيع
الآخر وكان قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وقيل للتصيف منه قتلوا
إلى المدينة ومنها إلى الشام ويقال أن موت يزيد بلغ خبره ابن الزبير قبل أن يبلغ
أهل الشام فصاح بهم إن طاعتكم قد هلك فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل
الناس فيه فليفعل ومن كره فليلحق بشامه فلما تأكد حصين الخبر اختلى بعبد
الله بن الزبير وقال له سر معي إلى الشام فتن وجوه أهلها وفرسانهم معي يبايعون
لك ولا يختلفون عليك وإن تؤمن الناس وتهدير السماء التي بيننا وبينك والتي كانت
بيننا وبين أهل الحرّة فلم يوافقته فتركه فكان سعيد بن عمرو يقول ما منعه إلا

تَطِيرُ وَوَاللَّهِ لَوْ سَارَ مَعَهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ الشَّامَ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ اِثْنَانِ فَلَمَّا رَجَعُوا
 إِلَى الشَّامِ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ صَفَا الْوَقْتُ لِابْنِ الزَّيْبِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَالْتَفَّ النَّاسُ
 حَوْلَهُ وَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ وَظَهَرَ أَمْرُهُ وَهَدَأَ بِاللَّهِ فَهَلُمَّ الْكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ
 قَدْ تَصَدَّعَتْ مِنْ فِعْلِ النَّارِ كَمَا مَرَّ وَأَدْخَلَ فِيهَا سِتًّا أَذْرَعًا مِنَ الْحِجْرِ وَقِيلَ سَبْعًا
 وَجُمِلَ لَهَا بَابَيْنِ مُلَصَّقَيْنِ بِالْأَرْضِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا يُدْخَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيُخْرَجُ
 مِنَ الْآخَرِ وَجُمِلَ عَلَى بَابِهَا صَفَائِحُ الذَّهَبِ وَجُمِلَ مِفْتَاحُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَبَلَغَ بِهَا فِي الْعُلُوِّ
 سَبْعًا وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا فَهَذِهِ الْمَرَّةُ الْأُولَى فِي رَجْمِ الْكَعْبَةِ بِالْحِجَارَةِ وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ
 فِقَبْلَ أَنْ تَذَكَرَ خَبْرَهَا نَأَى عَلَى تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْضُ
 أَخْبَارِهِ ثُمَّ تَعَقَّبَهَا بِأَخْبَارِ الْحِجَابِ بْنِ يَوْسُفَ فَرَجَّمَهُ الْكَعْبَةَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَّةِ وَقَتْلَهُ ابْنُ
 الزَّيْبِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَقُولُ

ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْضُ أَخْبَارِهِ

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ
 قَعْبَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لَوْيَ وَأَبُوهُ الزَّيْبِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَوَارِيُّ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَمَتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ وَأُمُّهُ
 أُمِّيَّةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَيُقَالُ لَهَا ذَاتُ النَّطَاقِينَ لِأَنَّهَا شَقَّتْ
 نَطَاقَهَا لَيْلَةَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَارِ فَجُمِلَتْ وَاحِدَةً لِسَفَرَةِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرَى عَصَامًا لِقُرْبَتِهِ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ مَوْلُودٍ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ عِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ وَمَا وَلَدَتْهُ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهُ أَسْمَاءُ فَنَظَرَهُ قَالَتْ هُوَ هُوَ فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ أَمْسَكَتْ عَنْ رِضَاعِهِ
 قَالَتْ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ فَرَبِمَا هُوَ كَبَشٌ بَيْنَ ذَنَابٍ وَذَنَابٍ عَلَيْهَا
 ثِيَابٌ لِيَمْنَعَنَّ الْبَيْتَ أَوْ لِيَقْتَنَنَّ دُونَهُ وَنَشَأَ بِالْمَدِينَةِ وَرَافِقُ أَبِيهِ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ
 وَكَانَ قَارِسَ قُرَيْشٍ فِي زَمَانِهِ وَأَجْرَاهُمْ وَهُوَ مَعَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ مَجَادِلَاتٍ

ومحاورات ولما مات معاوية وأفضت الخلافة الى يزيد ابنه أنكر ابن الزبير ذلك
 انكارا شديدا ولم يبايع وخرج الى مكة كما قدمنا وأظهر أنه عائد بالبيت الحرام
 ولما خرج الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق وقتل كما سبق ذكره من هذا
 الكتاب اظهر ابن الزبير بيعته جهارا والتف الناس حوله فبويح بالخلافة في سنة
 اربع وستين وقال الطبري في سنة خمس وستين حين استحكم أمره وطرده بني
 أمية من الحجاز وبث باياديه وعماله الى البلاد الأخرى فدانت له الكوفة والبصرة
 ومصر واليمن وخراسان واكثر السند واستمر خليفة بمكة نحو من ثمان سنين
 في خلافا بويح بالشام لمعاوية بن يزيد بعد موت أبيه فهلك بعد أربعين يوما وقيل
 بعد ثلاثة أشهر فاقتل امر بني أمية حتى كادوا يأخذون البيعة لعبد الله بن الزبير ثم نظروا
 في امرهم فبايعوا مروان بن الحكم في سنة خمس وستين بدمشق قبل وقعة مرج
 راهط التي انتصر فيها مروان وجموعه ممن يهوى هوي بني أمية على الضحاك بن
 قيس من أنصار ابن الزبير فاشتدت شوكته وطمع في أن تدب الناس له وكان
 قد خشى منازعة ولد يزيد بن معاوية في الخلافة فأشاروا عليه أن يتزوج أم خالد
 ابن يزيد ليكسر بها خالدًا فتزوجها فقتلته خذعة في رمضان سنة خمس وستين
 وهو ابن ثلاث وستين سنة لاهانة لحقت ابنها خالدًا . منه فكانت خلافته تسعة
 اشهر او عشرة فبويح لابنه الأكبر عبد الملك بن مروان بعده وفي سنة ست
 وستين ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي بالكوفة قاتل أهلها وانتصر عليهم وقتل
 جماعة من قتلة الحسين رضي الله عنه شر قتلة وفيهم عمر بن سعد وشر بن ذي
 الجوشن وغيرها فلما علا أمره قصده عبيد الله بن زياد بجمع كبير من قبل عبد الملك
 ابن مروان بن الحكم فجهش الجيوش لحربه بقيادة ابراهيم الأشتر فلاقوا عند
 نهر خازر قريبا من الموصل فتهزم جيش الشام وقتل قائدهم عبيد الله بن زياد
 وانتهى امره وكان المختار بن أبي عبيد في ابتداء امره يتظاهر لأهل البيت ويدعو

للأخذ بثأر الحسين وَيَتَنبَأُ النُّبَوَاتِ وَيَسْجَعُ الْأَسْجَاعَ فيقول ورب البحار
والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخير لا قتلن كل جبار
بكل لذن خطار ومهند يتار في جُجوع من الأ نصار ليسوا بميل أغيار ولا يمزَل
اشرار حتى اذا أقمتُ عمود الدين ودرأبتُ صدع المسلمين وشفيت غليل صدور
المؤمنين وأدركت بثأر أبناء النبيين لم يكبرُ على زوال الدنيا ولم أحقلُ بالموت
اذا أتى ولما استفحل أمره طمح الى الخلافة والملك وانتزاعها لنفسه من نبي أمية
وابن الزبير فدهن ابن الزبير مظهر طاعته ومسرا مخالفته فلما افتضح أمره بعث
اليه عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً فقاتله فقتله وتفردت انصاره وسمى الكذاب
وكان قتله في سنة سبع وستين وكان عبد الملك بن مروان معروفاً بالصدق مشهوراً
بالعلم والفضل فتمت بيعته بالشام واشتدت شوكته وكان عبد الله بن الزبير قد
منع أهل الكوفة العطاء ولم تكن له سياسة بالامور وكان يرمى بالبخل وقصر النظر
فمن بخله المشهور ان رجلاً أتاه مُسْتَجِدً فمنعه فقال له لعن الله ناقة حملتني اليك
فقال له أن وراكبها يريد نعم وراكبها فأحفظ بسياسته أهل العراق فمالتوا على خلعه
وكتبوا فيه الى عبد الملك بن مروان بذلك فقدم عبد الملك الى العراق وكان
شيعة فيها فتوافوا اليه وسمع مصعبٌ بقدومه فاستعد لخر به فالتقوا بجيوشهما يدِير
الجائليق في سنة احدى وسبعين وقيل في جادى الآخر سنة اثنتين وسبعين
فهزمه عبد الملك بن مروان وقتله على نهر الرُّجَيْل عند دير الجائليق وعرفت
عنه جُجوعاً وانحازت الى عبد الملك بن مروان وكان مصعبٌ رحمه الله فارساً يضرب
به المثل وله صحبة قديمة مع عبد الملك وصداقة وقد كان عبد الملك دعاه الى
المسألة ومناه فلم يجبه فلما قتل وجيء اليه برأسه قال متأسفاً عليه متى تصدوا
قريش بمثلك ورناه ابن قيس الرُّقِيَّاتِ بايات يقول فيها

لقد أوردتِ المِصرَيْنِ خِزياً وذِلةً قتيلاً بدِيرِ الجائليق مقيم

(م - ٣٠)

فما نصحتُ الله بكرين وائل ولا صبرت عند اللقاء نعيم
ولو كان بكرياً تطف حوله ككتائب يغلي جعها ويدوم
ولكنه ضاع الزمام ولم يكن بها مضرى يوم ذاك كرم
ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر مقتل أخيه المصعب صعد المنبر فجلس عليه
ثم سكت برهة فجعل لونه يحمر مرة ويصفر أخرى فقال رجل من قريش لرجل
الى جنبه ماله لا يتكلم فوالله انه الخطيب اللبيب فقال له الرجل اعلاه يريد أن
يذكر مقتل أخيه سيد العرب فيشتم عليه ذلك وغير ملوم ثم تكلم فذكر مقتل
أخيه وقال في آخر خطبته فان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخليل
الصلحين أما والله لا نموت جيعة كما يموت بنو مروان ولكن قصفا بالرمح وموتا
تحت ظلال السيوف ثم ان عبد الملك دعا أهل العراق الى البيعة فبايعوا فصار
الشام له كله والبصرة والكوفة وبث عماله الى الجهات الأخرى فدانت له ولم
يبق في غير طاعته غير الحرمين وحينئذ التفت لحرب ابن الزبير فيقال ان
الحجاج بن يوسف الثقفي أتاه وقال له إني رأيت في المنام كأنى أسلخ ابن الزبير
من رأسه الى قدميه فقال له اخرج اليه فخرج يريده وقبل أن نذكر ما حدث
بينه وبين ابن الزبير رضى الله عنه نذكر شيئا من ترجمة الحجاج خاصة وان
كانت مشهورة لما عرف عنه من الفصاحة والبيان فنقول

ذكر الحجاج بن يوسف الثقفي وبعض أخباره

الحجاج لقبه واسمه كليب بن يوسف بن أبي عقيل من قتيب ولد بالطائف قرب
مكة في سنة تسع وأربعين ونشأ بها وأبوه رجل نبيل جليل القدر وكان أول أمر
الحجاج معلم أطفال بالطائف وفي ذلك يقول مالك بن الربيع المازني لما صار
الحجاج اميرا في دولة عبد الملك بن مروان

فان تصفوننا يا آل مروان فقرب اليكم والا فأذنوا ببعاد

فان لنا عنكم مزاحا وورحلا بيس اليرح الفلاة صوادي
 ففى الأرض عن دار المنلة منهب وكل بلاد أوطنت كبلادي
 فما ذا عسى الخجاج يبلغ جهده اذا نحن جاوزنا حفير زياد
 فلولاً بنومروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد إباد
 زمان هو العبد المقر بذلة يرواح صبيان الثرى وينادى

وقال آخر

أينسى كليب زمان الهزال وتعليقه سورة الكونر
 رغيه له فلكة ما تُرى وآخر كلقمر الازهر

ثم لحق بِرُوحِ بنِ زِنْبَاعِ الجُنْدَاقِيِّ فكان في عداد شُرطته وما زال تترقى
 حالته حتى فطن له عبد الملك بن مروان قهره به اليه لما ابتلاه ورآى كفاءته فولاه
 الحجاز فالمرأين فظهر أمره وارتفع ذكره وفعل الأفاعيل التي لا يُرجى معها
 السلامة في أخراه فقد كان مقدما جسورا من أكبر لذاته سفك السماء وكان مع
 ذلك فصيحاً يضرب بفصاحته المثل وهو القائل يوم دخوله الكوفة عاملا على العراق
 وقد دخلها مثلثاً متنكباً قومه واضعاً إبهامه على فيه والناس مجتمعون في المسجد

متمثلاً بآيات سحيم الربيعي

أنا ابن جلا^(١) وطلّاع الثنايا^(٢) مني أضعر العجامة تعرفوني
 صليب العود^(٣) من سلفي نزار كنصل السيف وضاح الجبين
 أخو خمسين مجتمع أشدّي ونجدتي مداورة الشؤون^(٤)
 أما والله إني لأحمل الشر بنقله واحذوه بنعله واجز به بمنله وإني لأرى

(١) ابن جلا الصبح لانه يجلو الظلمة وقيل القمر (٢) الثنايا اصغر من الجبل وتنا

(٣) الصليب القوي (٤) نجدتي مداورة الشؤون يعني عاجلت الأمور وجربتها

فاحكمتها يقال رجل منجداى مجرب أحكمته الأمور والمداورة كالمعالجة

رفوسا قد أينمت وحن قِطافها وكأني أرى الدماء ترقرق بين العائم واللحي ثم

تمثل بقول أبي زغنة الأنصاري وقيل رُوَيْشِد بن رُمَيْض العنبري

هذا أول الشدِّ فاشتدي زِيم (١) قد لفها الليلُ بسواقِ حُطَم (٢)

ليس براعي لابل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضم

قد لفها الليل بصَلْبِي أَرْوَعَ خَرَّاج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي

قد شمرت عن ساقها فشُدُّوا ووجدتِ الحرب بكم فجدُّوا

والقوس فيها وترٌ عُرْدٌ مثلُ ذراعِ البكر أو أشد

لا بدُّ مما ليس منه بُدُّ

اني والله يا أهل العراق ما أغمزُ كَتَغْمَازِ التَّيْنِ (٣) ولا يُقَعِّعُ لي بالشان (٤)

ولقد فررت (٥) عن ذكاء وجريت الى الغاية القصوى أن أمير المؤمنين عبد الملك

قد نثر كنفاته ثم عَجَمَ (٦) عيدانها فوجدني أمرها عودا واصليبها مكسرا فوجَّهني

اليكم فانكم طالما أوضعتم (٧) في القن وسذنتم سنن الغي أما والله لألحونكم

لحو العمى (٨) ولا عصيبتكم عصب السلمة (٩) ولا ضربتكم ضرب غرائب

الابل إني والله لا أعيدُ إلا وفيتُ ولا أخلق (١٠) إلا فريتُ فاياي وهذه الجماعات

(١) زيم اسم فرس واشتدي من الشد وهو العدو وقيل اسم للحرب

(٢) والحطم الذي يحطم كل شيء يمر به (٣) وفي رواية التين وهو ضرب

من الجليات (٤) قعقة الشن صوت القرية اليابسة اذا سمعه البعير جفل

(٥) الفر في الاصل النظر الى أسنان الفرس ونحوه لتعلم كم سنه يريد أنه اختبر

عن ذكاء (٦) المعجم العض واللوك علي المجاز (٧) الايضاع ضرب من السير

السرير أي أسرع (٨) لحو العصا إزالة قشرتها (٩) العصب القطع والسلمة

من شجر العضاه (١٠) أخلق أي أقدر قال الله تعالى من نطفة مخلقة والفرى الشق

وقيل وقال وما يقول وفيه أنتم ونحو ذلك والله لتستقيمن على سبيل الحق أولاً دَعَنَ
لكل رجل منكم شغلاً في جسده من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت
دَمَةً وَأَنْهَبَتْ مَالَهُ ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ . شَاهَتْ لِلْجُوهِ
إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مِثْلَ قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعَمَ اللَّهُ فَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِكَ وَأَشْبَاهِ
أَوْلَىٰكَ فَاسْتَوْثِقُوا وَاسْتَقِيمُوا فَوَاللَّهِ لَأَذِيقَنَّكُمْ الْهَوَانَ حَتَّى تَدْرُوا وَلَا أُعْصِبَنَّكُمْ
عَصَبَ السَّلْمَةِ حَتَّى تَنْقَادُوا أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَتُقْبِلَنَّ عَلَى الْإِنصَافِ وَلَتَدْعُنَّ الْإِرْجَافَ
وَكَانَ وَكَانَ وَخَبِرَنِي فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ وَالْمُهْرُ وَمَا الْمُهْرُ .^(١) أَوْلَاهِبْرَنَكُمْ بِالسِّيفِ
هَبْرًا يَدْعُ النِّسَاءَ أَيْمَى وَالْوِلْدَانَ يَتَامَى وَحَتَّى تَمْشُوا السَّمَى^(٢) وَتَقْلِعُوا عَنْ
هَآوَاهَا لِأَيِّ وَهَذِهِ الزُّرَافَاتُ^(٣) لَا يَرْكَبَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ إِلَّا وَحْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَوْ سَاغَ
لِأَهْلِ الْعَصِيَةِ مَعْصِيَتُهُمْ مَا جُبِيَ^(٤) فِي^(٥) وَلَا قُوتِلَ عَدُوٌّ وَلَمْ تُطَلَّ الثُّغُورُ وَلَوْلَا أَنَّهُمْ
يُنْزَوْنَ كَرَّهَا مَا غَزَوْا طَوْعًا وَقَدْ بَلَغَنِي رِفْضُكُمْ الْمُهْلَبُ^(٦) وَأَقْبَالَكُمْ عَلَى مِضْرَمِ
عُصَاةٍ مُخَالِفِينَ وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ أَحَدًا بَعْدَ ثَالِثَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ فَلَمَّا
نَفَرَ النَّاسُ إِلَى الْمُهْلَبِ قَالَ لَقَدْ وُلِّيَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ رَجُلٌ ذَكَرَ وَكَانَ إِذَا صَعِدَ الْمَنْبِرَ
تَلَفَعَ بِمُطَرَفِهِ نَمَّ تَكَلَّمَ رُوَيْدًا رُوَيْدًا فَلَا يَكَادُ يَسْمَعُ حَتَّى يَنْزِيدَ فِي الْكَلَامِ فَيُخْرِجُ
يَدَهُ مِنْ مُطَرَفِهِ ثُمَّ يَزْجُرُ الزَّجْرَةَ فَيُقْرِعُ بِهَا أَقْصَى مِنَ الْمَسْجِدِ وَرَقَى الْمَنْبِرَ مَرَّةً فَلَمَّا
صَوْتَهُ الْمَسْجِدَ بِأَبْيَاتِ سُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلِ الْبَشْكْرِيِّ وَهِيَ
رُبَّ مَنْ انضَجَتْ غَيْظًا صَدْرَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي شَرًا لَمْ يُطْعَمَ

(١) المهبر القطع والمهبرة القطعة من اللحم (٢) السَّمَى التفرق يقال ذهب

إبله السمي إذا تفرقت في كل وجه والمراد حتى تمشوا متفرقين غير مجتمعين

(٣) الزرافات الجماعات (٤) المهلب بن أبي صفرة وكان يقاتل الخوارج

والحجاج ينفر إليه الناس للقتال

ويراني كالشجا في حلقه
 ساء ماظنوا وقد أبليتهم
 كيف يرجون سقاطي بعدما
 عسرا مخرجه ماينتزع
 عند غايات المدى كيف أقع
 جلل الرأس مشيب وصلع
 كيف هنا جاءت نافية أي لا يرجون قلت وأول هذه القصيدة التي منها
 هذه الأبيات هو

بسطت رابعة الحبل لنا
 حرّة تجلو شتيتاً واضحا
 صقلته بقضيب ناضر
 ابيض اللون لذيذاً طعمه
 فوصلنا الحبل منها ما اتسع
 كشعاع الشمس في الغيم سطم
 من أراك طيب حتى نصنع
 طيب الريح اذا الريق خدع
 ولا حتواؤها على حاس جيد أحببت^١ ذكر بعضها قال

وعدو جاهد ناضلته
 فتساقينا بمر ناقع
 وارتمينا والاعادي شهد
 بنبال كلها مزروبة
 خرجت عن بفضة بينة
 وتخاصنا وقالوا انما
 ثم ولي وهو لا يحمي آسته
 ساجد المنخر لا يرفه
 فرمى هاربا شيطانه
 فرمى حيث لا ينفعه
 ورأى منى مقاما صادقا
 ولسانا صيرفيًا صارمًا
 في تراخي الدهر عنكم والجمع
 في مقام ليس يثنيه الورع
 بنبال ذات سم قد قمع
 لم يطق صنعتها الا صنع
 في شباب الدهر والدهر جزع
 ينصر الأقوام من كان ضرع
 طائر الأتراف عنه قد وقع
 خاشع الطرف أصم المستمع
 حيث لا يعطي ولا شيئاً منع
 موقر الظهر ذليل المتضع
 ثابت الموطن كتام الوجع
 كحسام^(١) السيف مامس قطع

(١) وفي رواية كنبب السيف

وأتاني صاحب ذو غيثٍ ذفيان عند افتلاذ القرع
قال لييك وما استصرخته حاقرا للناس أقوال القدح
ذو عباب زَيْدٌ آذِيهِ نَحِطُ التَّيَّارِ يَرْمِي بِالْقَلْعِ
زَغْرَبِي مُسْتَعَزٌّ بِجُوهِ لَيْسَ لِلْمَاهِرِ فِيهِ مَطْلَعُ
هَلْ سَوِيْدٌ غَيْرَ لَيْثٍ خَادِرٍ تَمَّتْ أَرْضٌ عَلَيْهِ فَاتَّجِعُ

فيقال أن أهل العراق هابوه بما لم يهابوا قط أميراً مثله وبلغه أن المختار ابن أبي عبيد قال وهو بالكوفة والله لأدخلنَّ البصرة لا أرمي دونها بكُتَّابٍ (مهم) ثم لا أملكهن الهند والسند والبند^(١) أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء^(٢) والمسجد الذي يتبعُ منه الماء فقال أخطأت أختُ ابن أبي عبيد الحفرة أنا والله صاحب ذلك ومن تعاليه في الكتابة ما كتب به إلى قطري بن الفجاءة من رؤساء الخوارج . سلام عليك الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام . أما بعد فأنك كنت اعراييا تستطعم الكسرة وتنفثُ إلى التمرة ثم خرجت تحاول . ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومارقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما زين لك وادعني فقد آن لك والسلام فلما وصل الكتاب إليه قال يا غلام أزرُبْ هذه الصحيفة فتلا عليه ما فيها فتهنأ قطري الصعداء ثم أنشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظمأ ووا كبدا من وجد ام حكيم
فلو شهدتني يوم دَوَّلاب ابصرت طعان قتي في الحرب غير لثيم
غداة طفت علماء بكرين وإثل وعجنا صدور الخليل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول حدنا وزلت شيوخ الأزد وهي توم

(١) البندامة هي أخت السند (٢) الخضراء الكتيبة العظيمة والبيضاء دار بالبصرة لعبيد الله بن زياد

ثم قل يا غلام اكتب سلام على من اتبع الهدى ذكرت في كتابك اني كنت
بدويا استطعم الكسرة. وأبدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرني من
دينه ما أعماك عنه اذ أنت سائح في الضلالة غرق في غمرات الكفر ذكرت ان
الضرورة طالت بي فهلا برز لي من حزبك من نال الشيع واتكأ فاندع أما والله
لئن أبرز الله صفحتك واظهر لي صلته لك لتنكرن شيعك وتعلمن أن مقارعة الابطال
ليس كتسطير الأمثال انتهى ومرض الحجاج مرة ففرح أهل العراق بمرضه
وأشاعوا أنه مات فلما سمع ذلك رقي المنبر بعد أن ألق نخطب الناس قائل
يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق مرضت قتلتم مات الحجاج أما
والله لأحب الي ان أموت من أن لأموت وهل أرجو الخير كله إلا بعد الموت
وما رأيت الله رضي بالخلود في الدنيا لأحد من خلقه الا لا بغض خلقه اليه
وأهونهم عليه إبليس ولقد رأيت العبد الصالح يسأل ربه فقال رب هب لي ملكا
لا ينبغى لأحد من بعدي ففعل ثم اضمحل ذلك فكأنه لم يكن ومن أحسن ما كتبه
لعبد الملك بن مروان قوله من كتاب طويل متلفا معتبرا محتجا آثرنا اقتطاف
جمل منه طلبا للاختصار وكان عبد الملك قد كتب يطلب اليه اعتزال عمله
ويشتمه ويؤثره بما كان عليه من الشرط لروح بن زنباع أول امره وما صار اليه من
الامارة وظلم الناس وبسط يده في الاموال يحفن بها في أوعية تقيف وغير ذلك
مما تراه في رده عليه يقول فيه بعد مقدمة طويلة وما جهل أمير المؤمنين والبيان
موقعه غير محتج عليه ولا متعد أن متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن
أراد فوجه وأن روحا لم يلبسني العزم الذي به دفعني أمير المؤمنين عن خوله ولقد
ألصقتني بروح بن زنباع همة لم نزل نواظرها ترمي بي البعيد وتطالع الأعلام
ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المتنبط لمن يتلوه المتناول لمن يقدمه غير
متلبث موجف ولا متناقل محجف فئت الطالب ولحقت الهارب حتى نارت السنة

و بادت البدعة وخسء الشيطان فها أنا ذا يا أمير المؤمنين نصيب المسألة لمن رانى
ولقد عقدت الحبوّة وقرنت الوظيفين لقائل محتج أو لائم ملتجٍ وسَظْهِيرٌ له
الجنةُ نيا أمرى ولكل نباء مستعبر وما حفت يا أمير المؤمنين فى أوعية تقيف
حتى روي الظمانُ و بطنَ الثرثانِ وغصت الأوعية واهدت الأوكية فى آل مروان
فأخذت تقيف فضلا صار لها لولا هم لفظته السائلة وما قدمتنى يا أمير المؤمنين تقيف
فى الاحتجاج لها وإن لها مقالا رحيبا ومعاندة قديمة إلا أن هذا من أيسر
ما يحتج به العبد المشفق على سيده الم غضب والامر الى أمير المؤمنين عزل أم قر
والسلام فلما قرأ عبد الملك كتابه قل صلوات الله على الصادق الامين القائل إن
من البيان لسحرا ثم عفا عنه وأقره وكان عروة بن الزبير بن العوام عادلا لعبد
الملك بن مروان باليمن فاقبل بعروة أن الحجاج مزع على عزله ومطالبته بالأموال
التي فى يده ففر الى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج فبلغ الحجاج ذلك
فكتب الى عبد الملك كتابا يقول فيه اما بعد فان لوزان المترضين بك وحلول
الجانحين الى المكث بساختك واستلاتهم دمت اخلاقتك وسعة عفوك كالمارض
المبرق لاعدائه لا يعسم شائما له رجاء استمالة عفوك واذا أدنيت الناس بالصفح
عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على اضاعة الحقوق مع كل ضائع والناس عبيد
العصا وهم الى الشدة أشد استيافا منهم الى اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال
من مال الله وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين
إن رأى ذلك والسلام فلما قرأ الكتاب بعث الى عروة بن الزبير فجاءه فقال له إن
كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى إلا اشخاصك اليه ثم قال لرسول الحجاج
شأنك به فالتفت عروة اليه مقبلا وقال له أما والله ما ذل وخزي من مات ولكن ذل
وخزي من ملكتموه والله لئن كان الملك بجواز الأمر وقاذا النهى أن الحجاج لسلطان
عليك ينفذ أموره دون أمرك إنك لتريد الأمر بزينك عاجله ويبنى لك الكرومة

أجله فيجذبك عنه ويلتصم دونك ليتولى من ذلك الحكم فيه فيحظى بشرف عفو إن كان أو مجرم حقوبه إن كانت وما حاربك من حاربك إلا على أمر هذا بمضه قل فنظر في كتاب الحطيج مرة ورفع بصره إلى عروة مرة ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب إليه أما بسفك أمير المؤمنين رآك مع تقته بنصيحتك خابطا في السيادة خبط عشواء الليل قلن رأيت الذي يسول لك أن الناس عبيد الفضا هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوئوب عليك وإذا أخرجت العامة بمنف السيادة كانوا أوشك وثوبا عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ولا هداه إذا رجوا بذلك إدراك النار منك وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ أحق أنوفا وأقرب من عمياء الجاهلية وكانوا عليهم أصلح منك عليهم وللشدة والآبن أهلون والافراط في العفو أفضل من الافراط في العقوبة والسلام ودعا الحجاج أنس بن مالك رضي الله عنه إلى الخروج معه في بعض خرجاته فابى عليه فشمته وقاله والله لأقلعنك قلع الصمغة ولأجزرنك جزر الهرب ولأعصبنك عصب السلمة فقال أنس من يعني الأمير قال إياك أعني أصم الله صدك قمام عنه وكتب إلى عبد الملك بن مروان كتابا يشكو الحجاج فيه فلما قرأه عبد الملك كتب إلى الحجاج كتابا يقول فيه أما بعد فانك عبد طمت بك الأمور فطغيت وعلوت فيها حتى جاوزت حد قدرك وعدوت طورك واهم والله يا ابن المستفرمة (١) بعجم زيب الطائف لا غمرتك كبعض غمرات الليوث الثعالب ولأركضنك ركضة تسخل منها في وجماء (٢) أمك إذ كرمك ملبس أبائك بالطائف إذ كانوا يتقلون الحجارة على أكافهم ويحفرون الآبار في المناهل بأيديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت

(١) المستفرمة مستفلة من الفرم يقال لها استفرمت المرأة إذا فعلت شيئا

تمالج به قبلها ليضيق وعجم الزيب نواه وكلما كان في جوف ما كول (٢) الوجماء

الساقلة وهي النبر

وابلوك من الدناءة والالوم والضراعة وقد بلغ أمير المؤمنين استظالة منك على أنس
ابن مالك بخادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة منك على أمير المؤمنين وشجيرة
بمعرفة غيره وتقاتيه وخطواته على من خلف سبيله وعهد إلى غير محجبه ونزل عند
سخطه وأظنك أردت أن تروزه لتعلم ما عنده من التغيير والتكثير فإن سوختها
مضيت قدما وان بفضتها وليت دبراً فليك لعنة الله من عبد أخش
العينين^(١) أصك^(٢) الرجلين^(٣) محسوح الجاعرتين^(٤) وأيم الله لو أن أمير المؤمنين
علم إنك اجترمت منه جرماً او انتهكت له عرضاً فيما كتب به إلى أمير المؤمنين
لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكم
فيك بما أحب ولن يخفى على أمير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون
فلباقرأ الحجاج الكتاب دعا أنس بن مالك واجلسه معه على السرير وقال له
ينفر الله لك أبا حمزة عجلت علينا باللائمة واغضبت أمير المؤمنين قال أنس في
عتاب طويل والله لو أن اليهود أو النصارى رأيت من خدم موسى بن عمران أو عيسى
ابن مريم عليهما السلام يوماً واحداً لرأت له ما لم تروا لي في خدمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين قال فاعتذر له الحجاج وترضاه ولم يزل معظماً له هائباً منه
حتى مات أنس وقد كتب الحجاج إلى عبد الملك رد الكتاب ولم تر لزوماً لنقله لأنه
لم يحوشينا من البلاغة غير التزلف الشائن والاطراء الملل فلما ورد على عبد الملك
قال يا كاتب افرخ روع أبي محمد فكتب إليه بالرضاء عنه وقال أبو وائل بعث إلى
الحجاج فحتمه فقال لي ما اسمك قلت ما أرسل الأمير إلى حتى عرف اسمي قلتمني

(١) الخفش صغر في العينين وضعف في البصر وقد يكون الخفش علة

(٢) الصكك تصادم الركبتين في المشى (٣) الجاعرتان موضع الرقمتين من

أست الحمار أو الفرس أو هو مضرب الفرس بذنبه أو حرقا الوركين المشرفين على

على الفخذين وهو المراد هنا ومعناه لا حرف لوركيه وهو عيب في الخلقه

هبطت هذه الارض قلت حين ما كنت أهلها قال كم قرأ من القرآن قلت اقرأ منه
 ما إن أتبعته كفايتي قال أريد أن أمتعين بك على بعض عملي قلت أن تستعن بي تستعن
 بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعني فهو أحب اليّ وان تصحفي
 اقتحم قال ان لم نجد غيرك أقحمناك قلت وأخرى أكرم الله الأميراني ما علمت الناس
 هابوا أميراً قط هيبتهم لك والله اني لأتعار من الليل فاذكرك فما يأتيني النوم حتى
 أصبح ولست لك على عمل فأعجبه حديثي فقال هيه كيف قلت قال فأعدت عليه
 الحديث فقال والله ما أعلم اليوم رجلاً على وجه الارض أجر أعلى ربه مني قال أبو وائل
 فعدلت عن الطريق كافي لا أبصر فقال اهدوا الشيخ اشدوا الشيخ وسأله
 عبد الملك بن مروان أن يصف له عيوب نفسه فقال اعفتي يا أمير المؤمنين قال لا بد
 أن تقول فقال أنا لجوج حسود حقود فقال عبد الملك ما في ابليس شر من هذا وأتى
 اليه يعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشيخير من أسرى دبر الحجاج
 وكانا يريان التورية فقال للشعبي أ كافر أنت أم مؤمن قال اصالح الله الأمير
 نبا بنا المنزل واجدب بنا الجناب فاستحلستنا الخوف واكتحلنا السهر وخطبتنا
 فتنه لم تكن فيها بررة أقبياء ولا فجرة اقوياء قال الحجاج صدق والله ما يروا
 بخروجهم علينا ولا قووا واخلوا عنه ثم قل لمطرف بن عبد الله أ كافر أنت أم مؤمن
 قال اصالح الله الأمير إن من شق عصا الطاعة ونكث البيعة وطارق الجماعة واخاف
 المسلمين لجدير بالكفر قال صدق خلوا عنه وجيء اليه بسعيد بن جبير وكان من
 خيار التابعين فسأله أ كافر أنت أم مؤمن فقال ما كفرت بالله منذ آمنت به فأمر
 به قتل ذبحاً وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات كيفية قتله وهي حكاية مؤلمة
 اضربنا عن ارادها ويقال ان سعيداً دعا الله ان لا يسلط الحجاج على أحد بعده
 فلم يقتل أحداً بعده الى أن مات وسئل الحجاج مرة كيف وجدت منزلك بالعراق
 قال خير منزل لو أدركت به أربعة لتقربت الى الله بدعائهم قيل من هم قال مقاتل

ابن مسلم ولىّ صيغستان قاتاه الناس فأعطاهم الأموال فلما قدم البصرة بسط الناس له ارديتهم فقال لمثل هذا فليعمل الماملون وعبيد الله بن ظبيان قام خطيبا فنخطب خطبة وجيزة فنادى الناس من اعراض المسجد اكثر الله فينا امثالك فقال لقد سألت الله شططا (أمرأ بعيدا) وسعيد بن زرارة كان جالسا ذات يوم فمرت به امرأة فقالت أين الطريق يا عبد الله الى مكان كذا فنضب وقال لمثلئى يقال عبد الله وأبو سهاك الخنفي أضل ناقته فقال لمن لم يردها الله الى لاصليت له أبدا فلما وجدها قال علم ان يميني كانت برة قال ناقل الحديث ونسى الحجاج نفسه وهو خامس الأربعة بل أفسقهم واطغاهم واعظمهم إلحادا قد كتب الى عبد الملك ابن مروان يقول له ان خليفة الله في أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم وقال وقد رأى الناس يزورون القبر الشريف بالمدينة انما يطوفون بأعواد ورمية باليه قلت فاذا صح هذا منه كان إلحادا عظيما واكثر ما عرف عنه فصاحته وجوده واجتهاده في قتل الخوارج واستئصالهم فأما فصاحته فقد مر عليك مما قلناه ما يشفى وأما جوده فيقال انه كان يصنع كل يوم الف خوان في رمضان للناس وخمسة في سائر الايام وأما قتله الخوارج فقد كان يبعث البعوث وازقاتهم الى المهلب بن أبي صفرة تلو بعضها ولولا استئصاله اياهم تقريبا لانتشرت بدعتهم في الاسلام والله اعلم وكان اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان ينشد في مرضه:

يا رب قد سلف الاعداء واجتهدوا أيمانهم اتى من ساكني النار
 يجلفون على عمياء ومحرم ما ظنهم بعظيم العفو غفار
 وقد مكث أميرا في خلافة عبد الملك الى أن مات وصدرا من خلافة الوليد
 ابنه أي نحو عشرين سنة ومات لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة خمس
 وتسعين وعمره ثلاث وخمسون سنة وقيل أربع وخمسون بواسط وهي مد ينته

التي اختطها بين الكوفة والبصرة وكان موته يوم فرح بالعراق وقد اكتفينا من
 اخباره بهذا القليل وانها لكثيرة ونعود الى حكاية رجم الكعبة للمرة الثانية
 وقتل ابن الزبير رضي الله عنه كما وعدنا

ذكر رجم الكعبة الشريفة للمرة الثانية

قدمنا في مضي أن عبد الملك بن مروان نذب الحجاج بن يوسف لقتال ابن
 الزبير بمكة فنقول سار الحجاج اليه في الف وخمماية وقيل الفين من الشام في
 شهر جمادى سنة اثنتين وسبعين فلم يعرض للمدينة بل سلك طريق العراق فزل
 بالطائف واستقر عبد الملك بدمشق يرسل اليه الجيوش تباعا حتى توافى الناس عنده
 قدر ما يظن انه يقدّر على قتال ابن الزبير ولما تكامل جيشه سار من الطائف فزل
 مئى فكان يبعث البعوث الى عرقة في الحل ويبعث ابن الزبير بثا فيقتلون
 هنالك فكانت تهزم خيل ابن الزبير وتزجج خيل الحجاج ظافرة فلما رأى
 الحجاج ذلك كتب الى عبد الملك بن مروان يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول
 الحرم عليه ويخبره أن شوكته قد كُلت وتفرق عنه عامة أصحابه فأذن له فحصر
 ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ونصب المجانيق على ابي
 قبيس ونواحي مكة كلها ورمى البيت الحرام بها فكان اذا رمى البيت رعدت
 السماء ويرقت وعلا صوت الرعد وبريق البرق على الحجارة فاشتمل عليها فأعظم
 ذلك أهل الشام فامسكوا أيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فخرزها في منطقتة ورفع
 حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم فجاءت صاعقة تتبعها أخرى
 قتلت من أصحابه اثني عشرة رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج بأهل الشام
 لا تنكروا هذا فاني ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذا الفتح قد حضر فابشروا ان
 القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الفد صاعقة فأصابت من أصحاب
 ابن الزبير عدة فقال الحجاج الأثرون انهم يصابون واتم على الطاعة وهم على

المصيبة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير وبين الحجاج حتى كان قبيل مقتل ابن الزبير
 تفرق عنه أصحابه وخرج جماعة منهم الى الحجاج في الأمان وخذلوا ابن الزبير
 وقال انه خرج منهم نحو عشرة آلاف وامن خرج معهم إبنه حمزة وخبائب
 فأخذنا أنفسهما أمانا من الحجاج فلما رأى ابن الزبير ذلك دخل على أمه أسماء
 بنت أبي بكر رضى الله عنها وهي عمياء من الكبر فقال لها يا أمه قد خذلتى الناس
 حتى ولى وأهلى فلم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من
 صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك قالت يا بنى أنت والله اعلم
 بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك
 ولا تمكن رقبك يتلمب بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس
 العبد أنت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك وان قلت كنت على حق
 فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك
 في الدنيا القتل أحسن قبل رأسها وقال هذا والله رأي والذى قمت به داعيا الى
 يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج إلا
 الغضب لله أن تستحل حرمة ولكنى أحببت ان أعلم رأيك فزدتني بصيرة على
 بصيرتى فانظري يا أمه فاقى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلى لأمر
 الله فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عملا بفاحشة وكلاما آخر من هذا المعنى
 فدعت له بغير نخرج عنها وقاتل قتالا شديدا فلما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع
 عشرة من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير
 بالأبواب بات ابن الزبير يصلى عامة الليل حتى أصبح فصلى بأصحابه صلاة الصبح
 ثم خطب فيهم فقال لهم أكشفوا وجوهكم حتى أنظر فكشفوها فقال يا آل الزبير
 لو طبت لى نسا عن انفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلنا فى الله لم تصبنا
 زبَاء بته أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فاقى لم أحضر موطننا قط

إلا أرثت فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم توقها
صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم لأعلم أمركم كما كسر سيفه واستبقى نفسه فان
الرجل اذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة اعزل غصوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل
امرى قرنه ولا يلهينكم السؤال عني ولا تقولن ابن عبد الله بن الزبير الا من كان
سائلا عني فان في الرعيل الأول ثم تمثل بقول الحسين بن الحمام

أبي لابن سلمى أنه غير خالد ملاقي المنايا أي حرف تيممًا
فلست بمبتاع الحياة بسببة ولا مرتق من خشية الموت سلما

احملوا على بركة الله فحملوا وحمل معهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بأجر قد
قاصبته في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه ولحيته قال متمثلا

ولسنا على الأعقاب قد مئ كُلمونا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وتعاونوا عليه (تعاونوا) قتلوه رحمة الله وجاء الخبر الى الحجاج فسجد

وسار حتى وقف عليه فاحتز رأسه في داخل مسجد السكبة ثم بعث به مع رؤس آخرين الى

عبد الملك بن مروان ويقال أنه صلب جثته على الثنية بمكة وهي التي عنها ابن زيدون

بقوله وصلبت العائذ على الثنية وبقيت شهراً وقيل أكثر حتى قطعت أوصالها وآلى

الحجاج أن لا ينزلها حتى تشفع فيه أمه أسماء رضى الله عنها فأتته وقالت يا حجاج

أما أن لهذا الراكب أن ينزل فقد ذلك شفاعة منها فأذن لها فيها فأخذتها وكفنتها

ودفنتها وكانت مدة حصار الحجاج لمكة إلى أن قتل ابن الزبير ثمانية أشهر وأبلى

ولما استقامت الامور للحجاج بمكة كتب الى عبد الملك بن مروان بأعلاة بناء

السكبة الشريفة الى ما كانت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت

حجارة المنجيق قد أصابتها كما مر فهدم الحجاج جانب الحجر الذي زاده ابن

الزبير رضى الله عنه واعاده الى أصله وسد الباب الغربي ورفع الشرقي عن الارض

الى حاله الذي هو عليه الآن وكان عبد الملك بن مروان يقول بعد ذلك وددت

اني كنت حملت ابن الزبير من بناء النكبة ما تحمل وكل ما حصل في الكعبة من
الاصلاح والزخرف فمن عمل من أتى من خلفاء بني عباس ومن بعدهم زادها الله
شرفا وفضلا آمين انتهى

(المن) لَكَانَ فِيْمَا مَا جَرَى عَلَيَّ مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ نَكَالًا وَيُدْعَى
وَلَوْ عَلَيَّ الْمَجَازُ عِقَابًا

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَهْرِيءَ * تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَا

الشرح اللام في هذه الجملة واقعة في جواب لوفى قوله لو كنت أمرت بالسجود
لآدم الي قوله وصلبت المائد على الثنية وما في قوله فيما جرى موصلة بمعنى الذي
وصلتها قوله ما يحتمل وما الثانية نكرة موصولة أي لكان في الذي جرى على
شيء يحتمل أن يكون نكالا وجرى أصلها خلاف وقف وهنا بمعنى أسرع قال
في المصباح وجرئت الي كذا جريا وجرأ قصصت وأسرعت وقولهم جرى
في الخلاف كذا يجوز حمله على هذا المعنى لأن الوصول والتعلق بذلك المحل
قصد اليه على المجاز والاحتمال هنا بمعنى التوهم والنكل النازلة القبيحة ليعتبر بها
الغير والمجاز في اللغة التجوز في الامر وجعله طريقا ومسلكا الي النرض والعقاب
الجزاء وقوله وحسبك من حادث اي كفك يعاتب مولاه فيما حل به وحاصل المعنى
لو أذنبت كل هذه الذنوب وفيها الكبائر والصغائر لكان الذي وصلتني من عذاب
السجن وهوانه ما يتوهم متوهم انه انتقام مني ليعتبر غيري بي أو لجاز أن يكون
جزاء على حادث أحدثته والحال أني لم أقترف شيئا وكفك أنه صبر الحاسدين
بمن كان يبغضني ويسمي بلائي لقربي منك راحمين لي مشفقين على وهذا مبالغة
في وصف حاله السيء وحض لولاه على الشفقة والمرحمة به وطلب للعفو عنه وبيت
الشعر ينسب الي العنبي الشاعر ذكر ذلك الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله وقد
بحثت في ترجمة العنبي في الوفيات لابن خلكان وفيما لدي من متفرقات أخباره فلم
(م-٣٢)

أوقف إلى الاطلاع على التصديفة التي منها هذا البيت أوفى المقطعات من شعره
 تلك انضربت عن ذكر أخباره وإنما ذكر أنه من علماء القرن الثالث ونسبه
 أموي وتوفي في سنة مائتين وثمان وعشرين هجرية انتهى

(المتن) فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ الْأَنْمِيَةِ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ وَنَبَأُ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ

(الشرح) كيف اسم مبهم غير متمكن وحرك آخره لالتقاء الساكنين وفي
 على الفتح دون الكسر لكان الياء وهو الاستفهام والتعجب والانكار والمراد هنا
 الأول أي بأي حال هذا جرى على ولا ذنب لي الانميّة تم بها على كاشح والنميّة
 الاغراء أو السعاية بالغير يقال تم عليه نما إذا صعى بمحدث بوقع فتنة أو وحشة
 والكاشح الذي يضرر العداوة ويسرها يقال طوى كسحه على الامر ستره والتبأ
 الخبر والفاسق الفاجر الخارج عن مسلك الحق بشير الى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ
 نَادِمِينَ) قيل فزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعنه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الوقعة مُصَدِّقًا بِحُجِّي الصَّدَقَاتِ مِنْهُمْ وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ
 وَيَنْتَهُ عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا سَمِعَ الْقَوْمُ بِهِ تَلَقَّوهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ فَهَابَهُمْ فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنَّ بَنِي الْمِصْطَلِقِ قَدْ مَنَعُوا صَدَقَاتِهِمْ وَأَرَادُوا قَتْلِي
 فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ أَنْ يَغْزَوْهُمْ فَبَلَغَ الْقَوْمَ رَجُوعَ الْوَلِيدِ
 فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْنَا بِرَسُولِكَ فَخَرَجْنَا
 نَتَلَقَاكَ وَفَكَّرْنَا وَتَوَدَدْنَا لَكَ مَا قَبَلْنَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ فَبَدَّلَهُ الرَّجُوعَ فَخَشِينَا أَنَّهُ إِذَا زَدَهُ
 مِنَ الطَّرِيقِ كِتَابٌ جَاءَهُ مِنْكَ لَغَضِبَ غَضَبْتَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ فَتَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ خَفِيَّةً فِي
 عَسْكَرٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْفِيَ عَلَيْهِمْ قَدُومَهُ وَقَالَ انظُرْ فَلَنْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى إِيْمَانِهِمْ

نخذ منهم زكاة أو ألهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما استعمله في الكفار ففعل ذلك خالف فوافقهم فسمع منهم لاذان المغرب والعشاء فآخذ منهم صلواتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فانزل الله تعالى الآية التي تقدمت فالفاسق الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق قال الخازن وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه لأن الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد إلا أنه ظن وتوهم فإخطأ فلي هذا يكون معنى الآية إن جاءكم فاسق بنبأ أي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا أي فترققوا واطلبوا بيان الأمر وانكشف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ومراد ابن زيدون ما كان ذنبه إلا سعاية عدو وخبر فاسق

(المتن) وهم الممازؤون المشاؤون ينميه والواشون الذين لا يلبثون أن

يصنعوا العصا

(الشرح) الضمير للكاشع والفاسق بصيغة الجمع والممازون جمع هماز وهو المقتاب الذي يتحدث من وراء غيره بالسوء والنعمة تقدم بيانها وتسمى خطبا يقال فلان يحطّب على فلان أي يُغري به ومنه حمالة الخطب كما قال الله تعالى وهي أم جميل بنت حرب بن أمية عمّة معاوية بن أبي سفيان زوج أبي لهب والواشون جمع واش أي الكاذب والجملة الأولى مأخوذة من قوله تعالى (ولا تطع كل حلافٍ مهينٍ همازٍ مشاءٍ بنمٍ مناعٍ للخبرٍ معندٍ أثيمٍ عتلٍ بعد ذلك زَنيمٍ الآية) قيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي لأنه عرض على النبي صلى الله عليه وآله وحلف له أن يعطيه إذا هو رجع عن دينه وقد وصفه الله في هذه الآية بصوب كثيرة منها الحليف بالباطل ومنها عيب الناس في غيبتهم ومنها المشي بينهم بالافراء والفساد ومنها منع الخير عنهم من المال والایمان ومنها التمدي أي تجاوز الحدود ومنها ارتكاب الآثم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث ومنها أنه عتل أي

غليظ جاف أو فاحش سبيء الخلق ومنها أنه زني أي دعي والدعي الملتصق بالقوم
وليس منهم وكان الوليد كذلك لأن أباه ادعاه بعد ثمان عشرة سنة فعرف بدعي
قريش وفيه يقول الشاعر

دعي ليس يعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لثيم

قال ابن قتيبة لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من
عيوب الوليد بن المغيرة فخلق به طارلا يفارقه في الدنيا والآخرة انتهى والجملة
الثانية مأخوذة من قول كثير عزة

ولا ليث الواشون أن يصدعوا العصا إذا هي لم يصلب على البرى عودها
في آيات أخرى وسيأتي ذكرها في سياق أخباره والصدع الشق ومنه المثل
فلان يشق عصا الجماعة أي يفرقهم قبل والاصل في العصا الاجتماع والاتلاف
فهي عصا ما دامت جميعا فاذا انشقت لم تدع عصا
ذكر كثير عزة وبعض أخباره

كثير اسمه وكنيته أبو بصير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر من خزاعة
ويقال له ابن أبي جمعة شاعر فحل من شعراء الإسلام في الدولة الأموية وجعله ابن
سلام في الطبقة الأولى وقرنه بجريز والفرزدق وكان يقال مقصد القصيد ولا نعت
الملك مثله واشتهر في دولة آل مروان فأحبوه للطف محله في أنفسهم وكان شيعيا
ينسب مذهب الكيسانية^(١) متوغلا في الرفض ويقول بالرجعة^(٢) والتناسخ^(٣)
وآل مروان يملكون مذهبه فلا يُغيروهم ذلك عليه فن تشيعه أنه يزعم أن محمد بن
الحنفية من ولد الامام علي رضي الله عنه لم يميت وفي ذلك يقول

(١) الكيسانية صنف من الروافض وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد لأن
لقبه كان كيسان (٢) الرجعة أي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت (٣) التناسخ تناسخ
الآزمنة وتداولها واقرض قرن بعد قرن وهو مذهب قبيل

ألا إن الأبيّة من قریش
على والثلاثة من بنیه
ولاة الحق أربعة سواء
هم الأسياط ليس بهم خفاء
فسبّط سبّط إيمان وبرّ
وسبّط لا تراه العين حتى
يقود الخيل يتبعها اللواء

وكان أحق فمن تحقّقه أنه دخل عليه نفر من قریش وهو مريض فقال له
أحدهم كيف تجدك أبا صخر قال أجدني ذاهباً قال كلا قال فهل سمعت الناس
يقولون عنى شيئاً قال نعم يتحدثون أنك الدجال قال أما إن قلت ذلك إني لأجد
في عيني ضمناً منذ ثلاثة أيام ومن اعتقاده في الرجمة والتناسخ احتجاجه بقول
الله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) وكان من أتية الناس وأذهبهم بنفسه
على كل أحد قبيل أن ناساً من أهل المدينة كانوا يعبثون به فيقولون وهو يسمع
أن كثيراً لا يلتفت وراءه فكان الرجل يأتيه من خلفه فيأخذ رداءه فلا يلتفت
إليه ويمشي في قيص وكان قصيرا دميماً فاذا دخل على عبد العزيز بن مروان تهكم
عليه وقال له طاطيء برأسك لا يصيبك السقف والجودة شره كان عبد الملك بن
مروان يعجب به كثيراً ويخرجه الى مؤدب ولده ليرويه لهم وحضر أيام عمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه ومدحه بأحسن ما مدح به أموى أخذ بالسنة وجانب
البدعة فقال

وليت فلم تشتم علياً ولم تُخيف
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي
وقد لبست لبس الهلوك ثيابها
وتومض أحياناً بعين مريضة
فأعرضت عنها مشمراً كأنما
فلو يستطيع المسلمون لقسّموا
برياً ولم تسمع مقالة مجرم
فعلت فأضحى راضياً كل مسلم
وأبدت لك الدنيا بخدومه معصم
وتبسم عن مثل الجمان المنظم
سقتك مذوقاً من سهام وعلقم
لك الشطر من أعمارهم غير ندم

وتعشق عَزَّةَ الضُّمْرِيَّةَ وعُرِفَ بها قَبِيلٌ كَثِيرٌ عَزَّةٌ لَدَيْكَ وَأَوَّلُ شَعْرٍ قَالَهُ فِيهَا
الْقَصِيدَةُ الَّتِي مِنْهَا الْبَيْتُ السَّابِقُ وَلَا بَيْتَ الْوَأَشُونَ الْخِ يَقُولُ فِي آيَاتٍ مِنْهَا

نظرتُ اليها نظرةٌ وهي عاتقُ على حين أن شَبَّتْ وبانِ نهودها
نظرتُ اليها نظرةٌ ما يَسُرُّني بها حُمُرُ أنعامِ البلادِ وسودها
وكنتُ إذا ماجتُ سَعْدِي بارضها أرى الأرضَ تُطْوِي لي ويدنو بغيرها
وقد درَّعوها وهي ذاتُ مؤصِّدٍ بجوبٍ ولما يلبسُ اللرعَ ريدها
من الخفَرَاتِ البيضِ ودَّ جليسُها إذا ما اتقضتُ أحدوثَةً لو تعيدها

ويروى أن عَزَّةً تزوجت برجل وعاشت معه فسئل كثيرٌ عن أعجب خبرٍ له معها
وهي متزوجة فقال حجبت سنةً من السنين وحج زوج عَزَّةَ بها ولم يعلم أحدٌ منا
بصاحبها فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها باتباع سنن تصلح به طعاماً لاهل
رُفقتها فجعلت تدور على الخيامِ واحدةً واحدةً حتى دخلت عليَّ وهي لا تعلم أنها
دخلت خيمتي وكنت جالساً أبري سهاماً لي فلما رأيتها عرفتها. فجعلت أبري وأنا
أنظر إليها حتى يرَّيتُ لحي مرات ولم أشعر به والدم يجري منه فلما تبينت ذلك
أمسكتُ يدي وجعلتُ تمسحُ الدَّمَّ عنها بثوبها وكان عندي نِجْيٌ من سنن فخلفت
لتأخذته فأخذته وجاءت إلى زوجها به فلما رأى الدم في ثوبها سألها عن خبره
فكتمته فحلف عليها لتصدقته فصَدَّقته فضربها وحلف عليها لتشتمي في وجهي
فوقفت علي وهو معها فقالت يا ابن الزانية وهي تبكي ثم انصرفت ذلك حين أقول

يكلفها الخنزير شتى وما بها هواني ولكن للمليك استزلت
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر لعزَّة من أعراضنا ما استحلحت

ويروي الغبران بدل الخنزير

فليت قَلوصي عند عَزَّةٍ قِيدت بجبل ضعيف بان منها فضلت
وأصبح في القوم المقيمين رحلها وكان لها باغٍ سواي فبَلَّت

بَلَّتْ هُنَا بِمَعْنَى ذَهَبَتْ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي وَلَا أَعْرِفُ بَلَّتْ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا فِي هَذَا الْبَيْتِ

وَكَانَ لِقَطْعِ الْجَبَلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِيرَةٍ نَنُرَا وَقَتٍ وَاحَلَّتْ
وَيُرْوَى فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ
قَلَّتْ لَهَا يَا عَزُّ كُلِّ مَصِيبَةٍ إِذَا وَطَّئْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسَ ذَلَّتْ
أَبَاحَتْ حَتَّى لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعَا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حَلَّتْ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمِنْهَا

تَمَنِّيْتُهَا حَتَّى إِذَا مَرَّ بِهَا رَأَيْتِ الْمُنَابَا شُرْعًا قَدْ اظَلَّتْ
كَأَنِّي أَنَا ذِي صَخْرَةٍ حِينَ أَعْرَضَتْ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمْشَى بِهَا الْعَصْمُ زَلَّتْ
صَفُوحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمِنْ مَلٍّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلُ مَلَّتْ

صَفُوحَاهُنَا بِمَعْنَى مُعْرِضَةٍ . وَقِيلَ أَنَّ عَزَّةً دَخَلَتْ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
وَقَدْ قَدَّمَتْ فِي السَّنِ قَالَتْ لَهَا أَنْتِ عَزَّةٌ كَثِيرٌ قَالَتْ بَلْ أَنَا عَزَّةٌ بِنْتُ حَمِيدٍ قَالَتْ
أَنْتِ الذِّي يَقُولُ فِيكَ كَثِيرٌ

لِعَزَّةٍ نَارًا (١) مَا تَبُوحُ كَأَنَّهَا إِذَا مَارَتْ بِهَا عَلَى الْبُعْدِ كَوَكَبٍ
فَمَا الذِّي أَعْجَبَهُ مِنْكَ قَالَتْ أَعْجَبَهُ مِنِّي مَا أَعْجَبَ الْمَسْلُومَ مِنْكَ حِينَ
صَبَّرَكَ خَلِيفَةُ فَضَحَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى بَدَّتْ لَهُ مِنْ سَوَادِهِ كَانَ يُخْفِيهَا وَقَالَ
لَهَا هَلْ تَرَوِينَ قَوْلَ كَثِيرٍ فِيكَ

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الذِّي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ
تَغَيَّرَ جَسْمِي وَالْخَلِيفَةُ كَالذِّي عَهَدَتْ وَلَمْ يُخَيِّرْ بِسَمْرِكٍ مُخَيَّرُ
قَالَتْ وَلَكِنِّي أُرْوَى قَوْلَهُ

(١) نَصَبَ نَارًا لِأَنَّهَا مَضُولٌ ثَانٍ لِرَأْيَتِي فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ لِهَذَا وَهُوَ
رَأَيْتِ وَأَصْحَابِي بِأَيْلَةٍ مَوْهِنًا وَقَدْ غَابَ نَجْمُ الْفَرْقَدِ الْمَتَّصُوبِ

كأني أنادي ضخرة حين أعرضت من الصمِّ لوتمشي بها العضم زلت
 وإخباره معها كثيرة ويقال انه كاذب في عشقه لها ذكر ذلك صاحب
 الأغانى ومن احسن ما قاله وفيه حكم قوله
 ومن لم يُغِيضْ عَيْنَهُ عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبٌ
 ومن يتتبع جاهدا كل عثرةٍ يجدها ولم يسلم له الدهر صاحبٌ
 ولما نزل به الموت بكى عليه بعضُ اهله فقال له لا تبك كإنك بي بعد اربعين
 ليلة تسمع حشقةً نعلني من تلك الشعبة راجعا اليكم وهذا من منتهى في الرجعة ومات في
 سنة خمس ومائة هجرية انتهت اخباره

(المتن) والغواة الذين لا يتركون أديما صحيفا والسماة الذين ذكروهم
 الأحنف بن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم
 الشرح هذه الجملة عطف على ما قبلها والغواة الضالون جمع غاوي والأديم
 الجلد وقيل احمره او مدبوغه جمع آدمية و آدام قال في المصباح و يسكن للتخفيف
 (أدم) فيعامل معاملة الفرد والمراد هنا جلد الانسان والسماة التامون وفي
 الحديث لعن الله المثلي ققيل ومن المثلي يارسول الله قال الذي يسمى بصاحبه
 الى سلطانه قبهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقوله والغواة الى (ادىما صحيفا)
 مأخوذ من قول الشاعر

ولا تُفشِ مِرْكَ إِلَّا اليك فإن لكل نصيح نصيحا
 فاني رأيتُ غواة الرجاء ل لا يتركون أديما صحيفا

ولم اتف على اسم قائله و يروى ان على بن ابي طالب رضي الله عنه كان
 يتمثل بهذين البيتين والله اعلم وتام الجملة مأخوذ مما كان يقوله الأحنف بن
 قيس التميمي وسيأتي ذكره والمعنى وهم اهل الضلال والنفاق لاهم لهم الاتمزيق
 الأعراس وإثارة الفتن وقوله ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم يريد به اولئك

الساعة الاشرار لا يحمد صدقهم وان يكن الصدق في ذاته محمودا وقد يحمد
الكذب في بعض الأمور وان يكن في ذاته منموما قال صلى الله عليه وسلم كل
كذب يكتب كذباً إلا في ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل
لامرأته يعبها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد
ذكر الأحنف بن قيس وبعض اخباره

الأحنف اسم غلب عليه لأنه كان أحنف الرجل يطأ على وحشها واسمه الضحلك
ابن قيس وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباد بن الزبال بن مرة
ابن عبيد بن الحرث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن زيدمناة بن تميم التميمي
المعروف ويكنى أبا بجر وبه يضرب المثل في الحلم وهو الذي ذكره حبيب بن
اوس الطائي في البيت الذي مدح به أحمد بن المعتصم العباسي

إقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أحنف في ذكاه اياس
ولم يرد ذكاه اياس من الذكاه وهو حدة الذهن وانما أراد زكافته أي فراسته
فلم تطمه القافية وكان اياس كذلك وكان الأحنف متراكب الاسنان صغير
الراس مائل الذقن وأدرك الاسلام وأسلم وكان من كبار التابعين وسيدنا من
سادات بني تميم وجده معاوية بن حصين هو الذي قتل عنترة بن شداد العبسي
في يوم الفروق من أيام العرب وأدرك الأحنف النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره
ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا بني تميم الى الاسلام كان الأحنف
فيهم فلم يجيبوا الى اتباعه فقال لهم الأحنف انه يدعوكم الى مكارم الأخلاق
وينهاكم عن ملامها فأسلموا واسلم معهم ولم يقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الوفود فلما كان في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفد عليه فقال فيه هو
سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه وكان موصوفاً بالقل والدهاء والعلم والحلم
وشهد مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقمة صقين ولكنه اعتزل فلم يشهد

وقفة الجبل مع لخذ الفريقين وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر رضي الله عنه وأكثرت ما أشتهر به الحلم فقد بلغ من حلمه أن رجلا سبه سباً قبيحاً فقام الأحنف يمشي وهو يتبعه ويشتبه فلما وصل إلى قومه التفت إليه ووقف وقال له يا أخي ان كان قد بقي من قولك شيء فقله والا يسمعك قومي فيؤذوك وقال له آخر لأشتمنك شتما يدخل معك في قبرك فقال له في قبرك والله لا في قبري وأشرف عليه رجل وهو يعالج قدرأله يطبخ فيها فقال الرجل

وَقَدِرْ كَكْفِ الْقِرْدِ لَا مُسْتَعِيرَهَا بَمَارِ وَلَا مِنْ يَأْتِيهَا يَتَسَمُّ

فقيل ذلك الأحنف فقال يرحمه الله لو شاء قال احسن من هذا وقال ما أحب أن لي بنصيب من اللؤلؤ حُرِّ النَّعْمِ فقيل له أنت أعز العرب وقال ان الناس يَرَوْنَ الحِلْمَ ذُلًّا وقال رب غيظ تجرعه مخافة ما هو أشد منه وقال كثرة المزاح تُذْهِبُ الهيبة ومن أكر من شيء عرف به والسودد مكارم الأخلاق وحسن الفعل وقال ثلاثة في لا أقولهن إلا ليعتبر معتبر لا اخائف جليسي بنير ما أحضر به ولا أدخل نفسي فيما لا يدخل لي فيه ولا آتي السلطان او يرسل الي وقال له رجل دُلِّي يَا أَبَا بَجْرٍ عَلَى مُحَمَّدٍ بَنِي مَرْزَاةٍ قَالَ انْخَلِقِ السَّجِيحَ وَالْكَفَّ عَنِ التَّبِيحِ واعلم أن أدوأ الداء اللسان البذيء وانخلق الدنيا وقال اياكم وحمة الاوطاب وهذا كقولهم اياكم وغلبة اللثام وكان يقول أنا لست بحليم ولكني صبور وكان اذا تكلم أجلى واذا خطب أفصح واذا طلب شيئاً بدأ بجوامع قومه قبل نفسه وكان غير هيات أن يقول شيئاً في نفسه وأحضر الناس بنسبه ومن خطبه قوله لقوم كانوا عنده ان الكرم منع الحُرْمَ ما أقرب النعمة من أهل البغي لا خير في لذة تعقب فلما لن يهلك من قصد ولن يفتقر من زهد رب هزل قد عاد جيداً من أمن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه دعوا المزاح فانه يورث الضغائن وخير القول ما صدقه الفعل احتملوا لمن أدل عليكم واقبلوا عن من اعتذر اليكم أطمع

أخاك وان عضاك وصله وان جفناك أنصف نفسك قبل أن يُنتصف منك وأيك
ومشاورة الذماء واعلم ان كفر النعمة ائوم وصحبة الجاهل شوم ومن الكرم الوقه
بالدم ما أقبح القطيعة بعد الصلة والجناء بعد اللطف والمداوة بعد الود لا تكون
على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا الى البخل اسرع منك الى البذل
واعلم ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك فانفق في حق ولا تكونن خازنا
لتبرك وإذا كان الغدر في الناس موجودا فالثقة بكل أحد عجز أعرف الحق لمن
عرفه لك واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل به صلة العاقل قال ناقله فما رأيت كلاما
أبلغ منه وكانت له مع معاوية بن أبي سفيان محاورات عنيفة قيل انه دخل عليه
يوما فتكلم معه فقال له والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزاة في
قلبي الى يوم القيامة فقال الأحنف يا أمير المؤمنين لم ترد الامور على أعقابها
أما والله ان القلوب التي ابغضناك بها ليين جوا نحن والسيوف التي قاتلناك بها ليين
جواقتنا ولئن مدت قترا من غير نمدن باعا من ختر ولئن شئت استصفيت
كسر قلوبنا بصفو حلمك قال فاني أفعل وقال له مرة أما اني لم أنس اعتزالك
يوم الجمل بقومك ونزولك بهم سفوان وقريش تدب ذبح الحيوان بتاحية البصرة
ولم أنس طلبك الى علي بن أبي طالب أن يدخلك في الحكومة لتذيل عني أمرا
جعله الله لي ولم أنس تخصيصك بني تميم يوم صفين على نصرة على فلم يكلمه
فلما خرج من عنده قيل له ما صنع بك وما قال لك قال صدقتي من بكره أي
خبرني بما في نفسه وما انطوت عليه ضلوعه وكان معاوية مع ذلك يجله فمن اجله
له أن عبید الله بن زياد عامله على العراق وقد عليه في سنة ٥٩ في أهل العراق فقال
له معاوية لا تئن لو فديك على منازلهم وشرفهم فأذن لهم ودخل الأحنف بن قيس
في آخرهم وكان سوء المنزلة من عبید الله فلما نظر اليه معاوية رحب به وأجلسه
معه على سريريه ثم تكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبید الله والأحنف ساكت

قال له مالك يا أبا بجر لا تتكلم قال ان تكلمت خالفت القوم فقال معاوية انهضوا فقد عزلت عبيد الله عنكم فاطلبوا والياً ترضونه فلم يبق في القوم أحد الا أنى رجلا من بني امية أو من اشراف أهل الشام كلهم يطلب وقعد الأحنف في منزله فلم يأت احدا فلبثوا أياما ثم بعث اليهم معاوية فجمعهم فلما دخلوا عليه قال من اخترتم فاختلفت كلمتهم وسمى كل فريق منهم رجلا والأحنف ساكت فقال له معاوية مالك يا أبا بجر لا تتكلم قال ان وليت علينا احدا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله احدا وان وليت من غيرهم فانظر في ذلك قال معاوية فاني قد أعدت عبيد الله عليكم فكان عزل عبيد الله واقاربه في مجلسين اثنين بكلمتين من الأحنف ولذلك عرف عبيد الله للأحنف حقه بعد ذلك ومزح معه معاوية يوما فقال يا أحنف ما الشيء الملقف في البجاد فقال الأحنف السخينة بأمر المؤمنين يريد معاوية بالشيء الملقف في البجاد قول أبي موهب القمسي في هجاء بني تميم قوم الأحنف

إذا مات ميتٌ من تميم فسر كأن يعيش فجىء بزاد
بخبز أو بسمن أو بتمر أو الشيء الملقف في البجاد
نراه يُنقَبُ البطحاء حولا لياكل رأس لقمان بن عاد

والشيء الملقف في البجاد الوطْبُ من اللبن ويريد الأحنف بالسخينة قول عبد الله بن الزبيري وقيل كعب بن مالك

زعمت سخينة ان استغلبُ ربهما وليظبن مغالبُ الغلاب
والسخينة حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وكانت قريش تعبر بأكلها
فما رؤى مازحان أوقر منهما وإبلغ رجل مصعب بن الزبير عن رجل شيئا فأتاه
الرجل يستدر فقال مصعب الذي بائنيه ثقة وكان الأحنف حاضرا فقال كلا
أيها الأمير إن الثقة لا يبلغ ورأيت هذه الحكاية تروى بين معاوية والأحنف

وليس بينه وبين مصعب والله أعلم قالوا ولم يتعلق على الأحنف الاست خصال
الاولى قوله في الزبير بن العوام رضى الله عنه لما أتاه الحناني فقال له هذا الزبير قد
مر آفنا وذلك في وقعة الجمل وانصراف الزبير عن الحرب فقال ما صنع به جمع بين
غارين ^(١) قتل بعضهم بعضا ويريد أن ينجو فتبعه ابن جرموز قتله بوادي
السياع فقال الناس قتله الأحنف والثانية قوله حينما أتاه كتاب الحسين بن علي
رضي الله عنهما يستنصره قد بلونا حسنا وآل أبي حسن فلم نجد إجابة ^(٢) في الملك
ولا صيانة للمال ولا مكيدة في الحرب ولم يجبه والثالثة قوله أيلم أبي مسعود للمرأة
التي أتته بمجمر فقالت تجر فأتها أنت من النساء فقال أمت المرأة أحق بالمجمر
فذهبت مثلا والرابعة قوله للحنات بن يزيد في كلام بينهما اسكت يا أويديرو كان
آدر ^(٣) والخامسة قوله لقطري بن الفجاءة من رؤساء الخوارج إن أبا نعامة
(كنية قطري) إن أشار على القوم فركبوا البغال وجنّبوا الخيل فاصبحوا بيلدو أمسوا
بيلد فأقن أن يطول أمرهم فكان كما قال والسادسة أتاه رجل فلطمه فقال ولم تلمطني
قال جعل لي جعل أن أطم سيد بني تميم فقال له أخطأت سيد بني تميم جلوية بن
قدامة فأتاه الرجل فلطمه فقطعت يده فقال الناس إنما قطع يده الأحنف وقد بقي
رحمه الله إلى زمن مصعب بن الزبير فخرج معه إلى الكوفة فمات بها في سنة سبع وستين
وكان قد بلغ السبعين من عمره ودفن بالشوية عند قبر زياد ومشى مصعب في
جنازته بغير رداء أعظاما له وحضر الصلاة عليه ودفنه وقد اكتفينا من أخباره
بهذا القدر خوف الإطالة انتهى

(المن) حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً * وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
(الشرح) الحلف بالفتح ويكسر القسم وبالكسر خاصة العهد بين القوم على

(١) الغار الجمع الكثير من الناس وغيرهم عن أبي عبيدة والغار أيضا الجيش

(٢) أي سياسة (٣) منتفخ الخصبين

المتناصر والمراد هنا الأول والريبة للظن والشك يقال را بنى أمره يريني وقوله
وليس وراء الله مذهب أى طريق يذهب اليه فى الخلف بأعظم من الله تعالى وفى
الخبر من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصنيت والبيت للنايعة الذبياتي من قصيدة
يعتذر بها الى النعمان بن المنذر من مدح آل جفنة بالشام ويحتج باحسانهم اليه
يقول منها

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة	لمبائتكَ الواشى أغشُ وا كذب
واكنتى كنت امرءاً الى جانب	من الأرض فيها مستراد ومهروب
ملوك وإخوان اذا ما لقيتهم	أحكم فى أموالهم وأقرب
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم	فلم نرهم فى شكرهم لك اذنبوا
فلا تتركنى بالوعيد كأننى	الى الناس مطلى به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة	ترى كل ملك دونها يتذبذب
السورة هنا بمعنى المنزلة والشرف	
فانك شمس والملوك كواكب	اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ومنها وهو من الحكم	

ولست بمسبق أخا لا تله على شعث أي الرجال المهذب

ذكر النايعة الذبياتي وبعض أخباره

النايعة من النبوغ أى الظهور ويطلق على من قال الشعر وأجاده بعد أن صار رجلا
وكان نايعة نبي ذبيان كذلك واسمه زياد بن معاوية بن جناب بن يربوع بن غيظ بن
مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ويكنى أيا أمامة وانما لقب النايعة لقوله

وحلت فى نبي القين بن جسرٍ قد نبغت لنا منهم شؤون

وهو جاهلي ومن الأشراف الذين غض الشعر منهم وفى العرب ثمانية عرفوا

بالنايبة أولهم هذا وثانيهم النايبة الجمدي الصحابي وثالثهم نايبة نبي الديان ورابعهم
النايبة الشيباني وخامسهم النايبة القنوي وسادسهم النايبة المدواني وسابعهم النايبة
الديباني غير الأول وهو من بني قنان بن يربوع وثامنهم النايبة التغلبي وكان النايبة
المترجم من شعراء الطبقة الأولى المقسمين على سائر الشعراء بل يقال هو اشعر
العرب وكان يأتي سرق عكاظ بصحراء بين نخلة والظائف تجتمع فيها قبائل العرب
في هلال ذي القعدة من كل سنة وتستديم عشرين يوماً فيتماكطون (يتفاخرون)
ويتناشدون الأشعار ثم ينفضون فكانت تضرب له قبة من آدم وتأتيه الشعراء
فتعرض عليه اشعارها قيل وأول من أنشده الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم باقي
الشعراء فأنشده الخنساء بنت عمرو بن الشريد واسمها ثَمَّاضِي رثاء أخيها صخر
فلما بلغت إلى قولها

وان صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
قل لها والله لولا ان ابا بصير (يريد الأعشى) انشدني آفنا لقلت أنك
اشعر الانس ولجن قمام اليه حسان بن ثابت فقال له أنا اشعر منك ومن أيك
فقال النايبة أنك يا ابن أخي لا تحسن أن تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأى عنك واسع
خطاطيف حُجْن في جبال متينة تمد بها أيه اليك نوازع
قال فحنس حسان لقوله وهذا البيتان من اعتراضاته لانعمان بن المنذر يقول
قبلها بعد ان حلف بالله كعادته

لكافنتي ذنب امرئ وتركته كذبي العرّ يكوى غيره وهوراتع
فان كنت لا ذو الضغن عنى مكذب ولا حطى على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع
فانك كالليل الخ البيتين اللذين قدما

ومنها وهو من التشبيه الدقيق
 فبت كأي ساورتني ضئيلة
 يسهد من ليل التمام سليمها
 تناذرها الراقون من سوء نسها
 ويروي من سوء سمعها وسمعها والأولى من السمع والثانية من الذكري من
 شهرتها في الخبث تسمع الرقابة فتناذروها ومن اعتذارياته أيضا للنعمان قصيدته
 الدالية المشهورة وفيها مدح ومطلعها
 يادر مية بالملياء فالسند
 وهي أنحدي المعلقات يقول فيها
 فلا لمر الذي مسحت كعبته
 والمؤمن المائدات الطير تمسحها
 ماقلت من سيء مما أتيت به
 اذا فعاقبني ربي معاقبة
 إلا مقالة أقوام شقيت بها
 أنبت أن أبا قابوس أوعدني
 أقوت وطال عليها سالف الأبد
 وما أريق على الأنصاب من جسد
 ركبان مكة بين الغيل والسند
 اذا فلا رفعت سوطي الى يدي
 قرت بها عين من يأتيك بالفند
 كانت مقالهم قرعا على الكبد
 ولاقرار على زار من الاسد
 وبهذا البيت الأخير عد فخلاف في الشعر ومن قوله في تشبيه شيء بشيء في
 اللون والصورة

(١) شبه نفسه لغضب مولاه عليه برجل وابتته حية ضئيلة أي دقيقة اللحم وهي
 أخبث الحيات ذات سم فاقع فنهشته فبات لا ينام في ليل التمام أي في ليالي الشتاء
 الطوال لا يسا حلى النساء يسمع لها قعاقع لثلا ينام فيذب السم الى جسده
 وكانت هذه عادة العرب اذا لدغت الرجل حية علقوا عليه الحلى يزعمون أن
 ذلك ينفذ عنه الحمة

نجلو بقادمني حمامة أيكدة برداً أئف لثانة بالأئمد
 كالأقحوان غداة غب سباه جت أعاليه وأسفله ندى
 وكان من أ كبر ندماء النعمان وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوماً فجأة
 فسقط نصيفها فاستترت يديها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لبعالتهما
 وغلظها فقال فيها

من آل مية ربح أو مقتدي عجلان ذا زاد وغير مزود
 قال صاحب الأغاني الزاد هنا ما كان من تسليم ورد تحية

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغداف الأسود (١)

لامرحبا بقدي ولا أهلا به ان كان تفريق الأحبة في غد

أذف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

في إثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تصيد

سقط النصيف ولم تُرد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كان بنانه عم على أعصانه لم يقدر

وبفاحم رجل أئبت نبتة كالكرم مال على للدعام المسند

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظرت السقيم الى وجوه العود

وقد وصف في هذه القصيدة بطنها وفرجها وأردافها فلم نر حاجة لذكره هنا

فسمها بعض حساده وأنشدها للنعمان فامتلاً غيظاً وتوعد النابتة فأنفره بذلك

صديقه عصام بن شهير الجرهمي حاجب النعمان الذي يقول

(١) الأسود نعت للفراب بلرفع والقافية بالجر فقيه اقواء فيقال انه لما دخل

النابتة يثرب عيب عليه فيه فتجنبه ولم يقو بعد وكان الاقواء بالرفع منتشرا كثيرا

عند العرب يظهر ذلك في كثير من قصائدهم وأما الاقواء بالنصب قليل

نَفْسٌ هِصَامٌ سَوَّدَتْ هِصَامًا^(١) وَعَلِمَتْهُ الْكِرَ وَالْأَقْدَامَا
 وَصَيْبَةُ : مَلِكًا هَمَلًا حَتَّى عَلَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا
 فَهَرَبَ إِلَى قَوْمِهِ ثُمَّ شَخَصَ إِلَى مَلُوكِ غَسَّانَ بِالشَّامِ فَامْتَدَحَهُمْ وَقِيلَ إِنَّ حَسَادَهُ
 حَمَرًا عَلَيْهِ بَيْتًا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ لَيْسَ مِنْهَا وَهُوَ مِنَ الْمَهْجَاءِ الْقَبِيحِ
 مَلِكٌ يَلْعَبُ أُمَّهُ وَقَطِينَهُ رِيحُ الْمَفَاصِلِ أَيْرُهُ كَالرِّوْدِ
 وَأَبْيَاتٌ أُخْرَى مِنْ غَيْرِ هَذَا الرَّوِيِّ وَهِيَ
 قَبِيحَ اللَّهِ نَمَّ نَتَّى بَلَعَنَ وَارِثَ الصَّايغِ الْجَبَانَ الْجَهُولَا
 مِنْ يَضْرُءُ الْأَدْنَى وَيَعْجِزُ عَنْ ضُرِّ الْأَقَامَى وَمَنْ يَخُونُ لِنُظَيْبِلَا
 يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَنْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَنِيَلَا
 حَدَّثُونِي بِنِي الشَّقِيقَةِ مَا يَمْنَعُ فَقَمَا بَقَرَقَرٍ أَنْ يَزُولَا
 يَعْنِي بَوَارِثَ الصَّائغِ النِّعْمَانَ بْنَ الْمُنْدَرِ لِأَنَّ جَدَّهُ لِأُمَّه كَانَ صَائغًا وَقَدْ وَصَفَهُ
 بِقَوْلِهِ فَقَمَا بَقَرَقَرٍ بِالرَّجْلِ الذَّلِيلِ لِأَنَّ الْقَمْعَ الْكَمَاءَةَ الْبَيْضَاءَ تَطَوَّأَهَا النَّوَابُ وَلَا
 تُمْتَنَعُ عَلَى جَانِبَيْهَا لِذَلَّتْهَا وَالْقَرَقَرُ الْأَرْضُ الْمَطْمِئِنَّةُ قَلْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ
 فِي كِتَابِ الْحَيَوَانِ الْجَاخِظِ يَنْسَبُهَا الْمُبْدِ الْقَيْسُ خُفَافِ الْبَرَجِيِّ فِي هِجَاءِ النِّعْمَانَ وَلَيْسَتْ
 لِلنَّابِغَةِ كَمَا يَزْعُمُ حَسَادَهُ وَقِيلَ أَنَّ سَبَبَ ذِكْرِ الْمَتَجَرِّدَةِ فِي شَعْرِهِ أَنَّ النِّعْمَانَ قَلَّ لَهُ
 يَا أَبَا أَمَامَةَ صِفِ الْمَتَجَرِّدَةَ فِي شَعْرِكَ فَقَالَ الْقَصِيدَةُ الْمَذْكُورَةَ أَنَا وَكَانَ النِّعْمَانُ دَمِيًا
 أَبْرَشٌ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَكَانَ الْمَنْخَلُ بْنُ عُبَيْدٍ مِنْ أَجْلِ الْعَرَبِ وَمِنْ نَسَاءِ النِّعْمَانَ وَكَانَ
 يَرْمِي بِالْمَتَجَرِّدَةِ فَلَمَّا سَمِعَ الْقَصِيدَةَ لِحَقَّتْهُ غَيْرَةٌ فَقَالَ لِلنِّعْمَانِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ هَذَا
 الشَّعْرَ إِلَّا مَنْ جَرَّبَ فَوْقَ ذَلِكَ فِي نَفْسِ النِّعْمَانَ وَبَلَغَ النَّابِغَةَ فَهَرَبَ قَلَّ صَاحِبُ
 الْأَغَانِي وَالْمَنْخَلُ الْمَذْكُورُ كَانَ يَهُودِيًّا هِنْدًا بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهَا

(١) صَارَتِ الشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْبَيْتِ مَثَلًا مَشْهُورًا يَضْرِبُ فِي الْإِعْتِمَادِ

عَلَى الْبِنْفَسِ أَوْلَى شَرَفَ بِنْفَسِهِ

ولقد دخلتُ على الفتاة
الكاعبِ الحسناءِ ترز
فدفتها فدافعت
ولثمتها فتنفست
إلى أن قال

ولقد شربتُ من المدا
فاذا سكرتُ فانتى
وإذا صحوتُ فانتى
يا هند هل من نائل
وأحبها وتحبني

ولما هرب النابغة إلى الشام نزل عند عمرو بن الحرث الأصغر وأمه مارية بنت ظالم بن وهب صاحبة القرطابين اللذين يضرب بجوهرهما المثل ففسحه ومدح أخاه النعمان بن الحرث وانتفع بهما ولم يرزل مقبلا مع عمرو حتى مات وملك بعده أخوه النعمان ومما مدح به عمراً قوله من قصيدة

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطيء الكواكب
وهذا البيت من أحسن الافتتاحيات كما قال أهل العلم بالشعر يقول فيها
حلفت يمينا غير ذي متئوية
ولا علم إلا حسن ظن بصاحب
لئن كان للقبرين قبر يجلق
وقبر بصيداء الذي عند حارب
والحرث الجفني سيد قومه
ليلتنسن بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت
كثائب من غسان غير أشائب

ولبلاغة هذه القصيدة واحتواؤها من المديح على أحسن ما تمدح به الملوك

(١) الخورتق قصر للنعمان الأكبر وهو معرب والسدير فهو وكلاهما بالجرية

أحببت نقلها هنا لجودتها قال

بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم
يصانعهم حتى يُغرن مغارهم
تراهن خلف القوم خزرا عيونها
أولئك قوم بأسهم غير كاذب
عصائب طير تهدي بمصائب
من الضاريات بالدماء الدوارب
جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
المرانب جلود الارانب ويراد بها العقبان اذا اشرفت على الارض تنتظر
القتلى مثل الشيوخ عليها الفراء

جوانح قد ايقن أن قبيله
لهن عليهم عادة قد عرفنها
إذا ما التقى الجمعان أول غالب
إذا عرض الخطى فوق الكوائب
الجوانح المائلات للوقوع على الارض والكوائب جمع كائبة وهي من الفرس
المنسج أمام القربوس يريد أن العقبان عرفن ساعة استعداد القوم للقتال من هيئة
لباسهم وركوبهم للحرب

على عارقت للطمان عوابس
إذا استنزوا عنهن للطمن أرقلوا
بين كلوم بين دأيم وجالب
الى الموت أرقال الجمال للصاعب
العارقات الصابرات أى خيل هذه صفتها والارقال ضرب من السير السريع
والمصاعب من الابل الفحول التى لم يمسها جبل قط وانما تُقنى للفجلة فاذا ركبت
رؤسها وأسرت الى مقصدها لم يردعها رادع

فهم يتساقون المنية بينهم
يطير فضاضاً بينها كل قونس
أيديهم بيض رفاق المضارب
ويتبعها منهم فراش الحواجب
أى تطير هذه السيوف فضاضاً بينها كل قونس وهو أعلى البيضة من الرأس فاذا
اطارتها تبعها فراش الحواجب وهى عظام رفاق تلى القحف ومعنى فضاضاً ما انفض
وتفرق يريد شدة فعل ضرابهم بأعدائهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتائب
هذا البيت فيه استثناء توكيدا للمدح لأن افضال سيوفهم من قراع الكتائب
عند التحصيل فخرٌ وفضلٌ أو هو النعم المراد به المدح

تُورثن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جرب كل التجارب
تقد السوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحياحب
يوم حليلة يوم مشهور وهي بنت الحارث بن أبي شمر الغساني والسوقي
الدرع منسوب إلى سلق مدينة بالروم والصفاح حجارة عراض أي أن سيوفهم
تنقطع الدروع المضاعفة وإذا مست الصفاح قدحت منها نارا كنار الحياحب
والحياحب ذباب له شعاع بالليل

بصرب يزيل الهام عن سكناته وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب
الإيزاغ دفع الناقة بيولها شبه اندفاع الدم من أجسام أعدائهم باندفاع يول
النياق الحوامل والضوارب التي تضرب بأرجلها

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير عواذب
محلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب
رقاق النعال طيب حُجْرَاتهم يُحْبَوْنَ بالريحان يوم السباسب
يصفهم بالجود وحسن الفعال والحلم والتنعم ومحافة الله وذات الاله بيت
القدس لأنهم نصارى والسباسب يوم الشعانين وهو يوم عيد عند النصاري
نحبيهم بيض الولائد بينهم وأكسية الاضريج فوق المشاجب
يصونون أجسادا قديما نعيمها بخالصة الاردان خضر المناكب
أكسية الاضريج خز أحر وقيل كساء من جلد المرعزمي والمشاكب أعواد
تنشر عليها الثياب وخالصة الاردان أي شديدة البياض ومناكبها خضر والمراد
بالاردان جمع ردن كم القميص يقول ثيابهم بيض مثل سائر الثياب ومناكبها

خضروهي ثياب كانت تتخذ ملوكم
ولا يحسبون الخير لاشر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوت بهاغسان اذ كنت لاحقا بقومي واذا أعيت على مدهابي
وهذا لعمرى من أحسن المدح وأفخه وقال فيه أيضا

الى ابن محرق عملت نفسى وراحتى وقد هدت العميون
أمتك عاريا خلقاً ثيابي على خوف تظن بي الظنون
فألفت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

ومما مدحه به أيضا قوله من الثناء المسجع ألا انعم صباحا أيها الملك المبارك
السماء غطاؤك والارض وطاؤك ووالدى فداؤك والرعب وقاؤك والمعجم حماؤك
والحكاء جلساؤك والمداراة سبأؤك والمقاول إخوانك والمقل شعارك والسلم
منارك والحلم دنارك والسكينة مهالك والوقار غشاؤك والبر وسادك والصدق رداك
واليمين حداؤك والسخاء ظهارتك والحمة بطانتك والعلا غايتك وأكرم الأحياء
أحياؤك واشرف الاجداد أجدادك وخير الآباء آباؤك وافضل الأعمام أعمامك
وأسرى الأخوال أخوالك واعف النساء حلائلك وأخضر الفتيان أبناؤك وإظهر
الأمهات أمهاتك وأعلى البنيان بنيانك وأعذب المياه أمواهك وافسح الدارات
داراتك وأنزله الحدائق حدائقك وارفع اللباس لباسك وادفع الأجناد أجنادك قد
حالف الاضريح عاتقك ولائم المسك مسكك وجاور العنبر ترائبك وصاحب
النعيم جسدك المسجد أبيتك واللجين صحافك والمصعب مناديلك والحواري
طعامك والشهد إدامك واللذات غداؤك والأخرطوم شرابك والشرف مناصفك
والخير بمنائك . والشر بساحة أعدائك والنصر منوط بلواتك وإخفان مع
ألوية حسادك زين قولك فمالك وطحطح عدوك غضبك وهزم مقانبيهم شهيدك
وسار في الناس عدلك وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارع الأعداء ظفرك الذهب

عطاؤك والدواب رمزك والاوراق لحظك والغيى اطرافك واللف دينار مرجوحة
 ابتوك أيضا خرك الخبي فوالله لفقاك خير من وجهه ولشمالك أجود من يمينه
 ولا تخصصك خير من رأسه ولخطاؤك خير من صوابه ولصمتك خير من كلامه ولأماك
 خير من أبيه ولخدمك خير من قومه فهب لي أسارى قومي واغم بذلك شكري
 فانك من أشرف قحطان وأنا من سرّوات عدنان انتهى ثم أنه عاد بعد ذلك الى النعمان
 ابن المنذر لما رضى عليه وقيل انما رجع اليه حين بلغه أنه عليل لا يرجى فاقلاه
 ذلك ولم يملك الصبر عنه ولما وصل اليه ألفاه محموا على سريره ينقل بين الفمير
 وقصور الحيرة فقال لحاجب النعمان

ألم أقسم عليك أتخبرني	أحمول على النمش الهمام
فاني لا ألومك في دخولي	ولكن ما وراءك يا عصام
فان يهلك أبو قابوس يهلك	ربيع الناس والبلد الحرام
ونمك بدمه يدّ ناب عيش	أجب الظهر ليس له سنام

قالوا وإنما مدح النعمان واقطع اليه لأنه كان يعطيه عطايا وافرة فن عطائه
 له في مرة واحدة مائة ناقة سوداء وما كانت توجد هذه النياق عند غيره وتسمى
 عصافير النعمان فكان النابغة يأكل ويشرب في أواني الذهب والفضة من فضل
 النعمان وأبيه ولم يرجع اليه بعد شخوصه منه الا طمعا في عطاياه ومن مرآته
 لآل المنذر قوله

من يطلب الدهر تدركه مخالبه	والدهر بلوتر تاج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة	إلا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على عمد سرّاتهم	بالتافدات من النبل المصاييب
لاني وجدت سهام الموت معرضة	لكل حثف من الآجال مكتوب

وفيما ذكرناه من أخباره الكفاية ومات في سنة ست مائة واربعميلادية وقيل

قبل الهجرة بثماني عشرة سنة انتهى

(المثنى) والله ما عَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ وَلَا انْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ

الشرح الغش ضد النصيح واصله اظهار غير المضمور يقال عشه اذا لم ينصحه بل زين له غير المصلحة ويقال اغتشه واستغشه ضد اتصحه واستنصحه والانحراف الميل عن الشيء ومنه تحريف الكلام أى ميله عن جهته والصاعية من الاصغاء يقال صغأ اليه يصغى ويصغرو اذا مال نحوه وصغأ عنه اذا مال ضده وصغت النجوم مالت الى الغروب وصفت الناقة سمعت قال ذو الرمة

نصغى اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى في غرزها شب

وهذه الجملة عطف على القسم الأول وتأكيد له والمعنى حلفت بالله حلفا لا حلف أعظم منه واقسم به ثانيا اتى ما اضرت لك فى سرى رتى غير ما اظهور من الاخلاص والطاعة ولا ملت عن ولائى لك بعد ميلى اليك وأراد يهدين القسمين العظيمين حمل مولاه على تصديقه وصرفه عما علق بذهنه من الريبة فى أمره حتى تغير عليه ومن حلف بالله فقد جهد يمينه ووجب تصديقه

(المثنى) وَلَا نَصَبْتُ لَكَ بَعْدَ النَّشِيعِ فِيكَ وَلَا أَرْذَعْتُ يَأْسًا مِنْكَ مَعَ

ضَمَانٍ تَكْفَلْتَنِي بِهِ الْبِقَّةُ عَنْكَ وَعَهْدِي أَخْذُهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ

الشرح النصب العداوة تقول نصبت لفلان عداوته ومنه النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة دلى بن أبى طالب رضى الله عنه لأنهم نصبوا له أى عادوه وهم الخوارج الذين خرجوا عليه قتلهم بالتهروان كما سبق ذكره فيما مضى من هذا الكتاب ويقال أن من نجا منهم تسعة فقط ذهب اثنان منهم الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة واثنان الى عمان وواحد الى اليمن فظهرت بدعتهم بتلك البلاد وبقيت بها وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله فى حديث (يبرقون من الدين كما يبرق السهم من

الزمنية) انهم هم الذين يخرجون على علي رضي الله عنه وكانت بدعتهم شرأ في الاسلام ولما انتشر أمرهم تفرقوا فرقا أحصوا منها تسامواهم المُحَكِّمَةُ الذين ينعون التحكيم والأزارقة اتباع نافع بن الأزرق وهم الذين قاتلهم المهلب بن أبي صفرة حتى أبادهم قريبا ومنهبتهم تكفير على رضي الله عنه واباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم واسقاطهم الرجم عن الزاني المحصن وخذ القذف عن قاذف الرجل المحصن دون قاذف المرأة المحصنة ويخرجون أصحاب الكبائر عن الاسلام ويقولون التقيية غير جائزة والنجدات وهم أصحاب نجدة بن عامر وهؤلاء يكفرون المسلم المصر على الصفات دون فعل الكبائر من غير اصرار ويستحلون دماء أهل العهد والذمة والبيهسية وهم أصحاب الهيصم بن جابر واسمه أبو يبيس ومن منهبتهم أنه لا حرام الا ما وقع عليه النص بقوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما الآية) ويكفرون الرعية بكفر الامام والمعجزة وهم الذين ينكرون كون سورة يوسف عليه السلام من القرآن ويقولون انها هي قصة من القصص ويوجبون التبري من الطفل فاذا بلغ دعى الى الاسلام والميمونية ومنهبتهم ان الله تعالى يريد انخير دون الشر ويجوزون نكاح بنات البنات وبنات اولاد الاخوة والاخوات والأباضية ومنهبتهم أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة لا مشرك ويرون أن دار مخالفين من المسلمين دلة توحيد ودار السلطان منهم دار بني والثعالبية ومنهبتهم ولاية الطفل حتى يظهر عليه انكار الحق فيتبرءون منه والصغرانية ومنهبتهم أن ما كان من الكبائر فيه حد كالزنا لا يكفر به وما كان منها ليس فيه حد كترك الصلاة يكفر به وقول ابن زيدون (بعد التشيع فيك) أي بعد اتباعي لك ومحبي ايك وقد اطلق اسم الشيعة على كل من أحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لانهم شايعوه أي أحبوه وقلوا بامامته وخلافته نصا ووصاية إما جليا وإما خفيا وإن الامامة لا تخرج عنه وعن بنيه الا بظلم يكون من غيره أو بتقيت من عندهم أهل بدع أيضا

ويجمعهم القول بوجوب التعيين للامام والتنصيب عليه من قبله وثبوت عصمة الأئمة
وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي للأئمة والتبري من غيرهم ومع اجماعهم
على حبه مختلفون في اعتقادهم فيه فمنهم أهل غلو مفرط وعتو زائد وهؤلاء اتخفوا
عليا لما وهم النصيرية ومنهم من قال أنه النبي المرسل وجبريل غلط (لعنهم الله)
ومنهم من قال انه شريك في النبوة والرسالة ومنهم من قال أنه وصي النبوة بالنص
الجلي ثم اختلفوا في الامامة بعده ولكنهم اجمعوا على الحسن والحسين رضي الله
عنهما وقالت فرقة منهم وبعدهما محمد بن الحنفية أخوهما لا يبيها الى اثني عشر
إماما واختلاف واقع في البقية ومن قالوا بلامته زيد بن علي بن الحسين السبط ابن أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب وهو الذي دفن رأسه بمصر بالمكان المعروف بشهد
الرأس جنوبي الجامع الطولوني وهم أقرب القوم الى القصد الأتم ويقال أن لهم
إماما باقيا بلمين الى الآن وداره صنعاء ومن منزههم أيضا جواز امامة المفضول مع
قيام الأفضل وان عليا رضي الله عنه كان أفضل الصحابة رضوان الله عليهم
ويقولون في الأذان بدل الحيعتين (حي على الصلاة وحي على الفلاح) حي على
خير العمل وربما قالوا قبل ذلك محمد وعلى خير البشر وعترتهما خير العتر ويرون
حبة قبيلة همدان من المحبوب المطلوب لمشايعتهم عليا رضي الله عنه ومحبتهم لاهل
البيت حتى حكى أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه صعد يوما المنبر وقال ألا لآ
ينكحن أحد منكم الحسن بن علي فانه مطلق فنهض رجل من همدان وقال والله
لننكحنه ثم لننكحنه ان أمر أمر كشيئا وان أولاد أولاد شريفا فقال علي رضي الله
عنه حينئذ

فلو كنت بوابا علي باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام
ويستحطون نكاح المتعة ويستغضبون قتل الحسين رضي الله عنه ولم الحق
في ذلك ولم معتقدات غير هذه لا يسع المقام مردها وقد احصوا خمس فرق

منهم وهم الزيدية ومنهمهم أفضل من البقية والانامية والاسماعيلية ومن هؤلاء
 تفرقت فرقتان مستعلوية ونزارية لاختلافهما معهم في بعض الامور والدرزية اتباع
 أبي محمد الدرزي والنصيرية وهؤلاء أشدهم بدعة وهم أتباع نصير غلام أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه انتهى وقول ابن زيدون ولا ازمت بأسا
 منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك الخ الزم الخوف والنهشة والياس اقطاع
 الامل كالتنوط ضد الرجاء والضمان الالتزام والتكفل بالشئ احتماله والتزامه والثقة
 الاثمان جمعها وثائق والعهد الموثق وجمعه موثوق والظن خلاف اليقين وقد يكون بمعنى
 اليقين كما في قوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) الآية أى يوقنون
 والمراد الأول وحاصل المعنى يقول لمولاه ولا عاديتك بعد اتباعك لك واخلاصى
 لشخصك ولا خفت اقطاع الامل من عدلك مع ما التزمته تقي فيك . واستوثق
 حسن ظنى به عليك وقريب من هذا قول الجاحظ في الفصول المختارة فان كنت
 أخطأت فلم أخطأ الا لك لأن حسن الظن بك والثقة بفوك سبب في قلة التحفظ
 وداعية الى ترك التجوز فهذا معنى رائق واعتذار وجيه

(المتن) ففيم عبث الجفاء بأزمى وعاث العقوق في مواتي وتمكن
 الضياع من وسائل

(الشرح) فم كامة مركبة من حرفين في وما والأولى من حروف الجر
 والثانية استفهامية بمعنى أى شئ ويجذف الفها اذا سبقها حرف الجر كما ههنا
 نحو فم وعلام والعبث محركا اللب والجفاء الصد والاعراض والأزمة جمع زمام
 أى الحق والحزمة وعاث من العيث وهو الفساد والعقوق مصدر عقى يعق أى شق
 ويطلق على معصية الوالدين ضد البر والموات بالتشديد القربى والوسيلة يقال مت
 زيد الى عمرو أى تقرب أو توصل اليه والضياع مصدر ضاع الشئ اذا فقد وهلك
 والوسائل جمع وسيلة وهى المنزلة عند الملك ونحوه يقول كيف لمب جفاؤك

بمحتى وحرمتى وأفسد غضبك تقربى وتوسلى ولأى شىء فقدت منزلى عندك
وقد اقسمت اقساماً غليظة انى لم اسلك مسلماً ينافى الاخلاص والامانة والمعنى
لا شىء وقع منى بوجب الجفاء والعقوق والاقصاء ومثله

(المتن) وَلَمْ ضَاقَتْ مَدَاهِي وَأَكَدَتْ مَطَالِبِي وَعَلَامَ رَضِيَتْ مِنْ
الْمَرْكَبِ بِالتَّعْلِيقِ بَلِّ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

(الشرح) الضيق ضد السعة واكدت من الكدبة وهو المنع والرد
والمطالب جمع طلب وهو البغية وقوله علام تقدم شرحها ورضيت من المركب
بالتعليق مأخوذ من المثل لارض من المركب بالتعليق أى لارض من عظيم الأمور
بغيرها يضرب فى القناعة بادرارك بعض الحاجة والمركب قال الميدانى يجوز أن
يكون بمعنى الركوب أى ارض بدل ركوبك على الدابة بالأكتفاء منها بتعليق
أمتعتك عليها ويجوز أن يراد به المركوب أى ارض منه بأن تتعلق به فى عقبتك
ونوبتك كانوا يتبادلون ركوب الدابة الواحدة فى السفر اذا لم يكن غيرها فيركب
الرجل قليلاً ثم ينزل فيركب صاحبه فهذا معنى التعاقب ولم أقف على قائله وقوله
بل من الغنيمة بالاياب مثل آخر مأخوذ من قول امرىء القيس بن حجر
الكندى الشاعر

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

من قصيدة يذكر فيها حال الحياة وما نجر اليها من المتاعب والشدائد وذلك
بعد قتل أبيه وتفرق ملكه وتطوحه فى البلاد لطلب النار كما سيجيء فى أخباره
بعد والمعنى يقول ابن زيدون ولأى شىء ضاقت مسالكى وردت مطالبى ورضيت
من العظيم بالمقير بل كيف أرجع من غنيمة افضالك وعظيم انعامك خائباً مخنولاً
أتمنى السلامة من الهلاك بعد الرفاهة والجاه وكأنه لعلو همته وكبر نفسه لم يرض
بمانه اليه المتلان من الرضاء بالمقير والقناعة بالسلامة فهو ينكر صغار الأمور

ويطمح الى معاليها وقد ذم بعضهم القناعة بالقليل فقال انها من خلق البهايم
 اذا وجدت اكلت واذا لم تجد باتت على حَسَفٍ وانشد للمتلمس الشاعر
 إِنَّ الهوانِ حَمَارُ الحَيِّ يَعْرِفُهُ والحُرُّ يُنْكِرُهُ وَالرَّسَلَةُ الأُجْدُ
 ولا يُقِيمُ عَلَى صَيمٍ يراد به إلا الأذلانَ عَبرُ الحَيِّ وَالوَتْدُ
 هذا على الخَسَفِ مَرُوطٌ بِرُمْتِهِ وذا يُشَحُّ فلا يرثي له احدُ

ذكر امرئ القيس الشاعر وبعض أخباره

امرؤ القيس في اللغة رجل الشدة واسمه جندح بن حُجْر بن الحرث بن عمرو
 ابن حجر آكل المرار وهو نبت شديد المرارة بن معاوية بن ثور المعروف
 بِكِنْدَةَ لأنه كند أباه أي عقه وَ كُنَيْتُهُ ابو وهب وقيل ابو الحرث ولد نحو
 سنة خمسمائة وعشرين للمسيح وكان يقال له الملك الشاعر والملك الضليل وذو
 القروح لقوله

وَبَدَّلْتُ قَرَحًا دَامِيَا بَعْدَ صَحَّةٍ فَيَا لَكَ مِنْ نَعْيٍ تَحُولُنْ أَبُوسَا

وتشق الشعر في صباه ونبغ فيه فيذ الأوائل والواخر بل سموه رئيس
 الشعراء وكان أبوه ملك كندة والملوك تأنف من قول الشعر فطرده عنه لتماديه فيه
 واقسم أن لا يقيم معه فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شدّاذ العرب
 من طى وكلب وبكر بن وائل فاذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام
 قديح في كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل واكلا معه وشرب الخمر
 وسقام وغنتهم قياته ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير فينتقل عنه الى
 غيره وأكثر شعره في الغزل واشهر غزله في قصيدته اللامية التي نظمها في ابنة
 عمه عُنَيْزَةَ بنت شُرْحَبِيلَ وبلودتها علفت في الكعبة قبل الاسلام وعرفت
 بالمعلقة وكانوا يفعلون ذلك بقصائد الفحول فلما جاء الاسلام ابطله فما جاء فيها قوله
 اذا التفتت نحوى تَضَوِّعَ وَيَجْهَأُ نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا القَرْنَفَلِ

إذا قلت هاتي تَوَليني تمايلت على هضم الكشخ ريا المخلخل
 هضم الكشخ ضامرة الخصر وريا المخلخل ممتلئة الساق
 مهفهفة بيضاء غير مفاضة قرائبها مصقولة كالسجنجل
 تصد وتبدي عن أسيل وتقى بناظرة من وحش وجرة مُطْفِل
 المهفهفة الضامرة وغير مفاضة أي ليست واسعة البطن والتراتب عظام
 الصدر والسجنجل المرآة المصقولة ووحش وجرة بقر الوحش ووجرة موضع ومطفل
 أي ذات طفل لاصغيرة جاهلة ولا كبيرة قانية

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمطل
 الريم الظبي الخالص البياض ونصته رفته ولا بمطل أي غير عاطل من الحلي
 وفروع يُعشى المثن أسود فاحم ائيث كهنو النخلة المتعشك
 وكشيع لطيف كالجديل مُحَصَّر وساق كأنبوب السقي المذلل
 الفرع الشعر الطويل والمثن الظهر وائيث كثير النبات وقنو النخلة أي عذقها والمتعشك
 الكثير الشماريح والجديل زمام يُتخذ من سيور وأراد تشبيهها به في اللين والمحصر
 للمعتدل والأنبوب نبات البردي ويشبهه به ساق المرآة لبياضه ونعومته والسقي
 المذلل النخل الريان حتى صار طريا يطاوع كل من مد يده اليه

وتضحى فنيث المسك فوق فراشها تتوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
 تُضيء الظلام بالمشى كأنها منارة ممسى راهب متبتل
 لم تنتطق أي لم تجمل في وسطها نطاقاً والتفضل أن يكون الانسان في ثوب
 واحد للعمل أو النوم وكنى بذلك عن ترَفها وقلة امتنانها في الخدمة
 ومن تشيبيه قوله في محبوبته سلمى من قصيدة طويلة

ويارب يوما قد كهوت ليلةً بأنسة كأنها خط تمثال
 يضيء الفراش وجهها لضجيمها كصباح زيت في قناديل ذُبَال

كأن على لباتها جمر مصطل إذا ما الضجيج ابتزها من ثيابها
أصاب غصبي جز لا وكف بأجزال تمل عليه هونة خير مجال
الى أن قال :

سموت اليها بعد ما نلم أهلها
قالت سبائك الله انك قاضى
حلفت لها بالله حيلة فاجر
فلما تنازعنا الحديث واسمحت
وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا
فاصبحت مشوقا واصبح بملها
وقال فى ختامها مقتخرا

كأنى لم اركب جوادا للذة
ولم اسبأ الزق الروى ولم أقل
ولم اشهد الخيل المفيرة بالضحى
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
تخيل كرمى كرة بعد اجفال
علي هيكل عبلي الجزارة جوال

وقال يصف فرسه بالجمام والسرعة تشبيها بعقاب الطير المطعمة فراخها بقوة كسبها
ونشاطها

كأنى بفتحاء الجناحين لقوة
تخطف خزان الشربة بالضحى
كأن قلوب الطير رطبا وباسا
صيود من العقبان طأطأت شمالا
وقد حجرت منها ثعالب أورال
لدى وكرها العناب والحشف البالى

الفتحاء الطويلة الجناحين فى لين والقوة العقاب وطأطأت اسرعت والشمال
السرعة يقول كأنى بمطأطأتى هذه أى فرسى طأطأت عقابا أى كأنما استنحت
من فرسى عقابا ثم شرع فى وصف العقاب بكونها تتخطف خزان الشربة أى
ذكور الارانب والشربة موضع بنجد وقد حجرت أى منعت الثعالب من صيدها

وأورال ثلاثة أجبل سود في جوف الرمل حذاءهن ماء لبني عبد الله بن دارم
والبيت الأخير مما أجمع الرواة على انه أحسن ما قيل في تشبيه شيتين بشيتين
في الشكل والصورة وهما الرطب واليايس بالعناب والحشف البالى أى هذه
العقاب كانت تأتي فراخها بقلوب الطير الكثيرة بما يفضل عن حاجتها والعناب
تمر معلوم والحشف اردأ التمر وقال

فلو انما اسى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننا اسى لمجد مؤثى وقد يدرك المجد المؤثى أمثالى
وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آكل

وقال في محبوبته هريرة ابنة سلافة بن علند من قصيدة

واذ هي تمشى كمشى التزييف يصرعه بالكثيب البهر
بَرَهْرَهَةٌ رُوْدَةٌ رَخْصَةٌ كخُرْعُوْبَةٌ البانة المنفطر
فتور القيام قطع الكلا م تقتر عن ذى غروب خصر
كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القَطْرِ
يسل به بَرْدٌ أنيابها اذا طرَبَ الطائر المستحر

شبه مشيها بمشى من نرف دمه مبالغة في تناقلها والبحر الكلال واقطاع
النفس والبرهرة الرقيقة الجلد أو الملساء المترجرجة والرودة الشابة والخرعوبة
القضيب الغض والمنفطر المتشقق وتقتر عن ذى غروب خصر أى عن حدة أسنان
ماؤها بارد أى ريقها وانحصر البارد وما أحسن تشبيهه في البيتين الآخرين
وخصوصا قوله اذا طرب الطائر المستحر فقد بالغ في نكهة فمها الطيب الرائحة في
وقت السحر حيث تتغير فيه الافواه بعد النوم والمراد بنشر القطر ريح العود
الذى يتبخر به

فبت اكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعر

فما دنوت تسديتها فتوبا نسيت وثوبا اجر
ولم يرنا كاليه كاشح ولم يُفش منا لدى البيت سر
وقد رابني قولها يا هنا ه ويحك الحقت شر ابشر

الشر الاول التهمة والثاني تحقيقها وفي هذه القصيدة وصف فرسه أحسن

وصف قال

واركب في الرّوع خيفانة كسي وجهها سعف منتشر
لها حافر مثل قعب الوليد يدركب فيه وظيف عجير

الخيفان الجرادة التي انسلخت من لونها الاصفر فصارت الى الحمرة شبه بها
فرسه خلفتها والسعف سعف النخل يريد تشبيه شعر ناصيتها به وقد عيب عليه هذا
الوصف لأنه اذا انتشر شعر ناصيتها غطى العين واذا غطاها كان عيبا وقعب الوليد
قلح الصبي والوظيف من الفرس ما بين الرسغ الى الركبة والعجر الصلب

لها كفل كصفاة المسيل ابرزعتها حجاب مضر

لها ذقب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

لها غدرة كقرون النساء ركن في يوم ريح وصر

صفاء المسيل الصخرة الملساء والجحاف السيل الجارف وغدر النساء ذوائبها

اذا انتشرت في يوم شديد الريح

لها جبهة كسراة الميجن حدقه الصانع المتندر

لها منخر كوجار الضباع فنه تريح اذا تنبهر

لها ثن كخوافي العقاب سود يفن اذا تزبر

السراة الظهر والمجن الثرس وحدقه أي صنغه المتندر الخاذق ويستحب في

الظليل اتساع المنخرين لانه يسهل خروج نفسه فلا يتراد في جوفه ولذلك شبه

اتساعها بوجار الضباع وتنبهر ينقطع ففها والثنة شعرات خلف الرسغ ويفن

يرجعن الى حالتين الأولى بعد الانتفاش والازبترار الاقشمرار
 اذا أقيمت قلت دُبَاءَةٌ من الخضر مغموسة في العُدْرُ
 وان أدبرت قلت أُنْفِيَّةٌ مَلْمَمَةٌ ليس فيها أثر

الدبابة القرعة مما يطبخ تشبيها بها في الملاسة واللين واستدارة مؤخرها ومغموسة
 في الفدر ناعمة رطبة كما تقول فلان مغموس في النعيم والائنفية الصخرة الملتصقة
 المدورة والأثر للندش ولما أتلعخبر ابيه الذي قتله بنو أسد قال ضيعتني صغيرا وحلني
 دمه كبيرا لا صحوا اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر اليوم قحاف وغدا
 نقاف فذهب قوله مثلا ثم شرب سبعا فلما صحا آلى أن لا يأكل لحا ولا يشرب
 خمرأ ولا يدهن يدهن ولا يلهو بلبه ولا يقرب النساء حتى يدرك بثأر أبيه فيقتل
 من بني آل قاتله مائة ويميز نواصي مائة وقال

أرقت لبرق بلبيل أهل يضي سنه بأعلى الجبل
 أتاني حديث فكذبته بأمر تززع منه القل
 قتل بني أسد ربهم أكل شيء سواه جال

الجلل الامر العظيم وهنا بمعنى الحقير ضد

فأين ربيعة عن ربها وأبن تميم وأبن الخول
 ألا يحضرون لدى بابهم كما يحضرون اذا ما استهل

وقال مرتجزا

تالله لا يذهب شيخي باطلا
 القائم الملك الحلاج
 نحن جلبنا القرع القوافلا
 نحملتنا والأسل النواهلا

وقال أيضاً من أبيات

قولا ليدودان حبيد العصا
 اغرتم بالأسد الباسل

قد قرّرت المينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن هودان إذ تقف أعلام على السافل
نظمنهم ملكي ومخلوجة لفتك لأمين على النابل

الطعنة السلكي المستقيمة والمخلوجة المعوجة وقوله لفتك لأمين أي كما قول
للراعي أرم أرم مرتين والأمان السهمان والنابل صاحب النبل والمراد السرعة
في الطعن

اذ هن أقساط كرجل الدبا أو كقطا كاظمة الناهل
حتى تركناهم لذي معرك أرجلهم كالخشب السائل
حلّت لي الخمر وكنت امرأة عن شربها في شغل شاغل

أقساط أي متفرقون ورجل الدبا القطعة من الجراد الصغار

فاليوم اسقى غير مستحب إنما من الله ولا واغل

يريد اني اذا تحللت من يميني بقتلي قاتل أبي فشرب لها شرب من لا يأم
ولا يخاف الله فيها ولا واغل أي أكرم نفسي أن أدخل على قوم وهم يشربون لم
يدعوني اليهم فقاتل بني أسد وأصاب منهم وكان يستمد القبائل من بكر وتغلب
فيمدوه حتى ملوا منه وأبوا مساعدته فلجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر بعد تفرق
ملك أبيه وأهل بيته وقد كانت بنو أسد لما رأوه يعدد العدد ويجهز الاسلحة قبل
نشوب الحرب أوفدوا عليه رجلاً من قبائلهم كهولا وشباناً فيهم المهاجر بن خداش
ابن عم عبيد بن الأبرش وقبيصة بن نعيم وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً
واصداراً يعرف ذلك من كان محيطاً له باكتناف بلده من العرب فلما علم امرؤ
القيس بمكاتبتهم أمر باتزالهم وقدم باكرامهم واحتجب عنهم ثلاثاً فسألوا عنه
فأخبروا أنه في شغل باخراج ماني خزائن أبيه حُجِر من السلاح والعدة فقالوا اللهم
غفراً أتما قديمنا في أمر تناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط فليبلغ

ذلك عنا فخرج اليهم في قباه وخفي وعمامة سوداء وكانت العزب لا تقيم بالسواد
 الا في الترات فلما نظروا اليه قاموا له وبدر اليه قبيصة فقال له إنك في المحل
 والقدر والمرة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتنتقل به أحواله بحيث لا يحتاج
 الى تبصير واعظ ولا تذكرة بحرب ولك من سودد منصبك وشرف أعراقتك
 وكرم أصلك محتبل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة والرجوع عن الهفوة ولا
 تتجاوز الهم الى غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم
 وكرم الصنح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمّت رزايته نزارا واليمن ولم
 يُخصّص كيندةً بذلك دوننا لشرف البارح كان لحجر التاج والعمامة فوق العجين
 الكريم واخاه الحمد وطيب الشيم ولو كان يفدي هالك بالأفس الباقية بهمه لما
 بخلت كرائمنا على مثله يسند ذلك ولقد يتناه منه ولكن مضى به سبيل لا يرجع
 أخراه على أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فاحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب
 عليك في إحدى خلال إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً وأعلاها في بناء
 المكرمات صوتاً قدناه اليك بنسعة ^(١) تذهب مع شفرات حسامك يباقي
 قصرتيه ^(٢) فنقول رجل امتحن بهلك عزيز فلم تستل سخيمته الا بتمكنه من
 الانتقام واما فداء بما يروح على بني أسد من نعمها فهي ألوف تتجاوز الحسبة فكان
 ذلك فداء رجعت به القضب الى أجناتها لم يردّها تسليط الاحن على البراءة
 واما أن توادينا حتى تضع الحوامل فتسدل الأزر وتقعّد الخرف فوق الرايت قال
 فبكي امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أن لا كفة لحجر
 في دم وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقة فاكتسب بذلك سببة الأبد وقت العضد

(١) النسعة سير عريض تُشدُّ به الرحال والمراد قدناه اليك مربوطاً كالاسير

(٢) القصرة محرّكة أصل العنق أراد بذهابها مع شفرات حسامه قطعها نأراً

وأما النظرة فقد أوجبتنا الأجنة في بطون أمهاتها ولن أكون لعطبا سببا وسترفون
ملائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقا وفوق الأسنه علما

إذا جالت الخيل في مازق تدافع في المنايا النفوسا

أتميمون أم تنصرفون قالوا بل تنصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار
بكرهه وأذية وحرب وبليه ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متملا

لملك أن تستوخم الموت ان غدت كئائينا في مازق الموت تمطر

قال امرؤ القيس لا والله لا استوخمه فرويدا ينكشف لك دجاها عن قرمان
كندة وكتائب حير ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي اذ كنت نازلا يربعي ولكنك

قلت فأجبت قال قبيصة ما تتوقع فوق قدر المعاتبة والاعتاب قال امرؤ القيس
فهو ذاك ولما ارتحل امرؤ القيس ونزل في بكر وتغلب وامتدوه حتى أصاب من بني

أسد كما مر وملأوا مساعده وقلوا له قد أصبت نارك تركهم ولجأ الى ابن عمته عمرو
ابن المنذر كما قدمنا وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه فدحه وذكر صهره ورحة فبلغ المنذر

أبوه مكانه عنده فطلبه منه فهرب واتى حير فأمده ملكها واسمه مرثد الخير من ذى جدن
بخمسة رجل من حير ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم وقام بالملكة

بده رجل من حير يقال له قرمل بن الحميم فطول على امرئ القيس حتى هم
بالانصراف فذلك حين يقول

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا وإذ نحن لا ندعى عبداً لقرمل

فانفذ له قرمل ذلك الجيش وتبعه شداذ من العرب واستأجر من القبائل

رجالا فسار بهم الى بني أسد ومررتبالة وبها ضم للرب تعظمه يقال له ذو
الخلصة فاستقسم عنده بقداحه^(١) وهي ثلاثة الأمر والنهى والمربص

(١) الاستقسام بالقداح ليس حلالا وإنما كانوا يلتجئون اليه كما يلتجئ

جهال عصرنا الى السحر وقد التجأ امرؤ القيس الى هذه الوسيلة جهلا

فجاءها فخرج الناهي ثم أجابها فخرج الناهي ثم أجابها الثالثة فخرج الناهي فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال ويحك له أبوك قتل ما عقتني ثم خرج فظفر يني أمد ونال منهم ما أراد ويقال انه ما استقسم عند ذي الخلصة أحد بعد ذلك حتى جاء الاسلام فهدمه جرير بن عبد الله البجلي ولما اشتد على امرئ القيس الطلب من المنذر حيث وجه اليه الجيوش من إباد وبهرة وتثوخ ولم تكن له بهم طاقة وقد امدم أنوشروان أيضا بجيش من الاساورة فخرقت عنه خمير ومن كان معه من غيرهم فتجأ في عصابة من بني آكل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب اليربوعي ومعه أدرع خمسة الفضاضة والمحصنة والضافية والخريق وأم الثبول كن لبني آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك فما لبثوا عند الحارث بن شهاب كثيرا حتى بعث اليه المنذر مائة من أصحابه يوعدنه بالحرب ان لم يسلم اليهم بني آكل المرار فأسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وهند ابنته والادراع الخمسة والسلاح ومال كان بقي معه فخرج على وجهه ممتطيا فرسه الشقراء فوقع في أرض طيء فأقام بها وقتا وتزوج بأمرأة منهم تسمى أم جندب فهي التي يقول فيها

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمِّ جَنْدَبِ	لنقضي لبانات الفؤاد المندب
ألم تريايني كلما جئت زائرا	وجدت بها طيبا وان لم تطيب
عقيلة اتراب لها لا دمية	ولا ذات خلق ان تأملت جانب
وانك لم يفتخر عليك كفاخر	ضعيف ولم يقلبك مثل مغلب
وانك لم تقطع لبانة عاشق	بمثل غدو أو رواح مؤوب

وهي طويلة الى أن قال يصف خروجه الى الصيد والاصطياد

ففتنا الى بيت بعلياء مردح	سماوته من تحمي معصب
وأوتاده ماذية وعماده	ردينية فيها أسنة قعصب

واطنا به اشطان خوص نجائب وصهوته من أنحى مشرعب
 معنى هذه الأبيات أنهم رجعوا من الصيد الى موضع معين لا غل فيه فبنوا
 خباءا جعلوا سقفه من الثياب المعصبة وهي ضرب من ثياب اليمن النفسية وهي
 الاتحمية وأوتاده دروعهم وهي الماذية أي ربطوا أسفل الثياب في دروعهم بدلا
 من الأوتاد فكانت أوتادا للخباء وعماده رماحهم وهي الردينية التي فيها أمينة
 قعضب وهي حدايد الرماح منسوبة الى قعضب رجل من بني قشير كان يعمل الاسنة
 ويقال أنه زوج ردينة وحباله المشدودة به وهي الاشطان أرسلان ابلهم التي هي
 الخوص النجائب والخوص الغائرات العيون ومقعد ثيابهم المعصبة من يرود
 اليمن أي فرشوه بها واستعار الصهوة وهي المقعد من الفرس فراشا مجازا
 والمشرعب المصنف

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا الى كل حارى جديد مشطب
 فظل لنا يوم لذيذ بنعمة قل في مقيل نحسه متغيب
 كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم ينقب
 نمش بأعراف الجياد اكفنا اذا نحن قننا عن شواء مضهب

الضمير في دخلناه للخباء واضفنا أملنا ظهورنا والحارى السيف نسبة الى
 الحيرة المدينة المعروفة أراد أنهم احتبوا بجائل سيوفهم الحارية المشطبة التي فيها
 خطوط وطرائق كمدارج النحل وظلوا يوم لذيذ ومقيل سعيد . وحول خبائهم
 وارحلهم بقر الوحش التي اصطادوها كأن عيونها انحرز الجزع بالبياض ولم ينقب
 لم ينحرق . شبه عيون بقر الوحش وهي مينة وقد اقلبت قيرى فيها البياض
 والسواد بلجزع غير المنقب وهو تشبيه دقيق . واعجب منه جملة اعراف الخيل
 مناديل لأكفهم حينما شروا اللحم صيدهم شواءا مضهيا أي لم يكمل نضجه وأكلوا
 وقادوا الى خيولهم يشون أي يمسحون أكفهم على أعرافها ثم انتقل من أرض

طىء قنزل بالمعلّى بن تيم من بني جديلة فذلك حيث يقول يمدحه
 كأني إذ نزلت على المعلّى نزلت على البواذخ من شمام
 أقرحشامرىء القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام
 البواذخ من شمام جبال لباهلة فلبث عنده حيناً واتخذ ابلاً فعدا عليها قوم
 فاستاقوها وكانت عنده رواحل مقيدة عند البيوت خوفاً من أن يدهمه أمر فخرج
 عليها ونزل يبنى نبهان من طيء فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليدركوا الأبل
 فلم يدركوها واخفت منهم الرواحل فرجعوا بلا شيء ففي ذلك يقول

فدع عنك نهبا صبيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل
 كان بني نبهان أودت بجارهم عقاب تنوفى لأعقاب القواعل
 واعجبني مشى الحزقة خالد كمشى أتان حلتت عن مناهل

حجراته نواحيه وتنوفى ثنية مشرقة والقواعل جبال ليست شائخة يقول هذا
 النهب لا يطمع في رجوعه كما لا يطمع فيما علت به عقاب تنوفى والعقاب من
 جوارح الطير وقوله أعجبني إلى آخر البيت . يستهزئ بخالد ويصفه بالخزقة أى
 البخيل أو الضيق الباع أو القصير ويشبهه بأتان حلتت عن مناهل أى طردت عن
 مورد الماء مرة بعد مرة والأتان الحماره وخالد هذا كان قد سار لرد الأبل وظهر
 المقدرة على رجوعها ولكنه عاد خائبا واخفت منه الرواحل ويقال أن بني نبهان
 لما رأوا امرأ القيس بهذه الحالة فرقوا عليه فرقا من معزى فانشأ يقول

إذا ما لم تجد ابلا فعزى كأن قرون جلتها المعصى
 وجاد لها الربيع بواقصات قارام وجاد لها الولى
 إذا مشت حوالبها ارتت كأن القوم صبّحهم نعي
 فتوسع أهلها إقطا وسما وحسبك من غنى شبيع ورى

جلتها المسان منها أى كبار السن شبه قرونها بالمعصى وواقصات وارام موضعان

والمراد أنها شبت من الكلاً فملتأت ضروعها لبنا ومشت أى مسحت بالا كف
 لِتَدْرُ اللبِن وارنت صاحت كصياح النشاء فى المأتم والاقط الجبْن يتخذ من اللبِن
 وبهذا البيت انكر الاصمعى أن يكون الشعر لامرئ القيس لأنه ذكر عن نفسه
 أنه لا يطلب الا الملك قلت لا يمتنع أن يكون قوله هذا توجماً منه فى قالب المدح
 بالكفاية لأنه اعتاض بالابل معزى كفته الشيع والري وان تكن الابل مما لا تقاس
 بالمعزى وهذه تصارييف الأيام . ثم خرج من عندهم ونزل برجل من بنى فزارة
 يقال له عمرو بن جابر بن مازن فجاره فسكت عنده واخذ يتفكر فيما حل به من
 التغرب وسوء الحال بعد العز والملك فقال من قصيدة

فبعض اللوم عاذلى فاقى	ستكفينى التجارب واتسبى
الى عرق الثرى وشجت عروقى	وهذا الموت يسلبنى شببى
وقسى سوف يسلبها وجرى	فيلجئنى وشيكا بالتراب
ألم أنض المطى بكل خرق	أما الطول لماع السراب
واركب فى اللهم المجر حتى	أنا ما كل القحم الرغاب

انخرق الأرض المتسمة تنخرق فيها الرياح والأماق الطويل واليلمع السراب
 واللهام الجيش الكثير العدد والمجر الثقيل والقحم الوفعة الكثيرة من المال أو نحوه
 والرغاب الواسعة يعنى أنه قد الجيوش وغار بها على الاعداء واخذ أمواهم
 وكل مكارم الأخلاق صارت اليه همى وبه اكتسبى
 وقد طوقت فى الآفاق حتى رضيت من الغنينة بالاياب
 البيت الثانى هو الذى استشهد بهناه ابن زيدون أراد أنى أكثر من
 الطواف فى الآفاق حتى شق على ذلك وحتى صار رجوعى الى أهلى خائباً غنينة
 لى أى سلامة من العطب بعد العز والثروة
 أبعد الحارث الملك بن عمرو وبمد انخير حجر ذى القباب

أرجى من صروف الدهر لينا ولم تنفل عن الصم المضاب
واعلم أتى عما قليل سأنشب في شبا ظفر وناب
كالاتى أبى حجر وجدى ولا أنسى قتيلاً بالكلاب
قتيل الكلاب عمه شرحيل بن عمرو والكلاب يوم من أيام العرب وقل
يصف الحروب وسوء عاقبها

الحرب أول ماتكون فنية تبدو بزيتها لكل جهول
حتى إذا حيت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل
ثم ان الفزارى أشار عليه أن يلحق بالسموأل بن عاديا بتياء حتى يرى ذات
غيبه وبعث معه رجلا يدل على الطريق فسار معه فلما كانوا ببعض الطريق اذا
هم ببقرة وحشية مرمية أى رماها صائد ولم يلحقها وكان هذا الصائد من بني
ثعل وأسمه عمرو بن المسيح الثعلبى وكان أرمى العرب (وقد عاش حتى ادرك
الاسلام ووفد مع الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن مائة وخمسين
سنة) فقال امرئ القيس

رب رام من بني ثعل مُخْرِجُ كَفِيَّةٍ مِنْ شَتْرِهِ
عارض زوراء من نشم غير باناة على وتره
الشتر الكم يريد انه يخرج كفيه من كيهما ليتناول القوس فيرمى بها
والزوراء قوس فيها اعوجاج والنشم شجر وغير باناة أى غير باناة قلب ضرورة
ذهب مذهب من يقول باناة بانات وكاسية كاسات
قد أته الوحش واردة فتحنى النزع فى يسره
فرماها فى قرائنها بازاء الحوض او عُقره
تنحى تحرف او قصد وفى يسره أى فى قبالة وجهه وجبهته وعقر الحوض مؤخره

برهيش من كناته كتلطي الجر في شرده
او هيش سهم ضامر والكنانة الجعبة

راشه من ريش ناهضة ثم انهاء على حجره
فمـو لا تسمى رميته ماله لا عد من فوره

راشه ألزق عليه ريش قى من الصقور ناهض وهو الذي وفر جناحه ونهض
للطيران والماء في ناهضة للمبالغة أو أراد به أنثى الصقور كما تقول صقر وصقرة
ولا تسمى رميته لا ترتفع اولا تغيب عنه رميته اذا رماها بل تموت مكاتها يريد أن
رميته قاتله وفي الحديث كل ما اصميت ودع ما انميت وقوله لا عد من فوره دعا
عليه بالموت ولم يرد حقيقته كما تقول لمن تعجب منه قاتله الله

مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره
وخليل قد أفقره ثم لا أبكى على أثره
وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض عن كدره
وحديث الركب يوم هنا وحديث ما على قصره
وابن عم قد فجمت به مثل ضوء البدر في غوره

يوم هنا قيل هو يوم معروف وهنا اسم موضع اجتمعوا فيه ويقال هنا كناية
عن اللهو واللعب وحديث ما على قصره أى هذا اليوم الذى تحدثنا فيه وسرنا
الحديث فيه يوم قصير لأن يوم السرور قصير ويوم الشر طويل والتقدير هو
حديث على قصره وماحشو أو هي دالة على المبالغة في وصف الحديث بالحسن
والجود ولما قسم على السموأل عرف له حقه وأزله خير منزل فكان عنده ماشاء
الله ثم طلب اليه أن يكتب له الى الحرث بن أبى شمر الغساني بالشام ليوصله
الى قيصر ملك الروم فصبره اليه فذلك حيث يقول

تذكرت اهل الصالحين وقد أمت على حملي خوص الركاب واوجزا

فلما بدا حورانُ في الأكل دُمها نظرتَ فلم تنظر بعينيك منظرا
تقطعُ أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
خلى وأوجرا موضعان وحوران بلد وكذلك حماة وشيزر يريد لما جاوزنا
هذه المواضع تقطعت أسباب الهوى للاشتغال بسواه

يسير يضج العود منه يمته أخوال الجهد لا يلوي على من تعزرا
العود المسن من الأبل ويمته يضعفه وأخوال الجهد المجتهد الشديد لا يحتبس
على من اعتذر بغيره إلى أن قل بعد أن ذكر ناقته

عليها قى لم تحمل الأرض مثله أبر بميثاق وأوفى وأصبرا
هو المنزل الآلاف من جونا عطف نبي أسد حزنًا من الأرض أو عرا
ولو شاء كان الغزو من أرض حير ولكنه عمدا إلى الروم انفرا
بكي صاحبي لما رأي الترب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
قللت له لاتبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا
صاحبه الذي بكي هو عمرو بن قميئة اليشكري وكان قد صحبه من بلاد
يشكر لما مر عليها

وإني زعيم إن رجعت مملكا يسير ترى منه الفراتق ازورا
الفراتق الأسد معرب وازور مال إلى جنبه

وكنا أناس قبل غزوة قرمل ورتنا الفنا والمجدأ كبر أكبرا
وما جبت خيلي ولكن تذكرت مرابطها من يربعيص وميسرا
الأرب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا
ونشرب حتى نحسب الخليل حولنا تقادا وحتى نحسب الجون أشقرا

غزوة قرمل هذه كانت غزوة غزاها قرمل من ملوك اليمن فأصاب من كندة قبيلة
امرئ القيس وأراد أنها لم تضر شرفنا ولا وضعت منافحن ناس أشراف من

قبل هذه النزوة وبربيص وميسرا وماذف أسماء لمواضع بينها وقوله ونشرب
الى آخر البيت أى حتى يُذهلنا السكر فلا نميز بين التقاد وهي جنس من الغنم
قصير وانخيل ولا بين الالوان الاخضر والاحمر ونحوهما . فلما وصل الى قيصر
قبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة فاقده رجل من بني أسديقال له الطامح وكان
امرو القيس قتل أباه فأتى بلاد الروم مستخفيا ثم أن قيصر ضم الى امرؤ القيس
جيشا وفيه جماعة من أبناء الملوك فلما فصل قال الطامح لقيصر ان امرؤ القيس غوى
عاهر وانه لما انصرف عنك بالجنش ذكر أنه كان يرسل ابنتك ويواصلها وهو
قائل في ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك فبث حينئذ على
زعمهم حلة وشئ مسمومة منسوجة بالذهب اليه وقال له انى أرسلت اليك بجلتى
الى كنت ألبسها تكريمًا لك فلذا وصلتك فالبسها باليمن والبركة واكتب الى
بخبرك من منزل منزل فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فأصرع السم فيه
وسقط جلده فلذلك قيل له ذو القروح قلت وهذه الحكاية غير معقولة لأن السم
في الحلة لا يعمل قروحا وانما يسرى فى الدم بواسطة الاحشاء أو بالتلقيح واذا
نسم الجسم مات المسموم قبل أن يتقرح جسمه وانما يتهرأ لحمه ويتناثر شعره
بعد الوفاة وأما القروح فحما تكون من الجُدري ونحوه والذي ذكره مؤرخوا الروم مثل
نونوز وبركوب وغيرها وكانوا يسون صاحب الترجمة قيسا أقرب الى الحقيقة
فقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستينيانس ارسل اليه وفدا يطلب منه
النجدة على نبي أسد وكان مع الوفد ابنه معاوية سيره الى قيصر ليبقى عنده
رهينة فكتب قيصر الى النجاشي يأمره أن يجند الجنود ويسير الى اليمن ويعيد
الملك الى صاحبه ولم يلبث امرؤ القيس ان سار بنفسه الى قسطنطينية فرغبه
قيصر ووعدده وذكروا نونوز المؤرخ ان قيصر قلده امرأة فلسطين الا أنه لم يسع
فى إصلاح أمره وإعادة ملكه فضجر امرؤ القيس وعاد الى بلده وكانت وفاته

نحو سنة ٥٦٥ ميلادية أصابه مرض كالجذري في طريقه كان سبب موته و ذكر
في كتاب قديم مخطوط ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ القيس أمر بأن
ينحت له تمثال وينصب على ضريحه ففعلوا وكان هذا التمثال هناك الى أيام المأمون
الخليفة العباسي وقد شاهدته هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم
ليغزو الصائفة . ويظهر لي أن بامرئ القيس داء كان يعتاده فعوده وأماته كما
قال في شعره

تأوني دأى القديم فنلّسا أحاذر أن يرتد دأى فأنكسا
وهي القصيدة التي ذكر فيها قروحه ومن أجلها قيل له ذو القروح ومنها
فلو أنها نفس تموت بجماعة ولكنها نفس تساقط أنفسا
وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة فيالك من نعمى تحولن ابؤسا
لم يأت للويجواب وإنما حذفه لعلم السامع به والتقدير لكان ذلك أهون
علي أو نحو ذلك مما يستقيم به المعنى أو ربما تكون لوللتمني فلا تحتاج الى جواب
وقوله تساقط أنفسا أى تساقط نفساً بعد نفس قامت وقول الوزير ابو بكر تساقط
بضم التاء أى يموت بموتها بشر كثير فخير جيد وقوله وبدلت قرحاً دامياً بعد
صحة قال شارحه يريد ما ناله من لبس الخلة المسمومة

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا
ألا ان بعد العُدْم للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا
طمح بنظره اذا رفعه فنظر بعيدا وقوله ليلبسنى من دائه ما تلبسا اي ما لبس
جسمه من المرض . يقول أصابني الطماح بما نالني من البلاء هذا ما ذهب اليه
الشراح والمدم الفقر والقنوة والقنية الاقتناء يريد أن المرء بعد الفقر والشدة
قد ينال الغني والرخاء وبعد المشيب قد يكون طويل العمر والبيت الأول يظهر
انه مما حمل الشراح على أن يعتقدوا بأن موت امرئ القيس كان بالقروح المسببة

من السم بلبس الحلة فبنوا شروجهم عليه وفسروه به قلت اذا صح ذلك وهو
الظاهر فيه نظر فقد قدسنا ان ذلك غير معقول لأن القروح تكون من الجديري
وامثاله حتما ويكون المعنى مع انتفاء الظن بانه ملت بالسم بل بقروح الجديري كما
ذكر مؤرخوا الروم وهو المعقول ان الطماح البسه من داء وشايته ثوبا مكروها
الى نفسه على المجاز فيكون اللبس معنويا كانه يريد أن الطماح وشى به الى قيصر
فرد امرؤ القيس وشايته بأخرى تنفيها من قبيل الدفع عن النفس فتلبس بما تلبس
به الطماح والمكروب يجرى على لسانه كلما يخطر على باله من شكوى ألم في النفس
أو الجسم ولا يؤخذ من قوله وبدلت قرحا داما بعد صحة انه يريد باناله من
لبس الحلة المسمومة اذ لم يجر لها ذكر قط كما فسروها بقرينة القروح وليت
شعري هل تلبس حلة الملوك قميصا مباشرا للجسم بفرض انها مسمومة فينشرب
الجسم منها ولكنه يريد بالقرح الدامى ما فعله القروح الاعتيادية من الجديري
وامثاله ويمعجب من استماضته بالصحة مرضا وبالنعمة بؤسا وعلى هذا لم تكن
وشاية الطماح سببا لهلاكه وما كان قيصر ليعجز عن رده اليه وتجريده من الجيش
الذى بعته به بدلا من أعماله الحيلة في قتله بهذه الطريقة المقوتة واذا صح ان
القيصر أمر بنحت تمثال له بعد وفاته وكما قيل ان هذا التمثال بقي الى أن رآه
الأمون الخليفة فقد ينتفى الظن كلية بأن القيصر غضب عليه قتله لانه اذا كان
قتله فلا يقيم له تمثالا . هذا فكرى وقد أكون مخطئا وفوق كل ذي علم على انتهى
ولما صار امرؤ القيس الى بلدة من بلاد الروم تدعى اقرة . احتضر بها
ورأى قبر امرأة هناك من بنات الملوك مدفونة بسفح جبل يقال له عسيب فقال
أجارتنا أن المزار قريب واني مقيم ما أقلم عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب لسبب
ثم مات فدفن بقربها وذكر الميداني أن بقرب المدينة جبلا يقال له عسيب

ودفن الى جنبه صخر بن عمرو أخو الخنساء الذي يقول
 أجارتنا أن نسألني فأنى مقيم لعمري ما أقام عسيب
 فلملها جيلان أحدهما ببلاد الروم والآخر بالحجاز والله أعلم ويروى لامرئ
 القيس عند وفاته قوله أيضا

ألا ابلغ نبى حُجْر بن عمرو وأبلغ ذلك الحى الحديد
 بأنى قد هلكت بأرض قوم سحيقا من دياركم بعيدا
 ولو أنى هلكت بأرض قومي لقلت الموت حق لا خلودا
 أعالج ملك قيعر كل يوم وأجدر بالمنية أن تهودا
 بأرض الشام لا نسب قريب ولا شاف فيسند أو يعودا

وكان موته في سنة ٥٦٥ ميلادية وذكر ابن قتيبة في طبقات الشعراء أن
 زمن امرئ القيس كان قبل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة والله
 أعلم ويقال أن السموأل حفظ ما أودع امرؤ القيس عنده من الدرود والمال وأبى
 أن يسلمها الى المنذر ملك العرب وكان قد بعث اليه الحرث بن ظالم ليتسلمها منه
 فأتاه وطلبها منه فامتنع فظفر بابن له خارج الحصن قد يقع فقال له إما أن تسلمنى
 الدرود والمال وإما أن اقتل ابنك فاختار قتل ابنه على خنز ذمته قتلته الحرث
 وهو ينظر اليه من داخل الحصن وانصرف عنه وبقيت الدرود والمال عنده حتى
 سلمها لورثة امرئ القيس فضرب بوفاته المثل هزيل أوفى من السموأل وفي ذلك
 يقول السموأل منتخرا

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما ذم أقوام وفيت
 وأوصى عاديا يوما بأن لا تهتم يا سموأل ما بنيت
 نبي لى عاديا حصنا حصينا وماءا كلا شئت استقيت

اتهمت أخبار امرئ القيس وقد اسهبنا فيها

(المن) وَأَتَى غَلْبِي الْمَغْلَبُ وَفَخَّرَ عَلِيَّ الْعَاجِزَ الضَّعِيفُ
 (الشرح) أتى بمعنى كيف ومن أين والمغلب بالتشديد المغلوب مرارا
 والمحكوم له بالغلبة ضدُّ والمراد الأول يشير الى قول امرئ القيس
 وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
 أى أن محبوبته التى شذب بها ضعيفة والضعيف اذا قدرته تهاك المقصور
 عليه وهو معنى قوله ولم يغلبك مثل مغلب وكذلك اذا فخر عليك ضعيف عاجز
 جاوز قدره ولو كان كريما قادرا لما اظهر الفخر عليك بأفعاله والى هذا ذهب
 أبو تمام بقوله

وضعيفة ان مكنت عن قدرة قلت كذلك قدرة الضعفاء
 وامرؤ القيس أتى به في معرض التشبيب بمحبوبته وابن زيدون أخرجه
 مخرج التعجب والانكار على أعدائه الذين رموه عند مولاه فغلبوه وكان لهم غلابة
 وقورا عليه وهم ضعاف والمعنى كيف يغلبني من كنت له غلابة ويفخر على من
 كان يعجز عن مباراتى ومجاراتى وصف فائرا بماجز وقد تمثل بهذا البيت
 عثمان بن عفان رضى الله عنه فى كتابه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه كما
 ذكرنا فى شرح المثل بلغ السيل الزبى

(المن) وَلَطَمْتِي غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ
 الشرح اللطم ضرب الخد وصفحة الجسد أى لوطمى رجل لا امرأة ذات
 سوار وهذا مثل يضرب فى اعتداء من لا قصاص عليه واصله (لو غير ذات
 سوار لطمتني) قاله حاتم الطائي الجواد المشهور وذلك أنه كان مرًا ببلاد هذرة
 فى بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم يا أبا سفانة أكلنى الأسار والقمل قل
 ويحك اذ نوهت باسمى فى غير بلاد قومي ثم ساوم القوم به وقال اطلقوه واجعلوا
 يدي فى القيد مكانه ففعلوا فجاءته امرأة يبغى ليفصده فقام فنحره فطممت وجهه
 (م - ٢٨)

قال المثل يعني لا اقتص من النساء وقيل ان المثل لو ذات سوار لطمتي أى
حرّة لا أمة وذلك أن المرأة صاحبة المنزل أمرته أن يفصد ناقة لها لتأكل من دم
فصدها وهذه عادتهم في المجاعات فنحر الناقة فقيل له ليم فعلت ذلك قال هذا
فصدي فأمرت جاريتها فلطمته فقال المثل وذات السوار الحرّة لأن الاماء
لا يلبسن السوار عند العرب وجواب لو مخوف تقديره لمان على ذلك وابن زيدون
يستنكر أن يسىء اليه من كان يراه أضعف منه قدرة وأحق منزلة

ذكر حاتم الطائي وبهض أخباره

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس من طي
ويكنى أبا سفانة شاعر من شعراء قومه ومن أجوادهم يشبه شعره جوده
ويصدق قوله فعلمه وأكثر ما اشتهر به الجود فكان حينما نزل عرف منزله
وكان مظفراً اذا قاتل غلب واذا غيم أنهب واذا سئل وهب واذا ضرب
بالقداح فاز واذا سابق سبق واذا أثرى أفق واذا أسر أطلق واذا أهل الشهر
الحرام وهو رجب التي كانت مضر تعظمه في الجاهلية نحر في كل يوم عشراً
من الابل فيطعم الناس وأول ما عرف من امره في الجود أن أباه وقيل جده
رأى منه انه لا يأكل الطعام إلا اذا وجد من يأكله معه والا طرحه فقال له الحق
بالابل فخرج اليها وطفق يبنى الناس فلا يجدهم فيينا هو كذلك إذ بصر برك
ثلاثة على الطريق فاتاهم فقالوا له يا قتي هل من قرى فقال تسألوني عن القرى وقد
ترون الابل فنحر لهم ثلاثاً فقال أحدهم إنما اردنا بالقرى اللبن وكانت تكفيينا
بكرة اذا كنت لا بد متكافأ شيئاً فقال حاتم قد عرفت ولكنى رأيت وجوها
مختلفة وألوانا متفرقة فظننت أن البلدان غير واحدة فأردت أن يذكر كل واحد
منكم ما رأى اذا أتى قومه فأمدحوه وذكروا فضله فقال لهم أردت أن أحسن
اليكم فكان لكم الفضل على وانا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إيلي عن آخرها

أوتقدموا إليها فتقتسموها ففعلوا فأصاب الرجل تسعة وتسعين بغيرا ومضوا
في سفرهم فلما سمع جده بما فعل حلف أن لا يساكنه أبدا وخرج بأهله وتركه
قال يذ كذلك

وإني لعفُّ القفر مُشْتَرِكُ الغنى وتاركُ شكْلِ لا يواقه شكلي
وأجعلُ مالي دون عرضي جُنَّةً لنفسي فأستغني بما كان من فضلي
ولي نيةٌ في المجد والبتل لم تكن تأثقها فيما مضى أحدٌ قبلي
ولي مع بذل المال والبأس صولةٌ إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل
وما ضرتني أن سار سعد بأهله وأفردني في الدار ليس معي أهلي
سيكني ابتناي المجد سعد بن حشرج وأحمل عنكم كلما ضاع من قلبي

فلا ذكره وقصده الناس لجوده وتزوج ماوية بنت عفزر وكانت ملكة ولها يقول

أما وي قد طال التجنب والمهجر وقد غدرتني في طلابكم العدر
أما وي ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أما وي ما يعني الثراء عن القى اذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر
أما وي إني لا أقول لسائل اذا جاء يوما حل في مالنا قدر
أما وي إما مانع فمبين وأما عطاء لا ينهيه الزجر
أما وي أن يُصْبِحَ صدأ بقفرة من الأرض لاماء لدى ولا خر
ترى أن ما انفتت لم يك ضرتني وأن يدي مما بَخِلْتُ به صفر
وقد علم الأقوم لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر
وإني لا آلو بمال صنيعه فأوله زادٌ وآخره ذخر
عُيننا زمانا بالتصعلك والغنى وكلاً سقانا بكأسيهما المعصر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر
فقد أعصيت العاذلات وسلطت على مصطفي مالي أنا ملي العشر

وما ضَرَّ جاراً يا ابنة العمِّ فاعلمي يجاورني ألا يكون له ستر
 يعيبي عن جارات قومي غفلة وفي السمع مني عن حديثهم وقر
 ولما أراد أن يخطب ماوية هذه ذهب إليها هو وزيد الخليل وأوس بن
 حارثة فخطبوا فقالت ليصف لي كل إنسان منكم نفسه لأختار لنفسى فقال زيد
 الخليل أنا زيد الخليل مخزبي طيبي على العرب ولي في كل مريع غنيمة وغزوت
 ثلاثا وسبعين غزاة لم تُشكل طائفة فيها ولد ولم تُفجع فيها بخليل ولم أُخب في
 واحدة منها ثم إنني لم أرُد سائلا ولم الأبح جاهلا ولم انطق باطلا ولم أبت على
 وغم (قهر) وقال أوس أول ما أخذت من لحيتي قمت سعدى فالتقطت كل
 شعرة سقطت منها فأعتقت بها نسمة من معدة وقل حاتم أنهبت مالي ثلاث عشرة
 مرة واحلت لي طيبي وأموالها أخذ ما شئت وأدع ما شئت. فقالت ماوية أما أنت
 يا زيد الخليل فقد وترت العرب فمقام الحرّة معك قليل وأما أنت يا أوس فرجل
 ذو ضرائر واللخول عليهن شديد وأما أنت يا حاتم فرجل كريم المنتسب قريب
 المنصب وقد تزوجتك ورضيت بك فعاشرت معه وولدت له عديا ابنة قليل لها
 أخبرينا عن بعض عجائب حاتم في الجود فقالت كل أمره عجب أصابت الناس
 سنة مجدبة فأذهبت الخف والخافر في ليلة وقد أسهرنا الجوع أخذ عديا وأخذت
 سفانة وجعلنا نعللها حتى ناما ثم أقبل على مجدتي فرقت لما به من الجوع
 والجهد فأمسكت عن كلامه لينام فقال لي أنمت مرارا فلم أجب فسكت فنظر في
 فتق الخباء فلذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فلذا امرأة فقال ما هذه قالت يا أبا سفانة
 أمتك من عند صبية يتعاونون كالذئاب جوعا قال احضريني بهم فوالله لاشبهنهم
 قالت ماوية قمت سريعا فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا
 بالتعليل فقال والله لأشبعن صبيانك مع صبيانها فلما جاءت المرأة بصبيانها قام
 إلى فرسه فذبحها ثم قدح ناراً وأججها ثم دفع إليها شفرة فقال اشتوي وكلوا يا هم

ثم قال والله إن هذا هو اللؤمُ تأكلون واهل الصرم حالم مثل حالكم فجعل يأتي
 الصرم يتأيتنا فيقول انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول تلك الفرس وتفتح هو بكسائه
 فجلس ناحية فاصبحوا وما من الفرس على الارض كثير أو قليل إلا عظم أو حافر
 وانه لا شد منهم جوعا وما ذاقه وقيل أن أحد قياصرة الروم بلغته أخبار جود
 حاتم فاستغربها وكان قد بلغه أن لحاتم فرسا من كرام الخيل عزيزة عليه فأرسل
 اليه بعض حبابه يطلب منه الفرس هدية اليه وهو يريد أن يمتحن سماحته بذلك
 فلما دخل الحاجب ديار طيء سأل عن آيات حاتم حتى دخل عليه فاستقبله أحسن
 استقبال ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب الملك وكانت الماشية في المرعى فيم يجد
 اليها ميلا لقرى ضيفه فنحر الفرس واضرم النار ثم دخل الى ضيفه بمحادثه فاعلمه
 أنه رسول قيصر قد حضر يستميحه الفرس فسأه ذلك حاتما وقال هلا أعلمتني
 قبل الآن فاني قد نحرتها لك اذ لم أجد جزورا حاضرة فمجب الرسول من سخائه
 وقال والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا وكان اذ جن الليل يوعز الى غلامه أن

يرقد النار في يفاع من الارض لينظر اليها من أضله الطريق ويقول

أوقد فان الليل ليل قر و الزيح يا موقد ربح صر

عسي يرى نارك من يمر إن جابت ضيفا فأت حر

وقد أدركت سفانة ابنته الاسلام وكانت أكبر ولده فروى عن الامام علي رضي الله عنه
 أنه قال يوما يا سبحان الله ما أزهدي كثيرا من الناس في الخير عجبت لرجل بجيئه أخوه
 في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كنا لا نرجو الجنة ولا نخاف نارها ولا نتنظر
 ثوابها ولا نخشى عقابها لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فاتها تدل على
 سبيل النجاح فقام رجل فقال فداؤك أبي وأمى يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما أتينا بسبايا طيء كانت في النساء
 جارية حماء حوراء العينين لساء لمياء عيطاء شماء الأنف معتدلة القامة درماء

الكيمين خديجة الساقين خبيصة انحصر ضامرة الكشجين مصقولة المتنين فلما رأيتها أعجبت بها فقلت لا طلبتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من فيبي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما سمعته من فصاحتها فقالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت أن نخلي عنى فلا تسميت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي كان أبي يفك العاني ويحى الذمار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك اسلامياً لرحمنا عليه خلوا عنها فان أبها كان يجب مكارم الأخلاق والله يجب مكارم الأخلاق واصرك أيضاً ابنه عدى الاسلام فأسلم وحسن اسلامه وكانت وفاة حاتم في سنة ستائة وخمس ميلادية انتهت أخباره

المتن وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَفْرَسَ وَتَدْرِكُنِي وَمَا أَمْزَقِ الشرح هذه الجملة في معنى ما تقدم من الاستفهام والفرس دق العنق يقال فرس الأسد فربسته واقترسها قتلها وفي معناها قل المتنبى

وجاهل مده في جهله ضحكى حتى أتته يد فراسة وفم والادراك اللحوق ولما من حروف الجزم وانما هي لنفي المستقبل كما ان لم لنفي الماضي والتمزيق التخريق تقول مزقت الكتاب اذا خرقتة وهذا المعنى مأخوذ من قول الممزق العبدى واسمه عبد القيس بن نهار بن أسرج في الآيات الآتية

أحقا آيت اللعن ان ابن قرنتنا على غير اجرام بريق مشرفي
فأنت عميد الناس معها تقل يقل ومهما يكن من باطل لا يمتق
فان كنت ما كولا فكن خيرا كل والا فادركني ولما امزق
أكلفتني أدماء قوم تركتهم فلا تداركني من البحر أغرق

يقولها للنعمان ملك العرب وكان قد بلغه أنه يريد الايقاع به فقيل انه لما انشده

الأبيات المذكورة قال له لا آكلك ولا أوكلك غيري أي لا أدع آخر يا كلك
وقد تمثل بالبيت الثالث منها عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتابه إلى علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه وذكرناه في شرح المثل بلغ السيل الزبي
والمزق المذكور شاعر جاهل فصيح اللسان وقد أورد المفضل الضبي في مختلواته
بعضاً من شعره ومن ذلك قوله

هل للتي من بنات الدهر من واق
قد رجلاوني وما رجلت من شعث
ورفضوني وقالوا إيما رجل
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا
هون عليك ولا تولع باشفاق
كأني قد رماني الدهر عن عرض
ن قوله أيضا من قصيدة أخرى

صحابن تصاييه الفؤاد المشوق
وأصبح لا يشفي له من فؤاده
فن مبلغ النعمان أن ابن اخته
وأن لكبزا لم تكن رب عكة
تضي لجميع الناس إذ جاء أمرهم
يؤم بهم الحزم خرق سديدع
وقال جميع الناس أين مصيرنا
فلما أتى من دونها الرمث والغضا
ووجهها غريبة عن بلادنا
وحان من الحى الجميع تفرق
قطار السحاب والرحيق المروق
على العين يمتاد الصفا وتمرق
لئن ضرحت حجاجهم فتفرقوا
بأن يجنبوا أفراسهم ثم يلحقوا
أخذ كصدر الهندواني يخفق
فاضمر منها خبث نفس ممزق
ولاخت لها نار الفريقين تبرق
وود الذين حولنا لو تشرق

ولم أقف له على اخبار أخرى ومات في سنة ٤٨٠ ميلادية ومعنى كلام ابن زيدون

ولأى شيء تركتني عرضة لسهام الاعداء ولم تمنع عني أذاهم قبل أن يترسني غضبك
بما دسوه علي وتلحقني قبل أن يُمزقني ناب عذابك

(المتن) أَمْ كَيْفَ لَا تَنْضَرُّمُ جَوَانِحُ الْاَكْفَاءِ حَسَدًا لِي عَلَى
الْخُصُوصِ بِكَ وَتَنْقَطِعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مَنَافَسَةً فِي الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ

الشرح أم من حروف العطف وهي هنا بمعنى بل للأضراب عن الكلام
الاول واثبات الثاني كقولك خذ درهما بل ديناراً فقد كرت اللوم ثم اضربت
هنا الى الدينار وكيف كلمة استفهام وسبق شرحها والاضطراب من الضرم محركا
اشتعال النار وهنا بمعنى احتدلم الغيظ أى شدته والجوانح جمع جائحة وهي الأضلاع
بما يلي الصدر والأكفاء جمع كفاء مثلثة بمعنى المثل . والحسد معلوم والخصوص
مصدر خصه خصا وخصوصية فضله على غيره والانفاس جمع نفس بالتحريك
وهو الهواء الذى يدخل الى الباطن ويخرج منه وهو الزفير والشهيق واقطاعه موت
لصاحبه ولراد به هنا المبالغة فى شدة الغيظ والنظراء جمع نظير وهو الشبيه
والمثيل والمنافسة من النفيس الذى يرغب فيه ويضن به والكرامة المعزة وحاصل
المعنى بل كيف لا يملأ الغيظ صدور المتمثلين بي والمنظرين لى وتكاد تنقطع
أنفاسهم فى اجوافهم حسدا وشدة رغبة فى زوال ما فضلتنى به وجبوتنى من
الشرف والعز عليهم

(المتن) وَقَدْ زَانَتِي اِسْمُ خِدْمَتِكَ وَزَهَانِي وَسَمِ نِعْمَتِكَ وَابْلِيَتْ الْبَلَاءُ
الْجَمِيلَ فِي مِهَاطِكَ وَقَمَتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودِ فِي بِسَاطِكَ

الشرح زانتي من الزين ضد الشين وزهاني من الزهو وهو المنظر الحسن
والابتلاء الاختيار والسباط الصف من القوم . وهذا الكلام تحقيق لقوله أم كيف
لا تنضم جوانح الاكفاء الخ لما ذكر اضطراب الجوانح وقطع الأحشاء للذين
اصابا حساده ونظراءه لاختصاص ملىكه به وكرامته عليه من طريق اللف رج

الى نشر الأسباب التي دعنتهم الى الحسد والمنافسة ففصلها . بحسن الخدمة التي
زافت اسمه ووسم النعمة التي حسنت منظره ورفعت قدره وعظيم البلاء الذي
ميزه على غيره من صفوف القوم بالأخلاق والولاء . وحيد المواقف التي وقفها
على بساط عرشه وحاصل المعنى . لم يحسدني الكفء وينافسني النظير الا لصدق
خسني وأثر نعمتي

(المتن) أَلَسْتُ الْمُوَالِيَّ فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ • هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَتْمَجُمَا
تَنَاءَ يُظَنُّ الرُّوْضُ فِيهِ مُنَوَّرًا • ضُحَى وَيُخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مَنَمًا
الشرح الموالة مصدر والى يوالى أى تابع بين الامرين والغر والغران
جمع الاغر وهو الابيض قوم غر وغران كسود وسودان أى بيض الوجوه كرام
الفعال . قال امرؤ القيس

ثياب بنى عوف طهارى قيةً • واولجهم عند المسافر غران
واراد بفر القصائد جودتها وقاء معانيها والقصائد جمع قصيد وقصيدة مثل سفين
وسفينة وهو مواصلة الشاعر فى عمل الشعر المقفى الموزون فى مدح غيره ولا تسمى
القصيدة قصيدة الا اذا بلغت آياتها سبعة فاذا كانت ستة سميت مقطعا والآنجم
الاولى القصائد تشبها لها بالنجوم اللامعة والثانية النجوم نفسها وهى الكواكب
واقنادت من القود خلاف السوق وضمير التأنيث يعود الى الاولى والثناء معلوم
والروض جمع روضة وهو المكان المنخفض من الارض ينبت فيه العشب
وصيت به لامتراضه الماء فيه والنور بتشديد النون المفتوحة وسكون الواو الزهر
قيل عام وقيل الأصفر منه خاصة والضحى بالضم يكون بعد ارتفاع النهار بقليل
وبالفتح أول النهار أى عقب طلوع الشمس والمراد الاول ويخال من الخال أى
الظن . والوشى المنم الثياب المنقوشة من الحرير . بعد أن عدد نعم مولاه التي
حسده عليها الكفء والنظير عطف على ذكر ما نشر عنه من غرر المدائح التي

نظمتها فيه فشبها مجازاً بنجوم قادت خلفها نجوم السماء اللامعة في ظلمة الليل .
 حوت ثناءً أي مدحا يظنه الظاني . انه زهر الرياض في ضحى النهار . تفتق منه
 لبلاغته وبهجته . وثياب الوشى المنمنمة هشت منه لبديع طرازه وروقه وانما
 خص وقت الضحى لأن الأزهار فيه تكون نضرة لم يبد فيها الذبول وأنى
 بهمة الاستفهام الداخلة على النفي في قوله الست ومعناها الا كنت . ليفيد
 التحقيق أى قد كنت الموالى فيك غرر القصائد والمراد انه مدحه بأحسن المدح
 والبيتان اخذهما من قصيدة لأبي عبادة البحرى الشاعر ومطلعها

يهون عليها أن آيت متيا اعالج وجدا في الضمير مكتما
 يعاتب بها الفتح بن خاقان وزير المتصم بالله العباسي وكان قد سخط عليه
 وهجره يقول فيها

اعد نظرا فيما تسخطت هل ترى مقالا دينياً أو فعلا مذمما
 رأيت العراق نا كرثي واقسمت على صروف الدهر ان أتشأما
 وكان رجائي ان اؤوب مملكا فصار رجائي ان اؤوب مسلماً

هذا البيت كقول امرئ القيس رضيت من الغنيمة بالاياب

واكبر ظلى انك المرء لم تكن لتأخذ بالظن النمام المحرما
 حياء فلم يذهب بي النى مذهباً بعيدا ولم اركب من الامر معظماً
 ولم اعرف الذنب الذي مؤثى له فأقتل نفسى حسرة وتندما
 ولو كان ما خبرته أو ظننته لما كان غروا ان الوم وتكرماً
 اذكرك العهد الذي ليس سودداً تناسيه والود الصحيح المسلما
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً وانجد في أعلى البلاد واتهما

يريد بما حمل الركبان قصائده التي نشرها عنه

أقر بما لم أجه متنصلاً اليك على أنى أخالك ألوما

لى الذنب معروف وان كنت جاهلاً به ولك العتي على وانما
ومثلك ان اهدي الفمال أعاده وان طشع المروف زاد وتما
وحلة أعداء رميت بزمة فاضرمتها نلرا واجريتها دعا
وهذا لعمري من محاسن الاعتذار قلن يكن عتاب يفيد واقرار يغفر الذنب
فليكن هكذا والأ فلا وقد قلنا من شعره فيما مضى جملة صالحة

(المن) وهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتَهُ بِفَضَائِلِكَ وَتَقَلَّدْتَ الْجُوزَاءَ
إِلَّا عِقْدًا فَصَلَّتْهُ مِنْ مَاءِ تَرِكَ وَاسْتَمَلَى الرَّبِيعُ الْأَثْنَاءَ أَمْلَأْتَهُ مِنْ مَحَاسِنِكَ
وَبَثَّ الْمِسْكَ الْأَحْدِيثًا أَدْعَتْهُ فِي مَحَامِدِكَ

الشرح هذا فى معنى ما سبق اليه البحرى فى اليتين اللذين قدما وانما
اكثر تفصيلا وأبلغ وصفا والبُرد الثياب والطرز علمها وتقلدت لبست والجوزاء
نجم ينترض جوز السماء أى وسطها واحدى البروج الاثنى عشرة وهى عدة
كواكب ثلاثة منها على نسق واحد ويقال لها منطقة الجوزاء والعقد بالكسر
القلادة تعلق بالنعق والمآثر الأفعال الحسنة واستملى استكتب تقول أمليت
الكتاب واملأته واستمليته بمعنى والربيع من الشهور اثنان ويبدأ الأول والثانى
ومن الأزمنة وقتان وقت تاتى فيه الكمأة وهو النبات ونوره ووقت تدرك فيه
الثمار والمراد الأول والثناى ممدود كلمة تستعمل فى الخير والشر أتى عليه خيرا
واتى عليه شرا وقيل الثناء . يستعمل فى الخير خاصة والثنا بالقصر وهديم النون
على الثناء يستعمل فى المدح والذم والمحاسن من الحسن والبث النشر والاذاعة مثله
والمحامد ضد المذام وقد ابداع فى الاستعارات التشبيهية ما شاء وشاءت قدرته فى
تنسيق الألفاظ وسبك المعانى فكانت أشبه بالمنظوم من المنثور قد استعار للصبح
بُرْدًا مطرزا بفضائل مولاة وللجوزاء قلادة مفصلة من مآثره وللربيع كتابا مملئ
من محاسنه والمسك حديثا مذاعا فى محامده وفيه انسجام^(١) يأخذ بمجامع القلوب

(١) الانسجام نوع من أنواع البديع وتعريفه فى الشعر أن يكون الكلام

لسهولته وعذوبته وأتزان فقراته من غير قصد فيصيح أن تبنى منه شظرات من الشعر هكذا.

(من مشطور الكامل) (من الوافر)

وهل لبس الصباح سوى برود
وما الجوزاء إلا عقد حمد
وهل استعلى الربيع سوى ثناء
وبث المسك إلا من حديث
طرزتها بفضائلك
فصلته من ما ترك
أملأته من محاسنك
أذعته في محامدك

وهكذا من محاسن الاضاق ولابي عثمان عمرو الجاحظ قوله في الفصول المختارة
وهل غاية الجليل إلا وصفك وهل زين البليغ إلا مدحك وهل يأمل الشريف
إلا اصطناعك وهل يفيد الملهوف إلا غيائك وهل تقع الأَبصار إلا عليك وهل
تُصرفُ الاشارة إلا اليك وأي شيء منك ليس في النهاية الخ وهذا أيضاً من
أحسن المدح وأنحبه.

(المتن) ما يوم حليمة بسير

الشرح يوم حليمة يوم من أشهر أيام العرب وبه يضرب المثل لكل أمر متعالٍ
مشهور وحليمة هذه بنت الحرث بن أبي شيمر الغساني وكان أبوها وجه جيشا الو
المنسدر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا من مر كني فطيبت بهم به فيقال ارتفع في
هذا اليوم من العجاج ما غطى عين الشمس حتى ظهرت الكواكب (١) فسمى يو

منسجما كأنسجام الماء في انحداره لسهولة تركيبه وعذوبته ويكاد يسيل رقة ومر
النثر وهو المراد هنا أن تكون غالب فقراته متزنة من غير قصد لقوة انسجامه ومثا
في الكتاب العزيز قوله تعالى (ويخزّم وينصرم عليهم * ويشف صدور قوم مؤمنين
وكقوله تعالى (والله يهدي من يشاء * الى صراط مستقيم)

(١) هذا التعبير غير صحيح وتقلناه لشيوعه والصحيح أن العجاج اذا غط

عين الشمس فقد سد الأفق فكيف تظهر الكواكب

حليمة لشهرته واليه أشار النابتة الذبياني بقوله يصف السيوف
 تُوَزَّنَ من أزمان يوم حليمة الى اليوم قد جرَّ بن كل التجارب
 قد السائق المضاعف لسجته وتوقد بالصفايح نر الجبابح
 وذكر عبد الرحمن بن الفضل الضبي عن أبيه قال كان من حديث غزوة
 المنذر بن ماء السماء ملك العراق في الجاهلية وهي التي قُتل فيها أنه سار الى الشام
 في جيش كبير يريد الحرث بن جبلة النسائي ملك الشام وكان في جيش المنذر
 رجل من بني حنيفة يقال له شمر بن عمرو وأمه من غسان خرج يتوصل به ليلحق
 بالحرث بن جبلة فلما نادى الجيشان اندس الرجل الى الحرث فقال له أتاك ما لا
 تطيق فلما رأى ذلك الحرث وكان يخاف نذب مائة رجل من أصحابه اختارهم
 رجلا رجلا فقال انطلقوا الى عسكر المنذر فأخبروه إنا ندين له ونعطيه حاجته فإذا
 رأيتم منه غيرة فاحلوا عليه ثم أمر ابنته طيمة فأخرجت لهم مرة كفا فيه خلوق فقال
 خلقيهم فخرجت اليهم وهي من أجمل ما يكون من النساء فجعلت تخلقهم حتى
 مرة عليها قى يقال له كبيد بن عمرو فذهبت لتخلقه فلما دنت منه قبلها فلطمته
 وبكت وأتت أباها فأخبرته الخبر فقال لها ويلك إسكبي عنه فهو أرحم عندي ذكاء
 فواد ومضى القوم ومعهم شمر بن عمرو الحنفي حتى أتوا المنذر فقالوا له أتينك من
 عند صاحبنا وهو يدين لك ويعطيك حاجتك فتباشر أهل عسكر المنذر بذلك
 وغفلوا بمض غفلة فحملوا على المنذر فقتلوه قتل ليس يوم حليمة بسر فذهبت
 مثلا قال أبو الهيثم يقال أن العرب تسمى بليقيس حليمة ومراد ابن زيدون ما كان
 اخلاصي لك وبذل نفسي في خدمتك وابتغاء مرضاتك مخفيا مستورا بل
 ظاهرا جليا كيوم حليمة

(الآن) وَأَنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ سَلِيْبًا وَلَا حَلِيْبُكَ عَطْلًا وَلَا وَسَمْتُكَ
 عَطْلًا بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَحَصِي قَبِيْبِيْتُ وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَالِسَعَةِ قَعْلْتُ

(الشرح) سلبيا بمعنى مسلوب والمعطّل محرّكة لتخلو من المصوغ والوسم أصله
 كي الحيوان من ضروب الصور ليعرف به فاستعمل لكل علامة والاسم السمة
 والآجر الطين المشوي أو اللبن والحصى معروف وفي رواية جصا بالكسر والفتح
 والكسر أشهر وهو ما يطلى به البناء وقد استدرّك ابن زيون على قوله السابق
 (وهل لبس الصباح الا برداً الى قوله ما يوم حليلة بسر) دفعلما يتوهم من أنه
 ربما يظن ظاناً انه هو الذي اخترع اولاهِ خلافاً لم تكن فيه قتال وان كنت
 فيما مضى قلتُ وقلتُ فاني لم أكسك ثوباً من الثناء أنت مسلوب منه ولا حلينتك
 بحليلة الكمال وانت عاطل منها ولا وسمتك بسمة الشرف وانت مهمل منه بل
 وجدت من صفاتك السامية أداةً بنيتُ بها مدائحي فيك ومكاناً من مجال القول
 فسيحاً أطلق لسانى قلتُ ما قلت مدفوعاً بحسن أثرك فيّ يريد أن مولاه عريق
 في الشرف فكلمنا وصفه به من جميل الذكر قديم موروث وأما نشره عنه قياماً
 بواجب انعامه واعترافاً بجميل احسانه والفقرة الاخيرة مُتَّبِسةٌ من قول المتنبي
 وقد وجدت مكان القول ذاسمةً فان وجدت لساناً قتلاً قتل
 يخاطب نفسه في مدح سيف القولة اي إن كنت ذا لسان قتيل فحسبك وصف
 فضائله وذكر ما خلدته من مكارمه وبعده يقول

ان الهام الذي فخر الأنام به	خير السيوف بكنى خيرة الدول
تمسى الاماني صرعى دون مبلغه	فما يقول لشيء ليت ذلك لي
أنظر اذا اجتمع السيفان في رهج	الى اختلافها في الخلق والعمل
هذا الممد لريب الدهر منصلتنا	أعد هذا الرأس الفارس البطل

وقد ذكرنا شيئاً من أخباره فيما مضى

(المتن) وَحَاشَاكَ أَنْ أَعُدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ

(الشرح) حاشاك وحاشاك بمعنى أعينك وهي كلمة استثناء تنصب ونجر ما

بعدها فان نصبت بها جعلتها فعلا قلت ضربتهم نحاشي زيدا وان جررت جعلتها
حرفا وقيل لاتكون الاحرف جر لانها لو كانت فعلا لجاز ان تكون صلة لما كما يجوز
ذلك في خلافا امتنع أن يقال جاءني القوم ما نحاشي زيدا دل على انها ليست
فعلا وقال المبرد تكون فعلا واستدل بقول النابغة

ولأرى فاعلا في الناس يشبهه وما أحاشي من الاقوام من أحد

ولأن الحذف يدخلها كقولهم نحاش زيدا والحذف انما يقع في الاءاء والأفعال
دون الحروف وقوله ان أعد من العد أي أحسب والعاملة الناصبة كما جاء في
الكتاب العزيز (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) هم الذين عملوا
ونصبوا في الدنيا لغير الله تعالى من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب لا يقبل
منهم اجتهاد في ضلالة بل هم في النار ومعنى النصب الثوب على العمل بلا تقطاع
والمعنى الذي أراده ابن زيدون واعيد أن تعدي ممن يتعب في خدمتك دائما
ولأجر له عندك الا العذاب والشقاء كهؤلاء الذين يعملون وينصبون في الدنيا
ولا جزاء لهم في الآخرة الاعذاب النار

(المن) وَأَكُونُ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ (تُضِي لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ)

(الشرح) الذبالة فتيلة المسرجة ومنصوبة مائلة وقوفا تضيء المكان وهي

تحترق وهو مثل واصله (كذبالة السراج تضيء ما حولها وتحرق نفسها) يضرب
لمن يتعب نفسه لأجل غيره ومثله قول أبي الفتح البستي

ألم تر أن المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه

كدود غدا للقر ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وابن زيدون أخذه من قول العباس بن الأحنف في البيتين الآتين

أحرم منكم بما أقول وقد نال به الماشقون من عشقوا

صرت كأني ذبالة نصبت (تضيء للناس وهي تحترق)

يتغزل بهما في محبوبته وكان مذهبه في الشعر الغزل خاصة لم يذهب الى غيره من
أنواعه الأخرى

ذكر العباس بن الأحنف وبعض أخباره

هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة من بني عدي بن حنيفة شاعر
غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية حسن المذهب ولشعره رونق
ولمانيّة عذوبة ولطف ولم يكن يتجاوز الغزل الى مديح أو هجاء وقدمه أبو العباس
المبرد على نظرائه وأطنب في مدحه وكان من الظرفاء ولم يكن من الخُلَماء ولا من
الفساق بل كان ظاهر النعمة ملوكي المذهب حلواً مقبولاً غزير الفكر واسع
الكلام كثير التصرف في الغزل وحده وإذا تكلم أعجب سامعه ولوشئت قلت
ان كلامه كله شعر ويقال أنه من عرب خراسان ومنشؤه بغداد ولم تزل العادة
تقدمه على كثير من المحدثين وقد ترى له الشيء البارح حتى تلحقه بالمحسنين قل
الجاحظ ولولا ان العباس بن الأحنف أحق الناس وأشعرهم وأوسمهم كلاماً
وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يتجاوزها لأنه لا يهجو ولا يمدح
ولا يتكسب ولا يتصرف وما تعلم شاعر الزم فناً واحداً لزومه فأحسن فيه قلت
ونظريّة الجاحظ هذه غريبة في بابها والذي نعلمه أن الخنق يكون لمن يتصرف
في جميع مذاهب الشعر لا في مذهب واحد وان أكثر منه أنظر قول أبي عبيدة
في ترجمة الأعمى الشاعر وقال أبو العباس . ما حسدت أحداً الا العباس بن
الأحنف لقوله

إذا امتنع القريب فلم تنله على قرب فذاك هو البعيد

وقال عبد الله بن المعتز لو قيل لي أي شعر أحسن تعرفه . لقلت شعر العباس بن
الأحنف لقوله

قد سحب الناس أزيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا

وضادق ليس يدري أنه صدقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم

ومن قوله في الغزل أيضا

فلا خير في ود يكون بشافع

إذا أفت لم تعطفك الأشفاعة

ولكن لعلى أنه غير نافع

فأقسم ما تركي عتابك عن قلى

فلا بد منه مكرهاً غير طائع

وانى إذا لم أئزم الصبر طائما

وقوله

فندكم شهوات السمع والبصر

أتأذنون لصب في زيارتكم

عف الضمير ولكن فاسق النظر

لا يضمر السوء ان طال الجلوس به

وقوله

وجزى الله كل خير لسانى

لا جزى الله دمع عيني خيرا

ورأيت اللسان ذا كتمان

نم دمعى فليس بكم شيئاً

فستدلوا عليه بالعنوان

كنت مثل الكتاب أخفاه طي

وقوله في فوز جارية محمد بن منصور المعروف بتي العسكر . وكانت قد حلت

من قلبه مكانا كبيرا وأغلب غزله فيها وهو من سوء الظن بالمحبوب

قلبي يفدى قلبك القاسى

يا فوز يامنية . عباس

والحزم سوء الظن بالناس

أسأت اذا أحسنت ظنى بكم

والقلب مملوء من الياس

يقلنى الشوق فاتيكم

وقوله أيضا فيها

لفوز التي لاني بها لعذب

ألاجل الله الفدا كل حرّة

ولا خلفها في الناس للقلب منهب

فادونها في الناس للقلب مطلب

وأصبح باقى حبها يتقضب

وان تك فوزاً باعدتنا وأعرضت

وصارت الى غير الذي كنت أذهب

وحالت عن العهد الذي كان بيننا

وهان عليها أن ألقى فرما يكون التلاقي والقلوب تُقلب
وقوله أيضا

فإن تبخلوا عني بقرب نوالكم وبالوصل مني كي أصب وأحزنا
فاني بلذات المنى ونعيمها أعيشُ الى أن يجمع الله بيننا
وكتبتُ اليه مرةً تلومه وتعاتبه في جفائه فكتب اليها شعرا يقول فيه

كبتُ تلوم وتستريبُ زيارتي وقول لست لنا كعهد العاهد
فأجبتها ودموعُ عيني بجةً تجري على الخدين غيرَ جوامد
يا فوزُ لم أهجركمُ لملاة مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لاتصبرون علي طعام واحد

وانما قال لاتصبرون علي طعام واحد لأنها كانت قد مالت الى بعض أولاد
الجندي ثم عادت اليه وراها مرة معصوبة الرأس من صداع ألم بها فقال

عصبتُ رأسها فليت صداعا قد شكته الى كان برأسي
ثم لاتشكي وكان لها الأجر وكنت السقام عنها أقاسي
ذلك حتى يقول لي من رأني هكنا يفعل الحب المؤاسي

ومن نوادره مع الأصمعي أن الأصمعي دخل على الفضل بن الربيع والعباس بين
يديه فقال العباس للفضل دعني أعابثُ الأصمعي قال لاتفعل فليس المزاح من
شأنه قال ان رأى الأمير أن أفضل قال ذلك اليك فلما أطمأن الأصمعي في الجلوس
قال العباس يا أبا سعيد من الذي يقول

إذا أحييت أن تصنع شيئاً يعجبُ الناسا
فصورُ ههنا فوزا وصورُ ثم عباسا
فان لم يدنوا حتي ترى رأسيهما راسا
فكذبها بما قاست وكذبه بما قاسا

قال له ابن أبي العلاء الشاعر وكان حاضرا انه أراد العبث بك وهو نبطي فقال

الأصمعي له ما عرف هذا ولكنني أعرف النبي يقول
 إذا أحببت أن تبصر شيئاً يعجب الخلقاً
 فصور ههنا زوراً وصور ههنا فلحاً
 فان لم يدنوا حتى ترى خلقيهما خلقاً
 فكذبها بما لاقت وكذبه بما يلقي

ومن أحسن ما عرف له في إخفاء أمره قوله

أريدك بالسلام فأتقيهم فاعمدُ بالسلام الى سواك
 وأكثر فيهم ضحك ليخفي فسي ضاحكا والقلب باكي

ومن قوله في عدو لا يمكن الإحتراس منه

قلبي الى ما ضربني داع يكذب أسقامي وأوجاعي
 كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدي بين اضلاعي

يريد معدته قالوا وليس للأنسان عدوٌ مثلها فهي تلف ماله وتسبب اسقامه
 وهي مفتاح كل بلاء عليه وله شر كثير في الغزل اكتفينا منه بهذا القليل وكان
 موته في سنة اثنتين وتسعين بعد المائة وقال بن خلكان في ثمان وثمانين ومائة
 هو والكسائي النحوي وابراهيم الموصلي المعروف بالنديم في يوم واحد انتهى
 (المن) فلَكَ المثلُ الأعلى وهو بي وبِكَ أولى

الشرح المثل وصف الشيء بمثله وهذا ماخوذ من قول الله تعالى (وله
 المثل الأعلى في السموات والأرض) وفسره ابن عباس بان معناه ليس كمثل
 شيء وهو أحسن تعبير وأجزه وأبلغه وتوجيه هذا القول الى ابن جهور غلو وافراط
 وصرفه الى الله عز وجل أولى لأنه لا يليق إلا به خاصة والمعني فلَكَ الصفات
 الطيلاء من الكمال والقدرة على تهريج كرتي وإزاحة شكيتي وقوله وهو بي وبك
 أولى فيه إشارة الى علو نفسه وكبر همته فكأنه يقول ان الصفات الطيلاء مشتركة

بينتا فانت للشدائد الكبرى وأنا لما دونها وأنت أولى بمنة العفو والصفح عنى
وأنا أولى بالشكر عليها وأحسن من يدخر ويعتمد عليه عندك ولا غرو أن ترقى
همته الى هذا الحد فقد كان وزيراً سياسياً وعلماً أديباً

(المتن) وكَعَمْرَى مَا جَهِلْتُ أَنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ اتَّحَوَّلَ إِذَا بَلَغْتَنِي
الشَّمْسُ وَتَبَايَ لِنَزْلِ وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
(الشرح) اللام في لعمرى موطأة للقسم وعمرى بالفتح مصدر عمير بالكسر
يَعْمُرُ عمراً وهمراً بالفتح والضم وسكون الميم فيهما اذا عاش زمانا قل الجوهري
وهما مصدران على غير قياس لأن القياس التحريك فيهما وقد استعمل في القسم
احدهما وهو المفتوح فاذا أدخلت عليه اللام رفعت بالابتداء قلت لعمر الله
واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف التقدير لعمر الله قسمي (أي أقسم
ببقاء الله) واذا لم تدخل اللام نصبته نصب المصادر قلت عمراً الله ما فعلت
كذا وقال المجد وقد ورد في الحديث الشريف النهي عن قول لعمر الله وأما
قولك عمرك الله فعناه اذ كرك الله تذكيراً وقال الجوهري معناه سألت الله أن
يعطيل عمرك قلت وهذا أولى القولين وما في قوله ماجهات نافية والجهل ضد
العلم وصريح الرأي خالصه والتحول الانتقال من مكان الى غيره ويطلق التحول
ايضا على الانتقال من حال الى حال والنبا بغير همز البعد والصفح عن المطامع
معناه الاعراض عن الحرص وفي الحديث ان الصفاة (١) التي لا تثبت عليها
اقدام العلماء الطمع والجملة الاولى الى قوله بلغتني الشمس اخذها من قول أبي تمام
الشاعر من أبيات يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات يقول فيها

وجدناك آندي من رجال انا ولا وأحسن في الحاجات وجها وأجلا
تضيبي إذا اسود الزمان وبمضموم يري الموت أن ينهل أو يتهللا

فوالله ما آتيتك الا فرضة
 وليس امرؤ في الناس أنت ملامه
 وان صريح الخزم والرأي لا مريه
 وآتى جميع الناس الا تنفلا
 عشية يلقي الملائمات باعزلا
 اذا بلغت الشمس أن يتحولا

ويعجبنى في هذا المعنى قول أحمد بن منير الطرابلسي الشاعر

واذا الكرم رأى الخول نزيله
 كالبدر لما أن تضائل جدّه في
 سفهاً للملك إن رضيت بمشرب
 ساهمت عيسك مرّ عيشك قاعدا
 غلق ترقى كالسيف صلّ فبان في
 لا تحسبنّ ذهاب نفسك مبيتة
 للفقر لا للفقر هبها إنما
 لا ترّض من دنياك ما أدناك من
 وصل المهجير بهجر قوم. كلما

وجاء في أمثال الميداني حرّ الشمس يلججني الى مجلس سوء يضرب لمن ينزل في

مكان لا يليق به والجملة الثانية أخذها من قول البيهقي الجاشعي في الغزل

طعمت بليلي أن تريع وانما
 تقطع أعناق الرجال المطامع
 وبابت ليلي في خلاء ولم يكن
 شهود على ليلي عدول مقانع

وعجز البيت الأول مثل يضرب في ذم الطمع والجشع ذكره الميداني أيضاً

ذكر البيهقي الجاشعي وبعض أخباره

البيهقي هو خدّاش بن بشر من بني مجاشع ولم أقف على بقية نسبه وأمه أصهبانية

يقال لها مرّدة ذكر ذلك ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء وسُمّي البيهقي لقوله

تبعت مني ما تبعت بعد ما استمر فولدي ولستمر عزيمي

تريد أنه قال الشعر بعد أن أسن وكبرَ ويكنى أبا مالك وكان أخطب بني تميم لذا
أخذ القناة ولكنه كان هجاءاً وأشد هجاءه في بني كليب اذ يقول

ليس كليبياً اذا سمِ خُطَّةً أقر كافرار الحليلة للبعل
وكلّ كليبى صحيفة وجهه أذل لاقدام الرجال من النعل

وله في وصف الظباء قوله

نحت طولات كان نجاءها هوى القطا يملو المناهل جونها
طوين سقاء الخمسِ تمت قلّصت لورد المياه واستنبت قرونها
اذا ما وردن الماء في روتق الضحى بلنن أداوى ليس خرزٌ يُشِينها
جملن حباب الماء حين حملنه الى غصص قد ضاق عنه وتينها

ومن أحسن قوله في الحكم البيت المشهور

لعمرك ما تدرى الظوارق بلحصى ولا زاجرت الطير ما الله صانع

وكان ممن هاجم جرير بن الخطمى الشاعر المشهور فسقط ولم أقف له على أخبار
أخرى ولا على تاريخ وفاته انتهى ومعنى كلام ابن زيدون أقسم بحياتي اني ماجهات
أن رأى الصريح اختيار النافع من الضار وان عقي الطمع الهلاك

(الامن) فلا استوطى العجز ولا أميل إلى الغرور

الشرح استوطى من الوطء وهو التذليل والتمهيد يقال دابة وطى أى
مذلة والعجز والمعجز والمعجزة بكسر الجيم فيها وفتحها والمعجوز بالضم الضعف
والميل الانحراف والغرور الجهل بالامور والجملة الأولى أخذها من قولهم (العجز
وطى) أى وثير لا يؤذى جنب النائم عليه وهو مثل يضرب لمن استوطأ مركب
العجز وقعد عن طلب المكاسب والحامد أو لمن ترك حقه مخافة الخصومة ذكره
الميدانى في أمثاله والثانية أخذها من قول الله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع
الغرور) وذلك لأن الدنيا تشغل بزيتها مع انها زائلة فهي متاع للغرور أى لمن

يفتر بها ويعمل لها ولم يعمل للآخرة وقال سعيد بن جبير رحمه الله متاع الغرور
معناه اذا ألهت الدنيا العبد عن طلب الآخرة فأما اذا ذهبت الى طلب رضوان
الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة انتهى ومعني ابن زيدون واذا لم أجبل
مضض الذل وعقبى الطمع كان من شأنى أن لا أستلين فراش المعجز عن كسب
المعالى ولا أميل الى غرور النفس وامانيها الباطلة عن الاخذ بالحزم واليقظة

(المن) وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ (خامري أم عامر)

الشرح خامري أى استبرى والحمار الثوب تغطى به المرأة رأسها فتستره
به قال تأبط شراً

فلا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن خامري أم عامر
وفي رواية أبشري أم عامر وأم عامر كنية الضبع وعامر جرؤها واسمها حضاجر
وهي أحق الدواب ذكروا أنهم اذا أرادوا صيدها رموا في جحرها حجراً فتحسبه
شئنا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال لها بشري بجراد عظام وكمر
رجال فلا يزال يقال لها ذلك حتى يسخل عليها رجل فيربط يديها ورجليها ثم يجرها
والجراد العظام الذى يركب بعضه بعضاً كثرة والعظام أيضاً سفاد السباع وكر
رجال الحشفة يزعمون أن الضبع اذا وجدت قتيلاً قد انتفخ جردانه (ذكرة)
القتله على قناه ثم ركبته فلذا قضت منه حاجتها اكله قال العباس بن مرداس السلمى
ولومات منهم من جرحنا لا صبحت ضباع با كناف الأراك عرائسا
وهذا المثل يضرب لمن عرف الدنيا في تقضاها عقود الأمور ثم يفتر بها كما تفتر
الضبع بقول القائل (خامري أم عامر) ولم أقف على قائله قلت وعندى ان
حكاية الضبع باطلة ولم تكن الا من مبالغات العرب ومراد ابن زيدون وكما لا
أستلين فراش المعجز ولا أميل الى غرور النفس كذلك لا أغتر بزخرف القول
وغش المخامل قائمها أصل الشر وداعية النكال وقد أتى بالمثل (خامري أم عامر)

دليلا على ذلك لأنه لولا اغترارها واستسلامها لقول الصائده بما زين لها ما قيدت
الى الأسر والعذاب بالسلاسل والأغلال

(المن) وَأَنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّ الْجَلَاءَ سَبَاءٌ وَالنَّقْلَةَ مَثَلَةٌ

وَمَنْ يَتَغَرَّبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى • مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْجَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَى • يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

الشرح الجلاء مصدر جلا عن البلد خرج منه والسبأ بالكسر والمد الأسر
والنقلة من الانتقال والمثلة النكال وهما مثلان يضربان لمن ساءت حاله بعد العز والشرف
ذكرها الميداني في أمثاله وقال عن الثاني منهما (النقلة مثلة) أنه من أمثال المولدين
والبيتان أخذهما من قول الأعشى من قصيدة لم أطلع منها الا على الآيات الآتية

سأوهي بصير لادتوت من البلا	وصية من راز الأمور وجربا
بأن لا تبيع الود من متباعد	ولا تأمنن ذا غضبة ان قربا
فإن قريبا من يقرب نفسه	لعمر أيك الخير لامن تنسبا
ومن يتغرب عن قومه لا يجده	على من له رهط حوالبه منضبا
ويهضم هضا لا يزال يرى له	مصارع مظلوم مجرا ومسجبا
وتدفن منه الصالحات وان يسى	يكن ما أساء النار في رأس ككبكا

هكذا رأيت الآيات له كما قلتها وقد ذكر صاحب الصحاح في مادة كذب
البيتين المثبتين في متن الرسالة بحروفهما ولا أدري سبب التضمين الزائد عليهما
ولعله من اختلاف الرواة

ذكر أعشى بنى قيس وبعض اخباره

الأعشى في اللغة الضعيف البصر في الليل ومنه قيل ناقة عشواء وقد اطلق
لفظ الأعشى على جماعة من الشعراء ذكر صاحب القاموس عشرة منهم لا حاجة
بنا الى ذكرهم وانما اذا قيل الأعشى مجردا عنوا به أعشى بنى قيس هذا أو قلوا

الاعشى الأكبر واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد
ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة المحسن وينتهي نسبه اليه بكر بن وائل ويكنى أبابصير
أو نصير وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قبيل الجوع مسمى بذلك لأنه دخل ظلوا
يستظل فيه من المطر فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم النار فمات فيه
جوعاً قال حينئذ واسمه عمرو من قيس يهجو ابنه الاعشى

أبوك قبيل الجوع قيس بن جندل وخالك عبد من جماعة راضع
وهو احد الأعلام من شعراء الجاهلية وفخوهم والمتقدم على سائرهم وإن يكن
غير مجمع عليه ولا على غيره قال يونس النحوي وقد مثل عن أشعر الناس
لا أوى إلى رجل بعينه ولكنى أقول امرؤ القيس إذا غضب والنايبة اذا رهب
وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب وقل ابو عبيدة من قسم الاعشى يحنج
بكثره طوالة الجياد وتصرفه في المديح والمجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك
لغيره ويقال هو أول شاعر سأل بشعره وانتجع به أقصى البلاد وكان يقنى بشعره
ويسمونه صنّاجة العرب وقال يحيى بن الجون العبدى راوية بشار بن برد نحن
حكاية للشعر في الجاهلية والاسلام واعلم الناس به اعشى بن قيس بن ثعلبة
استاذ الشعراء في الجاهلية وجري بن الحطّاق استاذهم في الاسلام وكان الشعبي
يقول الاعشى اغزل الناس في بيت واخنت الناس في بيت واشجع الناس في بيت
فأما اغزل بيت قوله (من البسيط)

غراء فراء مصقولٌ حوارضها تمشى الهويناً كما يمشي الوحى الوحلُّ

ولما اخنت بيت قوله

قالت هريرة لما جئت زائرهما ويلى عليك وويلي منك يارجل

ولما اشجع بيت قوله

قالوا الطراد قلنا تلك عادتنا أو تنزلون فانا معشر نزل

ويروى

أن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فانا معشر نزل
وكان يوافي سوق عكاظ في كل سنة فدناهُ المخلوق الكلابي اليه وأنزله عنده ونحوه له
ناقة فأطعمه من سنامها وكبسها وسقاه خمرًا واحاطت به بنات المخلوق يَمْرُزَةٌ
ويعسحنه وكان المخلوق قد ورث من أبيه شرفًا وما لآثم أملتق لثلاثة المال وكان مع
ذلك مثنائًا فلما خرج الاعشى من عنده ووافي سوق عكاظ اذا هو بِسَرْحَةٍ قد
اجتمع الناس عليها وهو ينشدهم قصيدته التي قلها في المخلوق يقول منها

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرةً الى ضوء نار باليقاع تُحَرِّقُ
تُشِبُّ يَلْمَرُورَيْنِ يَصْطَلِمِيَانِها وبات على النار الندى والمخلوق
رَضِيْعِي لَبَانِ نَدَى أُمِّ تَحَالِفَا بِأَسْحَمِ دَاجٍ عَوْضٌ لَا تَنْفَرُ

الاسحم الأسود وعنى به الهم يريد بدم غمست فيه الأيدي عند التحالف وكان
هذا من عادة العرب

أبا مسعم سار الندى قد فعلتم فأنجد أقوام به ثم أعرقوا
به تعقد الأجمال في كل منزل وتعقد أطراف الجبال وتطلق
نقى الدَّمِّ عن آل المخلوق جفنة كجاية الشيخ العراقي تفهق

الجاية الحوض . شبه به الجنة في اتساعها وهي القصبة تملأ طعاما وتفهق تمتلى
حتى تصيب وأراد وصفه بالكرم قال فأتاه المخلوق فسلم عليه فقال مرحبا ياسيدي
وسيد قومى ونادى يا معشر العرب هل فيكم . يذكر بزواج ابنه الى هذا الشريف
الكريم فما قام من مقدمه حتى زوج بناته كلهن على مائة ناقة مبرا لكل واحدة
فأيسر وشرف . ولما تنافر علقمة بن علاثة وعامر بن الطيفل تلتاهما الاعشى
فسألها عما خرجا له فأخبراه بقصتهما فقال الاعشى لعلقمة مالى عندك ان أنا فرتك
على عامر قل مائة من الابل قال ونجبرنى من العرب قل أجيرك من قومى فذهب

الى عامر وقال له فمالي عندهك قال مائة من الايل قال وتجيرني من العرب قال
 اجيرك من اهل السماء والارض قال الاعشى تجيرني من اهل الارض فكيف
 تجيرني من اهل السماء قال ان مات احد من ولدك أو اهلك ودَيْتُهُ وان ماتت
 لك ماشية فعلى عَوْضها قال نعم فمدح عامرا وهجا علقمة فقال من قصيدة

أعلمم قد حكمتني فوجدتني بكم عالما عندا لخصومة خائفا
 كلا أبويكم فرع دعامة ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا
 تبيتون في المشى ملاء بطونكم وجاراتكم غرتي بيتن خائفا
 فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم وبمرك ساج لا يوارى الدعامبا

جاش بمعنى فاض ووزخر وقوله وبمرك ساج أى ساكن والدعاص جمع دُعوص
 لهويبه صغيرة تكون في مستنقع الماء يريد قلة خبره لأن الماء الذي لا يوارى
 الدعاص ماء قليل لا غور فيه ومنها

رمى بك في أخراهم تركك الملا وفضل أقوام عليك مراهما

المراهص الدرج يريد فضوا عليه درجات

فَضُّ حديد الأرض ان كنت ساخطا بفيك وأحجار الكلاب الرواهصا
 فلو كنتم نخلا لكنتم جرامة ولو كنتم نبلا لكنتم مشاقصا
 الرواهص المدعمة كلخائط أى المائلة كالبناء والجرامة مصدر جَرَمَ النخل صرمه
 كقطعه والمشقص سهم فيه نصل يرمى به الوحش وهو كالنبيل ولكن النبيل أجود منه
 ولما انصرفا من عندهم بن قطبة وكانا قسما كما اليه فلم يفضل أحدهما على الآخر
 بل قال لها أنكا كُرُكْتِي البعير الفحل تقمان على الأرض معا فليس منكما واحد
 الا وفيه ما ليس في غيره وكلا كما سيد كريم قال الاعشى يحكم لمامر على علقمة
 علمم ما أنت الى عامر الناقض الأوتار والواتر

والفارس الخليل بخيل اذا نار غبارُ الكَبَّةِ الثائر
 سدت بني الاحوص لم تعلمهم وعامرٌ ساد بني عامر
 الكَبَّةُ الصرغةُ كما كبه لازمٌ مُتَعَدَّةٌ وبنو الاحوص عوف وعمر وشرح أولاد
 الاحوص بن جعفر واسمه ربيعة ويقال لهم الاحوص وقوله وعامر ساد بني
 عامر الاول عامر بن الطفيل والثاني اسم يسمي به الحلي والمراد ساد على الحلي كله

ان التي فيه تماريتنا بين السامع والناظر
 حكمتوره قضى بينكم أبلغ مثل القمر الباهر
 لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر
 فأعجب الدهر متى سويًا كم ضاحك من ذا ومن ساخر
 فاقن حياء أنت ضيعته مالك بعد الشيب من عاذر
 ولست بالاكتر منهم حصى وإنما العزة للكار
 أقول لما جاءني نغره سبحان من عاقمة الفاخر
 علم لا تسفه ولا تجعلن عرضك للوارد والصادر
 قد قلت قولاً قضى بينكم واعترف المنفور للنافر

وكان يقال أن من مدحه الاعشى رفعه ومن هجاه وضعه ولذلك كان يتقى لسانه
 ومن شعره في الغزل قوله يشب بهريرة

كان ميثيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل
 تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

العشرق كزبرج شجر من المصاه لونه ساقه أبيض وورقه أخضر وله شوك أسفله
 منتفخ أجوف مثقوب في ضلعه ورأسه حاد اذا هفت به الريح سمع له صوت
 كالصفيير رأيت بهيني في أسفاري بالسودان فوصفته بهذا الوصف شبه به وسواس
 الحلي وهو تشبيه من تشابه أهل البادية

ولا تراها لهرّ الجمل تختل
إذا قوم إلى بلادها الكسل
والزنبق الورود من أودانها شمل

خضراء جلد عليها عسيل حقل
مؤزرٌ بسم الثبّت مكتمل
ولا بأحسن منها أذنا الأصل

للجنّ بالليل من حلقها زجل

في مرقّيتها إذا استعرضتها قتل

الطلاق ككتاب نسبة إلى ابل معلومة عندهم يقال ابل ملاحية والجريرة والشرح
الظليمة من الابل والسريمة يريد أنه قطع بها موحشا بناقته هذه الموصوفة

وقد يصاحبني ذوالشرة الغزل

شاو ميشل شاول شلشل شول

معنى البيت الأخير أن صاحبه رجل خفيف الحركة سريع في قضاء الحاجة حسن

الصحبة طيب النفس وبهذا البيت سمى شلشل كما سمى مسلم بن الوليد ساسل لقوله

فأني سليل سليلها مساولا

قلاقل عيش كاهن قلاقل

ان ليس يدفع عن ذي الخيلة الخيل
وقهوة مزة راووقها خصيل

ليست كمن يكره الجيران طلمتها

يكاد يصرعها لولا يشدّها

إذا قوم يضيح المسك آونة

الزنبق دهن اللياسين أو هو الورود

ما روضة من رياض الحزن مشبة

يضاطك الشمس منها كوكب شرق

يوما بأطيب منها نشر راحة

وهي طويلة إلى أن قال

وبلابة مثل ظهر الترس موحشة

جلوزتها بطليح جصرة شرح

الطلاح ككتاب نسبة إلى ابل معلومة عندهم

وقد أقود الصبا يوما فيتبعني

وقد غدت إلى الطاتوت بغيري

سلت وسلت ثم سل سليلها

وكما سمى المتنبي قلقل لقوله

قلقت بلهم التي قلقت الحشا

ثم قال

في فتية كسيوف المند قد علموا

لزعهم قضب الرئحان متكيا

لا يستفيقون منها وهي راهنة
يسمى بها ذو زجاجات له نطف
ومستجيب نخال الصنح تسمعه
والساحبات ذبول الريط آونة
الى ان قال مفتخرًا ومتوعدًا

انى لعمر الذى خطت مناسها تخدى وسيق اليه الباقر الغيل

الباقر جماعة البقر مع رعائها والغيل جمع غيلة السمينة

لئن قتلتم عبيدًا لم يكن صددا
لنقتلن مثله منكم فتمثل
تمثل تماثل أى تساوى

وان منيت بنا فى ظل معركة
نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية
لا تُلَفِنَا من دماء القوم تنتقل
جنبي فطيمة لا ميل ولا عزل
الحنو وجنبي فطيمة مواضع ولا ميل ولا عزل أى لسان منحرفين ولا عزل من السلاح
ومن مدحه الأشعث بن قيس قوله من قصيدة وفيها نحر

وغريبة تانى الملوك حكيمة
وجزور أيسار دعوت بحتفها
قد قلتها ليقال من ذا قلها
ونياط مقفرة أخاف ظلالها
بهما موحشة رفعت لعرضا
طرفي لأقدير بينها أميالها

جزور أيسار هى التى كانوا يتقارون عليها ونياط مقفرة المفازة التى بعد طريقها
كانها نيطت بمفازة أخرى

بجلالة سرح كأن بفرزها
فركتها بعد المراح وزية
هرا اذا ارتفع المطى طلالها
وأمنت عند ركوبها استعجالها

الجلالة الناقة الثنية الى أن تبدل والسرح سبق شرحها والفرز ركاب من جلد
توضع فيه الرجل شبه حنثها بالرجل بهر نشبت أظفارها فيها بهماز فاسرعت السبر

ولما تخلص الى المدح قال

ولقد نزلت بخير من وطىء الثرى قيس فأنبت نعلها وقبالتها
ما النيلُ أصبح زائرا في مده جاءت له ريح الصبا فخرى لها
زيدا بمصر فهو يسقى أرضها وغدا يفجره النبيط خلاها
يوما بأجود نائلا منه اذا نفس البخيل نجمت سواها
الواهب المائة المهجان وعبدتها عوداً تزجى تحتها أطفالها
والقارح الأحمى وكل طيرة ما إن تنال يد الطويل قدأها

المهجان من الابل البيض والعود بالضم الخديشات النتاج والقارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل والطيرة الفرس الجواد يصفه بالجود أى ينهب الابل والتليل

وسعى لكندة غير سعى مواكل قيس قصر عدوها ونبالها
وأهان صالح ماله لضعيفها وأما وأصلح بينها وسعي لها

وفى هذه القصيدة يقول

وسبيته مما تُعتق بابل كدم الدبيح سلبتها جريالها

النسيئة الخمر وكانت العرب تمدح بشرب الخمر وتصفها بالحرة فسل عن قوله سلبتها جريالها فقال شربتها حمراء وبلتها بيضاء فبقى حسن لونها فى بدنى وذكر صاحب كتاب الحماسة ان كثيراً لما أنشد عبد الملك بن مروان قوله فيه

على ابن أبي العاصى دلاص حصينة أجاد المُستدي نسجها وأذا لها

قال له أحسن من قولك قول الأعشى لقيس بن مُمدى كرب

وإذا نجى كتيبة ملبومة خرماً يخشى الزائدون نهالها

كنت المُقدم غير لا بس جنة بالسيف تضرب مهلاً أبطالها

قال كثير يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ووصف الأعشى صاحبه بالخرق واجيب عن ذلك أن المبالغة فى الشعر أحسن من الاقتصاد والأعشى أعطي

المبالغة فهو أمدح وقال من قصيدة اخري وهي مما تدل على أن العطلاق كان عنده
العرب في الجاهلية ثلاثا

أيا جارتى بينى فانك طالقه كذلك أمور الناس غاد وطارقه
وينى فان البين خير من العصا والأتري لى فوق رأسك بارقه
وما ذاك من جرم عظيم جنيته ولا أن تكونى جنت فينا بياقه
باقه أي بامر باطل أو بداهية مكروهة وينى حصان الفرج غير ذميته
ومومقة ومومقة فينا كذلك ومومقة ومومقة ومومقة ومومقة ومومقة

وذوقى قى قوم قلى ذائق فنت اناس مثل ماأنت ذاتمه
فكيف وقى أبناء قومى منكح وفتيان هزان الطوال الفراقه
ذلك لأنه كرر بينى فى ثلاثة أبيات كما ترى ومن قوله فى وصف الخمر ويقال
انه كان يجيد وصفها فى الجاهليين كما يجيد الحسن بن هاتى المشهور بابى نواس
الحكى وصفها فى الاسلاميين

وكس كمين الديك با كرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تُضربُ
سلاف كأن الزعفرانَ وعندمأ يُصقُّ فى نالجودها ثم يُقَطَّبُ
أصقَّ القدح ، لأها والأسم الصقُّ والناجود إناء الخمر ويُقَطَّبُ بمزجُ وقوله
سلاف السلاف عصير العنب

لها أرج فى البيت عال كأنه ألم به من بحر دارين أركب
الارج توهج ربح الطيب ودارين موضع بالبحرين يُجَلَّبُ منه المسك الدارى وبعضهم
يروى عنه الايات لعنرة وبعضهم لغيره وقال أيضا

وشول نحسب العين اذا صفتت وردتها نوز الذئب

الشول الخمر والذئب قيل ضرب من السكأة وقيل نبت آخر

ظنن رطك من رحمة كشف الضيقة عنا وفسح
 قري القوم نشاوى كلهم مثل نامدت فصاحات الربح
 كل وضاح كريم جده وخفول الرجل من غير كسح

نصاحات الربح جلود الحيوانات المذبوحة التي تعرض للبيع يصف انهم مطروحون
 على الأرض كالجلود من شدة السكر وقال

ان الأحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بها قديما مولما
 لظهر والدمع السمين وأطلى بالزعفران فلن أزال مولما

ولما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم قصده الأعشى وكان قد اعد له منحة يمسح
 بها يقول فيها

ألم تقمض هيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهما
 السليم هنا بمعنى المذبوح

ولكن أرى الدهر الذي هو خائن اذا اصلحت كفاى عاد فافسدا
 كهولا وشبانا قدمت وثروة فله هذا الدهر كيف ترددا
 وما زلت ابني المال مذ انا يافع وليدا وكلا حين شبت وأمردا
 وأبتذل العيس المراقيل تغتلى مسافة ما بين النجير فصرخدا
 الا أيهذا السائلى ابن يمت فان لها في أهل يترب موعدا

وفيهما يقول لناقته

فأليت لا أرى لها من كلاله ولا من حفي حتى تزور محمدا
 نبى يرى مالا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وانجدا

في عجز هذا البيت اختلاف في اللفظ فالبرد يقول انه ينشد هكذا

نبى يرى مالا ترون وذكره لعمري غار في البلاد وانجدا

من قولهم غار الرجل اذا اتى النور وناحيته مما انخفض عن الأرض وانجدا اذا

أتى نجداً وناحية مما ارتفع عن الأرض ولا يقال أغار لأنها من الغارة وقال ابن نباتة السعدي حكي الفراء واحدة أغار في معنى غار إذا أتى الغور وإذا صح هذا فلم يُرد الأعرشي الأضد إلا نجد والأصعي روايتان أحدهما أن أغار في معنى عدا عدواً شديداً والأخرى أنه كان يقدم ويؤخر فيقول لمعري أغار في البلاد وأنجداً فيأتي به على زحاف القبض^(١) وكان ابن مسعدة يقول غار لمعري فيأتي به على استعمال الخرم^(٢) في النصف الثاني ثم قال

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقي	ولا قيئت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كئله	قرصد للأمر الذي كان أرسدا
فايتك والميتات لا تقرّبنا	ولا تأخذن سهماً حديداً لتقصدا
وذا النصب المنسوب لا تنسكته	ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقرّبن حرّةً كان ميرها	عليك حراماً فانكحرن أو تأبدا

تأبداً يعني إذا لم تستطع التكاح المشروع فترك النساء وعيش أعزباً خيراً من الزنا
وذا الرّحم القرّبي فلا تقطعنه
وسبّح على حين المشيات والضحى
ولا تسخرن من بئس ذى ضرارة
ولا تحسبن المال للمرء مخلداً

فبلغ خبره قريشاً وكانوا في هدنة من القتال فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب ما مدح أحد قط إلا رفع قدراً فلما ورد عليهم قالوا له أين أردت أبا بصير قال أردت صاحبكم هذا لأسلم قالوا إنه ينهك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رفق^(١) ولك موافق قال وما هنّ قتال أبو سفيان بن حرب

(١) الزحاف سقوط حرف من بين حرفين في الشعر فيندف أحدهما على الآخر

(٢) الخرم ذهاب الفاء من فعولن من أوزان الشعر أو الميم من مفاعلتن وهذا

كثير في شعر العرب

الزنا قال لقد تركني وما تركته ثم ماذا قال الربا قال مادنت ولا ادنت ثم ماذا قال القمار قال لملي إن لميته أصبت منه عوضاً ثم ماذا قال الخمر قال أوة أرجع إلى صباية قد بقيت عندي في المهراس فأشربها فقال له أبو سفيان هل لك في خير مما هممت به قال وما هو قال نحن وهو الآن في هذنة فتأخذ مائة من الابل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنتظر ما يصير إليه أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً وان ظهر علينا أتيتة قال ما أكره ذلك فقال أبو سفيان يا معشر قريش هذا الاعشى والله لن أتى محمداً واتبعه ليعض من عليكم نيران العرب بشعره فاجموا له مائة من الابل فمضوا فأخذها وانطلق إلى بلده فلما كان بقاع منفوحة رمى به ببيره فقتله ومنفوحة هذه بلحاء المهملة منزل الاعشى وبها قبره وهي التي يقول فيها

(فشط منفوحة فلحاجر)

وللأعشى أخبار كثيرة وشعر كثير ويستشهد به صاحب الصحاح في العربية لبلاغته وغريبه ومات في سنة سبع من الهجرة ومراد ابن زيدون إني مع علمي بان الخروج من الوطن أمر لي والانتقال منه نكالٌ والتغرّب ذلٌ يرى المرء ظلم المظلومين يُجرّونَ جرّاً ويسحبون على وجوههم سحبا والغريب تدفن أعماله الصالحة أي تطوى محاسنه المنشورة كما تظهر سيئاته المطوية ظهور النار في رأس كبكب وأراد بككب جبل بعرفت خلف الامام اذا صلى وخبر أن يأتي بعد

(المتن) عارفٌ بأنّ الأدبَ الوطنَ لا يُخشى فرأفه والخليط لا يتوقع زياله والنسيب لا يجقى والجمال لا يجفى

(الشرح) هذه الجملة خبر إن في قوله وإني مع المعرفة بأن الجلاء سبب الخ والأدب أدب النفس والدرس والوطن منزل الإقامة والمأوي والفراق من الفرقة وهو الانفصال تقول فرقت بين الشيء فرقا من باب قتل فصلت أبعاضه قال في المصباح عن ابن الاعرابي فرقت مخففا في المعاني وفرقت مشددا في الأعيان

والذى حكاها غيره انها بمعنى والتثقيب مبالغة والتخليط المخالط كالنديم المتادم وزيل المفارقة مصدر زال عنه وأنزال اي فارق والنسيب المنتسب اليك والجفاء الهجر والجمال الحسن لو رفته وانجفاء ضد الظهور وحاصل المعنى ومع على ايضا بما يصير اليه المرء من الاسر والعذاب اذا تغرب عن وطنه ونزح عن داره عارف بأن الأدب هو وطنى الحقيقى الملائم لى وهو لتخليط الذى لا يفارقى والنسيب الذى لا يجفونى والجمال الذى يزيتى فأنا منه فى وطن أشد ملازمة لى من وطنى الذى نشأت فيه وربيت فى أحضانه . وأراد بذلك أنه لا يخشى الغربة ولا يبالى بأهلها وشدها طالما هو متحلٍ بحلية الأدب متصف بوصفه فأينا حلّ وسار يجد أهلا بأهل واخوانا بأخوان . وهذا كما قيل مثل رجل عن نسبه فقال نسبي أدبى

(المتن) ثم ما قرآن السعد للكواكب أبهى أثرًا ولا أسنى خطرًا من
اقرآن غنى النفس به وانتظامها نسقًا معه

الشرح ثم من حروف العطف وما نافية وكواكب السعد يراد بها سعد النجوم وهى عشرة أربعة منها فى برج الجدى والدنو ينزلها القمر وهى سعد الذابج وسعد بلع وسعد الأخبية وسعد السعود وهو كوكب منفرد نبرًا واما الستة التى ليست من المنازل فسعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد البارح وسعد مطر وسعد الهمام وهى التى أرادها المؤلف اذ كل سعد من هذه الستة كوكبان بين كل كوكبين فى رأى العين قدر ذراع وهى متناسقة أى منتظمة ولذلك يقال لكل اثنين اجتماعا اقرنا وفى المثل قرن الحرمان بلحيا وقرنت الخيبة بالهيبه وأبهى أفضل تفضيل من البهائم وهو الحسن والأثر الخير وأسنى من السناء وهو الرفعة والخطر الشرف وغنى النفس عفاها وترفعها عما يشينها والضمير فى به يعود الى الأدب والانتظام والاتساق بمعنى يقول بل ليس قران السعد للكواكب فى السماء أحسن منظرا وأشرف محلا من اجتماع الأدب بغنى النفس وانتظامهما معا يريد

ان اقران الأدب بنى للنفس أحسن وأشرف من اقران السيد لالكواكب وانما
اضرب عن كلامه الأول في الأدب من غير اجلال له ليدكره ثانياً مقروناً بنى
النفس ليكون احسن واكمل من الأدب وحده وعني بملك نفسه فكانه يقول
انني مع أدبي غني النفس ومن كان كذلك فهو لا يبالى بالقرية أخذ معنى قران السعد
لاكواكب من قول البستي الشاعر

وَأْتَمُّ الْأَشْيَاءَ نُورًا وَحَسَنًا بِكْرِ شُكْرِ زُقَّتْ إِلَى صِهْرِي
مَا قَرَّانَ السَّعْدَيْنِ فِي الْجَوْأَيْهِ مَنْظَرًا مِنْ قِرَانِ بَرٍّ وَشُكْرِ
وله غيره في هذا المعنى قوله

يَارَاغِبًا فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَمَتِيًّا بِعَقْلِيَةِ الْقَدْرِ
قَيْدِ بَيْرِكِ شُكْرِي أَمَلٍ فَالْبِرِّ قَيْدُ أَوَائِدِ الشُّكْرِ

وقوله أيضاً

أَيُّهَا الْخَاطِبُونَ شُكْرًا كَرِيمًا أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ مَهْرٍ شُكْرِ كَرِيمٍ
قَدِمُوا الْبِرَّ تَسْتَفِيدُوا مِنَ الشُّكْرِ كَفَاءً لِذَلِكَ التَّقْدِيمِ
أَوْ لَمْ تَبْصُرُوا الْأَرْضَ تُسْقَى ثُمَّ تَهْتَزُّ بِالنَّبَاتِ الْعِصِيمِ
وقوله أيضاً بشكر من برٍّ إليه

لَنْ عَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ قُوَّتِي فَأَقْوَى الْوَدَى عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ عُلْجِي
فَلَنْ تَلَأَى وَاعْتِقَادِي وَطَلْعِي لِأَفْلَاكَ مَا أَوْلَيْتَنِيهِ مَرَاكِزِي
ذكر البستي الشاعر ومضى أخباره

البستي نسبة إلى بلده بست بضم الباء وسكون السين وهي مدينة من بلاد
كابل بين هراة وغزنة كثيرة الأشجار والأثمار ويكنى أبا الفتح واسمه علي
ابن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز وكان أول أمره كاتباً لملك
تلك الناحية واسمه أبو نور فلما غزاها أبو منصور سبكتكين وفتحها تعلق بالبستي

بخدمته فاعتمد عليه في أموره وأسر إليه بأحواله ثم أن الأمير سبكتكين ذهب
إلى بلخ من طوس فرض بها واشتاق إلى غزوة نخرج إليها في تلك الحال فأت في
الطريق قبل وصوله فرثاه أبو الفتح بقوله

قلت اذمات ناصر الدين والدو له حياة ربّه بالكرامه
وتداعت جموعه بأفراق هكذا هكذا تكون القيامه

وهو صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيب البديع التأسيس وديوان شعره
ديوان نفيس وله من الحكم المنشورة الشيء الجيد فمن شعره في التجنيس قوله

ان هزّ أقلامه يوماً ليعملها أنساك كل كمي هزّ عامله
وان أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بلرقّ كتاب الانام له

وقو أيضاً

إلى حنفي مشي قدمي أرى قدمي أراق دمي
فلم أنفك من نسيم وليس بناهي ندمي

وقوله أيضاً

وقد يلبس المرء خزّ الثياب ومن دونها حله مضنيه
كمن يكتسى خده حرة وعيلتها ودم في الريه
أراد الرثة مهوزا وقوله

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم بما تحدثت من ماض ومن آت
فلا تمدّ لحديث إن طبعهم موكل بمعادت المعادات

وقوله أيضاً

نحمل أخاك على ما به فما في استقامته مطمع
واني له خلق واحد وفيه طبائمه الأربع

يريد بالطبائع الأربع التراب والماء والهواء والنار ومن محاسن ما قرأته لغيره من

الجناس اللفظي والشيء بالشيء يذكر قول الشاعر ولا أدري من هو

رَمَى حَرًّا قَلْبِي بِأَجْفَانِهِ	رشا ما دري قدر ما قدر ي
وَأَضْرَمَ نَارَ الْأَمْنَى فِي الْحَشَا	ولم يشتك ضر ما ضر ما
وَسَلَّمَ قَلْبِي إِلَى ضِدِّهِ	فباليته سل ما سلما
وَقَدْ كَانَ قَدَمٌ إِحْسَانَهُ	ولكنه قد ما قدما
وَقَدْ هَدَى بِنِيَانِ صَبْرِي بِهِ	وما واحد هد ما هدا
وَحَرَّمَ مَا حَلَّ مِنْ وَصْلِهِ	وفي مهجتي حر ما حرما
وَقَدْ عَزَّ مِنْ أَحَبِّ الْوَقَا	وما واحد عز ما عزما
عَجِبْتُ لَنَيْضِ دَمُوعِي بِهِ	اذا ما جرى أوهمي أوهما
فَسَلَّمْتُ أَمْرِي بِهِ لِلْقَضَا	وحزت به أجر ما أجرا
وَقَدْ رَقِمَ الْحَسَنَ فِي خَدِّهِ	فله قد رق ما رقما

ومن الحكيم المأثورة له قوله من أصلح قاسده أرغم حاسده من أطاع غضبه أضع أدبه عادات السادات سادات العادات من سعادة جدك وقوفك عند جدك الرشوة رشاء الحاجات أجهل الناس من كان للاخوان مديلاً وعلى السلطان مديلاً الفهم شعاع العقل المنية تضحك من الأمنية حد العفاف الرضا بالكفاف ما تحرق

الرقيع من ترقيع وقال وقد تغير عليه السلطان مرة شعر

قَلِّ لِلْأَمِيرِ أَدَامَ رَبِّي عِزَّهُ	وأنا له من فضله مكنونه
إِنِّي جَنَيْتُ وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ النَّهْيِ	يهبون للخدام ما يجنونه
وَلَقَدْ جَمَعْتُ مِنَ الْعَيُوبِ فَنُونَهَا	فاجمع من العفو الكريم فنونه

وقال أيضاً

إِذَا أَحْسَسْتَ فِي لَفْظِي فَنُورًا	وحفظي والبلاغة والبيان
فَلَا تَرْتَبْ بِنَهْيِي إِنْ لَفْظِي	على مقدار امتاع الزمان

هذا ما وقفت عليه من أخباره وفيها الكفاية وتوفى رحمه الله في سنة اربعمائة وقيل

احدى واربعماية بيخاراء انتهى

(المن) فَاِنَّ الْحَائِزِ لهُمَا الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) أَيِنَمَا
تَوَجَّهَ وَرَدَ مِنْهُلِ بَرٍّ وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولِ وَضُوحِكَ قَبْلَ أَنْزَالِ رَحْلِهِ
وَأَعْطَى حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ

وَقِيلَ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرَجَبًا • فَمَهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ

(الشرح) الضمير في لهما وفيها يعود الى الادب وغني النفس في الجملة
السابقة والحائز من الحوز والحيازة وهو ضم الشيء وجمعه والضارب بسهم المقترع
والسهم النصيب وقليل ما هم جملة معترضة وما زائدة أي وقليل هم وأينا بمعنى
أين وهي اسم شرط كفي وما زائدة أيضا وجواب الشرط قوله ورد منهل بر الى
آخر الجملة وورد ضد صدر أي بلغ والمنهل مورد الماء والبر الاتساع في
الاحسان والحط النزول والجناب والجانب بمعنى أي ما امتد من جوانب البيت
وقوله ضوحك بالبناء للمجهول . الضحك هنا بمعنى البشاشة في وجه الضيف اذا
نزل للقري وهذا أخذه من قول حاتم الطائي

اضاحك ضيفي قبل أنزال رحله وَيَنْخِصِبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيدٌ

وَمَا انْخِصِبُ لِلأضيافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرِيُّ وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

وقد ذكرنا أخباره فيما مضى وقوله وأعطى حكم الصبي على أهله اخذه من قول
أبي سفيان صخر بن حرب قتل المبرد في الكامل كان مما يقول أبو سفيان لجاره
يا هذا انك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجنابة يدك على وان جنت
عليك يد فلحتمكم حكم الصبي على أهله قالوا وذلك لأن الصبي له تحكم على أهله
قد يطلب منهم ما لا ينال البتة حتى يطلب القمر ويرى في أهله القدرة على جلبه

قال الشاعر

ولا يحكما حكم الصبي فانه كثير على ظهر الطريق مجاهله

وقوله قيل له أهلا وسهلا ومرحبا البيت أصل الأهل المشيرة والقراة والسهل كل شيء الى الذين ومرحبا من الرحب بالضم أى السعة وهذه الكلمات تقولها العرب تحية للزائر ومنها ما صادفت أهلا لا غرباء ولينا لا خشونة وسعة لا ضيقا وباقى

معنى البيت ظاهر وهو لعمر بن الاثم التميمي المذقري من قصيدة مطلعها

الا طرقت أسماء وهي طروق	وبانت على ان الخيال يشوق
بجاجة محزون كأن فؤاده	جناح وهي عظامه فهو حقوق
وهان على أسماء ان شطت النوى	يحن اليها واله ويتسوق
ذري ذري فان البخل يا أم هيثم	لصالح اخلاق الرجال مروق
ذري وحطى في هواى فانى	على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
وانى كريم ذو عيال تهنى	نوائب يغشى رزوها وحقوق
ومستنج بعد الهدو دعوة	وقد حان من نجم السماء خقوق
يعالج عريننا من الليل باردا	تلف رياح ثوبه ويروق
فألق عين من المزن وادق	له هيدب دائى السحاب دقوق
أضفت فلم أخش عليه ولم أقل	لأحره ان المكان مضيق
قلت له أهلا وسهلا ومرحبا	فهذا صبيوح راهن وصديق

وابن زيدون استبدل القافية بنيرها وحفظ المعنى قريبا

ذكر عمر بن الأثم وشي من اخباره

هو عمرو بن الاثم واسم الاثم سنان بن سنان بن خالد بن منقر ابن عبيد بن مقاعس واسمه الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن نعيم المنقري وقيل الاثم بن سنان بن خالد بن سنى وانما قيل له الاثم لأن قيس بن عاصم ضربه بقوس فتم فاه وكان السبب في ذلك أن قيسا كان رئيس

بنى سعد بن زيد مائة بن تميم يوم الكلاب فوق بينه وبين الأهمم اختلاف في امر عبد يثوث بن وقاص بن صلاء الحارثي حين اسره عصمة التميمي فرفعه الى الأهمم فضربه قيس فهتم فاه . وَيُكْنَى أَبُو رَبِيعٍ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَوَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْمُهْجَرَةِ فِيهِمُ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَغَيْرُهُمَا فَاسْلَمُوا فَفَخَّرَ الزَّبْرَقَانُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَالْمَجَابِ فِيهِمْ أَخَذْتُمْ بِمَقْوَمِهِمْ وَأَمْنَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَهَذَا يَعْلَمُ ذَلِكَ يَعْنِي عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ قَالَ عَمْرُو أَنَّهُ لِشَدِيدِ الْعَارِضَةِ مَانِعٌ لِحَانِبِهِ مَطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ فَقَالَ الزَّبْرَقَانُ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا الْحَسَدَ قَالَ عَمْرُو أَنَا أَحْسَدُكَ فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لِلتَّمِيمِ الْخَالِ حَدِيثُ الْمَالِ أَحْمَقُ الْوَلَدِ مَبْغُضٌ فِي الْعَشِيرَةِ وَقِيلَ قَالَ لَهُ إِنَّكَ زَمَنُ (١) الْمَرْوَةِ أَحْمَقُ الْأَبِ لِلتَّمِيمِ الْخَالِ ضَيْقُ الْعَطَنِ (٢) حَدِيثُ الْغَنِيِّ فَتَغْيِيرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَخْتِلَافِ قَوْلِهِ فِيهِ فَقَالَ لَا تَغْضَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ فِيهِ أَحْسَنُ مَا عَلِمْتُ لَمَّا رَضَيْتَ وَقُلْتَ فِيهِ أَقْبَحُ مَا عَلِمْتُ لَمَّا غَضِبْتَ وَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى وَلَقَدْ صَدَقْتَ فِي الثَّانِيَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا وَقِيلَ إِنْ الْوَفْدَ كَانُوا سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ فِيهِمُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَهُمْ الَّذِينَ نَادُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرَاتِ فَتَزَلَّ فِيهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرَاتِ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَخَبَرَهُمْ طَوِيلٌ أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِيمَا مَضَى مِنْ أَخْبَارِ حَسَنَانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ بَقُوا بِالْمَدِينَةِ مَبْدَأً يَتَعَلَّمُونَ الْقِرَاءَةَ وَالدِّينَ ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَعْطَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَسَاهَهُمْ وَقِيلَ إِنْ عَمْرًا كَانَ غَلَامًا فَلَمَّا أَعْطَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَمَا بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ فِي رُكَابِهِمْ

(١) الزمن المريض وأراد أنه ضعيف المروءة (٢) ضيق العطن أى سىء

قال قيس بن عاصم وكلاهما منقربان بينهما مشاحنة لم يبق منا أحد الا غلاما
حدث في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم
فبلغ عمرا قول قيس فغضب فقال فيه

ظلت ممرش العلياء تشمني عند النبي فلم تصدق ولم تصب
ان تُبغضونا فان الروم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب
فان سؤددنا عودٌ وسؤددكم مؤخرٌ عند أصل العجب والذنب

وكان عمرو ممن اتبع سجاح التي ادعت النبوة ثم اسلم وحسن اسلامه وكان خطيبا
أديبا يدعى المكحل لجماله وشاعرا بليغا محسنا يقال أن شعره حلل منتشرة وكان
شريفاً في قومه ومن ولده خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو الأهم المشهور
ومن شعر الأهم قوله من تمام القصيدة التي ذكرنا شيئاً منها فيما سبق

وقمتُ الى البرك الهواجد فاقت مقاهد كوم كالمجادل روق
بأدماء مرباع النتاج كأنها اذا عرضت دون المشار فتيق
بضربة ساق أو بنجلاء ثرة لها من أمام المنكبين فتيق
وقام اليها الجازران فأوقدا يُظيران عنها الجلد وهي تفوق
فَجَرُوا اليها ضرعها وسنامها وأزهر يجبو للقيام عتيق

الي أن قال

وكل كريم يتقى الدم بالقرى وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن اخلاق الرجال تضيق

ومن قوله من قصيدة أخرى

أجيدك لا تلم ولا تزور وقد بانث برهنكم الخدور
كأن على الجمال فجاج كوانس حسراً عنها الستور
وأبكار نواعم الحظني من جلالة أجده عسير

لقد أوصيتُ ربيُّ بن عمرو
بأن لا تفسدن ما قد سعيْنَا
وجارى لا تهيننه وضيئي
إلى أن قال:

ولو أني أشاء كنت جسي
ولا عيني على الأنماط لست
ولكني إلى تركت قوم
سئي والأشدُّ فشرُّ فاني
وغاد أني شواء أوقدير
عليهن المجاسدُ والحريز
هم الرؤساء والنبلُ البحور
وجدى الأهمُّ الموفِّي المجير

ووفد هو والأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقرع بينهما في
الرئاسة على نبي نعيم فسقط الأحنف ووقعت القرعة لآل الأهم فقال عمرو في ذلك

ولما دعيتي للرئاسة معشر
شددت لها أزرى وقد كنت قبلها
لدى مجلس أضحى به النجم باديا
لامثالها قدما أشدُّ إزاريا

وهو معدود في الصحابة ومن فضائله المأثورة أنه ممن حرم الخمر في الجاهلية فلم
يشربها وقال عجبا لمن يشتري الحق بماله فيدخله في رأسه فيبقى في جيبه ويسلح
في ذيله وقد اكتفينا من أخباره بما قلناه خوف الاطالة ومات في سنة سبع
 وخمسين هجرية انتهى ومعنى كلام ابن زيدون إن من حاز نصيبا من الأدب
المقرون بنى النفس (وهذا في الناس قليل) متى أمَّ بلدًا أو قصد مكانا قتل به نال
من أهله خيرا وفضلا فرحبوا به وأظهروا البشر والسرور له قبل أن يحط رحاله
وحكموه في برهم ومعروفهم تحكم الصبي على أهله وأراد بهذا الوصف نفسه في معرض
المدح لها أي أن من كان مثله في الأدب وغنى النفس كان محترما معظما يناحل ومار
(التمن) غير أن الوطن محبوب والمنشأ مألوف واللبيب يمن إلى وطنه حين
النجيب إلى عطيه والكريم لا يجفؤ أرضا فيها قوايله ولا ينسى بلدا

(الشرح) الوطن معلوم والمنشأ المرئي واللييب العاقل والنجيب الفحل الكريم من الابل ويقال للناقة نجيب ونجيبة بالتذكير والتأنيث والجمع نجائب والعطن مبارك الابل حول الحوض والجمع أعطان والكريم الرجل السخي من الناس وضده التيم والجفاء المجر والقوايل جمع قابلة وهي التي تتلقى المولود عند ولادته وقوله واللييب يمن الي وطنه الخ أخذه من قول بعض الاعراب لا تيمف أرضا فيها قول بلّك ولا تسكّ بلادا فيها قبالك ومن قول الآخر يمن اللييب الي وطنه حين النجيب الي عيظنه وقد أكثر الناس في حب الوطن واقتنارهم بالمحال قال الجلمظ إنا وجدنا الناس بأوطانهم اقتنح منهم بأرزاقهم وتري الأعراب تمن الي البلاد الجلب والمحل القفر وتستوخم الريف وتري الحضرى يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب فاذا وقع ببلاد أريف من بلاده وجناب أخصب من جنابه واستفاد غنى حن الي وطنه ومستقره وكان يقال لولا حب الناس الأوطان لخربت البلدان وقال بعضهم لا تنهض عن وكرك فتنفصك الغربية وتضيمك الوحدة وكانت العرب اذا غزيت جعلت معها من ثربة بلادها رملا وعفرا تسنشق به عند نزلة أو زكام وقيل لبعض الاعراب ما اللغبطة عندكم قال الكفاية مع لزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان قيل فما الذلّة قال التتقل في البلدان والتنحى عن الأوطان وأنشد

طلبُ المعاش مفرق بين الاحبة والوطن
ومضير جلد الرجا ل الى الضراعة والوهن
حتى يُقاد كما يقا د النضوي ثنى الرسن

وقال الحكماء اكرم الخليل أجزعها من السوط وأكيس الصبيان ابغضهم
للكتاب وأكرم الصفايا أشدها ولها الي أولادها وأكرم الابل أشدها حيناً

الى اوطانها وأكرم المهاري أشدها ملازمة لأهاتها وخير الناس آلهم للناس
وقال آخر من أمانة العاقل بره لاخوانه وحنينه الى اوطانه قالوا ومن العرب من
يعد شريفا في نفسه وفاخرا في حسبه ومن العجم من يري أطيب عنصرا وأنفس
جوهرا هم الأشد حنينا الى اوطانهم وفزاعا الى ثرتهم وقال في حياة الحيوان
له ان الحمام يحن الى وطنه ولا ينساه مهما بعد عنه وتغرب في بلاد أخرى وربما
باعه صاحبه فيقصه المبتاع حينما هو إلا أن يجيد في جناحه قوة على النهوض
أناه جادفا أو غير جادف وربما فعل به ذلك مرارا فلا يزداد إلا وفاة للعود اليه وما ذلك
الحنينه الى عشه التي درج منه والى وكره الذي تربى فيه وليس ذلك فيه فقط بل
كل قواطع الطير والسباع اذا قطعت رجعت الى بلادها وجبالها واكوارها
وغياضها وأعشاشها لا تخطئ في مواقعها ثم لا يكون اهتداؤها على تمرين وتعليم وقد
ساوى الله عز وجل بين حب الوطن وقتل النفس فقال تعالى (ولو أننا كتبتنا
أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل) وقال تعالى
(وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) على أن
بعضهم يندم السكون ويؤثر الغربة على لزوم الوطن . قيل لأعشى بنى بكر
الى كم هذه النجعة والاغتراب أما ترضى بالخفض والدعة قال لو دامت عليكم
الشمس للتموها أخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي فقال

وطول مقام المرء في الحى مخلوق لذيبا جتية فاغترب فتجدد
فأنى رأيت الشمس زببت محبة الى الناس أن ليست عليهم بمرمد

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى

لا يمنعك خفض العيش في دعة من أن تبدل أوطانا بأوطان
تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلا بأهل وإخوانا باخوان

وقال أبو القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات

لَا تَصْبُونَ إِلَىٰ وَطَنٍ فِيهِ تَضَامٌ وَتَمْتَهِنُ
 وَجِبَ الْبِلَادَ فَأَيُّهَا أَرْضُكَ فَاخْتَرِ مَوْطِنَ
 وَدَعِ التَّذَكُّرَ لِلْعَمَاءِ هِدَىٰ وَالْحَنِينَ إِلَى السَّكَنِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ الْحُرَّ فِي أَوْطَانِهِ يَلْقَى الْعَيْنَ
 كَالَّذِي فِي الْأَصْدَافِ يُسْتَنْدِرِي وَيُخَسُّ فِي التَّمَنِ

انتهى قلت والقول ما قال الجاحظ فان حب الوطن من الايمان وان المرء لم ينزح
 عن بلده إلا لطلب المعاش فاذا وجد الكفاية أو ائرى رجح اليها أو اذا مرض
 خارجا تمنى أن يموت فيها وكثيرون ذكروا الوطن عند الموت وأوصوا بدينهم في
 بلادهم فاذا لم ينسوها حين حل الموت فجدير بهم أن لا ينسوها في الحياة انتهى
 ومعنى ابن زيدون انه بعد أن بين عدم خوفه اذا ترك وطنه رجح الى الحنين اليه
 قال إلا أن الوطن محبوب والمرجى مألوف والمائل يمن الى بلده جنين الفحل
 الكريم الى مبركه والكريم النفس بأبي فراق بلد وولد فيه واراضع من الباناه
 (المتن) قَالَ الْأَوَّلُ

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعَجٍ * إِلَىٰ وَمَسَلَمَىٰ أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
 بِلَادٌ بِهَا حَلَّ السُّبَابِ تَمَامِي * وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسْ جِلْدِي تُرَابُهَا

(الشرح) قوله قال الأول يحتمل انه أراد حب الوطن في قوله (غير أن الوطن
 محبوب) وعلى هذا يكون قد غني نفسه متمثلا ويحتمل انه أراد واحد الأوائل
 من قولهم ما تركت الأوائل كلمة لقائل أو ما ترك الأوائل للآخر شيئاً ومنعج واد
 كثير المياه وبينه وبين بلاد بني عامر أكثر من مسيرة شهر وقيل موضع آخر وسلمى
 موضع بنجد أو جبل لطيف وصوب السحاب وقع مطره كناية عن تمنيه انخسب لبلد
 كائن بين ذينك الموضعين (منعج وسلمى) والحل هنا ضد العقد يقال حلت تيمته
 يبلد كذا أزيلت عنه حين يكبر والنميمة خرزة تعلق على الولد يتقى بها العين

قال قيسُ بن الرُّقِيَّاتِ الشاعر

يَتَّقِي أَهْلَهَا الْعِيُونَ عَلَيْهَا فَعَلَى جَيْدِهَا الرَّقَى وَالتَّمِيمُ
 وقد ورد النهي عن لبسها في الحديث الشريف من علق تميمه فلا أتم الله
 عليه والبيتان ذكرهما الجاحظ في رسالته الحنين إلى الأوطان باختلاف قليل وهما
 أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ صَارَةَ إِلَى غَطَفَانَ أَنْ يَصُوبَ مَحَابِهَا
 بِلَادِ بِهَا نَيْطَتْ عَلَى تَمَامِي وَأَوَّلَ أَرْضِ مَسْ جَسْمِي تَرَابِهَا
 وقال أنشدنيهما حماد ابن اسحاق الموصلي وذكرهما المبرد في الكامل وزاد عليها
 بيتا ثالثا وعزاها إلى قول الشاعر ولم يذكره والأبيات بنصها

أَلَمْ تَعْلَمِي يَادَارِ بَلْجَاءِ أَنِّي إِذَا أُجِدْتِ أَوْ كَانَ خَصْبًا جَنَابِهَا
 أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مُشْرِفٍ إِلَى وَسَلَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابِهَا
 بِلَادِ بِهَا عَقَّ الشَّبَابِ تَمَامِي وَأَوَّلَ أَرْضِ مَسْ جَلْدِي تَرَابِهَا
 ومراد ابن زيون أنني أحب بلدي وأتمني له الخير والنعيم فقد خلعت فيه لباس
 الصِّبَا وَلَبِستُ بَرْدَ الشَّبَابِ وَيَشُقُّ عَلَيَّ فِرَاقَهُ

(المتن) هَذَا إِلَى مُعَالَاتِي بِعَقْدِ جَوَارِكِ وَمُنَاقَسَتِي بِلِحْظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ
 وَاعْتِقَادِي أَنَّ الطَّمَعَ فِي غَيْرِكَ طَبِيعٌ وَالغِنَا مِنْ سِوَاكَ عَنَا وَالْبَدَلَ
 أَعُورٌ وَالْعَوَضَ لَفَا

(الشرح) هذا مركبة من حرف واسم فالهاء للتنبيه وذا اسم إشارة وهي
 كلمة يشار بها إلى مقصود بعينه والمغلاة مصدر غالى يغالى إذا بالغ في الأمر والعقد
 بالفتح العهد والضمان والجوار وبالکسر الاحتماء واصله ان تعطي الرجل ذمّة
 فيكون بها جارك فتجيره والمنافسة من النفيس الذي يُضَنُّ به واللحظة النظرة
 بالعين والقرب ضد البعد والاعتقاد الجزم بالأمر والطمع الحرص واكثر ما يستعمل
 فيما يقرب حصوله وقد يستعمل بمعنى الأمل يقال طمع في غير مطعم أي أمل فيما

يعد حصوله والطبع بالتحريك من باب نصب الدنس مأخوذ من قولهم طبع
السيف وهو سيف طبع اذا ركبه الصدا حتى قطي عليه . قال الشاعر

لاخير في طمع يهدى الى طبع وغفة من قوام للميش تكفي

قوله يهدى الى طبع أي الى خسة والغناء هنا بمعنى النفع يقال ما فيه غناء بالمد أي
نفع قصره ليظهر الجناس المصحف في غنا وعنا كما جانس في طمع وطبع والغناء
بالمد النذل والخضوع والبدل تغير شيء بشيء كالمبادلة والعمود أصله عور العين
فاستعمل مجازاً للسوءة أي القبح والفا أصله بالمد وهو الشيء الخسيس الخثير قصره
ليحسن السجع به في آخر الجملة وقوله (البدل أعور) مثل قاله أهل خراسان في
قتيبة بن مسلم الباهلي وكان قد وُلِّي خراسان بعد انصراف يزيد بن المهلب بن
أبي صفرة عنها سنة ست وثمانين وكان قتيبة شحيحاً قالوا بدل أعور قذهب
مثلاً يضرب للرجل المذموم يخلف الرجل المحمود أو لمن لا يُرْتَضَى بدلاً من
الذاهب وفي ذلك يقول عبدالله بن همام السلولي

أُقْتِيبُ قد قلنا غداة أئتنا بدلُ لَعَبْرُك من يزيد أعور

ان المهلب لم يكن كأبيكم هيات شأنكم ادق واحقر

شتان من بالصنج يضرب والذى بالسيف شمر والحروب تعر

حولان باهلة الالى في ملكهم مات الندى فيهم وعاش المنكر

الصنج آلة تتخذ للملاهي تشبه كاسات الموسيقى اليوم وحولان جمع أحول وكان
قتيبة في بدء أمره يضرب بالصنج وكان أحول وهنئ الأبيات ينسبها بعضهم
لنهار بن تومعة اليشكري لا الى عبد الله بن همام هجا بها قتيبة فلما بلغته طلبه
فهرب عنه وأتى أم قتيبة فأخذ منها كتاباً لقتيبة بالرضا عنه فتركه ويقال أن
المثل (بدل أعور) مثل قديم وانما تمثل به أهل خراسان تمثيلاً وقال آخر
في هجاء قتيبة

كأنت خراسان أرضاً أذ يزيديها وكل باب من الخيرات مفتوح
حتى أماناً أبو جفص بأسرته كأنما وجهه بالخل منضوح

أبو حفصة كنية قتيبة بن علي أن قتيبة أظهر من النجدة والحزم وضبط الأمور والهيبة
في نفوس الأعاجم ما لم يبلغه يزيد بن المهلب حتى سموه ملك العرب لكثرة
فتوحاته وتدايره فقد ذكر الطبري في تاريخه أنه بلغ في غزو الترك والتوغل في
بلاد ما وراء النهر واقتناح القلاع واخذ الأموال وقتل الفتناء ما لم يبلغه المهلب
ابن أبي صفرة المشهور بحروبه ولقد مثل الأصمعي صاحب طبيرستان بمد قتل
يزيد وعتيبة ابهما كان أعظم وأهيب عندكم فقال لو كان قتيبة بالمغرب باقضي
جحر في الأرض مكبلاً بالحديد ويزيد معنا في بلادنا ووال علينا لكان قتيبة
أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد انتهى ولا عيب فيه إلا أنه باهلي والعرب .
تستكف الأتساب لباهلة وفي ذلك يقول شاعرهم

سل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أبا وائله
فما سأل الله عبداً له نخاب ولو كان من باهله
وقال آخر

أباهل يتبختى كلبكم واسدكم ككلاب العرب
ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم النسب

مثل حين بن بكر الكلابي النسابة عن السبب في اتضاع عني وباهلة عند
العرب فقال لقد كان فيهما غناء وشرف ولم يضعهما إلا أشراف إخوتهما فزارة
وذبيان عليهما بالماثر . فدنا بالأضافة اليهما انتهى وقول ابن زيدون والعوض لنا
مأخوذ من المثل القائل (رضى من الوفاء بالفاء) أى بالقليل التافه عن الكثير
الوافي والبحتري قوله في هذا المعنى

ولو ضربوا في المكرمات بسمة لكان لهم فيها ألفاً ولك الكثير

(والمعنى) يقول ابن زيدون هذا الذي قلته فيك آنفاً يضاف إليه مبالغتي بتقدير
 عقد جوارك ومنافستي بنظرة من قربك واغتنادي أن الأمل الذي آمله من
 غيرك داس ورجس والنفع الذي اتسمه من سواك ذل وخضوع والبذل الذي
 استبدله منك سوءةً وقبحٌ والموض الذي اعتاضه عنك خسيس محتقر يريد
 إنه شديد التمسك بولاه أو الاعتماد عليه يعنى يمز عليه فراقه

(المتن) وَأَذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي * ضَنًّا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ

الشرح وهذا في معنى ما تقدم من إجلاله لمولاه وتفضيله له عن سواه
 فهو لا يعدل به احداً ولا يؤثر عليه نظيراً من الامراء والبيت لمدي بن الرقاع
 العاملى من قصيدة يمدح بها عمر بن الوليد الاموي يقول فيها من ابيات

وإذا نظرت الى أميرى زادنى ضنا به نظري الى الامراء

تسمو العيون اليه حين يرونه كالبدر فرج بهمة الظلمات

والأصل يذبت فرعه متائلا والكف ليس بنائها يسواه

متائلا ومتاصلاً بمعنى أى أن الفرع ينبت كأصله ان كان شريفاً فشريفاً أو وضيعاً
 فوضياعاً والفرع هنا الأبناء من الآباء يريد أن يمدوحه نشأ من بيت كريم من آباء كرماء
 ذكر عدي بن الرقاع العاملى الشاعر وبعض أخباره

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع وينتهى نسبه الى قضاة ويقال له

العاملى نسبة الى جدته عاملة بنت وداعة من قضاة ويقال له ابن الرقاع نسبة الى

جده الرقاع بن أعصر كان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم . خاصاً بالوليد

ابن عبد الملك وجده محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام وكان منزلة

بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وقد تعرض لجرير بن الخطافى

الشاعر وناقضة فى مجلس الوليد بن عبد الملك فحلف الوليد لجرير إن هوشتم عدياً

ليسرجه ويُلجمنه حتى يركبه عدي فتحمامه جرير ولم يهجه الا تعريضاً فى

قصيدته السينية التي يقول فيها

قد جرّبت عركتي في كل معترك
غلبُ الأسود فما بل الضغائيس
أقصرُ فان نزاذاً لن يفاخرهم
فرع لثيم وأصل غير مغروس*
وابن اللبون اذا ما لُدَّ في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس
الضغائيس من الضغاب وهو صوت الذئب أو الأرنب كالضغيب ويقال للرجل
ضاغب اذا كان ينجي فيفزعُ الانسان بصوت كصوت الوحش وأراد الشاعر به
ضعفاء الرجل كالفرق بين الأسد والذئب أو بين الأسد والأرنب وابن اللبون
ولد الناقة الذي بلغ سنه حَوْلَيْنِ والبزل القناعيس من عظام الابل التي بزل نابها
ومن قوله من قصيدة يمدح بها الوليد ومعلمها

طارالكرى والَمْ اَلَمْ فَا كَتَمَا
وحيل يني وبين النوم فامتعا

يقول فيها

فان تكن ميةً من باطل ذهبت
واعقبَ الله بعد الصبوةِ الورعا
قد أيتُ أراعي الخود راقدةً
على الوسائدِ مسروراً بها ولياً
يراقهُ الثمرُ تشفى القلب لذتها
اذا مقبلها في ريقها كرها
كلا قحوان بضاحي الروض صبَّحه
غيثُ أرشٍ بتنضاح وما تقما
صلى الذي الصلوات الطيبات له
والمؤمنون اذا ما جمعوا الجمعا
على الذي سبق الأرقام ضاحيةً
بالأجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذي جمع الرحمنُ أمتهُ
عذنا بندي المرش أن نحبي ونفقدهُ
إن الوليدَ أمير المؤمنين له
وأن نكون لراع بعه تبعاً
لا يمنح الناس ما اعطى الذين هم
مكُّ عليه أعان الله فارتقما
له عتاد ولا يعطون ما منعا

ومن قوله أيضاً في مدحه وهي من مختاراته

عَرَفَ الدُّيَارَ تَوْهَمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ جِدِّ مَا شَعَلَ النَّبِيُّ أَبْلَادَهَا
 مَا جَمَعَ بِلْدَ وَمَعْنَى شَسْلَهَا عَنِ آثَارِهَا الْخُرَابُ

وَلَرُبَّ وَاضِحَةٍ الْعَوَارِضِ بَطْفَلَةٌ كَالرَّيْمِ قَدْ ضَرَبَتْ بِهِ أَوْلَادَهَا
 أَنَّى إِذَا مَا لَمْ تَصِلْنِي خُلَّتِي وَبَاعَدَتْ مِنِّي اغْتَفَرْتُ بِبَادَهَا
 صَلَّى إِلَهِ عَلَى أَمْرِيهِ وَدَعَّعْتَهُ وَأُمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
 وَإِذَا الرِّيحُ تَنَابَعَتْ أَنْوَاؤُهُ فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الْإِحْصَى فِجَادَهَا
 خُنَاصِرَةُ الْإِحْصَى بِلْدَ بِالشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ حَلْبِ

نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا غَيْثًا أَغَاثَ أَنْيَسَا وَبِلَادَهَا
 أَوْلَا تَرَى أَنَّ الْبَرِيَّةَ كَلَّهَا أَهَمَّتْ خَزَائِعُهَا إِلَيْهِ قَادَهَا
 وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَا كَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا
 أَعْرَتِ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلَتْ وَكَفَفَتْ عَنْهَا مِنْ يَرُومِ فِسَادَهَا

وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمِنْهَا وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ الْوَصْفِ فِي خَلْبِيَّةٍ وَوَلَدَهَا
 تُزَجِّبِي أَعْنَ كَأَنَّ لِبُرَّةَ رَوْقِهِ قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا
 وَمِنْهَا يَفْتَخِرُ بِبِلَاغَتِهِ وَعِزَّتِهِ

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مِيلَهَا وَسَنَادَهَا
 السَّنَادُ فِي الشَّمْرِ اخْتِلَافُ الرَّدْفَيْنِ وَهُوَ مِنْ عِيُوبِهِ

نَظَرَ الْمُتَقَفَّ فِي كَعُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يَقِيمَ تَقَاتِهِ مِنْ بَادَهَا
 وَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَيْشَةِ لَدَةً وَتَقَيْتُ مِنْ شَطَفِ الْخَطُوبِ شَدَادَهَا
 وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا

أَدْعَى فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مَا لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ قَبِيلَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَ هَذَا الْقَصِيدَةَ
 حَتَّى بَلَغَ هَذَا الْبَيْتَ وَكَانَ كَثِيرَ عِزَّةٍ مُوجُودًا قَالَهُ كَذَبْتَ وَرَبُّ الْبَيْتِ فَلَيْمَتَحْنُكَ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ بِسَائِكَ عَنْ صَفَارِ الْأُمُورِ دُونَ كِبَارِهَا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهْ أَجْهَلُكَ وَمَا

كنت قبل أحق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك فأخزاه ومن قوله يُهني

عبد العزيز بن الوليد لما عقد له جده عبد الملك بن مروان على أم حكيم

قر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا

ما وارت الأستار مثلهما ممن رأى هذا ومن سمعا

دام السرور له به وبها وتهنيا طول الحياة معا

وقال يمدح عبيدة بن عبد الرحمن حينما عزله الوليد عن الأردن ويتوجع له

فا عزلوك مسبوقا ولكن الى الخيرات سبأقا جوادا

وكنت أختي وما ولدتك أمي وصولا باذلا لي مستزادا

وقدهيضت لنكبتك القدامى كذاك الله يفعل ما أرادا

ولما قتل مصعب بن الزبير بدير الجائليق في الوقعة التي كانت بينه وبين عبد الملك

ابن مروان قال يصف الوقعة

لمرى لقد اصحرت خيلنا بأكناف رجلة للمصعب

يهزون كل طويل القنا ة لذن ومعتدل الثعلب

فداؤك أمي وأبناؤها وان شئت زدت عليها أبي

وما قلنها رهبة إنما يحل العقاب على المذنب

إذا شئت نازلت مستقتلا ازاحم كالجلج الجرب

فمن يك منا بيت آنا ومن يك من غيرنا يهرب

ولم تقف على تاريخ وفاته وقد اكتفينا بما قلناه هنا من أخباره وفيها مقنع انتهى

(المن) كل الصيد في جوف الفرا وفي كل شجر نار واستمجد

المرخ والعقار

(الشرح) الفرا بالفتح والقصر الحمار الوحشى والمرخ والعقار نوعان من

الشجر أكثر وردي من غيرهما وهذه الجملة تحوى مثلين الأول قوله كل الصيد

في جوف الفرا يضرب لمن يفضل على أقرانه وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا لتصيدين
فاصطاد أحدهم ظيبا والثاني أرنا والثالث حمارا وحشيا فاستبشر صاحب الظبي
وصاحب الأرنب بما نالا وطاولا على صاحب الحمار فقال لهم كل الصيد في جوف
الفرا أي هذا الذي ظفرت به وورزته يشتمل على كل ما عندك كما وذلك أنه ليس بما
يصيده الناس اعظم من الحمار الوحشي وقد تألف النبي صلى الله عليه وسلم أباسفيان
ابن حرب بهذا القول حينما استأذنه للدخول عليه فحجب قليلا ثم أذن له فلما دخل
عليه قال ما كنت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجاهلتين (أي جاني الوادي)
قال صلى الله عليه وسلم يا أباسفيان أنت كما قيل كل الصيد في جوف الفرا فإذا
حجبتك قنع كل محجوب فملي هذا يكون المثل قديما والثاني قوله وفي كل شجر
نار واستمجد المرخ والمغار ومعناه أن النار توجد في جميع الشجر ولنكتها في
المرخ والمغار أكثر منها في غيرها وهذا معنى استمجد المرخ والمغار أي استكثر
من النار فصار مثلا يضرب في تفضيل بعض الشيء على الآخر ولن يكثر العطاء
طلب للمجد لأنهما يسرعان الوزي كما ذكرنا يقال أجدته مدحا وأجدته سبا أي
أكثر من ذلك وجاء في مثل آخر أرخ يدك واسترخ إن الزناد من مرخ والزناد
المود الذي يمدح به وهو الأعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي التي إذا اجتمعا
قيل زندان ولا تقل زندتان والجمع زند وأزند وجاء في مثل آخر ورت بك زندا
يضرب لمن أنجد واث قيل وليس في الشجر كه أورى زندا من المرخ فرما اجتمع
ملتقا وهبت الريح فحك بمضه بمضافا أورى فاحترق الوادي كله ولم ير هذا في شجر سواء
فلذلك ضرب به المثل قل الأعشى

زنادك خير زند الملو ك صادف منهن مرخ عفاروا
ولو بت قدح في ظلمة - حصة بذبح لأوريت نارا
النَّبْعُ فِي قَوْلِ الْأَعْشَى شَجَرٌ فِي قَلَّةِ الْجَبَلِ (رَأْسُهُ) وَلَا نَارَ فِيهِ كَالْمَرْخِ وَالْمَغَارِ
وَأَمَّا أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ مَمْدُوحِهِ بِالْحَنْقِ فِي الْأُمُورِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ وَأَبْنِ زَيْنَدُونَ

بعد أن ذكر في كلامه المتقدم شدة تمسكه بدمام مولاه ومنافته باللحظة من قربه وإشاره له على من عداه من الملوك والامراء عاد الى ذكر الاسباب التي فضلته على أقرانه منهم فأتى بالثان تأييداً لذلك وحاصلها أن مولاه جمع في شخصه كل مزايا الملوك وان شركوه في بعضها كما جمع الصائد كل الصيد في جوف الفرا وان شركه الصيادون في الصيد وأنه أجد منهم عطاء كاللرخ والعمار في الوري وان كانت النار توجد في جميع الشجر يريد انه لم يجتمع في سواه من الملوك ما اجتمع فيه من جودة الرأي والحذق بالامور والسخاء لذلك كان عليه أن يرضن بمفارقة وان يكن في استطاعته أن يعيش في الغربة عزيزاً محترماً

(المتن) فَمَا هَذِهِ الْبِرَاءَةُ مِمَّنْ يَتَوَلَّاكَ وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنكَ وَهَلَّا كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاؤُكَ فِيكَ وَرِضَاكَ فِيمَنْ رِضَاؤُكَ لَكَ

(الشرح) التفتت من الغيبة الى الخطاب كما دته مستفهما عما دعا مولاه الى البراءة منه الخ والبراءة التنازل عن الشيء أو التخلص منه وقوله ممن يتولاك أى يتخذك ولياً اى نصيراً أو سيداً والميل الانحراف وهلا مركبة من هل ولا وهى كلمة استفهام عن النفي والهوى مقصور لإرادة النفس وحب الشيء والرضا بلا همز ضد السخط من رضى برضى وحاصل المعنى يقول ما هذا التخلص ممن ينتصر بك ويمتد عليك والانحراف عن لا ينحرف عن التعلق بك ولم لم يكن حبك أولى بمن حبه مبذول لك ورضاك أليق بمن رضاه فى جميع أمورته يتوقف على رضاك عليه يريد لا أرضى منك بما دون الرضا عنى

(المتن) يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَفَارِقَهُمْ • وَجِدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ

هذا البيت للنتفى من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة بن حمدان ومعناه يا من يعز علينا فراقه بما أولانا من نعمه وامتعنا بقربه وجداننا كل موجود نافع بعدكم عدم لا نفرح به ولا نتهيج له يريد لا يخلفكم احد وقد أنذره فى هذه

القصيدة بالارتجال عنه اذا لم ينصفه ممن ظلمه بقوله

ما كان اخلقنا منكم بتكرمة لو ان امركم من امرنا أمم
ان كان سرّكم ما قل حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وينا لو رعيتم ذلك معرفة ان المعارف في أهل النهي ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
أرى النوى فتضينى كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركز ضميرا عن ميامنا ليخرتن لمن ودعتهم نسيم

معني البيتين الأخيرين أن الارتجال عنه يُجسّمه مشاققا لاستبد بها الابل لبعدها مناها وانه ان ترك ضميرا وهو جبل عن بين طالب مصر من الشام قريب من دمشق نسيم سيف الدولة على رجليه عنه فلما لم يبال بانذاره رحل عنه وقصد كافور الاخشيدى بمصر كما مر عليك في ترجمته واستشهاد ابن زيدون بييت المتنبي وان يكن من قبيل التوجع لفرار مولاه فنيه إشارة لطيفة الى ما أضمر في نفسه من مفارقتة لابن جهور على كل حال يأما من رجوعه الى سابق حاله عنده وقد حصل ذلك لأنه لما لم يجد استعطافه وتذللّه شيئا وظل مسجونامهانا تمكن من الهروب من سجنه ولحق بعباد بن محمد صاحب إشبيلية كما ذكرناه في ترجمته انتهى

(المن) أَعْيَدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ خُلْبًا وَأَسْمَطِرَ جَهَامًا وَأُكْرِمَ

غَيْرَ مُكْرَمٍ

(الشرح) الظاهر ان ابن جهور وعده بالعمو عنه ثم تراخى كما يؤخذ من

قوله أشيم خلبًا وأسمطر جهاما وهو مثل يضرب لمن يعد ولا يفي ذكره الميداني أولمله يريد بالاستمادة نفى مالا يحسن وقوعه من ملك مثله قادر على العمو عنه كرما وفضلا وأشيم بمعنى انظر قول شمت البرق اذا نظرت سحابته ابن تيمطر واخلب من البرق مالا غيث معه من الخلابة اي الخديعة كأنه يوم بالمطر ولا مطر

معه واصل المثل (انما أنت كبرقٍ خُلِّبَ) ولجها من السحاب مالا ماء فيه ومكرم
مثل مخرَجٌ من الاكرام ويروى (وأكدم في غير مكدم) من الكدم وهو
المض وهو مثل أيضا واصله (كدمت في غير مكدم) وكلاهما يضرب لمن يطالب
مالا مطلب فيه والمعنى أعينك اى اعصمك وأبعدُ عنك لخلاف الوعد او عدم
الفائدة من استجلابي رضاك وعفوك وأعيد نفسي ان أراك بهذه العين

(المتن) وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعِقْبَانِ وَالرَّخْمِ .

الشرح وهذا أبلغ في الاستعارة لأن العقبان من جوارح الطير والرخم من
بُغائها (شرارها) فإذا رأت جريحا عاجزا عن الحركة اجتمعت عليه لتأكل لحمه
فكان الشكوى اليها شكوى لمن لا يرحم وهذا المعنى أخذه من قول أبي الطيب المتنبي
ولا تشكَّ الى خلق قسَمتهُ شكوى الجريح الى الغربان والرخم
فأبدل ابن زيدون العقبان بالغربان ولعله رأى هذه الرواية في بيت المتنبي
فأثبتها والمعنى واحد في الشكوى لمن لا يرحم وهذا البيت من قصيدة يرثى بها أبا
شجاع فأتك الكبير المعروف بالمجنون ^(١) يقول فيها قبل هذا البيت

(١) كان فأتك هذا روميا أخذ صغيرا من بلاد الروم من موضع قرب حصن
يعرف بنى الكلاع فتعلم الخط ببلسطين ثم اغتصبه الاخشيدى صاحب مصر من
سيده بالرمة فكان في خدمته ونشأ كريم النفس بعيد الهمة شجاعا وكان رفيق
كافور في خدمة الاخشيد فلما مات الاخشيد وعلت رتبة كافور لم يرض ان يركب
في خدمته فانتقل الى الفيوم لانها كانت اقطاعا له فرض بها واضطر للعودة الى
مصر للمعالجة فيها وكان كافور يخافه ويحترمه وامنق وجود المتنبي بمصر ضيفا لكافور
وكان يسمع بكرم فأتك ولا يقدر على التقرب منه خوفا من كافور فراسله المتنبي
بالسلام ثم التقيا بالصحراء مصادقة وتفاوضا في الحديث فلما رجع فأتك الى داره
حمل اليه هدية قيمتها الف دينار وأتبعها بهدايا أخرى فحينذاك استأذن المتنبي

لا فأنك آخر في مصر قصده
 من لا تشابه الأحياء في شيم
 عدمته وكأني صرت أطلبة
 ما زلت أضحك إيلي كلما نظرت
 أسيرها بين أصنام أشاهدها
 حتى رجعت واقلامي قوائلي
 وما أحلى قوله بعد ذلك

وكن على حذر للناس تسره
 غاض الوفاء فما تلقاه في عيدة
 سبحان خالق نفسى كيف لذتها
 الدهر يسحب من حلى نوائبه
 وقت يضيع وعمر ليت مدته
 أتى الزمان بنوه في شببته
 ولا يفرك منهم نقر مبسم
 وأعوز الصدوق في الأخبار والقسم
 فيما النفوس تراه غاية الألم
 وصبر جسي على أحداثه الحطم
 في غير أمته من سالف الامم
 فسرهم وأتيناها على الهرم

في البيتين الأخيرين يشكو من أهل دهره ويأسف على ضياع الزمن في مخالطتهم
 ومصاحبتهم لأنهم أندال وتني لو أن مدة عمره كانت في أمة أخرى من الامم
 السالفة الذين شهدوا حدثان الدهر وجدهته فسرهم أياه وأناه هو في وقت
 هرمه فلم يجد عنده ما يسره قلت وليت المتنبي عاش الى زمننا هذا وقد مضى

كافورا في مدحه فأذن له فمدحه بالقصيدة التي أولها لا خيل عندك تهديها ولا مال
 وهي من غرر قصائده ثم توفي فأنك في شوال سنة ٣٥٠ بمصر فحزن عليه المتنبي
 حزنا شديدا كما يظهر ذلك من مرثيته فيه بالقصيدة التي منها البيت المتقدم
 وبالقصيدة التي مطلعها (الحزن يقلق والتجمل يردع وهي أيضا من المراثي الفاتحة وله
 فيه مدائح أخرى فليرجع اليها من شاء

عليه تسعمائة وثلاث وثمانون سنة أي ٣٥٤ زائد ٩٨٣ يساوي ١٣٣٧ ليري رأيه فيه وقد سمعت من بعض الأدباء أن شاعرا في القرن الحادي عشر ذكره لي فقسينته لما قرأ بيت المتنبي الأخير قال

وهم على كل حال صادفوا زمنا ونحن جئناه بعد الموت والعدم
وهذا غير مقبول عندي وكان الأليق أن يقول إذا اتقادت له القافية ونحن أتيناها
بعد الخرف وذهاب طبيعته ولو عن بعد فالما بعد الموت والعدم فلا لأن الزمان لم
يمت ولم يعدم بعد

(المن) فَمَا أُبْسَسْتُ لَكَ إِلَّا لِتَدَّرَ وَحَرَكَتُ الْخَوَارِ إِلَّا لِتَحْنٍ وَنَبْهَتُكَ
إِلَّا لِأَنَامٍ وَسَرَيْتُ إِلَيْكَ إِلَّا لِأَحْمَدِ السَّرِيِّ لَدَيْكَ

(الشرح) الابساس تسكين الناقة عند الحلب وهي حكاية بس بس ويقال للناقة بسوس إذا لم تدر إلا على الابساس وبه سميت البسوس بنت منقذ خالة جساس بن مرة التي وقع الحرب بسببها بين بكر وتغلب أربعين سنة فضرب بها المثل في الشؤم وأصل المثل الذي عناه ابن زيدون (الايناس قبل الابساس) يضرب للرفق بالأمر أوفى المداراة عند الطلب ذكره الميداني والدّر تكونن اللّبن في الضرع والخوار ولد الناقة مازال رضيعاً فاذا انفصل فهو فصيل قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان لما أراد أن يستنصر بأهل الشام على حرب الامام علي رضي الله عنه (حَرَكَتُ لَهَا خَوَارَهَا تَحْنٌ) أي ذكره ببعض أشجانه يهيج فذهب مثلاً أو لعله مثل قديم تمثل به تمثيلاً والأصل فيه أن العرب إذا أرادت حلب الناقة وضعوا خوارها أمامها لِتَرَأَاهُ (تعطف عليه فتحن اليه وتدر اللّبن وقول ابن زيدون ونبّهتُك لِأَنَامٍ أخذته من قول بشار بن برد الشاعر من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة يقول فيها :

قل للخليفة إن جنته نصيحا ولا خير في المتهم

إذا أيقظتك حروب الهدا : فنبه لها ضميراً ثم تم
 قى لا يبيت على غيرة ولا يشرب الماء إلا بسم
 وقيل قى لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بسم

الغرة النقلة والدمنة الموضع القريب من الدار والمراد بشرب الماء بالدم قتله الاعداء
 حتى تجرى دماؤهم على النهر فتختلط بالماء يصفه بالحزم والشجاعة وقيل لا يبيت
 على دمنة أي سخيمة أو حقد ومنها ينتخر بان أصله من المعجم ويتعصب لهم
 وثبتت قوما بهم جنة يقولون من ذا وكنيت العلم
 ألا أيها السائل جاهداً ليعرقى أنا أنف الكرم
 تمت في الكرام نبي عامر فروعي وأصلي قریش المعجم

ذكر بشار بن برد الشاعر وبعض أخباره

هو بشار بن برد بن يرجوخ بن ازد كرد بن شروستان من الاعاجم ويكنى
 أبا معاذ ويلقب المرعث وجدته يرجوخ من سبي المهلب بن أبي صفرة ويقال
 أن أباه برد من قبي خيرة القشيرية امرأة المهلب بن أبي صفرة فوهبته لامرأة
 من بني عقيل بعد أن زوجته أم بشار فولد بشارا وهو في ملكها ثم أعنته واسمها
 أم الطباء السدومية المقيلية فعرف بشار بالعقيلي لذلك ومحل في الشعر وتقدمه
 في طبقات المحدثين ورثاسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يعني وصفه عن الاطالة
 ويقال أنه قل الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو نحش معرة لسانه وولد
 أكمه أي أعمى وهو من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية وكان ضخماً عظيم
 الخلق والوجه مجذراً طويلاً فاذا أراد أن ينشد صفق يديه وتنحج وبيصق عن
 يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب وقد أدرك جرير بن الخطفي الشاعر المشهور وهو
 حدث وكان يقول هجوت جريراً فاستصغرتني ولو أجباني لكنت أشعر أهل
 زمانى وينسب لبشار اثنا عشرة الف بيت من الشعر وذكره الجاحظ في البيان

والتبيين فقال كان بشار خطيبا صاحب منشور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع المتفنين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه وقال في حياة الحيوان له وقد ذكر قول بشار

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل نهاوي كواكب

وقوله

كأنما النقع يوما فوق أرووسهم سقف كواكب البيض المبائر

ان هذا المعنى غلب عليه بشار كما غلب عنزة العبسي على قوله

قري الذباب بها يغنى وحده هزجا كفعل الشارب المترنم

عردا بجمك زراعه بنراعه فعل المكب على الزناد الاجنم

فلو أن أمراً القيس عرض في هذا المعنى لعنزة لاقتضح وقول بشار في هذا المعنى

الذي عناه انه شبه مشار النقع بظلمة الليل والسيوف بالكواكب في لمعاتها

وقيل شبه الهيئة الحاصلة من النقع الأسود والسيوف البيض بالهيئة الحاصلة من

الليل المظلم والكواكب المشرقة وهو تشبيه بديع انفرد به وحده والبيت الاول

من قصيدة طويلة يمدح بها عمر بن هبيرة وهي من جياته يقول في ابيات منها

رويدا تصاهل بالمراق جيانا كأنك بالضحك قد قام نادبه

وحلت به أم المنايا بناها باسيافنا إنا ردي من نحاريه

وكنا اذا دب العدو لسخطنا وراقبنا في ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكل منقف وايض تستقى الدماء مضاربه

فلما تولى الحر وأعتصر الثرى لظى الصيف من نجم توقد لاهبه

وطارت عصافير الشقائق واكتسى من الآل امثال الحجره ناضبه

غدت عانة تشكوبا بصارها الصدي الى الجأب إلا انها لا تخاطبه

ومنها وقد تخلص الى المدح ووصف الجيش

عن العين حتى ابصر الحق طالبه
وبالشوك والخطى حرا تغالبه
تطالنا والظل لم يجر ذائبه
وتدرك من رام الفرار مثالبه
وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه
قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

الآك العلى شقوا المعى بسيوفهم
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى
غدونا له والشمس في خدر أمها
بضرب ينفوق الموت من ذاق طعمه
كان مثار النقع فوق رؤسنا
فراح فريق في الأسار ومثله
إذا الملك الجبار صعرَّ خدَّه

ومنها وهو من الحكم

صديقك لم تلق الذي لا نعاتبه
مُقارِفُ ذنب مرة ومجانبه
ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاره
كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

إذا كنت في كل الامور معاتبا
فمش واحدا أو صل أخاك فانه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القندي
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

قتيل له لما قل كأن مثار النقع الخ كيف تصف الأشياء ولم تنظر من الدنيا شيئا
قال لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت
واحد حيث يقول

كان قلوب الطير وطبا ويا بسا لدي وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسى في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت البيت المذكور وقال ان علم
النظار يقوي ذكاء القلب ويقطم عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه
وتذكو قريحته ثم انشدهم قوله

فجئتُ عجيب الظن للعلم موثلا
بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
يقول اذا ما أحزن الشعر امهلا

صميتُ جنينا والذكاء من المعى
وعَيْضُ ضياء العين للعلم رافد
وشعر كنور الروض لامت بينه

وكان الأصمى يصفه بأنه مطبوع لا يكلف طبعه شيئا ويشبهه بالأعشى والنايفة
الذي يأنى وقال آخر عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة إلا ويري من شعر
بشار ولا نائحة ولا مثنوية إلا وتتكسب بشعره ولا ذو شرف إلا وهو يهابه
ويخاف لسانه ومن قوله يمدح أبا جعفر المنصور العباسي

سراج لعين المستضيء وتارة	يكون ظلما للعدو المزاحم
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن	برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشوري عليك غضاضة	فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغلُّ أختها	وما خير سيف لم يؤيد بقائم
ونخل المويثنا للضيف ولا تكن	تؤوما فإن الحزم ليس بناثم
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامه	شبا الحرب خير من قبول المظالم
وأذن على القرابي المقرب نفسه	ولا تشبه الشورى امرأ غير كاتم
فانك لم تسطردِ لهم كما منا	ولم تبلغ العلياً بنير المكارم
وما قارع الأبطال مثل مشيع	أريب ولا جلى العمى مثل عالم

قيل له أبا معاذ إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة فقال أن المشاور بين
صواب يفوز بشمرته أو خطأ يشارك في مكروهه قليل له وأنت في هذا اشمر منك
في شرك وحضر يوما عقبه بن سلم وعقبه بن رؤبة بن الصجاج الراجز ينشد
أرجوزة فاستحسنها بشار فقال له رؤبة طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ فنضب بشار
وقال لمثلي يقال هذا والله لأننا أجز منك ومن أيك ومن جدك ثم غدا على عقبه
بقصيدته التي أولها

يا طلل الحى بذات الصمد	يا الله خبر كيف كنت بعدى
يقول في أبيات منها	
قامت تراى إذ رأني وحدى	كالشمس تحت الزبرج المنقد

صدت بئحد وجلت عن خيد
 عهدي بها سقياً له من عهد
 فتحن من جهد الهوى في جهد
 وافق حظاً من مسعى بجد
 الحرث يلحى والمعصا للعبد
 والنصف يكفيك من التمدي
 حملته في رقعة من جلدي
 حتى مضى غير قعيد الفقد
 وما درى ما رغبتى من زهدى

وهي طويلة اكتفينا منها بهنه الأبيات قانشدها لعقبة بن سلم وكان ابن رؤبة
 موجودا عنده فطرب عقبة منها وخرج ابن رؤبة عن المجلس بخزبي وهرب من
 ليلته تلك فلم يمد اليه ومن مسحه في عقبة أيضاً قوله

يا واحد العرب الذي
 لو كان مثلك آخر

أمنى وليس له نظير
 ما كان في الدنيا قبير

ومن قوله في الفخر وهو من الغلو

إذا ما غضبنا غضبة مضره
 إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة
 ومن قوله في الحكم

خليلي ان المال ليس بنافع
 وكنت اذا ضاقت على محلة
 وما خاب بين الله والناس علم
 وما ضاق فضل الله عن متعف

إذا لم ينل منه أخ وصديق
 تيممت أخرى ما على تضيق
 له في التقى أو في المحامد سوق
 ولكن أخلاق الرجال تضيق

ومن قوله في الغزل

حوراء ان نظرت اليّ
 وكان رجح حديتها
 وكان تحت لساتها
 ونخال ما جمعت عليّ
 وكانها يرذ الشرا
 بك سقتك بالعينين شمرا
 قطع الرياض كسين زهرا
 هلوت ينفت فيه سحرا
 بناتها ذهبا وعطرا
 بصفا ووافق منك فطرا

وقوله أيضا

قلوا حرام تلاقينا قلت لهم
 من واقب الناس لم يظفر بحاجته
 سرق هذا المعنى سلم الخاسر قال واجاد
 من واقب الناس مات غما
 ما في التلاقي ولا في قبلة حرج
 وقاز بالطيبات الفاتك الهج
 وقاز بالذة الجسور

وقوله أيضا

يا قوم اذني لبعض الحى عاشقة
 قالوا يمن لا يرى تهدي قلت لهم
 ومن قوله ايضا البيت السائر المشهور
 هل تعلمين وراء الحب منزلة
 وقوله وهو أنزل بيت قاله المولودون
 والأذن تمشق قبل العين احيانا
 الاذن كالعين توفي القلب ما كانا
 تدنى اليك فان الحب اقصى

انا والله اشتهى سحر عينيك واخشى مصارع العشاق
 ولما مدح الخليفة المهدي العباسي بقوله من قصيدة

قلبي الموم تمل بها نبيجا
 لا يؤيسك من حباة
 عسر النساء الى مياسرة
 نهاه الخليفة عن الغزل فذلك حيث يقول
 والليل ان وراءه صباحا
 قول تغلظه وان جرحا
 والصعب يمكن بعد ما جمحا

ان الخليفة قد أبى وانا أبى شيئا آيته
ومحصب رخص البنا ن بكى على وما بكيته
بمنت الى نسومى ثوب الشباب وقد طوته
وانا المطل على المدا واذا غلا الحد اشترته

الى أن قال

ويشوقى بيت الحبيب اذا غدوت وابن بيته
حال الخليفة دونه فصبرت عنه وما قلته

وقال ايضا يمدح من قصيدة اخرى
وأخرجني من وزر خمسين حجة
دفنت الهوى حيا فلست بزائر
ومصفرة بلزعفران جاودها
تركت لمهدى الانام وصالها
ولولا امير المؤمنين محمد
قى هاشمي يقشر من الورد
سليبي ولا صفراء ما قرقر القمري
اذا اجتليت مثل المرطحة الصفري
وراعيت عهدا بيننا ليس بالختر
لقبلت فاما اول كان بها فطري

فاما قوله في الهجاء فلم نزلوما للتوسع في قلبه وانما تأتي له بقليل منه اتاما
للفائنة فن أخبث هجائه قوله في حماد عجرد وكانت بينهما أهاج فاحشة
اذا جثته للعرف اغلق بابه فلم تلقه الا وأنت كين
قل لا بى يحى متى تترك العلى وفي كل معروف عليك بين

ومن قوله يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وانما اتينا به لجودته
وحته على بذل المعروف

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه ابدا بالبخل مقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرتة حتى تراه غنيا وهو مجهود
والبخيل على امواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرمت أن تعطى القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بغير ترجى للنوال فما تُرجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ماسد فقرا فهو محمود
وكان يدين بالرجمة ويصوب رأى إبليس في تفضيل النار على الطين بقوله
الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة منذ كانت النار

ولهذه المناسبة نذكر ما قيل في تعظيم الامم قديما للنار قال الجاحظ كان الناس كافة
والامم قاطبة مولعين بتعظيم النار حتى ضل كثير منهم لافراطهم في عبادتها حتى
جاء الاسلام فأبطلها وقد يجيء في الاروفى سنة بعض الانبياء تعظيمها على
جهة التعبد والحننة وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها فيخلط كثير من الناس
فيجوزون الحد ويؤمن أهل الكتاب أن الله أوصاهم بها وقال لا تطفئوا النيران من
بيوتى فلذلك لا تمجد الكنائس والبيع وبيوت العبادات تخلو من نار أبدأ ليلا
ونهاراً حتى أثنخت للنيران البيوت والسدنة ووقفوا عليها الغلات الكثيرة وقد
وقد ذهب زرادشت إلى أن المقاب في الآخرة انما هو بالبرد والزمهرير والدَّمَقِ
(الثلج والريح) قال وكان للعرب في الجاهلية ثلاث عشرة ناراً وهي نار المزدلفة
ونار الاستمطار ونار الخلف ونار الحرب ونار الحرثين ونار السعالي ونار الصيد
ونار الأسد ونار القرى ونار السليم (الملدوغ) ونار الفداء ونار الموسم وانما سموا
احداها بنار الحلف لان منفعتها تخص الانسان لا يشركه فيها أحد من الحيوان
انتهى فالظاهر أن بشاراً افتن بها ففضلها على الطين وهذا ضلال منه ومن هجائه
في الخليفة المهدي العباسي قوله

خليفة يزنى بعباته يلعب بالدبوق والصوّلجان

الدبوق كتثور لعبة معلومة هكذا في القاموس قلت لعله السائل الغروي الذي
يصاد به الطيور لأنه يلزق بأرجلها وأجنحتها فبعيقها عن الطيران

أبدلتنا الله به غيره ودين موسى في حبر الخليز ران
فكان هذا الهجاء سبباً في هلاكه إذ سعى به أعداؤه الى يعقوب بن داود وزير
المهدي وكان بشار قد هجاه أيضا بقوله
بنو أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزرق والعود
وهجا صالحا أخاه بقوله يخاطب يعقوب
هؤموا حملوا فوق المنابر صالحا أخاك فضجت من أخيك المنابر

فأخبر يعقوب الخليفة بما هجاه بشار به فالتحق من بغداد الى البصرة للنظر في أمرها
وما قصده غير بشار فلما بلغ البطيحة سمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا فلذا
بشار سكران يؤذن فطلبه وقال له ياز نديق يلعاض بظُر أمه عجبا أن يكون هذا
غيرك أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ثم دعا بابن تهبك وأمره
بضربه فضر به بين يديه على صدر الحراقة (السفينة) سبعين سوطا أتلفه فيها
فبان الموت فيه فألقي في سفينة ثم رمي به الى البطيحة فجاء بعض أهله فحمله
الى البصرة وقد مات فدفن بها وبعث الخليفة الى منزله من يقتشه وكان متبها
بالزندقة فوجدوا طومارا مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم إني أردت هجاء
آل سليمان بن علي ليخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأمسكت إجلالا له على أني قلت

دينار آل سليمان ودرهمهم كالبابليين حقا بالعاريت

لا يبصران ولا يرجي لقاؤهما كما سمعت بهاروت وماروت

فلما قرأه المهدي نسّم على قتله وقال لاجزى الله ابن داود خيرا لفقّ عندي شهودا
على أنه زنديق قتلته وكان قتله في سنة سبع وستين ومائة وقد نكف على التسعين
انتهى وقول ابن زيدون وسريت اليك لأحمد الشري لديك الشري كالمهدي سيتر

علمة الليل كما أن التأويب سير علمة النهار وهذا مأخوذ من المثل (عند الصبح يحمده
 القوم السرى) يضرب للترغيب في سفر الليل قل المفضل الضبي وأول من قاله
 خالد بن الوليد المحزومي رضي الله عنه لما بعث إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو
 بالجماعة أن سير إلى العراق فأراد سلوك المفازة فقال له رافع بن عميرة الطائي قد سلكتها
 في الجاهلية هي خمس للابل الواردة ولا أظنك تدر عليها إلا أن تحمل الماء فاشترى
 مائة شارب فطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ثم كتبها (ختم حياءها) وكم
 أفواها ثم سلك المفازة من قراقر وهي ماء لكلب إلى سوي وهي ماء لبهراء بينهما
 خمس ليال حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخييل وخشى أن
 ينهب ما في بطون الابل فخرج واستخرج ما في بطونها من الماء فسقى الناس
 ومضى فلما كان في الليلة الرابعة قل رافع انظروا هل ترون سديرا عظيما فان
 رأيتوها والافو الهلاك فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم
 هجموا على الماء قال خالد

لله در وافع أتى اهتدي فوز من قراقر إلى سوي
 خسا إذا سار به الجيش بكى ما سارها من قبله إلى سوي
 عند الصباح يحمده القوم السرى وتجلى عنهم غيابات الكرى

وقيل أن قائل هذا الشعر خلفه ممن كان معه قال الميداني وهذا مثل يضرب
 للرجل يتحمل المشقة وجاء الراحة ومعنى كلام ابن زيدون ما كان استئناسي بك
 إلا لارتفاقت بي وحنيني إليك الا لحنوك على ونومي لك لا لأماني منك واحتمالي
 المشقة في خدمتك الا لخصولي على راحة تعقبها يريد أنه لم يتضرع إليه ويذلي
 يسط أعذاره ويكلف طبعه ويُرهِفُ قلبه الا استجلابا لرضاه وطلباً للعفو عنه
 (المتن) وَأَنْتَ إِِنْ سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرَ وَهِيَ أَعْدَرْتُ فِي فَكِّ
 أُسْرِي لَمْ يَتَعَدَّرَ

الشرح سنيت بمعنى فتحت وصهلت تقول سائيت الرجل اذا حاربت
واحسنيت معاشرته والعقد بالفتح ضد الحبل ثم استعمل في أنواع العقود والمبايعات
لأنه يربط المتعاقدين . واليسر ضد العسر ومتى ظرف غير متمكن وهو استفهام
عن زمان وهنا اسم شرط وجوابه قوله تيسر واعتبرت واعتبرت بمعنى أى صرت
ذا عذر في فك أسرى ولم يتيسر عليك والأمر أصله الأخذ في الخروب وغير
به هنا عن السجن والعذاب اللاحقين به والفقرة الأولى من الجملة أخذها من
قول بشار بن برد

فبالله تقان عزّما تبغى وقُلْ لِمَا اللهُ سني عقد أمر تيسرا

ومن قول الآخر

واعلم علما ليس بالظن أنه إذا اللهُ سني عقد أمر تيسرا

ولم أقف على اسم قائمه ويحكى أن معاوية بن أبي سفيان كان قد ولّى رَوْحَ بن زنباع
فغتب عليه في جناية فكذب اليه بالتعميم فلما قدم أمر يضربه بالنسياط فلما أقيم
ليضرب قل ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهده منى ركننا أنت بنيته أو تضع
منى خسينة أنت رفعتها أو تشمت بى عدوا أنت وقتته واسألك بالله الا أتى حملك
وعفوك دون افساد صنائكك فقال معاوية (إذا اللهُ سني عقد أمر تيسرا) خلوا
سبيله وعلى ذلك يكون المثل قديما والفقرة الثانية أخذها من المثل (أعذر من أنذر)
أى صار ذا عذر فيما يفعل بعد الانذار يضرب لمن يُحذّرُ أمرًا يخافه سواء خنر أو لم
يحذر وابن زيدون تصرف فيه بما ناسب المقام والمعنى لم أكف مولاي شططا
ولم أطلب اليه متعذرا وانما طلبت أمرا سهلا عنده إذا سهله وميسورا إذا يسره
يريد أنه متى شاء أمرا نقده

(المتن) وَعَلِمْتُكَ مُحِيطًا بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِمْرَةَ النِّعْمَةِ وَالشُّغَاعَةَ زَكَاةُ

الْمَرْوَةِ وَقَضَى الْجَاهُ تَعُودُ بِهِ صَدَقَةٌ

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيعَةً • مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

الشرح الاحاطة بالشئ كالعلم به والمعروف بنيل الخير والاحسان والنعمة
خَفَضُ العيش ورفاهته والشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام واسم الفاعل شفيح وفي
قول الله تعالى (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً) معناه من يزد عملا الى عمل ومنه
الشفعة في الدار ونحوها لأن صاحبها يشفع فيما يطلب فيضمه الى ما عنده فيشفعه
أى يزيده والزكاة من الذكاء وهو النماء والزيادة ومنه سعى القدر المخرج من المال
زكاة لأنه سبب يرجي به الزيادة والمروءة آداب فسانية تحمل مراعاتها الانسان
عل الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات والجاه القدر والمنزلة ومن كلام
الحسن بن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعته فجعل الرجل يشكره يا هذا علام تشكرنا
انا ترى الشفاعة زكاة مروءتنا وجاء في المثل زكاة الجاه رفد المستعين والصدقة
اصطناع المعروف وفي الحديث اصطناع المعروف يقي مصارع السوء والبيت
الذي الذي استشهد به ابن زيدون أخذه من قول أبي تمام حبيب بن أوس في
الآيات الآتية

ان الأمير دعاك في أحواله	فراك أهرعه غداة نضاله
آسينته في المكرمات ولم تزل	ركنا لمن هو ممسك بجباله
فندوت محبوبا الى همامه	وغدوت مقليا الى عداله
ففي النهوض بحق شرك ان جنت	بالغيب كفك لي ثمار نواله
فلقيت بين يديك حلو عطائه	ولقيت بين يديه مر سؤاله
واذا امرؤ اهدي اليك صنيعه	من جاهه فكأنها من ماله

يُدح بها اسحق بن ربيعي كاتب أبي دلف المشهور والمعنى انك تعلم علما تاما بأن
نمرة النعمة البر والاحسان وزكاة المروءة حفظ الذمام ومضاعفة الحسنات وزينة
الجاه بنيل المعروف واغانة الملهوف يريد انك لا تنجبل نتيجة الأفعال المحمودة

والفضائل الماثورة وأتى بيت الشعر توكيذا لذلك وحاصله أن إهداء الصنعة (ولو من غير المال كالوساطة في نوال خير أو دفع ضرر) كإهداء المال انتهى

(المتن) لَعَلِّي أَتِيَّ الْعَصَا بِبَرَكَكَ وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ وَأَسْتَأْنِفُ

التَّأْدُبُ بِأَدَبِكَ . وَالْإِحْتِمَالُ عَلَيَّ مَذْهَبِكَ

الشرح لعل من حروف الترجي وقد تكون للتمني أي ليتي ألقى العصا ببركك والقاء العصا كناية عن الإقامة بالمكان والاطمئنان إليه يقال ألقى زيد العصا إذا أقام بالمكان الواحد والذري بفتح الدال ما يُسْتَكَنُّ به أو كلُّ سائر يستبر به ويطلق على الظل أيضا والاستقرار الثبات والنوى الوجهة التي يقصدها المسافر أي ينوي الوصول إليها وهذا المعنى حل بيت من شعر المعقري البارقي من قصيدة مطلعها
امن آل شفاء الحول البواكر مع الليل إن زالت قبيل الأعاصر

يقول فيها أبيات

فألت عصاها واستقر بها النوي	كما قر عينا بالاياب المسافر
وصبغها أملاكها بكتيبة	عليها إذا امتت من الله ناظر
معاوية بن الجون ذبيان حوله	وحسان في جمع الركاب مكائر
فروا باطناب البيوت فردهم	رجال باطراف الرماح مساعر
وقد جمعوا جمعا كأن زهاءه	جراد هوي في هبوة متطاير
صبحناهم عند الشروق كتائبنا	كار كان سلمى شبرها متواتر
كأن نعام اللو باض عليهم	واعينهم تحت الحبيك جواهر
من الضار بين الكبش يمشون مقدما	إذا غص بالريق القليل الخناجر

إلى أن قال

ولم ينبج إلا من يكون بطمرة	بوائل أو نهده ملح مشاير
يفرج عنا كل ثمر نخافه	مسح كسرحان القصيبة ضامر

وكل طموح في العنان كأنها إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر

ذكر المعقر البارقي وبعض اخباره

هو سفيان بن اوس بن حماد وقيل بن حماد وسى معقرا لقوله في القصيدة

المذكورة آنفا

لما ناهد في المهدي قد نهيت له كما نهيت للبلع حسناء عاقر

وانما خص الحسناء العاقر بالذكر لأنها تتجيب الى زوجها أكثر من الولود وقد ذكر صاحب الاغانى ان هذه القصيدة قالها يوم جيلة من أيام العرب قبل الاسلام بنحو تسع وخمسين سنة وقيل بل في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت اذا تكون الوقعة في عام الفيل أي سنة ٥٧٠ ميلادية وجيلة هذه هضبة حمراء بين ماء بن لبي نيمروني كلاب ولها شعب عظيم متسع في داخلها وكانت هذه الوقعة من اعظم أيام العرب انتصر فيها بنو عامر وحلفائهم على بني تميم وحلفائهم وفيها قتل لقيط بن زرارة التميمي واسر حاجب اخوه وبسط حكايتها طويل ليس من غرض الكتاب ذكرها وكان المعقر البارقي يومئذ شيخا كبيرا اعنى تقود جملة ابنة له خلف القوم وتقول له هؤلاء بنو فلان هذا ما وقتت عليه من اخباره ولم أقف على تاريخ وقته وحاصل المعنى الذي اراده ابن زيدون رجائي ومنائي الاقامة بفنائك واستثناي التسأب بأدبك وحمل نفسي على سلوكها طريقتك فاذا حصلت على ذلك كنت الوفي بالطاعة لك والاقبياد لمراك

(المن) فلا أوجدُ للحاسدِ مجالَ لُفْظَةٍ وَلَا أدْعُ للقادرِ مَسَافَ

لُفْظَةٍ وَاللهُ مُيسِّرُكَ مِنْ اِطْلَابِي بِهَذِهِ الطَّلِبَةِ وَإِشْكَائِي مِنْ هَذِهِ الشُّكْوَى بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ المَصْنَعِ وَتَسْتَوِدُّعُهَا أَحْفَظَهُ سْتَوِدُّعُ حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ وَذَلِكَ بِيَدِهِ وَهِيَ عَلَيْهِ

(الشرح) لا أوجد من الایجاد والحاسد معلوم والمجال اسم للمكان الذى يجول فيه الجائل تقول جال الفرس فى الميدان وجال الرجل فى الحرب اذا قطعاً نواحيهما واللحظة النظرة بالعين ولا ادع لا أترك والقادح الطاعن فى غيره بدم أو نحوه والمساع اسم لما يساع أي يسهل مدخله فى الخلق يقال ساع الشراب سوفاً ومساعاً باسم المصدر والطلاب والطلبة من الطلب واشكائى من الشكوى أى سماع شكيتى والصنيعة المعروف قال الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع

لو اد فعال الخير وتستودعها تحفظها وحسباً أى عدد ما وما موصولة وصلتها قوله أنت خليق له والخليق الجدير بالشئ والحري الحقيق به ومنه بالحري يكون ذاك وانه لحري وحرّاً وحرّاً بالفتح والكسر والمعنى اذا حصلت على مارجوته وأملته فلا جرم لا يجد الحاسد فى مجال حسده لحظة يحسدنى فيها ولا القادح فى مساع قدسه لفظة يتقول على بها والله مسهل لك اجابة طلبى وإزالة شكيتى حسباً أنت جدير به من المعروف وانا احق به من غيرى واولى وكلا رجوته سهل عليك فعله هين عليك ففاده

(المتن) وَلَمَّا تَوَالَتْ غُرُرُ هَذَا النَّوْرِ وَاتَّسَقَتْ دُرَرُهُ فَهَزَّ عِطْفَ غُلُوَائِهِ وَجَرَّدَ ذَيْلَ خِيَلَاتِهِ عَارِضَةَ النَّظْمِ مَبَاهِيًا بَلْ كَأَيْدِهِ مُدَاهِيًا حِينَ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَعْطِفَكَ أَسْنِعُظَانُهُ وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ الْطَّافَهُ فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ مِنْهُ وَاعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ وَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الدِّهْنَ الْعَلِيلَ وَأَنَا طَرَأَ الْكَلِيلَ حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ مِنْهُ عَرُوسًا مَجْلُوءَةً فِي أَنْوَابِهَا مَنْصُوصَةً بِجَلِيَّتِهَا وَوَلَايَتِهَا

(الشرح) لما ظرف يقع لوقوع فعل سابق وهى بمعنى حين وتوالت تتابعت والنور جمع غرة وهى من كل شئ أحسنه واتسقت انتظمت والدر الجواهر والمراد به الكلام البديع مجازاً وهز عطفه بكسر العين مال بجانبه تيبها والغلواء

من الغلو أي تجاوز الحد وَجَرَ لَدَّيْلٍ سَجَبٍ يَطْلُقُ فِي الْأَصْلِ عَلَى طَرَفِ الثُّوبِ مِمَّا
يَلِي الْأَرْضَ وَإِنْ لَمْ يَمْسَسْهَا فَاسْتَعَارَهُ لِلنَّثْرِ بِمَجَازِ الْأَخْيَالِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْخَيْلَةِ بِنَتْحِ
الْخَاءِ وَكَسَرِهَا وَهُوَ الْكَبِيرُ وَعَجِبَ النَّفْسَ وَعَارَضَهُ جَوَابٌ لَمَّا أَى تَعْرَضُ لَهُ فِي
طَرِيقِهِ لِيَعْرِقَهُ وَيَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ وَالنَّظْمُ الْكَلَامُ الْمُتَقَفِي الْمَوْزُونُ كَمَا أَنَّ النَّثْرَ الْكَلَامُ
الْمُفْرَقُ مِنْ قَوْلِكَ نَثَرْتُ الْعِقْدَ أَى فَرَقْتُ نَظْمَهُ وَالْأَسْمُ النَّثْرُ وَمَبَاهِيَا مِنَ الْبَهَاءِ
وَهُوَ الْحَسَنُ وَيَلُ حَرْفُ إِضْرَابٍ لِلْمَخْرُوجِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى قِصَّةٍ مِنْ غَيْرِ إِبْطَالٍ لِلأُولَى
وَمَكَايِدَا مِنَ الْكَيْدِ وَهُوَ الْخَدْعُ وَمَدَاهِيَا مِنَ الدَّهَاءِ وَهُوَ النَّكْرُ وَجُودَةُ الرَّأْيِ
وَالْحَيْنُ الْوَقْتُ طَالَ أَوْ قَصُرَ وَالْإِشْفَاقُ الْخَوْفُ وَالْمَطْفُ بِنَتْحِ الْعَيْنِ الْمَيْلُ إِلَى الشَّيْءِ
كَأَلَا نَمَطًا وَالْأَلْطَافُ جَمْعُ لَطْفٍ أَى الْبِرِّ وَالرَّفْقِ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْهَدَايَا أَلْطَافٌ وَالْعَائِدَةُ
الْمُنْفَعَةُ وَاعْتَدَ احْتِسَابٌ وَيَسْتَكِدُّ مِنَ الْكَدِّ وَهُوَ الطَّلِبُ بِشِدَّةٍ وَالذَّهْنُ الْفَهْمُ وَالْمَلِيلُ
الْمَرِيضُ وَالْخَاطِرُ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالْكَلِيلُ مِنَ الْكَلَالِ وَهُوَ التَّعَبُ وَالْمَرَادُ بِالذَّهْنِ
الْعَلِيلُ وَالْخَاطِرُ الْكَلِيلُ الْفِكْرُ الْمَشْغُولُ بِمَجَازِ وَزَفَ إِلَيْكَ أَهْدَى مَأْخُودٌ مِنْ
زَفَافِ الْعُرُوسِ إِلَى زَوْجِهَا وَالْمَرَادُ بِهِ النَّظْمُ بِمَجَازِ تَشْبِيهِهَا لَهُ بِالْعُرُوسِ وَهِيَ كَلِمَةٌ يَسْتَوِي
فِيهَا الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ وَجَمْلُوهُ مِنَ الْجَلَاءِ وَالْجَلُوهُ وَأَصْلُ الْجَلَاءِ الْوَضُوحُ فَاسْتَعْمَلَ
لِلزِينَةِ بِمَجَازِ أَوْ مَنصُوصَةٌ أَى قَاعِدَةٌ عَلَى كُرْسِيِّ زَيْتِنِهَا وَالْحُلْمَى الْمَصُوعُ وَالْمَلَابِ الطَّيِّبُ
وَقِيلَ الزَّعْفَرَانُ يَقُولُ وَمَا تَنَابَعَتْ بَدَائِعُ ثَرَى فِي مَدْيَحِكَ وَأَنْتَظَمْتَ قَلَائِدَ الدَّرْرِ
مِنْهُ فَشَنَفَ الْأَذَانَ وَمَلَأَ الْأَذَانَ حَتَّى شَمَخَ بِأَنفِهِ وَاسْتَطَالَ بِقَدَمِهِ أَعْجَابًا بِنَفْسِهِ
عَارِضُهُ النَّظْمُ مَبَاهِيًا بِحَسَنِهِ لِيَعْرِقَهُ عَنْ طَرِيقِهِ بَلْ لِيَخْدَعَهُ وَيَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ بِدِهَائِهِ
وَجُودَةُ رَأْيِهِ حِينَ خَافَ مِنْ أَنْ يَمْطُقَكَ عَطْفَهُ وَيَسْتَمِيلُكَ مَيْلَهُ بِمَا أَهْدَاهُ إِلَيْكَ مِنْ
بِرَاعَةِ الْقَوْلِ وَإِحْكَامِ الْمَعْنَى فَاسْتَحْسَنَ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ بِالْأَحْكَامِ الْمَعْجَبِ وَاحْتَسَبَ
الْفَائِدَةَ لَهُ فِيهَا جَارِي النَّثْرِ فِيهِ وَمَا زَالَ يَطْلُبُ بِقِسْوَةٍ وَيَكْفُفُ بِشِدَّةٍ عَقْلِي الْمَرِيضِ
وَهُوَ لَجَسِي الْمَضْطَرِبِ حَتَّى أَهْدَى إِلَيْكَ مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي عُرُوسًا مَزِينَةً بِأَثْوَابِهَا

قائفة على كرميها بجليها وطيبها وأراد بها قصيدته الآتية بعد وقد أتى في هذه
الجملة من حيل الكلام الجالب للاستعطاف وتلين القلبوا بهتزازة طوعا أو كرها
ماتصل الافهام في تيه معانيه وقف جبري في أودية رفته ودقة مبانيه قال الشيخ
حمزة فتح الله قلا عن الصلاح الصفدي أن هذا الكلام يسنيه البديعيون
الاسجال بعد المغالطة لأنه غلط ابن جمهور بما خدعه من الكلام المتقدم بما سئل
عليه بعد ذلك أن هذا الذي قدمته . عطفتك وأمال نفسك فأشفيك بالنظم منه فيرد
يكايده ويساعده إلى آخره قلت وعندى أن هذا الكلام ينطبق على معنى التسبيح
أو المساهمة وهو قسم من أقسام اليمين وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على
ما تأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ مأخوذ من الثوب المسبب أي المخطط الذي يدل
أحد سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص
لمجاورته اللون الذي قبله ومن أمثلته قول أخت عمرو ذي الكلب

فأقسم يا عمرو لو نبهك إذا نبها منك داءا عضالا
إذا نبها ليث عريسة مقيت مفيد قفوسا ومالا

فتشبيها أخاها بالداء العضال وبيث العريسة مدح له وإنما الداء العضال أمدح
لعدم إمكان مغالبتة والتوق منه بخلاف ليث العريسة فإن التوق منه ممكن وعلى
ذلك يكون الوصف الأول قد برز الثاني كما يريد ابن زيدون أن الشعر ناضل النثر
فقلبه ولا تنس التصود بهذا البيان أنه المساهمة وهو مشاطرة النثر والنظم المديح
والله أعلم والمعنى أقدم لك شفاعتي وأشفعها بذراعتي نثرا ونظما فلا تهمل أمري
ولا تخيب أملى ثم بدأ بالنظم فقال

(من بحر الخفيف)

الهوى في طلوع تلك النجوم والتمنى في هبوب ذلك النسيم
مرقا عيشنا الرقيق الحواشي لو ينوم السرور للمستديم

الهوى مقصور ميل النفس وحب الشيء وطلوع النجوم ظهورها وسمى النجم نجماً لطلوعه ومنه يقال تَجَمَّ السن إذا طلع والتي من التنى وهبوب النسيم توران الريح اللينة والرقيق من الرقة والحواشي جمع حاشية وهو جانب الشيء يقال ثوب رقيق الحواشي أى الجوانب وآتى الأمير بحاشيته أى بجماعته الملتفين حوله وكنى بطلوع النجوم وهبوب النسيم عن صفاء الوقت واعتدال هوائه لان النجوم إنما تظهر ساطعة لألاءة في ليالى الصحو والنسيم يهب عليلاً في الايلم المعتدلة بين الحر والبرد فينعش الفؤاد ويروح النفس (والمعنى) هوى نفسى ومناها في زمن صفا جوه واعتدل هواؤه فسرني فيه طيب العيش ونعومته فلو كان سرور يدوم لأحد لدام لى وطراً ما اقضى الى أن تقضى زمن ماذمامه بالنسيم

إذ ختام الرضا المسوغ مسك وَمِزَاجُ الوصال من تسنيم
لوطر حاجة النفس لهم تطلبه فإذا بلغت قيل قضت وطراً واقضى وتمضى بمعنى
أى انتهى والزمم العهد والذميم المنعوم وختام الرضا آخره والمسوغ المسهل والمزاج
الخلط والتسليم أصله ضد التسطيع وفسر بأنه ماء فى الجنة يجرى فوق غرف
القصور على التشبيه من قول الله تعالى (ومزاجه من تسنيم) يقول لم أقض وطرى
الى أن اقضى عهد ذلك الزمن حين كان رضا المحبوب سهلاً ميسراً أتمتع فيه
بالاختلاط منه وأحظى بوصاله (والمعنى) أتأسف على زمن انتهى قبل أن ينتهى
وطرى من المحبوب وقد جرت عادة الشعراء أن ينتحوا قصائدهم بالغزل ثم
يتخلصون منه الى الملح وفي قوله اقضى وتمضى جناس الاشتقاق وفي زمم وذميم
جناس شبه الاشتقاق

وغريص الدلال غص جنى الصببوسة نشوان من سلاف النعيم
طالباً نافر الهوى منه غرماً لم يطلُ عهدُ جيده بالنميم
الغريص الطارى والدلال من الدل وأصله ما فعله المرأة مع زوجها جراءة عليه

كأنها تخالفه وما بها خلاف والنض الناضر والجنى أصله ما يُجنى من الثمار في إبان نضجها
واستعاره للطراءة والنافر المدعور وبه توصف الطباء لأنها تنفر من الصائد والغر
الحدث أى الصغير السن والتميم والتأم جمع تيمة وهى عوذة تعلق للصبي لتقيه شر
العين يصف سروره الماضى بمضى ذلك الزمن حيث محبوبه كثير الدل جميل
الطلعة حلو اللعى وكأنه لدلاله الظلي النافر ويكاد لصغر سنه لم تعط عنه التأم

(زار متخفيا وهيات أن يخفى سنى البدر فى الظلام البهيم

فوشى الحلى اذ مشى وهفا الطيب الى حس كاشع بالنسيم

هيات كلمة تبعيد سنى البدر ضوءه والظلام البهيم خاص بالليل دون سواه
ووشى من الرشاية أى نم واستعاره لصوت الحلى أى وسوسته والكاشع العاقل
وهنا أى ذهب فى الهواء طيبه وهذا المعنى كقول الشاعر

ثلاثة منعتها من زيارتنا خوف الرقيب وعين الحاسد الخنق

ضوء الجبين ووسواس الحلى وما حوت معاطفها من عنبر العرق

هب الجبين بفضل الكم تسره والحلى تزرعه ماحيلة العرق

(والمعنى) زارنى الحبيب ليلا خوفا من أعين الرقباء ولما كان شبيها بالبدر وهو

القمر الممتلئ فى سطوع ضوءه لم يخف عن العيون شخصه فتم عليه وسواس

الحلى وهفا نسيم عرقه الطيب فحس به العنول

(أيها المؤذن بظلم الليالى ليس يومى بواحد من ظلوم)

(قمر الأفق ان تأملت والشه س هما يكسفان دون النجوم)

عدل عن وصف المحبوب الى خطاب العاقل والمؤذن من الايدان وهو الاعلام

والمظلوم الظالم فقول بمعنى قاتل وقوله ليس يومى بواحد من ظلوم مثل من أمثال

المولدين ذكره لليدانى فى مجمع الامثال فى حرف اللام اى ليس يومى واحدا فى

الظلم بل كل أيلمى ظالمة لى وقد كرر هذا المعنى فى حرف الميم بقوله ما يومى منك

بواحد اى ليس الظلم على من جهة واحدة والأفق التناحية بين السماء والارض والكسوف يشمل القمر والشمس ولكن ارباب المعاني ميزوا بين الكسوف بأن الأول ذهب الكل والثانى ذهب البعض والاجود ان يقال خَسَفَ القمر وكسفت الشمس (والمعنى) أيها العاذل الذى انتزعتى بظلم الليالى ليس ظلمى من يوم واحد بل كل أيامى ظلمة لى ولى أسوة بالقمر والشمس اللذين ينيران الاقنق فانهما يكسفان دون سائر الكواكب أراد أن الظلم كثير وهو بكبار الرجال أكثر كما أن الكسوف خاص بهذين الكوكبين النيرين دون الكواكب الاخرى ويمجبنى فى هذا المعنى قول الأمير شمس المعالى قابوس بن أبى طاهر صاحب جرجان لما خلع عن الملك وعاواه الدهر

قل للذي بصروف الدهر غيرنا هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تملو فوقه جيف وتستقر بأقصى قعره المرور
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا ومسنًا من تهادى يؤسه ضرر
ففى السماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر

وهذا من أحسن ما يقال فى تصريف الأيام

(وهو الدهر ليس ينفك ينحو بالمصاب العظيم نحو العظيم)
الدهر يطلق على معان شتى كالامد المحدود ومدة عمر الدنيا والزمان الطويل وهو المراد هنا وليس ينفك اى ليس ينقطع من قولهم فككت الشيء اذا ابتنته من بعضه والنحو القصد والجهة والطريق والمراد الاولومنه سموا اعراب كلام العرب نحو الآن المتكلم ينحو به منهاج كلامهم افرادا وتركيبا والمصاب من المصيبة وهى النازلة القبيحة والعظيم الأول نعمت لمصاب والثانى اسم للرجل الرفيع القدر (والمعنى وهذا الزمن من عاداته أنه يقصد بمصابه العظيم عظام الرجال)
(يوأ الله جهورا اشرف السو دد فى السرو واللباب الصميم)

(واحد سلم الجميع له الامه ر فكان انلصوص وفق العموم)
 (قلد الغمر ذا التجارب فيه وا كتنى جاهل بعلم العليم)
 (خطر يقتضى الكمال نوعي خلق بارغ وخلق وسيم)
 بواً اي أنزل من المباءة وهي منزل القوم في كل موضع ومنه يقال ليكناس للثور
 الوحشي مباءة وجهور ممدوحه واسمه ابو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور
 ابن عبد الله بن محمد الغمر بن يحيى بن أبي المافر بن عبيدة الكاهن وأمه رثس
 الجماعة قرطبة وهو الذي استولى على قرطبة حينما خلع الجند آخر خليفة من بني
 أمية بالاندلس فكا من ملوك الطوائف ولما مات خلفه هذا الممدوح والسرو
 الشفاء والياب جمع ليب وهو قلب الشيء وخالصة والصميم مثله ويوصف به الرجل
 الشجاع وسيد القوم وبهذا البيت الاول تخلص من الغزل بالمحبوب وشكوى الزمن
 والمندول الى المدح ولكنه اقتضبه اقتضابا وكان يجب أن يكون مخلصه احسن من
 هذا (وقد وصف نظمه بعروس مجلوة في أنوابها منصوعة بحليها وملاياها) كخلص
 ابي تمام في قوله

مازلت عن سنن الوداد ولاغدت قفى على لاف سواك نجوم
 لا والذي هو عالم ان النوى مر وان أبا الحسين ككرم
 وأحسن منه مخلص أبي عبادة البحتري في قوله في وصف البركة
 تغى بساينها القصوى برؤيتها عن السحاب منحلا عزاليها
 كأنها حين جلت في تدقها يد الخليفة لما سال وادياها
 وكقول أبي الطيب المتنبي

ومطالب فيها الملاك آيتها تبت الجنان كأنى لم آتها
 أقبلتها غر الجياد كأنما أيدى نبي عمران في جبهاتها
 وقوله واحد سلم الجميع له الامر ابي ملك متفرد القت الناس زمام امورهم اليه
 (٤٨ - ٤٩)

وعنى بالخصر وفق العموم تساوي الخصاص والعام في تسليم الامور اليه والفرع
بافتح والسكون جماعة الناس وانظر الشرف وانخلق البارح السجية الفاقة
والخلق الوسيم الصورة الجميلة (والمعنى) انزل الله ابن جهور اعظم منازل الشرف
في السخاء والمروءة والعز الكامل تفرد بالسلطان فسلم الخصاص والعام بل الجماعة
كلهم قيادهم اليه حين وجدوا في شخصه ملكا عالما بتدبير سياستهم فكان عالمهم
كالجاهل بالقياس اليه مع ما تحلى به من حسن الخلال خلقتا وخلقته وفي قوله الواحد
والجميع والخصوص والعموم والجاهل والعليم المقابلة بالاضداد

(اسوة الروض من بطيبك يحظى نظري ما عندته وشيبي)

أي ان مليكه مثل روضة تفتحت ازهارها وعبق في الجوشذاها فحظى برآها
نظره وبطيب شذاها شبيبه (والمعنى) ان مولاه طيب النفس كريم المحدث وسيم الطلعة
(أي هذا الوزيرها انا أشكو والعصا بده قرعها للحليم)

لما فرغ من المدح التفت الى العتاب مشيرا ومخاطبا مولاه بلفظة الوزير وهو
التهب الصحيح لمالك الطوائف واما رفته الى منازل الملوك فيما تقدم زيادة التعظيم
والتفخيم والحليم أحد حكام العرب في الجاهلية وأسمه ذوالحلم وارانده ما في قول
الحرث بن وعة اليشكري

أقلت سيدنا بلارة إلا لتوهن قوة العظم
ووطأتنا وطاءً على جنف وطاءً المقيد نابت المهرم
وزعمت انا لاحلوم لنا إن المصاقرعت لدى الحلم

ذكر ذلك ابن نباتة السعدي في شرح الرسالة الهزلية وذكر الميداني في مجمع
الامثال للمتلص

لدى الحلم قبل اليوم ما قرع العصا وما علم الانسان الا ليحلم
وقد ذهب قرع العصا مثلا يضرب لمن اذا نبهته اتبه قل الميداني واول من

قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيبة قروها له اخوه سعد بجزيرة النعمان
ابن المنذر مشيرا اليه ان يقول قولاً فيه بختاه وكان الثعلبي قد آلى ان هو اختلف
قتله وحكايتها طويلاً هذا مختصرها وفي ذلك يقول سعد

قرعت العصا حتى تبين صاحبي ولم تك لولا ذاك في القوم تفرع
قال رأيت الارض ليس بمحمل ولا سارح فيها على الرهي يشبع
سواء فلا جذب فيعرف جذبها ولا صابها غيث غزير فتزعزع
فنجى بها حوباء نفس كريمة وقد كان لولا ذاك فيهم تقطع

واختلفوا في ذي الحلم فبعضهم يقول هو عامر بن الظرب المدنوي وكانت العرب
لا تصفك بنهم فيها ولا يحكه حكماً فلما طمن في السن انكر من عقله شيئاً فقال
لبنيه اني كبرت سني وعرض لي سهو فلذا رأيتنوني خرجت من كلامي واخذت
في غيره فاقروا لي المجن بالعصا وقيل كانت له جارية يقال لها سخيلة قال لها
اذا انا خولطت قترعي لي العصا فاتي اليه بمخني ليحكم فيه فلم يدر ما الحكم فجعل
ينحر لهم ويطمهم ويدافعهم بالقضاء فقالت سخيلة مالك قد اتلفت مالك فغيرها
انه لا يدرى ما حكم انخني فقالت له اتبعه مباله قال الشعبي فحدثني بها ابن
عباس فلما جاء الاسلام صارت سنة وتزعم ربيعة انه قيس بن خالد ذي الجدين
وقول تميم بل هو ربيعة بن مخاشن واليمن تقول هو عمرو بن حممة الدؤمي
والله اعلم (والمعنى) اشكو اليك شدة الحال وسوء النكال لتعدل في حكمك
على فقد قرعت العصا قبلك لدى الحلم فانتبه

(المتن) مَا عَنَّا نَأْنِ يَأْتَفَ السَّابِقُ الْمَرْءُ * بِطَ مِنْهُ فِي الْعِتْقِ وَالنَّطْهِيمِ
وَتَوَاءَ الْحُسَامِ فِي الْجَفْنِ يَثْنِي * مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالنَّصْنِيمِ
أَقْصَبُ مَثِينَ تَحْسِي مِنَ الْأَيَّامِ * بِرِ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ

الشرح ما عنانا أي ما اعمنا والافقة الالباء والسابق من الخليل ما احرز الرهان

في السبق والمربط اسم للموضع الذي يربط فيه والعتق والتطهير من صغى الفرس
الكريم يقال فرس عاتق اذا سبق الخيل وفرس مهطم اذا كان حسن الخلقة تام
الجمال وقد ذكروا ان الفرس الكريم اذا سُكِّلَ بالشكال سهل شوقا الى الحركة
قال المتنبى

وان تكن محكات الشكل تمنعني ظهور جرثي فلي فيهن تصهال
والثواء الاقامة بالمكان واستعاره للحسام مجازا ويأتي منه أى يصرفه عن عمله الذى
خلق له لأن بقاءه فى جفنه أى غمده حبس له كالفرس المربوط وقوله فى
المضاء والتصميم أى فى القطع يقال له سيف مصمم وسيف ماض أى قاطع ضرب
مثلا لنفسه وهو فى السجن بالفرس الكريم المربوط والسيف القاطع المعتمد وكلاهما
معطل عما خلق له وقوله ناهيك كلمة تعجب واستعظام للشئ أى ما أشده من
عذاب أليم (والمعنى) ما أهمنى السجن لذاته وان كانت نفس الحر تأباه وتعافه
واتما أهمنى طول البقاء فيه فكيف الصبر عليه خمسمائة يوم معذبا مهانا وأى
عذاب مثله

(ومعنى من الضنى بهناتٍ نكأت بالكوم قرح الكوم)
المعنى المتعب والضنى المرض الثقيل والهناات جمعها هنوات وهى الداهية وعبر بها
عن المصيبة التى حلت به ونكأت أى قشرت وفى المثل نكأ القرح بالقرح أوجع
قال مسعود بن عقبة

ولم ينسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكأ القرح بالقرح أوجع
أوفى اسم لهشام أخى ذى الرمة الشاعر قالوا أن الجرح اذا جلب أى علته قشره قريفة
عند البرء ثم صدمها صادم قشرها كان ذلك أشد ايجاعا (والمعنى) واصبحت
متعبا بشر حال من المرض الثقيل كالجريح الذى فكىء قرحه فاشتد ألمه
(سقم لا أعاد منه وفى العا تد أنس يني يبرء الجقيم)

(ناريني صبي الى جنة الانس لظاهما فاصبحت كالصرير)

سقم تفسير أو توكيد للضيق في البيت السابق لهذا ولا أعاد بالبناء للمجهول أي لا أزلزله وقوله وفي المائدة أنس يعني يبرء السقيم أي أن في الزيارة له ازالة الوحشة بما يكاد يقوم مقام الشفاء والبنى الظلم والظلي لهيب النار وقد استعار النار للبنى والجنة للانس مجازاً وقوله فاصبحت كالصرير لفظ القرآن الكريم قال الله تعالى (إنا بلونهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصر منها مصيبين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم ناعون فاصبحت كالصرير) قال المفسرون عن رجال باليمن كانت له جنة يأخذ منها قوت صوته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمسكين ما أحاط للتخل من الزرع والتطاف من العنب والتخل وما بقي على البساط الذي يبسط تحت التخل فلما مات شح بنوه على المساكين بما كان يتركه أيوم وحلفوا على قطعها في الفلوس كيلا يتركهم الفقراء فأصابتها نار في الليل فاحترقت واصبحت كالصرير أي سوداء كالليل المظلم (والمعنى) وذلك الضيق سقم نزل بي لا يودني في السجن عائد يخفف ضيق من آلامه وظلم لحقني من أهل البغي والعدوان أبدل من نعمتي بؤسا ومن أنسى وحشة وفي قوله سقم وسقم رد العجز على الصدر

(بأبي أنت ان تشأك بردا وسلاما على كنان ابراهيم)

الضمير للنار أي أفديك بأبي ان أردت خيرا بي كانت هذه النار بردا وسلاما على كنان ابراهيم خليل الرحمن الذي القاه فيها نمرود فنجاه الله (والمعنى) ان شئت خلاصي من السجن سلمت من الهلاك

(لشفيع الثناء والحمد في صوب ب الخيا للرياح لا للغيوم)

الثناء وصف بمدح أو ذم وقيل خاص بالمدح وهو المراد هنا والحمد والشكر وصوب الخيا وقع المطر وقوله للرياح لا للغيوم أي أن الحمد في نزول المطر للرياح لا للسحب وهي الغيوم لانها تسوق السحاب فتخرجه ثم تنشره وتبسطه في السماء فيسيل ماءها

قال الله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بُشراً (وقرىء نُشراً) بين يدي رحمة
 حتى اذا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ اِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ اِماء) فمن ذلك كان
 الفضل في نزول المطر للرياح لا للغيوم (والمعنى) الشاء لشافى عندك استحقته
 منى كما استحق الرياح المدح في نزول الغيث وأراد بالشافع مولاه
 (وزعيم بان ينل لى الصه ب مثابى الى الهمام الزعيم)

الزعيم الأول الكفيل وهو خبر مقدم ومثابى أى رجوعى مبتدأ . مؤخر والزعيم
 الثانى سيد القوم (والمعنى) ورجوعى الى باب مولاي الزعيم زعيم بان يهد لى
 صباب الامور فاكون عند ظنه بى وفي زعيم وزعيم الجنس التام ورد المعجز
 على الصدر

(وثناء أرسلته سلوة الظا عن عن شوقه وهو المقيم)

(ووداد يغير الدهر ما شا . ويبقى بقاء عهد الكريم)

(فهو ريحانة الجليس ولا غر . ووفيه مزاج كأس النديم)

الظاعن المسافر تقول ظمن فلان اذا سار (والمعنى) وهذا ثناء أرسلته اليك
 يُنسى المسافر شوقه لأهله وبروح قلب المقيم أنسه لطلأوته وحسنه وحب صادق
 يغير الدهر ماشاء ولا يغيره بل يبقى بقاء وقاء الكريم بهمه فهو كالريحان فى مجلس
 أنسك والمزاج فى كأس نديمك

لم يزل مغضيا على هفوة الجا فى مصيخا الى اعتذار المليم

ومنى تبدل الصنعة يولعك تمام الخصال بالتنميم

الاعضاء خفض الطرف والمراد به تناسى الذنب والهفوة الذلة والمصيخ المستمع
 والمليم من يلام وهو مذنب بخلاف الملوم فانه الملام ولا ذنب له وانما قال المليم ولم
 يقل الملوم اعترافا منه بالذنب جدلا ويولعك يفرئك والتنميم التكميل قال البحتري
 ومثلك ان أبدي الفعالم أعاده وان صنع المعروف زاد وتما

(والمعنى) لم يزل مولاي موقفا مسددا يتناسى بحلمه المهود زلة الجاني ويقابلها بالصفح والستر سامعا اعتذار المذنب المعترف بذنبه ومني بدأ في عمل الخير أغرته

خصاله الشريفة على اتعابه أحسن تميم انتهت القصيدة ثم قال

(المتن) هَكَأَ أَعَزَّكَ اللهُ يَبْسُطُهَا الأَمَلُ وَيَقْبِضُهَا الخَجَلُ لَهَا ذَنْبُ

التَّقْصِيرِ وَحُرْمَةُ الإِخْلَاصِ فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةِ وَاشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ لِيَتَأْتِيَ لَكَ الإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ وَيَسْلُكَ إِلَى الفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ

الشرح ها كها أي خذها اليك والضمير للقصيدة واعزك الله جملة معترضة

دعائية ويبسطها ينشرها والامل الرجاء والقبض ضد البسط والحرمه من الاحترام والايخلاص ترك الرياء واشفع أي زد نعمة الى نعمة ويتأتى لك أي يتبأ والاحسان

ضد السيئات أو فعل الخير وجهاته نواحيه ويسلك يدخل والطرق مؤنثة جمع طريق وحاصل المعنى خذها اليك قصيدة غراء تمدها يد الأمل فيك ويثنيها

عامل الحياء منك حوت ذنب العجز عن استقصاء محامدك والتزمت الاخلاص

في صدق خدمتك فهب ذنب تقصيرها لحرمه اخلاصها وزد نعمتك السابقة بنعمة

العفو اللاحق ليتبأ لك الاحسان من نواحيه ويدخل بك الفضل من طرقاته يريد

قبل مني ما بسطته من اعتدالي وتذلي جاهدا في سبيل رضاك طامعا في عفوك

وبرك ومثله في حسن الاعتذار للجاحظ قوله فان كنت لا تهب عقابي لحرمتي فهبه

لأ ياديك عندي فان النعمة تشفع في النعمة وفي رواية فان النعمة تشفع في النعمة

فان لم تفعل ذلك للحرمه فافعله لحسن الأحذوثة وعد الى حسن العادة وان لم تفعل

ذلك لحسن العادة فأت ما انت أهله واعلم أني واياك اذا تحا كمتا الى كرمك قضى

لي عليك ومني ارفعنا الى عدلك حسن العفو لي فهذا من أحسن ما يقال في هذا المعنى

انتهى الشرح بحمد الله وحسن توفيقه

يقول العبد المفتقر الى ربه الكريم عبد الله المعروف بأبي بكر بن محمد بن عثمان
ابن عليم تصغير علم المصرى الشرقاوى الحسينى لسبا قد فرغت بعون الله
وتوفيقه من هذا الشرح فى يوم الجمعة المبارك لتسع خلون من شهر
ذى القعدة الحرام سنة سبع وثلاثين وثلثمائة والى من الهجرة
النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية الموافق ١٦
من شهر أغسطس الأفرنجى سنة ثمانى عشرة وتسماة
بعد الألف الميلادية والحمد لله أولاً وآخراً وصلى
الله على سيدنا محمد سيد الأولين وختم
الأنبياء والمرسلين وعلى آله
وصحبه أجمعين آمين آمين



الْبَيْقَاتِزِي

لا فرغت من اتمام هذا الكتاب واعدته للقراء رأيت من أول وانجي أن
أعرضه على أقطار السادة العلماء والكتاب الأدباء لاستنير بأفكارهم وامترشد
بملاحظاتهم فيما يرونه من حيث الاسلوب الذي توخيته في الشرح والتطبيقات
التي رأيتها تناسب أغراض الرسالة وقد يعطى القلم فيسبح في العكر ويغوص
الفكر فيصرف عن التقاط المصداق واتي على درك سالم ينتهي أقدر مني على رد
ما فاتني وما كنت أحسبني ألاقي ما لاقيت من كرم أخلاقهم وجميل عطفهم من
التشجيع على نشره وامتحسانهم لمواضيعه الأمر الذي أعجزني عن ايفاء شكرهم
والاعتراف بفضلهم فقد تناولوه بحثا وتمحيصا ولم يرضوا بوقتهم الثمين في تصفحه
واستقصاء أخباره وبعثوا الى بتقاريرهم الدالة على تقنهم بهذا العاجز الذي لا يستحق
شيئا مما كتبوه فحق على أن أذيل كتابي بلآله أقوالهم ومحاسن نقائهم والله
سبحانه يجزيم عنى وعن الأدب خير الجزاء ويسبل بجميل ستره عليهم الغطاء
واني مع حفظ المقامات أقدم التاريخ فيما وصلتني من كتاباتهم فاول من تفضل
فبعث الى بكتابه حضرة العالم المحقق والأديب المدقق الشيخ الجليل والتدوة
النبييل الطيب احمد هاشم متقى السودان وقد توفي رحمه الله وغفر له (قبل طبع
هذا الكتاب) قال فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من خلقت الانسان وعلمته البيان وفتقت منه اللسان فجعلته

(م - ٤٩)

دليلا على ما في الجنان وقصصت علينا أحسن القصص في كتابك المجيد وتلوت
 علينا من أخبار السابقين ما به نعتبر ولستفيد ونصلى على نبيك محمد منبج
 الأحكام والحكم ومعدن الفصاحة والرجاحة والفضل والكرم وعلى آله السادة
 الكرام واصحابه الأكارب الأعلام

أما بعد فقد سرحت طرفي في الشرح المسمى بالدر المخزون على رسالة ابن
 زيدون للأديب الكاتب الماهر المصنّع والنائر البارع الواضح المبيح الشيخ أبي
 بكر بن محمد بن عليم نجاه الله تعالى من كل ضيم فوجدته شرحا وافيا واضحا جامعا للأدب
 ولسيرة الأدباء جانبا طويلا غير ممل كما أنه في بيانه غير مخل فهو الوسط المطلوب
 للأشرف لا الطرف الأول ولا الآخر^(١) اللذان هما من سيمت الأطراف فهو
 كاسه الدر المخزون بل الجواهر المكنون يحتاج إليه الأديب ولا يستغنى عنه العالم الأديب
 فجزاه الله تعالى أحسن ما يجازى مؤلفا عن تأليفه وعن بيانه وترصيمه وترصيفه وأطال
 عمره واكرمه في الحال والمآل وادام عليه ستره والبسه حل الكمال وقد قلت شعرا

زالت شواغل قلب كان محزوننا	لما رأيت كتاب الدر مخزوننا
فحين سرحت طرفي في محاسنه	غدوت منشرحاً بالشرح مفتوننا
وَسَمِيتُ دُرَّ الماتى لا يناسفها	در نفيس بجيد ظل مكنوننا
فذاك شرح أبي بكر العليبي على	رسالة الفاضل الخبر ابن زيدوننا
لما تصفحته ثاقت ^(٢) من سبقوا	نظما وثرنا وآدابا وتبيننا
شرح به غرر التاريخ واضحة	وكل فن به جاد المجيدوننا
شرح حوى جملا من كل شاردة	فكان فلكا بكل العلم مشعوننا
فهو الوسيط بلا طول ولا قصر	تراه في سائر الحالات موزوننا

(١) يريد كلا طرفي الأمور فميم وخير الأمور الوسط

(٢) جالست ولازمت

فكان عقدا فريدا لانظير له
 أحسنت يا ابن عليم في تنمقه
 أودعت شرحك هذا كل فادرة
 جلبت فيه قول السابقين وما
 دامت فضائلك اللاتي كملت بها
 ودام شرحك مقبولا ومخزونا
 وكان كثرنا عن الابصار مدفونا
 فزادك الله احسانا وتحسينا
 وزقه بعظات الدهر تزينا
 ألوت جهدا وما قصرت تدوينا
 انخرطوم في يوم الخميس المبارك ٣ محرم الحرام سنة ١٣٣٩ و ١٦ ستمبر سنة ١٩٢٠
 كته القدير اليه (الطيب احمد هاشم)

وكتب الى حضرة الاديب الماهر والشاعر القادر صالح افندي بطرس من
 متخرجي القسم العالي بكية غردون واحد موظفي المصلحة القضائية السودانية
 بقصيدته الآتية والمتأمل فيها يرى انه يتحوى في مناحيه اماليب الشعراء المتقدمين
 في افتتاحياتهم بغزل المؤنث مع مائة الفاظها وجودة معانيها قال

ان كنت لا أتمنى بآية ما
 عطلت جيدك من حلي الشدر
 هاتي فزني المطل واستغني
 بقود (در) من أبي بكر
 واستعرضي (المخزون) منه ترى
 ما شئت من نظم ومن ثر
 قدرام في الحسين^(١) ان يجري
 فشأى^(٢) واحرز قابه الذكر
 واستوجب المدح المضاعف ما
 اوتيه من جد ومن صبر
 وسعى الى تلك المعجوز^(٣) وقد
 ما زال يرتاد الثمين لها
 ويحوك من وثى البلاغة ما
 من خير زخرف صاغة الشعر
 ينسب ثياب السندس الخضر

(١) يريد بالحسين منى عمر الشارح (٢) شأى سبق (٣) المعجوز الرسالة

حتى اعاد لها زمان صبا ولي بقوة ذلك السحر
 فنتت نجر القليل من مرح تروى حكاية سالف العصر
 حتى اذا وافتك تخطر في بردى فتاة غضة العمر
 ورأيتها اهلا لما يرضي طبع (الاديب) مددت بالمشر
 انظرطوم في ٢٤ ستمبر سنة ١٩٢٠ (صالح بطرس)

ووفائي الكتاب الآتي من حضرة العالم العلامة والحبر البحر الفهامة عمدة
 الفقهاء المحققين وصفوة الاخيار العاملين الشيخ محمد أمين قراعه السيوطي المصري
 قاضي قضاة السودان وهو ازهرى من بيت نبغ منه علماء أجلاء بالقطر المصري
 يقول فيه

حضرة الأديب الفاضل . . .

لو كان لي منسج من الوقت أتمكن فيه من تصفح كتابك الذي ارسلته الى من
 شرح رسالة ابن زيدون لأمكنني ان امتع نظري بالاطلاع على كثير مما كتبت
 وأعطيك رأيي فيه ولكني لم اتمكن الا من القاء نظرة بسيطة تيسر لي بها معرفة
 انك بذلت جهدا مشكورا في سبيل شرح هذه الرسالة البديعة والاتيان بالتقصص
 التي يشير اليها صاحبها على الوجه الأكمل وانك بالغت في ان تكون عباراتك
 له رقيقة رقة الرسالة التي تصديت لشرحها مع عدم تقصير في اظهار ما استتر في
 زواياها فصديق المثل (وافق شن طبقه واقه فاعتنقه)

فبينما يراك القاريء مشتغلا بتبيين الفاظها اللغوية اذ يراك لم تهمل ما يتعلق
 بها من النحو وعلوم البلاغة ولقد تضاعف احسانك اذ أتيت بتاريخ الرجال الذين
 كانت لهم كلمات او أبيات في الرسالة تاريخياً وافيا مع بعض ما اخترته من أشعارهم
 واذا كان التأليف في وقتنا هذا قد خلا في الأكثر من الابتكار وانما فضله لحسن

الاختيار فن في اختيارك التعرض لشرح هذه الرسالة والاسلوب الذي اتخذته فيه
ما يشهد لك بغزارة المادة الأدبية وسعة الاطلاع فجزاك الله عن الادب وأهله خير
الجزاء وفقه الطلمين بكتابك وأكثر في الامة أمثالك

ويحسن بك عند الطبع أن تراعى بالدقة خلو العبارات عما قد يكون بها من
خطا لا ينطبق علي القواعد العربية هذا وأرجو في الختام أن تتقبل عندي والسلام
عليكم ورحمة الله ما

محمد أمين قراعه

الخرطوم في ١٦ محرم سنة ١٣٣٩ - ٢٩ نبتمبر سنة ١٩٢٥

وتكرم حضرة العالم الكامل والورع العامل الذي جمع الى علوم الشريعة علوم
الأدب ثمراً ونظماً الشيخ أبو القاسم بن أحمد بن هاشم شيخ علماء السودان بالمعهد
العلمي بام درمان فبعث اليّ بكتابيه الآتي يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الأدب حرفة أهل النهي وحلية أهل التقى والصلاة
والسلام على سيدنا محمد النبي بُعث متما لمكارم الأخلاق وعلى آله وصحبه
الحائزين في الأدب قصب السباق وبعد قد سرّحت طرفي في شرح الدر المحزون
على رسالة الامام ابن زيدون تأليف الأديب الأريب واللوزعي النجيب الافندي
أبي بكر بن محمد بن عليم فأكرمه إذ ألقينته شرحاً مفيداً ممتعاً وافياً يجعل الفاظها من
الوجهة اللغوية حلاً صحيحاً وبيان معانيها المرادة لمؤلفها بياناً مقبولاً مليحاً مع وجازة
وحلاوة وفصاحة وطلاوة معززا لذلك. يبيان مضارب الأمثال ومواقع الحوادث
التي لمع لها صاحب الرسالة مع الاستطراد لبيان تواريخ الرجال الذين لهم إلمام
بتلك الحوادث بحالة دلت علي سعة اطلاع ذلك المؤلف وعلو كعبه وغزارة مادته
في الأدب علي أن فيها أجادته قريحته الوقادة في مقدمة شرحه العجيبة كفاية

ولعنه الحق لقد كان ذلك المؤلف كئيباً مخبواً تحت طيلسان مهنته لم يعرف
إلا بعد ابرازه لدوره المخزون وهكذا الرجال تعرف بأعمالهم ولعل في تسميته
لشرحه بذلك طبعاً لهذا المعنى

وقد ذيلت تعريفى لهذا الشرح بعد سيرة بهذه الأبيات قلت

قد نظم الدرر عقد من الكلم	له در أبى بكر وفطنته
رسالة لابن زيدون قى القلم	شرحا بديماً مفيداً ثم ألبسه
ما قد حوته من التلميح والحكم	أجاد فى شرحها شرحاً أبان به
شئى وأعرض عن العذال فى صمم	قلزم قراءته يعنىك عن كتب
ما فى أديبك من فضل ومن همم	دألتنا يا أبى بكر العليبي على
على انفرادك بالأدب والشم	وباء شرحك عنواناً وتذكرة
بلا يداينك غير الحاذق الفهم	أرقتك همتك الشما لشرح كنا
بسطة تاريخ ما يحوى من الامم	أوضحت مشكله يئنت جملة
خير او كوفئت بالاحسان والنعم	جوزيت عنا نبي السودان قاطبة
جميل صنعك فاسلم للعلى ودم	لك اللثا والى الشكر الجزيل على

ابو القاسم أحمد هاشم

خادم العلم والعلماء بالمعهد العلمى

أم درمان فى ٢٦ محرم الحرام سنة ١٣٣٩ - ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٠

وجاء في الكتاب الآتي باللغة الانكليزية من جناب المستشرق الشهير
والعالم المؤرخ الكبير المتضلع في علوم لغات جمة الامتياز المستر س. هيليسون
مدرس اللغات والتاريخ بالقسم العالي بكلية غردون بعد أن اطلع على كتابنا بالعربية
فأدرجناه بحروفه وسنأتي على ترجمته بعد

Ahmed B. Abdallah, Known as Ibn Zaidun (A.D. 1003 - 1071) was a famous poet and litterateur of Muslim Spain, and held high office at the courts of Several rulers He enjoys a high reputation as the author of RISALAHS or epistles in ornate prose in which he employs all the rhetorical artifices of the Arabic Language. the most famous of these was that addressed to his rivah Ibn Abdue on which Ibn Nubata composed a famous commentary in the 11th Century. The Epistle to Ibn Jahwar which is now before us was published in 1889 with a Latin translation by Beethorn, but does not seem hitherto to have Found an Arabic Commentator It is therefore a matter of Satisfaction that Abdalla Abu Bakr Eff, Mohammed Oleim has undertaken to explain the historical allusions and linguistic difficulties of the text; a task for which he appears to be well Fitted by his wide reading and by his enthusiasm for his Subject. The Book Certainly deserves to be printed and should be read by all intrested in the byways of Arabic literature.

Ed. S. HILLELSON,

Gordon College,

Khartoum.

23, 10. 1920.

وهذه ترجمة الكتاب الى اللغة العربية نقل

أحمد بن عبدالله المعروف بابن زيدون اللولود في سنة ١٠٠٣ والمتوفى في سنة ١٠٧١ ميلادية شاعر من فحول شعراء الأندلس ومشاهير أدبائها المسلمين وقد قلد وزارة الدولة في خلافة حكم عديدين وطار صيته وذاع اسمه بزعامته التي صاغها في قالب من النثر البليغ جمع فيه طرائف اللغة العربية ومحسناتها البديعية وأشهر تلك الرسائل رسالته التي وجه بها الى قرنة ومناظره ابن عبدوس التي ألف فيها ابن نباتة شرحه المشهور في القرن الرابع عشر اما الرسالة التي ازجى بها الى ابن جهوز وهي هذه التي بين ايدينا فقد طبعت عام ١٨٨٩ ميلادية مع ترجمتها اللاتينية بقلم يستهرون ولكنها لم تصب على ما ظن الى اليوم شرحا وافيا من العربية ولهذا كان من يواعث السرور ان تناولها عبدالله ابوبكر أفندي عليم بالشرح الوافي ممبضا القناع عن شواهدا التاريخية ومبيننا ما غرض من معانيها اللغوية لسعة اطلاعه وغزارة مادته وهو أهل لهذا العمل الشاق في هذا المبحث الخطير فالكتاب جدير بان ينشر على الناس ويقرأه جميع محبي الأدب العربي ورواد مناحيه المتشعبة الشائقة كلية غردون في ١٢٣ أكتوبر سنة ١٩٢٠ الامضا (س . هيلسون)

ووافني الأبيات الآتية من نظم حضرة شاعر العرب الكبير وخطيبها المصقع الشهير الشيخ فواد الخطيب بعد ان اطلع على كتابنا ولعمري انها لنتم عن عرفه وتنبىء عن طيب غرسه فقد حوت من القدرة الشعرية وسعة الخيال ما يشهد له بالسجية القائمة قال

قل يا ابا بكر فانت مصدق	ملك النفوس يانك المتدق
واشرح من الادب العتيق خريدة	عصاء يشرق نورها المتألق
أوحى ابن زيدون اليك بسره	فشرحت من مكنونه ما يفتلق
وجعلت من تلك الرسالة حجة	غناء تارج بالمبير وتسبق

انضرتها ورويت غرس بيانها فتكاد أوراق الرسالة تورق
وجلوت من الفاظها فكأنما في كل لفظ عبرة تترقق
وذكرت شجوه حديثها فكأنما في كل معني منه قلب يخفق
جددت للادب القديم عهوده ومضيت في مضاره لاتلحق
لله درك شارحا ومحققا مان يفوقك شارح ومحقق
فاسلم وعش كثر البيان فكلتا طرب الى (مخزون درك) شيق

الخرطوم في ٢٨ يوفيه سنة ١٩٢١ و ٢٣ شوال سنة ١٣٣٩

ونشرت جريدة حضارة السودان بمددها الرقيم ٤٨ الصادر في ٢٤ شوال سنة ١٣٣٩ هـ
٢٠٩ يوفيه سنة ١٩٢١ م كلات عن كتابنا تحت عنوان (كتاب الدر المخزون
في شرح رسالة ابن زيدون) ذكرت فيها فذلك من ترجمة مؤلف الرسالة وطريقته
في الكتابة التي تفوق فيها على غيره وان لم ينسب اليه ابتكارها كتضمينه رسائله
الملح التاريخية والاشارات العلمية بما تفدو به امتنا جامعا لعدة علوم ودائرة شاملة
لجملة فنون عدا ما فيها من النكات والحكم والامثال ولاكي اللغة المفرغة في أساليب
البلاغة ثم قالت أما رسالته التي كتبها في السجن ووجه بها الى ابن جهور يستعطفه
فيها فهي هذه التي ألف في شرحها هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن ونفى
به الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون بقلم الاديب أبي بكر أفندي علي من
موظفي الحربية بالخرطوم يشرح فيه كلما اشتملت عليه الرسالة من لغة وأدب
وتاريخ بعبارات سلسة واسلوب عذب ويستند في رواياته ومنقولاته على أوثق
المصادر من المؤلفات المتعلق بها موضوع الكتاب فنتي على اجتهاد مؤلفه ونرجو
أن يروج كتابه وأن ينتفع به أبناء الضما

فهرست الكتاب

صحيفة	صحيفة
١٠٨ ذكر صالح عليه السلام وعقر الناقة	١ مقدمة الشارح
١٠٩ « طالوت ملك بني اسرائيل وقومه	٥ ترجمة صاحب الرسالة
١١٢ « أصحاب الفيل	٨ متن الرسالة الجديدة
١١٨ « الصحيفة التي كتبها قريش في	٢٢ خطبة الكتاب
مقاطعة بني هاشم	٢٨ ذكر أبي الطيب المتنبي
١٢٣ ذكر بيعة العقبة الثانية	٤٩ ذكر أكرم بن صيفي حكيم العرب
١٢٦ « أبي سفيان بن حرب وبعض أخباره	٥١ « عدي بن زيد وبعض أخباره
١٣٢ « غزوة بدر الكبرى	٥٩ بعض أخبار عبد الله بن أبي
١٣٧ « عبد الله بن أبي بن سلول رأس	عينته الشاعر
المناقين	٦٣ ذكر أبي ذؤيب الهذلي وبعض أخباره
١٣٩ ذكر غزوة احد	٦٨ « أبي تمام الشاعر وبعض أخباره
١٥٠ ذكر غزوة بني قريظة	٨١ « الأغلب الراجز وبعض أخباره
١٥٢ ذكر عائشة أم المؤمنين وحديث	٩٠ ذكر الوليد بن عبد الله البحري
الافك	وبعض أخباره
١٦١ ذكر اسامة بن زيد وحديث أمارته	١٠١ قصة خلق آدم أبي البشر وسجود
١٦٥ ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه	الملائكة له
ونسبه	١٠٣ قصة نبي الله نوح عليه السلام
١٦٦ ذكر خلافته وحديث السقيفة وما قيل	١٥٥ ذكر موسى بن عمران عليه السلام

صحيفة	صحيفة
٢٣٤ ذكر الحجاج بن يوسف الثقفي وبعض أخباره	فيها ووفاته رضى الله عنه
٢٤٦ ذكر رجم الكعبة الشريفة للمرة الثانية	١٧٤ ذكر أخبار أبي شحرة السلمي
٢٥٠ ذكر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ	١٧٦ ذكر خالد بن الوليد المخزومي رضى الله عنه وشيء من أخباره
٢٥١ ذكر قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مبين .	١٨٠ ذكر الشماخ بن ضرار وبعض أخباره
٢٥٢ ذكر كثير عزة الشاعر وبعض أخباره	١٨٤ » عمر بن الخطاب رضى الله عنه وخلافته ونسبه وموته
١٧٢ ذكر الأحنف بن قيس وبعض أخباره	١٨٨ ذكر حسان بن ثابت الانصاري الشاعر وبعض أخباره
٢٦٢ ذكر النابغة الذبياني الشاعر وبعض أخباره	١٩٢ ذكر عثمان بن عفان رضى الله عنه وخلافته وموته
٢٧٢ نبذة من أخبار الخوارج والشيعة وهو متقداتهم	١٩٩ ذكر الامام علي بن أبي طالب رضى الله عنه
٢٧٧ ذكر امرئ القيس الشاعر وبعض أخباره	١٠٦ ذكر الحسين بن علي رضى الله عنه
٢٩٨ ذكر حاتم الطائي وبعض أخباره	٢١٨ ذكر يزيد بن معاوية وخلافته وبعض أخباره
٣٠٣ بعض أخبار الممزق العبدى الشاعر الجاهلى	٢٢٢ ذكر وقعة الحره بالمدينة
٣٠٨ ذكر المثل ما يوم حليلة بسر	٢٢٦ ذكر عبد الله بن الزبير القرشى الشاعر
٣١١ ذكر قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة	٢٢٩ ذكر رجم الكعبة الشريفة للمرة الأولى
	٢٣١ ذكر عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وبعض أخباره

صحيفة	صحيفة
بن المهلب وقتيبة بن مسلم الباهلي	٣١٣ ذكر العباس بن الأحنف الشاعر
٣٤٧ ذكر عدي بن الرقاع العاملي الشاعر	وبعض أخباره
وبعض أخباره	٣١٥ ذكر قوله تعالى وله المثل الأعلى
٣٥٠ ذكر المثل كل الصيد في جوف الفرا	٣١٧ ذكر البيث المجاشعي وبعض أخباره
٣٥٣ ذكر المثل إنما أنت كبرق خلب	٣١٨ ذكر قوله تعالى وما الحياة الدنيا
٣٥٦ ذكر المثل الأيناس قبل الأباسم	الامتناع الفرور
٣٥٧ ذكر بشار بن برد الشاعر وبعض	٣١٩ ذكر المثل خامري ام عامر
أخباره	٢٢٠ ذكر أعشى بن قيس وبعض أخباره
٣٦٦ ذكر المثل عند الصباح يحمد القوم	٣٣٣ ذكر أبي الفتح البستي الشاعر وبعض
السرى	أخباره
٣٧٠ ذكر المعتر البارقي وبعض أخباره	٣٣٧ ذكر عمرو بن الأهتم النخعي وبعض
٣٧٣ ذكر القصيدة الميمية المنذلة بالرسالة	أخباره
وشرحها	٣٤١ ذكر ما قيل في حب الوطن والاعتراب
٦٨٥ التقاريف	٣٤٥ ذكر المثل بدل أعور وخبر يزيد

مطبوعات

مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

ص	ص		
٢	الانتقام	٢٠	الفضيلة - أو بول وفرجينى
١٠	مر تقدم الانكليز	٦٠	النظرات (٣) أجزاء
٨	مر تطور الامم	٢٠	الشاعر
٨	روح الاجتماع ورق صقيل	١٥	العبرات
١٠	الفضليات للضبي	٢٠	مجدولين
٨	النمائيات	٢٠	الاخلاق عند الغزالي للدكتور
٤	الاسلام سوانح وخواطر		زكي مبارك مجلد قماش
٤	جوامع الكلم	٢٥	ديوان ابن الرومي اختيار وتصنيف
٢	من أمير الى سلطان		كامل كيلانى (مجلد قماش)
١٠	مذكرات لوندورف جزآن	١٥	مطالعات فى الكتب والحياة للقاد
١٠	مذكرات هندنبرج	١٠	القانون الدستورى وتطور نظام
٦	رسائل اقره المقدسه		الدولة المصريه
٤	تهذيب الادب	١٥	رسالة الغفران للمعري شرح وایجاز
٨	رباعيات عمر الخيام تعريب السباعى		كامل كيلانى ثلاثة أجزاء
١٠	الابطال جزآن تعريب السباعى	١٠	نظرات فى تاريخ الادب الاندلسى
٥	بلاغه العرب فى القرن العشرين		مجموعه محاضرات القاها فى الجامعه
	تأليف خير ان خلدنا جبران		كامل كيلانى

١٥	الساق على الساق في ماهو الفارق
٨	الفصول للعقاد
٢٥	ديوان حافظ ابراهيم ٣ أجزاء
٧	مذكرات بني
٦	نهج البردة لاحمد بك شوفي
٤	الحركة الاستقلالية في ايطاليا
٢٠	صفح مختارة من الشعر التمثيلي لطمحين
٨	الارواح لطنطاوى جوهرى
١٥	جمهرة أشعار العرب

مُطالعات

فِي الْكَيْتِ وَالْحَيَاةِ

خضم بعيد الأعماق من الافكار الجليلة بجوى نيفا وأربعين فصلا ممتعا تصحبه
الروية والتخيال وثمنه ١٥ قرشاً صاغاً

النساء

مجموعة مقالات نشرت في الجريدة في موضوع المرأة المصرية بقلم باحث
البياديه جزآن ثمنهما ١٠ قروش صاغ

قصص مثلية

لجماع من كتّاب الفرنسيين

لا يمكن للأديب أن يستغنى عن هذا الكتاب البديع وحسبه أنه من
وضع الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين وثمنه ١٠ قروش صاغ

رسائل الغفاري

لابي العلاء المعري

عني بشرحها وبين غرضها اللغوي والادبي وعين بتراجم أهم الاعلام
الواردة أسماؤهم فيها الاستاذ كامل كيلاني ثلاثة أجزاء ثمنها ١٥ قرشا

جريدة

اشعاع العرب

تأليف

أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي

طبعة جديدة مشكولة على ورق مصقول وتمنبا ١٥ قرشاً صافياً

القاموس والحاشية

بقلم الكاتب القدير (محمد كرد علي) رئيس الجمع العلمي
كتاب ليس له نظير في الأدب العربي يحتوي على صفة آراء مؤلفه زائع
الصيت في الأدب والتاريخ والانتقاد مما يهم كل أديب ومؤرخ ومعلم وأسلوبه
ممتع رشيق جامع بين الجدة والفكاهة والبلاغة الساحرة وسهولة المعنى

وتمنه ١٥ قرشاً صافياً